

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

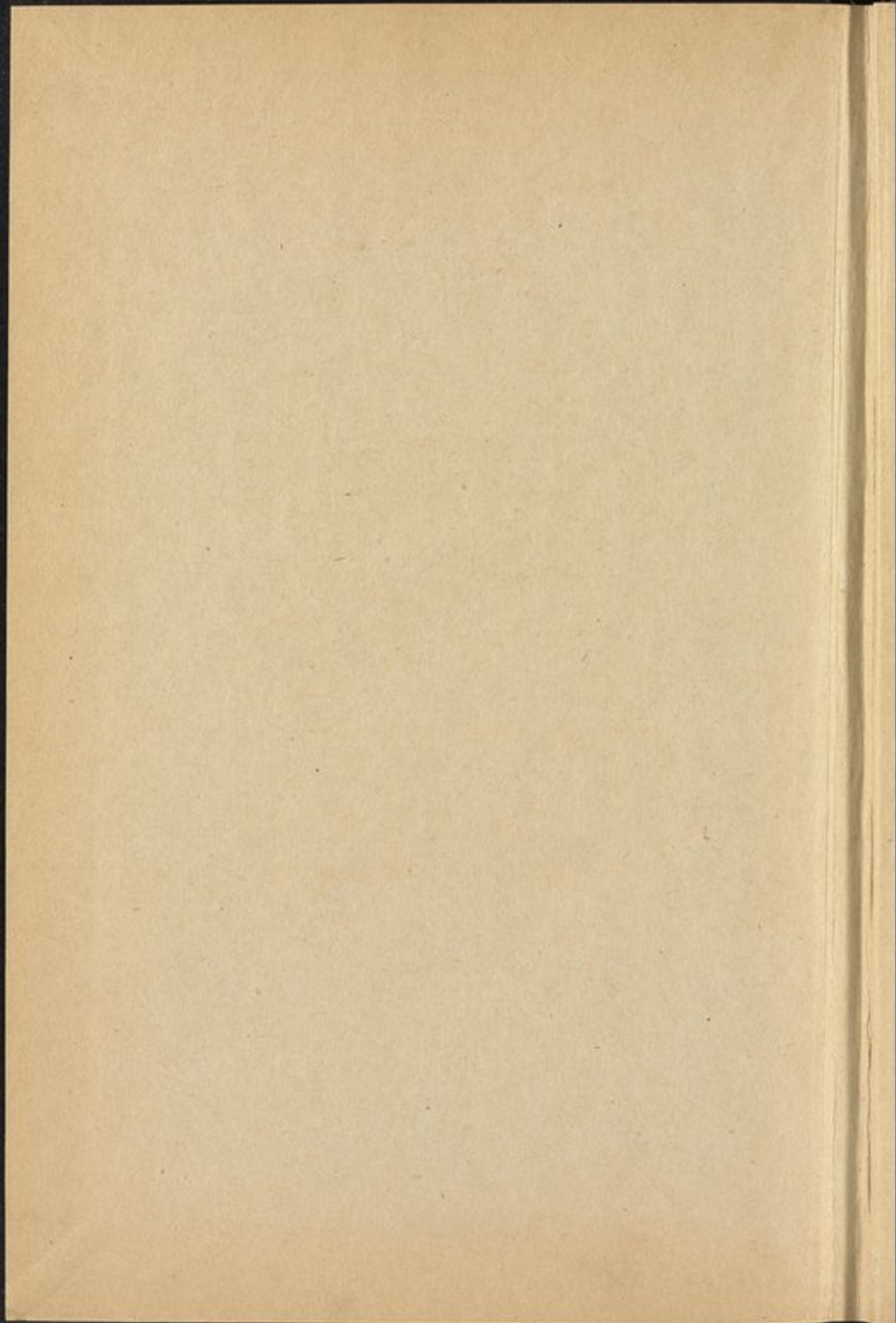


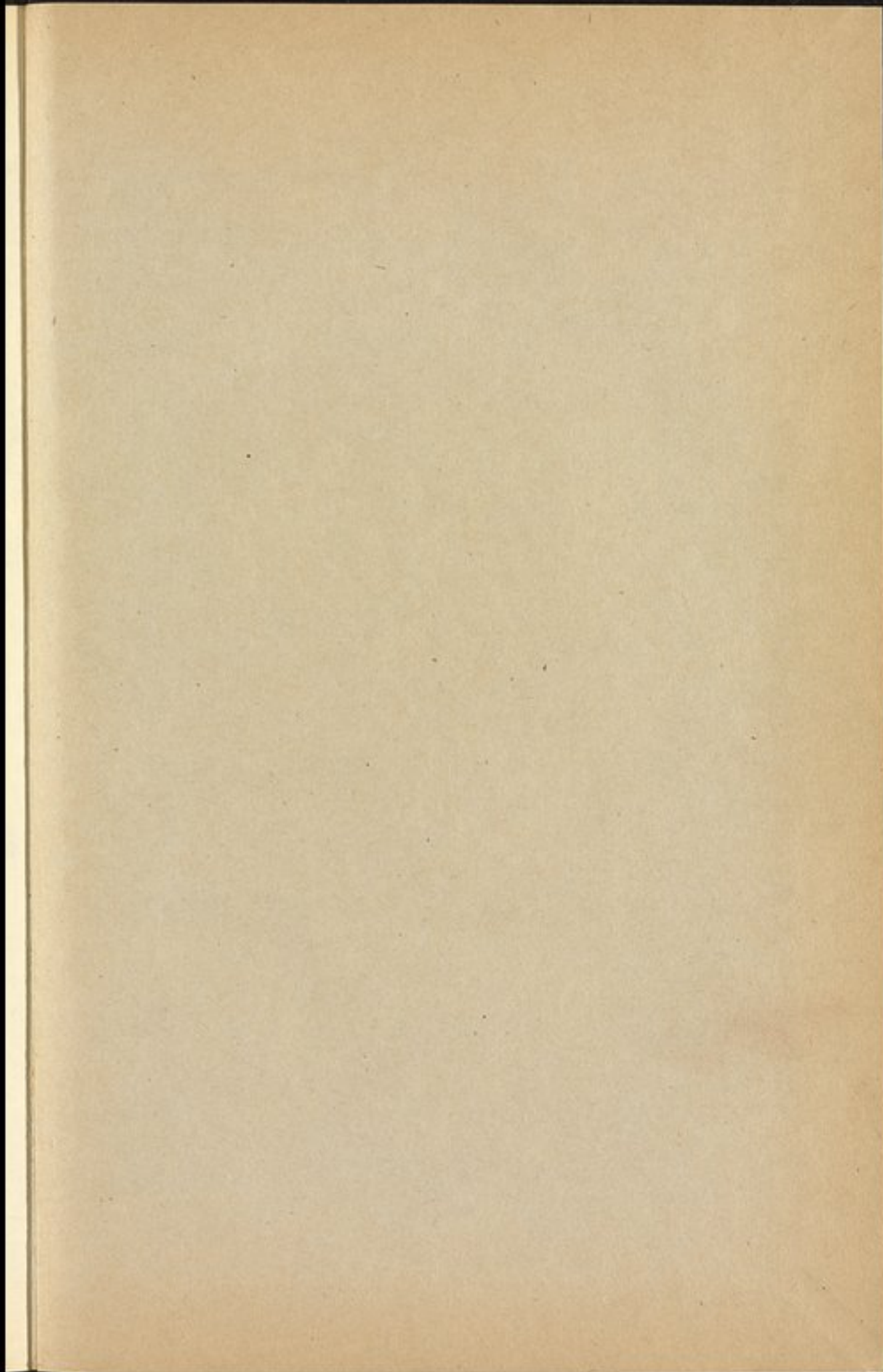
0061892181

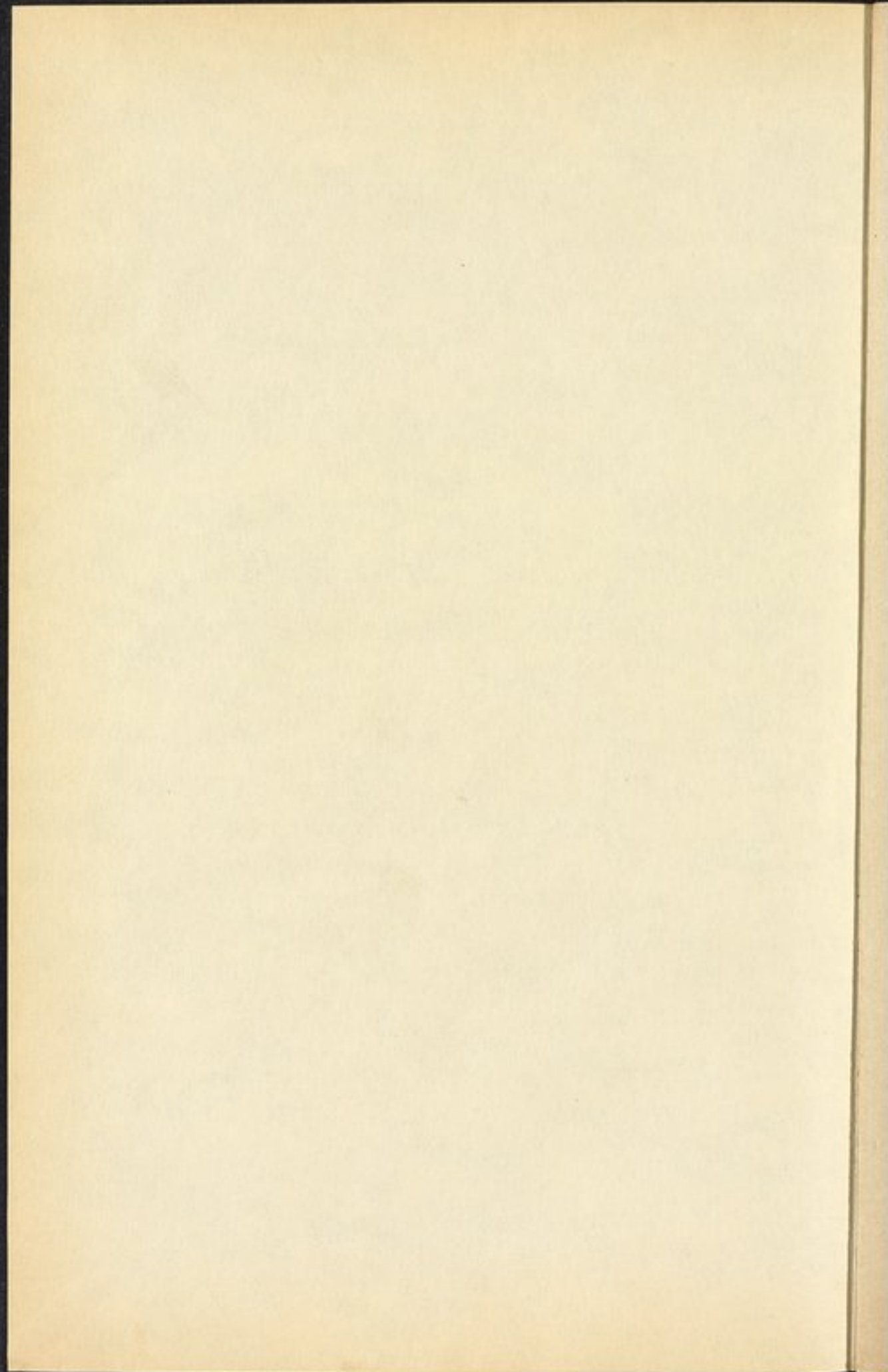
Columbia University
in the City of New York

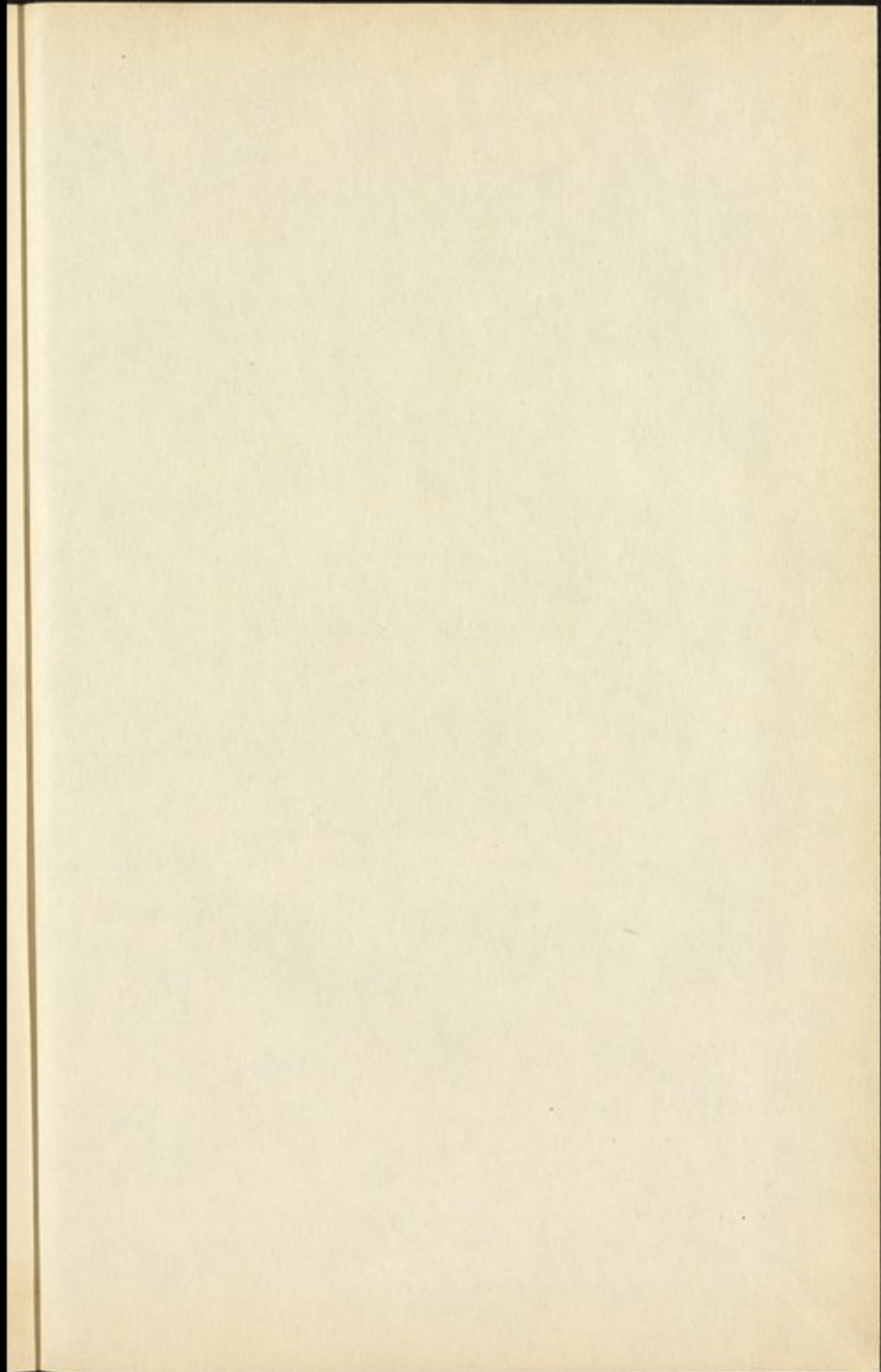
THE LIBRARIES











©
327

فهرس

الجزء الحادى عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى

BRITISH
UNIVERSITY
LIBRARY

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

صفحة

- الفصل الثانى — من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من
الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أطراف ٥
- الطرف الأول — فى مصطلح كتاب الشرق ٥
- الطرف الثانى — فى مصطلح كتاب الغرب والأندلس فيما يكتب من
الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أضرب ٦
- الضرب الأول — ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف ... ٦
- الضرب الثانى — ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية من أصحاب الأقلام ٢١
- الضرب الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ٢٦
- الطرف الثالث — فى مصطلح كتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء
الفاطميين وفيما بعدهم ... ، وفيه أربع حالات ٢٨
- الحالة الأولى — ما كان عليه أمر تواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء
الدولة الطولونية ٢٨
- الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم
إلى انقراض الدولة الأخشيدية ٢٩
- الحالة الثالثة — ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب ٣٢
- الحالة الرابعة — مما يكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات
ما عليه مصطلح كتاب الزمان بديوان الإنشاء بالديار
المصرية مما يكتب عن السلطان لأرباب السيوف
والأقلام وغيرهم : من التقاليد والمراسيم ، والتفاوض ،
والتواقيع ، وفيه ثلاثة مقاصد ٧٢

- صفحة
- المقصد الأول - فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيمنان ٧٢
- المهيمن الأول - فى بيان رجوع هذه الولايات الى الطريق الشرعى ٧٢
- المهيمن الثانى - فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات ٧٤
- المقصد الثانى - فى بيان مقاصد ما يكتب فى الولايات ، وفيه جملتان ١٠١
- الجملة الأولى - فى بيان الرسوم فى ذلك [ولم يذكر فى الأصل غيرها] ،
وهى على أربعة أنواع..... ١٠١
- النوع الأول - التقاليد..... ١٠١
- النوع الثانى - المراسيم ، وفيه ضربان ١٠٧
- الضرب الأول - المراسيم المكبرة ١٠٧
- الضرب الثانى - المراسيم المصغرة ١١١
- النوع الثالث - التفاوض ١١٢
- النوع الرابع - التواقيع ، وهى على أربع طبقات ١١٤
- المقصد الثالث - فى بيان كيفية وضع ما يكتب فى هذه الولايات فى الورق ١٢٧
- فى ذكر نسخ مما يكتب فى متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة
والتفاوض والتواقيع ، وهى على ثلاثة أقسام ١٣٣
- القسم الأول - ولايات وظائف الديار المصرية ، وهى على نوعين..... ١٣٤
- النوع الأول - الولايات بالحضرة ، وهى على ستة أشرب ١٣٤
- الضرب الأول - ولايات أرباب السيوف ، وهى على طبقتين..... ١٣٤
- الطبقة الأولى - ذوات التقاليد ، وهى ثلاث وظائف ١٣٤

الوظيفة الأولى — الكفالة، وهي نيابة السلطنة بالحضرة	١٣٤
الوظيفة الثانية — الوزارة لصاحب سيف	١٤٨
الوظيفة الثالثة — الإشارة، وهي وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يعهد بها	
كتابة في الزمن القديم	١٥٣
الطبقة الثانية — ممن يكتب له من أرباب السيوف ذوات التوقيع،	
وفيه وظائف	١٥٦
الوظيفة الأولى — نظر البيارستان لصاحب سيف	١٥٦
الوظيفة الثانية — نظر الجامع الطولوني	١٥٩
الوظيفة الثالثة — نقابة الأشراف	١٦٢
الضرب الثاني — ممن يكتب له بالولايات بالديار المصرية أرباب	
الوظائف الدينية، وهو على طبقتين	١٧٤
الطبقة الأولى — أصحاب التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالی	١٧٤
الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التوقيع،	
وتشتمل على مراتب	٢٠٤
المرتبة الأولى — ما كان يكتب في النصف	٢٠٤
المرتبة الثانية — ما يكتب في قطع الثلث، وتشتمل على وظائف	٢٠٤
المرتبة الثالثة — من الوظائف الدينية ما يكتب في قطع العادة الصغير	
مفتتحاً برؤسهم بالأمر الشريف	٢٦٨

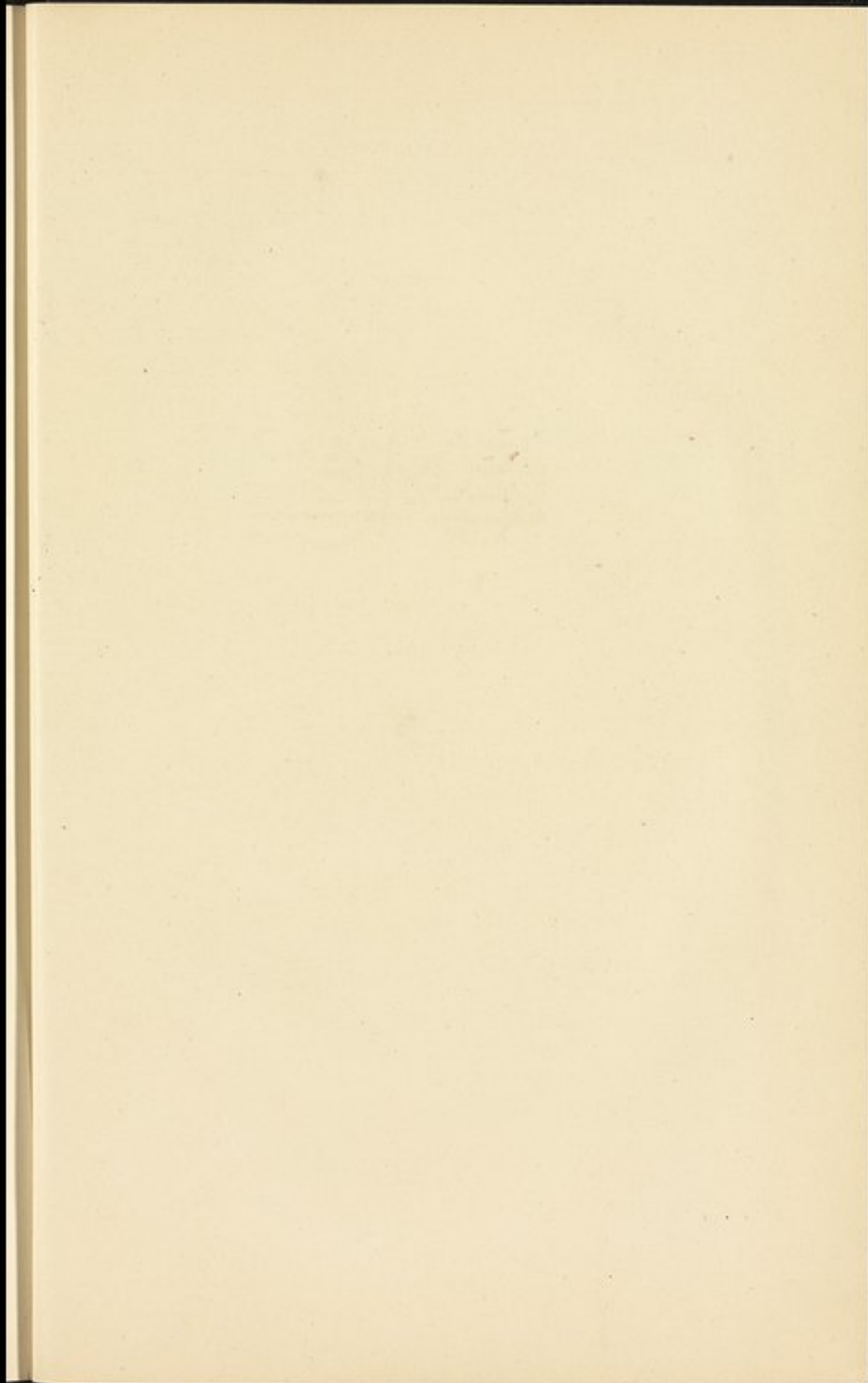
صفحة

- الضرب الثالث - من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية
 ٢٧٠
 الوظائف الديوانية ، وهى على طبقتين
- الطبقة الأولى - أرباب التقاليد ممن يكتب له الجتاب العالى ،
 ٢٧٠
 وفيها وظيفتان
- الطبقة الثانية - من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية
 أصحاب التوقيع ، وهم على ثلاث درجات
 ٣١٦
- الدرجة الأولى - ما يكتب فى قطع النصف ، وتشمل على ثلاث وظائف
 ٣١٦
- الدرجة الثانية - ما يكتب فى قطع الثلث ، وتشمل على وظائف
 ٣٣٣
- الدرجة الثالثة - ما يكتب فى قطع العادة ، وفيها وظائف
 ٣٥١
- الضرب الرابع - من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مشيخة
 الخوايق ، وكلها يكتب بها توقيع
 ٣٧٠
- الضرب الخامس - من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة
 أرباب الوظائف العادية ، وكلها توقيع
 ٣٧٧
- الضرب السادس - من أرباب الوظائف بالديار المصرية زعماء أهل
 الذمة
 ٣٨٥
- النوع الثانى - ماهو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة من وظائف
 الديار المصرية مما يكتب لأربابها ، وهى ثلاث
 جهات
 ٤٠٥

صفحة

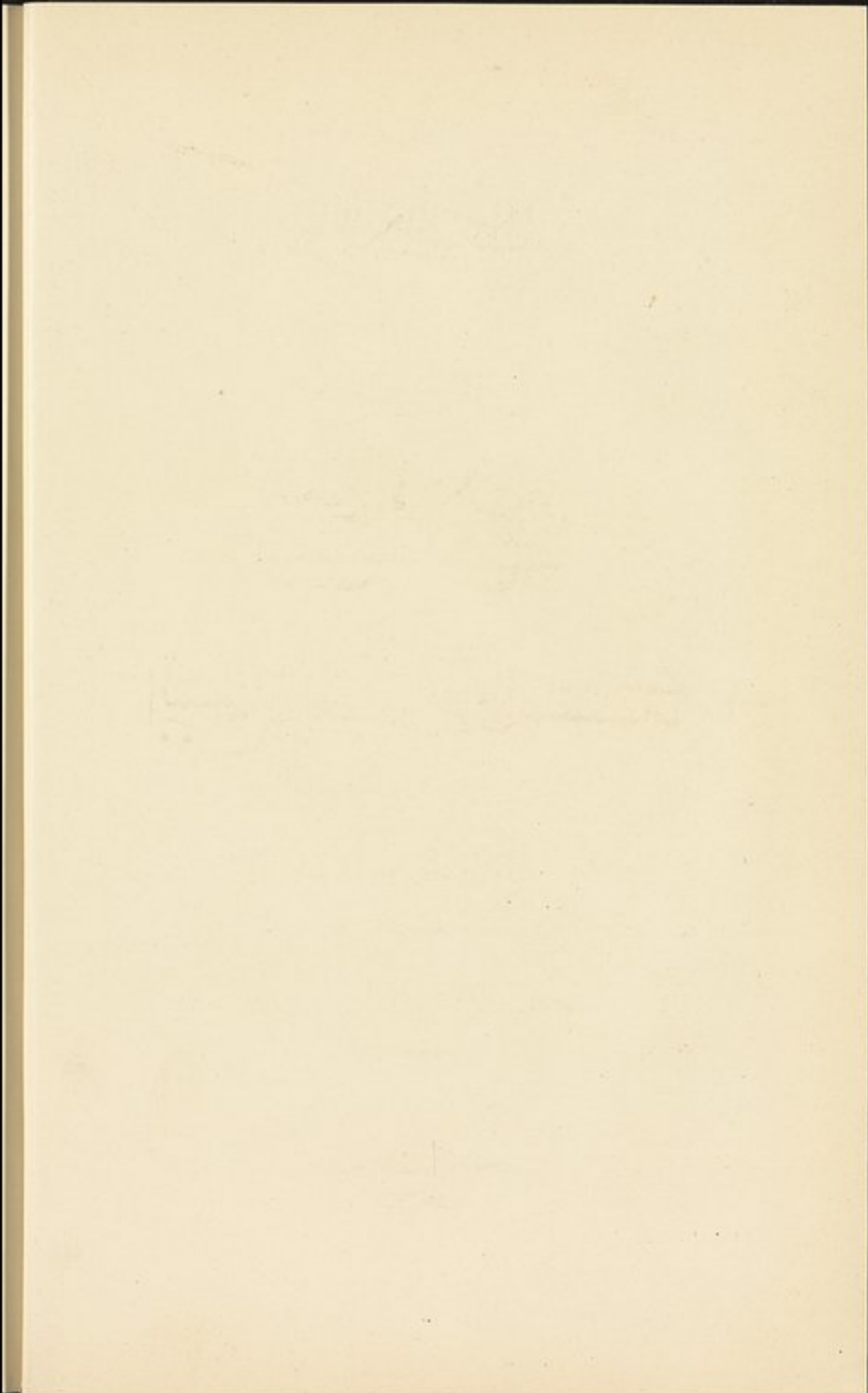
- الجهة الأولى — ثغر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف ... ٤٠٥
- الصف الأول — وظائف أرباب السيوف ... ٤٠٥
- الصف الثاني — الوظائف الدينية ... ٤٠٨
- الصف الثالث — الوظائف الديوانية ، وهي على طبقتين ... ٤١٩
- الطبقة الأولى — من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامى بالياء ٤١٩
- الطبقة الثانية — من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامى بغيرياء
- أو مجلس القاضى ... ٤٢٣
- الجهة الثانية — مما هو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة بالديار
المصرية بلاد الريف ، وهي وجهان ... ٤٢٦
- الوجه الأول — الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصعيد ... ٤٢٦
- الوجه الثاني — من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى ... ٤٣٨
- الجهة الثالثة — درب الحجاز الشريف ... ٤٤٢

(تم فهرس الجزء الحادى عشر من كتاب صبح الأعشى)



صنعة الأربعة

الجزء الحادي عشر



دار الكتب السلطانية

كتاب

صنح الأربعة

تأليف

الشيخ أبي الغبار أحمد القلقشندي

الجزء الحادي عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٥ هـ
م ١٩١٧

893.7K125

W

v. 11

ch. 2

45-39141

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثاني^(١)

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فيما يُكْتَب من الِوَلَايَات عن الملوّك ، وفيه [ثلاثة] أطراف)

الطَّرْفُ الأوَّل

(في مصطلح كُتِّبَ الشَّرْق)

قد تقدّم في الكلام على ما كان يُكْتَب عن الخلفاء أنّ الِوَلَايَات في الخلافة العباسية ببغداد كانت تُصَدَّر عن الخلفاء دون الملوّك المُساهمين لهم في الأمر ، لا يُشارِكُونهم في شيء من الِوَلَايَات أصلاً . وقد تقدّم ذكر ما كان يكتب عن خلفائهم من الِوَلَايَات هناك .

والمقصود هنا ما كان يُكْتَب عن ملوك بني جَنْجِيخَان من البيت الهولوكوهي فمن بعدهم . ولم أقف على شيء من مصطلحهم في ذلك فأوردته هنا .

(١) وقع سهواً في آخر الجزء العاشر أن أزل الجزء الحادي عشر "الفصل الثالث" وصوابه "الثاني"

الطرف الثانى

(فى مصطلح كُتَابِ الْغَرْبِ وَالْأَنْدَلُسِ فِيمَا يَكْتَبُ مِنَ الْوِلَايَاتِ عَنِ الْمُلُوكِ)
 وَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَعْبَرُونَ عَمَّا يَكْتَبُ فِي جَمِيعِ وِلَايَاتِهِم بِالظُّهَائِرِ: جَمْعُ ظُهَيْرٍ ^(١)، يَفْتَتِحُونَهُ
 بِلَفْظِ «هَذَا ظُهَيْرٍ» كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَا كَانَ يَكْتَبُ عَنْ خَلْفَاءِ الْمَغْرِبِ .
 ثُمَّ هِيَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَبٍ :

الضرب الأول

(مَا يَكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوِظَائِفِ مِنْ أَصْحَابِ السُّيُوفِ)
 وَهَذِهِ نَسْخَةُ ظُهَيْرٍ بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِالْحَضْرَةِ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْخَطِيبِ، وَهِيَ :
 هَذَا ظُهَيْرٌ كَرِيمٌ، مَثَرْتُهُ فِي الظُّهَائِرِ مَنزِلَةُ الْمُعْتَمِدِ بِهِ مِنَ الظُّهَرَاءِ، وَمَحَلُّهُ مِنَ
 الصُّكُوكِ، الصَّادِرَةِ عَنِ أَعْظَمِ الْمُلُوكِ، مَحَلُّ أَوْلَى الرَّايَاتِ، الْخَالِيقَةِ الْعَدَبَاتِ،
 وَالْآرَاءِ . فَتَحَّ عَلَى الْإِسْلَامِ، مِنْ بَعْدِ الْإِبْهَامِ، أَبْوَابَ السَّرَّاءِ، وَرَاقَ طِرَازًا مُدْهَبًا
 عَلَى طَائِقِ الدَّوْلَةِ الْغَرَّاءِ، وَأَعْمَلَ عَوَامِلَ الْجِهَادِ فِي طَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، شَارِعَةً لِأَهْلِ
 الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، مِنْ بَابِ الْإِعْمَالِ وَالْإِغْرَاءِ .

أَمْرٌ بِهِ فَلَانَ لَصَدْرٍ صُدُورِ أَوْدَانِهِ، وَحُسَامِهِ الْمَشْمُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَوَلِيَّهُ الَّذِي
 خَبَّرَ صَدَقَ وَفَاتِهِ، وَجَلَّى فِي مِضْمَارِ الْخُلُوصِ لَهُ مُغْبَرًا فِي وَجْهِهِ أَكْفَانِهِ . شَيْخُ شَيْوُخِ
 الْمَجَاهِدِينَ، وَقَائِدِ كِتَابِهِ الْمَنْصُورَةِ لَغَزْوِ الْكَافِرِينَ وَالْمُعْتَدِينَ، وَعُدَّتِهِ الَّتِي يُدَافِعُ بِهَا
 عَنِ الدِّينِ، وَسَائِقِ وَرِيدِهِ الْمَبْرُزِ فِي الْمِيَادِينَ، الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْأَعَزِّ الْأَسْنَى، الْأَمْجِدِ،

(١) فِي السَّانِ وَغَيْرِهِ "الظُّهَيْرُ الْعَوْنُ يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ" . وَقَدْ جَمَعَهُ الْقَرَاءُ عَلَى ظُهْرَاءِ . وَفِي شَرْحِ
 الْأَشْتَوَنِى عَنِ بَعْضِ النُّحُوِّ بَيْنَ أَنَّهُ يَشْتَرَطُ فِي جَمْعِ فَعِيلٍ عَلَى فَعَّالٍ أَنْ يَكُونَ عَلِمًا لِمَوْثٍ . تَأْمَلُ .

الأُسَيدُ ، الأَصْعَدُ ، الأَعْنَى ، الأَحْمَى ، الأَحَبُّ ، الأَوْصَلُ ، الأَفْضَلُ ، المَجَاهِدُ ، الأَقْضَى ، الأَرْضَى ، الأَمْضَى ، الشَّهِيدُ ، المَقْدِسُ ، المَرْحُومُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بَدْرِ الدِّينِ ، أَبُو شَيْخِ الشُّبُوحِ وَعَلِمَ الأَعْلَامِ ، المَدَافِعِ عَنِ حَوْزَةِ الإِسْلَامِ ، البَعِيدِ الغَارَةِ فِي نُحُومِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ ، الشَّيْخِ الكَبِيرِ ، الجَلِيلِ الخَطِيرِ ، الرَفِيعِ ، الصَّدْرِ ، المَعْظَمِ ، المَوْقُرِ ، صَاحِبِ الجِهَادِ الأَرْضِيِّ ، والعَزْمِ الأَمْضِيِّ ، المَقْدِسِ ، المَرْحُومِ أَبِي عِمْرَانَ (موسى) ، أَبِي زَيْدِ رَحْوِ بْنِ مَحْيُو بْنِ عَبْدِ الحَقِّ بْنِ مَحْيُو ، وَصَلَّ اللهُ سَعْدَهُ ، وَحَرَسَ مَجْدَهُ ، وَبَلَّغَهُ مِنْ مَظَاهِرَةِ دَوْلَتِهِ وَمُؤَاوَزَةِ خِلَافَتِهِ قَصْدَهُ . رَفَعَ قُبَّةَ العِنَايَةِ وَالأَخْتِيَارِ عَلَى عِمَادٍ ، وَأَشَادَ بِدَعْوَةِ التَّعْظِيمِ [مُسْمِعًا ^(١)] كُلَّ حَيٍّ وَجَمَادٍ ، وَقَابَلَ السَّعْيَ الكَرِيمَ بِإِحْسَادٍ ، وَأُورِدَ مِنَ البِرِّ غَيْرَ مِمَادٍ ، وَاسْتَظْهَرَ بِالْوَفَاءِ الَّذِي لَمْ تَسْتَتِرْ نَارُهُ بِرَمَادٍ ، وَلَا قَصَّرَتْ جِيَادُهُ عَنِ بُلُوغِ آمَادٍ ؛ وَقَلَّدَ سَيْفَ الجِهَادِ عَاتِقَ الحَسَبِ الأَلْبَابِ ، وَأَعْلَقَ يَدَيْ الأَسْتَظْهَارِ بِأَوْتُقِ الأَسْبَابِ ، وَاسْتَغْلَقَ عَلَى الأَعْدَاءِ بِأَحَبِّ الأَحْبَابِ . لَمَّا قَامَتْ لَهُ البِرَاهِينُ الصَّادِقَةُ عَلَى كَرَمِ شَيْمِهِ ، وَرُسُوحُ قَدَمِهِ ، وَجَنَى مِنْهُ عِنْدَ الشَّدَةِ وَالتَّحْيِصِ ثَمَرَةٌ مَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعَمِهِ ، قَابَلَ بِالرَّغْبِ كِرَامَتَهُ ذِمَّتِهِ ، وَعِظَائِمَ خِدْمَتِهِ ؛ وَشَدَّ البِدَّ عَلَى عَهْدِهِ الَّذِي عَرَفَهُ حِينَ آتَتْكَثُ العُقْدِ وَأَخْلَقَ المَعْتَقِدَ ؛ وَاسْتَأْسَدَ النَّقْدُ ، وَتَكَرَّرَ الصَّدِيقُ ، وَفَرَّقَ الفَرِيقُ ، وَسُدَّتْ عَلَى النِّظَرَةِ الطَّرِيقُ ، وَتَمَيَّزَ المَغْرَقُ وَالعَرِيقُ ؛ فَانْقَلَبَ لَهُ مِيزَانُ المِكَافَاتِ ، وَسَجَّلَ لَهُ رَسْمَ المُصَافَاتِ ؛ وَجَعَلَهُ بَيْنَ المُلْكَ الَّذِي بِهِ يُنَاضِلُ ، وَيُقَاطِعُ وَيُؤَاصِلُ ؛ وَسَيْفَ الجِهَادِ ، الَّذِي يَجِي بِمَضَائِمِهِ حَوْزَةَ البِلَادِ ، وَمِرْآةَ النُّصْحِ الَّتِي تُتَجَلَّى بِهَا وَجْهُ الرِّشَادِ . فَقَدَمَهُ - أَعْلَى اللهُ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ

(١) الزيادة عن "ريحانة الكتاب" لابن الخطيب .

(٢) التقد بالتحريك السفل من الناس ، وضرب من النعم قصار الأرجل قباح الوجوه يقال هو أذل من

التقد . أنظر اللسان .

نعمه ، وأسعده فيما يممه ، ونشر بالنصر علمه - شيخ الغزاة بحضرتة العلية ، وسائر بلاد النصرية : ترجع القبائل والأشياخ إلى نظره فى السككات ، وتستدر على يده من مقامه الكريم غيوم البركات ؛ وتقرر وسائلها بوساطة خطوته ، وتقصر خطاها اعترافا بحقه الواجب عن خطوته . فعليه تدور أفلاك جماعاتهم كلما اجتمعوا وأتلفوا ، وبحجة فضله يزول إشكالهم مهما اختلفوا ؛ ولسانه المبين يقرر لهم ما سلفوا ، وفى كنف رعيه ينشأ من أعقبوا من النشأة وخلفوا ؛ وبإقدامه تنهض أقدامهم مهما توقفوا . فهو يعسوب كتائبهم المنته ، وفرزان قطعهم المصطفه ؛ وشهم جوارحهم الفارجه ، وعين عيونهم النابه ، وتأويل أمورهم المشابهه ؛ عن نظره يردون ويصدرون ، وبإشارته يرشون ويرون وآثاره يقتفون ، وتتلسة دقاره المريخى فى خدمة مقامه النصرى يقفون . فهو الذى لا تأنف أشراف القبائل من آفتاء آثاره ، ولا تجهل رفعة مقداره ؛ فليته المزيه بالحق ، المستوجبة للفخر بسابقة السعادة لعبد الحق ؛ ولذاته قصب السبق ، ولوفاؤه الشهرة فى الغرب والشرق .

فليتول ذلك - تولاه الله - منشرحاً بالعزيز صدره ، مستمداً من شمس سعادتة بذره ، معروفاً حقه معظماً قدره ؛ فهى خطة قومه ، وفريسة حومه ، وطية أمسه ويومه ؛ وكف خطبته ، ومرمى رتبته ؛ وحلى جيده ، ومظهر توفيقه وتسديده . مطلقاً من عنان الثناء ، على أهل الغناء ، معاملاً بصادق الإطراء ، لذوى الآراء ؛ متغمداً بالإغضاء ، هفوات أهل المضاء ؛ معرفاً بالقبائل ، والعشائر والفصائل ؛ كمتاً وفدواً من الآفاق للاستلحاق ؛ منبهاً على مظان الاستحقاق ، مطبقاً للطباق ، مميّزاً لحيادها يوم السباق ؛ حريصاً على إنماء الأعداد ، مطبقاً مفاصل الشراد ؛ محتاطاً على الأموال التى تترى

بها أكَفُّ الجباية ضُرُوعَ العباد، واضعاً مَالَ الله حيثُ وضعه آخِزُ من الوَرَعِ
والأستداد، [لا] سِيَّماً في هذه البلاد؛ حتَّى تعظُمَ المَزَايا والمَزَاين، وتتوفَّرَ الكُتَّابُ
والخِزَّائِنُ ويتَهَجَّ السامِعُ ويُسرَّ المُعَاينُ؛ ويظهر الفضلُ على من تقدَّم، وأنَّ الظُّهراءَ
كَمْ غادرت من متردِّم، ويتحسَّرُ من قَصْرٍ ويتندَّم، وعند الله يَجِدُ كُلَّ ماقدَم . فهي
قلادةُ الله التي يُضَيِّعُ مِنْ أضعائها، وَيَرْضَى^(١) عمن أعمل فيها أو امرءه وأطاعها . وهو،
- وصلَّ الله سعادته! وحرس مجادته! - أولى من لاحظ ضرائرها، وأستطلع من
شأياً التوكل على الله بشارها : نَسَباً وحسباً، وجدّاً وأباً، وحدّاً وشباً؛ وتَجِدَّة
وصحَّت مذهباً .

وعلى الغزاة - وفرَّ الله جموعهم! وأنجد تابعهم ومتبوعهم! - أن يعرفوا قدرَ هذا
التعظيم الذي خفقت أعلامه، ووصحت أحكامه؛ والاختصاص الذي لطف محله،
والاعتناء الكريم الذي ضفأ ظله؛ فيكونوا من إيجاب حقه حيث حدَّ ورسم،
وميزَّ ووسم؛ لا يتخلَّف أحد منهم [في خدمته]^(٢) أيده الله عن إشارته الموقفة، ولا
يَسُدُّ عن رياسته المطلقة؛ بحول الله تعالى وقوته .



وهذه نسخة ظهير بناية السلطنة ببعض الأعمال، وهي :

هذا ظهير كريم، مضمَّنه استجلاءً لأُمُور الرعايا وأستطلاع، ورعاية كُرِّمت منها
أجناس وأنواع؛ وعدلٌ بهر منه شعاع، ووصايا يجب لها إهطاع .

أصدرناه للفقير أبي فلان. لمَّا تقرر لدينا دينه وعدله وفضله رأينا أنه أحقُّ
من نُقلده المُهمَّ الأَكِيد، ونزيمى [به]^(٢) من أغراض البرِّ الغرض البعيد؛ وتَسْتَكشِف به

(١) في "ريحانة الكتاب" التي لا يضيع من أضعائها، ويوفى صاعها .

(٢) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

أحوال الرعايا حتى لا يغيب عنا شيء من أحوالها، ولا يتطرق إليها طارق من إهمالها،
وُنبهى إلينا الحوادث التي تنشأ فيها إنهاء يتكفل بمحاولة إنبائها وأموالها .
وأمرناه أن يتوجه إلى جهة كذا - حاطها الله - فيجمع الناس في مساجدهم، ويندبهم
من مشاهدتهم . ويبدأ بتقرير غرضنا في صلاح أحوالهم، وإحساب آماليهم،
ومكابدتنا المشقة في إدارة عدوهم الذي يعلم من أحوالهم ما غاب عنهم - دفعه الله
بقدرته، ووقى نفوسهم وحرىمهم من معزته - وبما رأينا من آيات الأسباب التي
فيك تؤمل، وعجز الحيل التي كانت تُعمل . ويستدعى إنجازهم بالدعاء، وإخلاصهم
فيه إلى رب السماء . ويسأل عن سيرة القواد، وولاية الأحكام بالبلاد : فمن نالته
مظلمة فليرفعها إليه، ويقصها عليه : ليبلغها إلينا، ويوفدها مقررة الموجبات علينا .
ويختبر ما أقرض صدقة للجيل، وما فضل عن كريم ذلك العمل : ليعين لبناء
الحصن بيجبل قارة يسر الله لهم في إتمامه، وجعل صدقتهم تلك مسك ختامه،
وغيره مما أقرض إغاثة للسافرين، وإنجاداً للجهاد الكافرين؛ فيعلم مقداره،
ويتولى اختباره؛ حتى لا يُعمل منه شيء على ضعيف، ولا يُعدل به لمشروف
عن شريف، ولا تقع فيه مضايقة ذى الجاه، ولا مخادعة غير المراقب لله . ومتى
تحقق أن غنياً قُصر به فيه عن حقه، أو ضعيفاً كُلف منه فوق طوقه، فيُجير الفقير
من الغنى، ويحري من العدل على السنن السوى - ويعلم الناس أن هذه المعونة
وإن كانت بالنسبة إلى محل ضرورتها يسيرة، وأن الله يضاعفها لهم أضعافاً كثيرة؛
ليست مما يلزم، ولا من المعاون التي بتكريرها يُجزم - وينظر في عهود المتوفين
فيصرفها في مصارفها المتعينة، وطرقها الواضحة البينة - ويتفقد المساجد تفقدًا يكسو

عاريها ، ويَتَمَّمُ منها المآربَ [تُعْمِيًا] يُرْضَى بِأرْيَها - ويندُبُ الناس إلى تعليم
القرءان لصبيانهم ، فذلك أصلُ أديانهم . ويحذِّرهم المغيب عن كل شيء من
أعشارهم فالزكاةُ أختُ الصلاة وهما من قواعد الإسلام ، وقد آخترنا لهم بأقصى الحدِّ
والاعترام ، ورفعنا عنهم رسمَ التعريف نظراً إليهم بعين الأهتمام ؛ وقدّمنا الثقات
لهذه الأحكام ، وجعلنا الحرصَ شرعياً في هذا العام ، وفيما بعده إن شاء الله
من الأعوام .

ومن أهمِّ ما أسندناه إليه ، وعوّلنا فيه عليه ، البحثُ بتلك الأحواز عن أهل
البدع والأهواء ، والسائرين من السبيل على غير السواء ؛ ومن يُنَبِّهُ بفساد العقْد ،
وتحريف القصد ؛ والتلبُّس بالصوفيّة وهو في الباطن من أهل الفساد ، والذاهبين
إلى الإباحة وتأويل المعاد ؛ والمؤلّفين بين النساء والرجال ، والمنتبئين لمذاهب
الضلال . فهما عثر على مطوّق بالتهمة ، منبِّه بشيء من ذلك من هذه الأمم ؛ فليشدَّ
وثاقه شدّاً ؛ وليشدَّ عليه سبيلَ الخلاص سداً ؛ ويستترع في شأنه الموجبات ،
ويستوعب الشهادات ، حتّى ننظر في حَسْمِ دائه ، ونعالجَ المرضَ بدوائه ؛

فليتولّ ما ذكرنا نائباً بأحسن المناب ، ويقصد وجهَ الله راجياً منه جزيل الثواب ،
ويعمل عمل مَنْ لا يخاف في الله لومة لائم ليجد ذلك في مواقف الحساب ؛

وعلى من يقف عليه من القواد والأشياخ والحكّام أن يكونوا معه يداً واحدة على
ماقرنناه في هذه الفصول : من العمل المقبول والعدل المبذول . ومن قصر عن غاية
من غاياته ، أو خالف مقتضى من مقتضياته ، فعقابه عقابٌ من عصي أمر الله
وأمرنا فلا يلومنّ إلا نفسه التي غرته ، وإلى مَصْرَعِ النكير جرّته ، والله المستعان .



وهذه نسخة ظهير بالإمرة على الجهاد ، وهى :

هذا ظهير كريم بلغ فيه الاختيار ، الذى عضده الاختبار ، الى أقصى الغايه ،
وجمع له الوفاق ، الذى خدّمه البختُ والاتفاق ، والأهلية التى شهدت بها الآفاق ،
بين نُجْحِ الرأى ونَصْرِ الرايه ؛ وأنتجت به مقدماتُ الولاء نتيجةً هذه الرتبة السامية
العلاء والولاية . وأسْتَظْهَر من المعتمد به ، على قصده الكريم فى سبيل الله ومذهبه ،
بليث من لُيُوثِ أوليائه شديدِ الوطأة على أعدائه والنكايه ، وفرج من فروع المُلْكِ
الأصيل معروفِ الأبوّة والإبائه ، لتتضح حجةُ النصر العزيز والفتح المبين ذى القوّة
المتين محكمة الآيه ، وتدل بدايةً هذه الدولة الرافعة لمعالم الدين ، المؤيدة فى الأقوال
والأفعال بمدد الروح الأمين ، على شرفِ النّهايّه .

أصدر حُكْمَه وأبرز حُكْمَه ، وقزّر حدّه الماضى ورسمه ، عبدُ الله ، الغنى بالله
[محمدُ ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر] - ^(٢) عَضَدَ اللهُ كِتَابَه وشَدَّ عَضْدَه ،
ويَسْرُ فى الظهور على أعداء الله قَصْدَه - لولِيّه المستولى على مَيَادِينِ حُظُوتِه وإيثاره ،
الفائز بالفتح المَعْلَى من إجلاله وإجباره ؛ ظهيرِ استنصاره ، وسيفِ جهاده المَعْدِ
ليصدق ضربته ويومِ افتخاره ، وَيَعْسُوبِ قبائلِ الغزاة بأصقاعه الجهادية وأقطاره ؛
الأمير أبى عبد الرحمن ، أبى الأمير أبى على ، أبى السلطان أمير المسلمين أبى سعيد ،
ابن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبدالحق - وصل الله له أسباب سعده ،
وأنجز للمسلمين بمظاهرة إياه على الكافرين سابق وعده ، لمّا وفد على بابهِ الكريم

(١) فى ریحانة النخاب « بلغ فيه الاختيار التهايه والاختبار الى » الخ .

(٢) الزيادة "من الريحانة" .

(١) مؤثراً على ما كان بسبيله عن جواره، ملقياً بجملة الجهاد عصاً تسياره، مفضلاً ما عند الله على رغب أوطانه وأقطاره؛ شمية من أسرع إلى خير الآخرة ببداره، قبل آكمال هلاله وإبداره، وعلى أنبعاث أمه وترامى هممه وأستقامة مداره - قابل أيدى الله وقادته بالقبول المدوح، والصدر المشروح، والعناية العالية المظاهر والصروح؛ وجعل له الشرب المهنى في مناهل الصنائع التي صنع الله للملكة والفتوح؛ ولم يدخر عنه تقريباً يقف الأولياء دون مداه، وترفعاً تشهد به محافل الملك وامتداه؛ إلى أن ظفرت بحقيقة الموالاتة الكريمة يداه، ثم أستظهر به على أعداء الله وعداه، فوق النصح لله وأذاه، وأضمّره وأبداه، وتحلى بالبسالة والجلالة والطهارة، اللاتفة بمنصب الإمارة، في رواجه ومعداه؛ حتى آتفت الأهواء على فضله وعفافه، وكال أوصافه وظهرت عليه مخايل أسلافه. ثم رأى الآن - سدّد الله رأيه، وشكر عن الإسلام والمسلمين سعيه - أن يوفد ركائب الاعتقاد الجميل على جنابه، ويفسح ميدان الاستظهار بحسن منابه، ويصل أسبابه بأسبابه؛ ويضاعف بولائه الصادق أهتمامه، ويقيم في قود عساكره لجهاد البرّ مقامه؛ فأضفى ملابس وده عليه، وجعله فاتح أبواب الجنة بفضل الله بين يديه؛ وأجراه مجرى عضده الذي تصدق عنه الضريبة في المجال، وسيفه الذي يفرّج به مضائق الأحوال؛ ونصبه للقبائل الجهادية قبلة في مناصحة الله ومناصحة مشروعه، ورأيه سعيدة في مظاهرة متبوعه؛ وعقد له الولاية الجهادية التي لا تُعدّل بولايه، ولا تُوازنُ عناية المعتمد بها بعنايه؛ يشهد بصراحة نسبها الدين، وتحلى بجلى غرّتها الميادين. فالجهاد في سبيل الله نحلة نبي الأمّة، ومن بعده من الأئمة؛ لاسيّما في هذا القطر المتأكد فيه ذلك لأوليّ الدين والهمّة.

(١) لعله "مؤثراً له على ما كان يشغله عن جواره" تأمل.

فليتول ذلك تولى مثله وإن قل وجود مثله ، جارياً على سنن مجيده وفضله ، سائراً
من رضا الله على أوضح سبيله ، معتمدا عليه فى الأمر كله .

وليعلم أن الذى يخلق ما يشاء ويختار قد هبأ له من أمره رشداً ، وسلك به طريقاً
سدداً ، واستعمله اليوم فيما يحظيه غداً ، وجعل حظه الذى عوضه نوراً وهدى ،
وأبعده فى الصالحات مدى - ولينظر فيما لديه من القبائل الموفوره ، والجموع المؤيدة
المنصوره ؛ نظراً يريج العلل ، ويباغ الأمل ، ويرعى الهمل^(٢) ، ويحسن القول ويصح
العمل ؛ منبهاً على أهل الغناء والاستحقاق ، مستديراً للعوائد والأرزاق ، معرفاً
بالغرياء الواردين من الآفاق ، مطبقاً منهم للطباق ، متعمداً للهفوات بحسن
الأخلاق ؛ مستجيذاً للأسلحة والكراع^(٣) ، مبادراً هيئات الصريح بالإشراع ؛ مسترعياً
للشورة التى يقع الحكم فيها عن حصول الإجماع ، رفيقاً بمن ضعف عن طول
الباع ؛ محتاطاً على الإسلام فى مواقف الدفاع ، مقدماً عند أئجه الأطلاع ؛ صابراً
فى المضايق على القراع ، متقدماً للأبطال بالأصطناع ، مقابلاً نصائح أولى الخبرة
بحسن الاستماع ، مستعملاً فى الحروب ما أجازته الشرع من وجوه الحداع ؛ حتى
يكون عمله وفق شهرته البعيدة المطار ، وسيرته فيما أسند إليه مثلاً فى الأقطار ،
واستقامة التدبير على يديه ذريعة إلى إرغام أنوف الكفار ؛ بقوة الله وحوله ،
وعزته وطوله .

وعلى الغزاة بالحضرة العليه ، وسائر البلاد النصريه ؛ من بنى مريين ، وسائر القبائل
المجاهدين ، أن يعرفوا قدره ، ويمثلوا فى مرضاتنا أمره ؛ ويكونوا معه روحاً وبدناً

(١) السدد القصد والاستقامة والسدد أيضاً مقصور من السداد . انظر اللسان .

(٢) الهمل اسم جمع لهامل لأن فاعلاً لا يكسر على فعل وظنيره راح وروح . انظر اللسان .

(٣) الكراع كغراب جماعة الخيل . والهبة الصوت تفرع منه وتخالفه من عتق . انظر القاموس .

وجسداً، وساعداً وعضداً؛ فبذلك يشملهُ من الله ومن مقامنا الرضا والقبول، والعزُّ
الموصول؛ ويُمَيِّضُ في عدو الله النُصُول، ويتأثى على خير الدنيا والآخرة الحُصُول،
إن شاء الله . ومن وقف عليه، فليعرف ما لديه؛ بحول الله تعالى .



وهذه نسخة ظهير بالتقدمة على الطبقة الأولى من المجاهدين، لولد السلطان،
وهي :

هذا ظهيرٌ كريمٌ، فاتحٌ بنشر الألوية والبُنود، وقود العساكر والجنود؛ وأجال
في ميدان الوجود، جياذ البأس والحدود؛ وأضفى ستر الحماية والوقاية بالتهايم
والتجود، على الطائمين والعاكفين والرُكع السُجود - عقد للعتيد به عقد التشريف
والقدر المُتَيْف زاكى الشهود؛ وأوجب المناقسة بين مجالس السروج ومضاجع
المُهود، وبشر السيف في الغمود، وأنشأ ریح النصر آمنةً من انمُود - أمضى
أحكامه، وأهد العز أمانه، وفتح عن زهر السرور والحبور أكامه، أمير المسلمين
عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج يوسف ابن مولانا أمير المسلمين
أبى الوليد فرج بن نصر - أيد الله أمره، وخلد ذكره - لكبير ولده، وسابق أمده،
وريحانة خلده، وياقوتة الملك على يده؛ الأمير الكبير، الطاهر الظاهر، الأعلى،
واسطة السلك، وهلال سماء الملك، ومضباح الظلم الخلك، ومظنة العناية الإلهية
من مدبر الفلك ومجربى الفلك؛ عنوان سعيده، وحسام نصره وعضده؛ وسمى
جده، وسلالة فضله ومجده؛ السعيد، المظفر، الهمام، الأعلى، الأمضى، العالم،
العادل، العامل، الأرضى، المجاهد، المؤمل، المعظم، أبى الحجاج يوسف - ألبسه
الله من رضاه عنه حللاً لا تُخلق جنتها الأيام، ولا تبلغ كُنْهها الأفهام؛ وبلغه
في خدمه المبالغ التي يُسرُّها الإسلام، وتسبح في بحار صنائعها الأفلام، وحرس

معاليه الباهرة بعينه التي لا تتام، وكنفه بركنه الذي لا يضم - فهو الفرع الذي جرى بحضله على أصله، وأرسم نصره في نصله، واشتمل جده على فضله، وشهدت ألسن خلاله، برفعة جلاله؛ وظهرت دلائل سعادته، في بدء كل أمر وإعادته .

ولما صرف وجهه إلى ترشيحه لأقتراع هضاب المجد البعيد المدى، وتوشيح به بالصبر والحلم والبأس والندى، وأرهف منه سيفاً من سيوف الله لضرب هام العدا، وأطلعه في سماء الملك بذر هدى، لمن راح وغدا؛ وأخذ بالآداب التي تحيي من النفوس أودا، وتبدر في اليوم فتجنى غدا، ورقاه في ربّ المعالي طورا فطورا، ترقى النبات ورقاً ونورا؛ ليجده بحول الله يداً باطشة على أعدائه، ولسانا مجيباً عند ندائه، وطراراً على حلة عليائه، وعماماً من غمام آلائه، وكوكباً وهاجاً بسائه . وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الأندلسية من جنده، قبل أن ينتقل من مهده؛ وظلله بجنح رايته، وهو على كند^(١) دابته، واستركب جيش الإسلام ترحيباً بوفادته، وتوياً بمجادته، وأثبت في غرض الإمارة النصرية سهم سعادته - رأى أن يزيد من عنايته ضرباً واجناساً، ويتبع أثره ناساً فناساً؛ قد اختلفوا لساناً ولباساً، وأنفقوا ابتغاء لمرضاة الله وأتماساً؛ ممن كرم أنماؤه، وأزينت بالحسب الغر سماءؤه، وعرف غناؤه، وتأسس على المجادة بناؤه؛ حتى لا يدع من العناية فناً إلا جلبه إليه، ولا مقادة فخر إلا جعلها في يديه، ولا حلة عز إلا أضفى ملبسها عليه .

وكان جيش الإسلام في هذه البلاد الأندلسية - آمن الله خلالها، وسكن زلزالها، وصدق في رحمة الله التي وسعت كل شيء، آمالها - كلف همته، ومرعى

(١) الكند فتح التاء وكسرها أعلى الكنف والذابة الظئر، أنظر اللسان .

(٢) لعله الاغر وفي ربحانة النجاب «الخالص» .

أذمته ؛ وميئدان جواده ، ومتعلق أمد جهاده ، ومِعْرَاج إرادته ، إلى تحصيل
سعادته ؛ وسبيل خلاله ، إلى بلوغ كماله ؛ فلم يدع له علة إلا أزاها ، ولا طلباً
إلا أجل فدأها ، ولا عزيمه إلا أورى أنتداحها ، ولا رغبة إلا فسح سآحها ؛
آخذاً مروءته بالتهذيب ، ومصآفه بالترتيب ، وآماله بالتقريب ، وتأنيس المرئيب ،
مستنجزاً له وبه وعد النصر العزيز والفتح القريب ؛ ورفع عنه لهذا العهد نظر من
حكّم الأغراض في حماته ، وأستشعر عروق الحسآئف لشريف كآته ؛ واشتغل
عن حُسن الوسآطة لهم بمصلحة ذاته ، وجآب جُبآته ، وتمير مآله وتوفير أقبآته ،
ذاهباً أقصى مذاهب التعمير بآمد حياته ؛ فأفرج الضيق ، وخلص إلى حسن نظره
الطريق ، وسآغ الرئيق ، ورضى الفریق .

رأى - والله الكفيل بفتح رأيه ، وشكر سعيه ، وصلة حفظه ورعيه - أن يُحمّد
لهم اختياره ، ويحسن لديهم آثاره ؛ ويستنيب فيما بينه وبين سيوف جهاده ، وأبطال
جلاده ؛ وحمآة أحوازه ، وآلات أعتآزه ، من يجرى بجرى نفسه النفيسة في كل
معنى ، ومن يكون له لفظ الولاية وله - أيد الله المعنى ؛ فقدمه على الجماعة الأولى
كبرى الكآب ، ومقاد الجنآب ؛ وأجمه الأبطال ، ومزينة الودق المَطآل ؛ المشتملة
من الغزاة على مشيخة آل يعقوب نُسبآ الملوك الكرام ، وأعلام الإسلام ؛ وسائر
قبائل بنى مرين ، ليوث العرين ؛ وغيرهم من أصناف القبائل ، وأولى الوسائل ؛
ليحوط جمآعهم ، ويرفع بتفقدده إضآعهم ، ويستخلص لله ولآبيه - أيد الله -
طآعهم ؛ ويُشرف بإمارته مواكبهم ، ويزين بهلاله الناهض إلى الإبرار ، على فلك
سعادة الأقدار ، كواكبهم ؛ تقديماً أشرق له وجه الدين الحنيف وتهلل ، وأحس
باقتراب ما أمل ؛ فلهخيل آختيال ومِراح ، وللأسل السمر آهترآز وآرتيآح ، وللصدور
انسراح ، وللآمل مغدى في فضل الله ومِراح .

فليتول ذلك - أسعده الله - تولى مثله من أسيرة الملك أسرته ، وأسرة النبي صلى الله عليه وسلم أسرته ، والمالك الكريم أصل لفرعه ، والنسب العربى مفخر لطيب طبعه ، أخذًا أشرفهم بترفع المجالس بنسبة أقدارهم ، مقرَّبًا حُسن اللقاء بإيثارهم ، شاكرًا غنائهم ، مستديمًا ثنائهم ، مستدرًا لأرزاقهم ، موجبًا للزينة بحسب استحقاقهم ؛ شافعًا لديه فى رَغَبَاتهم المؤمَّلة ، ووسائلهم المتحمَّلة ، مسهلًا الإذن لوُقودهم المتلاحقة ، مُنققًا لبضائهم النافقة ؛ مؤنسًا لقراباتهم ، مستجلبًا أحوال أهلهم وآبائهم ، مميزًا بين أغفالهم ونُبَاهتهم .

وعلى جماعتهم - رعى الله جهادهم ، ووفَّر أعدادهم - أن يطيعوه فى طاعة الله وطاعة أبيه ، ويكونوا يدًا واحدة على دِفَاع أعادى الله وأعدائه ؛ ويتشدوا فى المواقف الكريمة أزره ، ويمثلوا نهيته وأمره ؛ حتى يعظم الانتفاع ، ويُخبر الدِّفاع ، ويخلص القصدُ لله والمطاع ؛ فلو وجد - أيدى الله - غايةً فى تشريفهم لبلَّغها ، أو موهبةً لسوَّغها ؛ لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب ، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مرغب ؛ والله منجج الأعمال ، ومبلِّغ الآمال ، والكفيل بسعادة المآل .

فمن وقف على هذا الظَّهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمَّنه من أمرٍ مُطاع ، ونخر مستند إلى إجماع ، ووجوبِ اتِّباع ، وليكن خير مرعى لخير راع ، بحول الله .

وأقطعته - أيدى الله - ليكون بعض المدد لأزواد سفره ، وسمَّاط قفره ؛ فى جملة ما أولاه من نعمه ، وسوَّغته من موائد كرمه - جميع القرية المنسوبة إلى عرب غسان : وهى المحلة الأثيرة ، والمنزلة الشهيرة ؛ تتطلق عليها أيدى خدامه ورجاله ،

(١) فى الريحانة «منجد لطيب» الخ .

جارية مجرى صالح ماله ، محترمة من كل وظيف لاستغلاله ، إن شاء الله فهو المستعان سبحانه ، وكتب في كذا .



وهذه نسخة ظهير لمشيخة الغزاة بمدينة مائقة ، وهو :

هذا ظهير كريم أطلع الرضا والقبول صباحا ، وأنشأ للعناية في جَوِّ الوجود ، من بعد الرُّكود ، رِيَاحا ، وأوسع العيون قُرَّةً [وإبصاراً]^(١) والصُّدورَ آنسراحا ، وهياً للعتمد به مَغْدَى في السعادة ومَرَّاحا ، وهزَّ منه سيفاً عتيقاً يفوق اختيارا و يروقُ آتِيَّاحا ، وولَّاه رياسةً الجهاد في القطر الذي تقدمت الولاية فيه لسلفه فنال عزاً شهيراً وأزداد فخراً صُراحاً ، وكان [له]^(١) ذلك إلى أبواب السعادة مفتاحاً .

أمر به وأمضاه ، وأوجب العمل بحسبه ومقتضاه ؛ الأميرُ عبدُالله محمد بن مولانا أمير المسلمين ، والمجاهد في سبيل رب العالمين ؛ أبي الحجَّاج [يوسف]^(١) ابن مولانا أمير المسلمين ، أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر - أيد الله أمره وأعز نصره ، وأسعد زمانه وعصره - لوليه في الله الذي كساه مولاه من جميل آعتقاده حُللاً ؛ وأورده من عذب رضاه منهلًا ، وعرفه عوارف قبوله مقصلاً خطبها وبجملًا ؛ الشيخ أبي العلا ، إدريس ، ابن الشيخ أبي سعيد عثمان ، بن أبي العلا وصل الله أسباب سعادته ، وحرس علي مجادته ، وأجراه من ترفيع المكانة لديه على [أحمد عادة سلفه]^(١) وعادته .

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) في ریحانة الكتاب «أخاف» .

ولمّا كان له القدر الجليل ، والمجد الأئيل ، والذكر الجميل ، والفضائل التى كرم
 منها الإجمال والتفصيل ، وأحرز قصب السبق بذاته وسلفه إذا ذكر المجد العريض
 الطويل ، وكان قد أعمل الرحلة إليه يحدوه إلى خدمته التأميل ، ويهوى به الحب
 الذى وضح منه السبيل ، وعاق عنه الواقع الذى تين فيه عذره الجميل ، ثم خلّصه الله
 من ملكة الكفر الخلاص الذى قام به على عنايته الدليل - قابله بالقبول والإقبال ،
 وقسح له ميدان الرضا رحب الجبال ، وصرف إليه وجه الاعتداد بمضائه رائق
 الجمال ، سافراً عن بلوغ الآمال ، وآواه من خدمته إلى ربوة متسعة الأرجاء وارفة
 الظلال ، وقطع عنه الأطلاع بمقتضى همته البعيدة المنال . ثم رأى - والله يُنجح
 رأيه ، ويشكر فى سبيل الله عن الجهاد سعيه - أن يستظهر بمضائه ، ويرسل عليه
 عوارف آلائه ، ويعمر به رتب آبائه . فقدمه - أعلى الله قدمه ، وشكر [آلاه]^(١)
 ونعمه - شيخ الغزاة والمجاهدين ، وكبير أولى الدناغ عن الدين ، بمدينة (مالقة)
 حرسها الله أخت حضرة [دار]^(١) ملكه ، وثانية الدرّة الثمينة من سلّكه ، ودار سلفه
 وقرارة مجده ، والأفقي الذى تألق منه نور سعده ، راجعاً إليه نظر القواعد الغربية
 رنّدة وركوان (؟) وما إليه رجوع الاستغلال والاستيراد ، والعزّ الفسيح المجال البعيد
 الآماد ، يقود جميعها إلى الجهاد ، عاملاً على شاكلة مجده فى الإصدار والإيراد ،
 حتى يظهر على تلك الجهات المباركة آثار الحماية والبساله ، ويعود لها عهد المجادة
 والجلاله ، وتترين ملابس الإباله . وهو يعمل فى ذلك الأعمال التى تليق بالمجد
 الكريم ، والحسب الصميم ، حتى ينمو عدد الجاه ، ويكفّ البأس أكفّ الغزاة
 ويعظم أثر الأبطال الكماه ، وتظهر ثمرة الاختيار ، ويشمل الأمن جميع الأقطار ،
 وتحميم عنه أطماع الكفار .

(١) الزيادة من "الريحانة" .

وحرس مجادته ، وسنى من فضله إرادته . عصب منه جبين المجد بتاج الولاية ، وأجال قدام الاختيار حتى بلغ الغاية وتجاوز النهاية ، فالقى منه بيمين عرابه الراه ، وأحله منه محل اللفظ من المعنى والإعجاز من الآيه ، وحشر إلى مراعاة ترفيعه وجوه البر وأعيان العنايه ، وأنطق بتجليله ، ألسن أهل جيله ، بين الإفصاح والكيايه .

ولما كان له الحسب الذى شهدته به ورقات الدواوين ، والأصالة التى قامت عليها صحاح البراهين ، والآباء الذين أعتز بمضاء قضاتهم الدين ، وطبق مفاصل الحكم بسيوفهم الحق المبين ، وأزدان بمجالسة وزراءهم السلاطين : فمن فارس حكم أو حكيم تدير ، أو قاض فى الأمور الشرعية ووزير ، أو جامع بينهما جمع سلامة لاجمع تكسير ؛ تعدد ذلك وأطرد ، ووجد مشرع المجد عذبا فورد ، وقصرت النظراء عن مداه فأنفرد ، وفري الفرى فى يد الشرع فاشبهه السيف الفريد ؛ وجاء فى أعقابهم محيا لما درس ، بما حقق ودرس ، جانبا لما بذر السلف المبارك وأغترس ؛ طاهر النشأة وفورها ، محمود السجية مشكورها ؛ متحليا بالسكينة ، حالاً من التراهة بالمكانة المكيته ؛ ساحبا أذيال الصون ، بعيدا عن الإتصاف بالفساد من لدن الكون ، فخطبه الخطط العليه ، وأغبتت به المجادة الأوليه ؛ وأستعملته دولته التى تتراد أهل الفضائل للرتب ، وتستظهر على المناصب بأبناء التقى والحسب ، والفضيل والمجد والأدب ، ممن يجمع بين الطارف والتالد والإرث والمكتسب ؛ فكان معدودا من عدول قضاتها وصدور نهبائها ، وأعيان وزراءها ، وأولى آرائها .

فلما زان الله خلافه بالتمحيص ، المتجلى عن التخصيص ، وخلص ملكه الأصيل كالذهب الإبريز من بعد التخليص ، كان ممن صحب ركابه الطالب للحق

(١) يقال طبق السيف اذا اصاب المقتول فابان العضو . انظر اللسان .

بَسَيْفِ الْحَقِّ ؛ وَسَلَكَ فِي مَظَاهِرِهِ أَوْضَحَ الطَّرِيقِ ، وَجَادَلَ مَنْ حَادَهُ بِأَمْضَى مِنْ
الْحِدَادِ الدُّلْقِ ، وَأَشْتَهَرَ خَيْرُ وَقَائِهِ بِالْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ؛ وَصَلَّى بِهِ صَلَاةَ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ،
وَالْأَمْنِ وَالْحَدَرِ ؛ وَخَطَبَ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي بَعُدَ بِذِكْرِ اللَّهِ عَنْهَا ، وَخَاطَبَ
عَنْهُ - أَيْدِي اللَّهِ - الْمُخَاطَبَاتِ الَّتِي حُمِدَ قَصْدُهَا ؛ حَتَّى أَسْتَقَلَّ مُلْكُهُ فَوْقَ سَرِيرِهِ ،
وَأَبْتَهَجَ مِنْهُ الْإِسْلَامَ بِأَمِيرِهِ وَأَبْنِ أَمِيرِهِ ، وَنَزَلَ السُّتْرَ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِبِرْكَةِ لِيَالِيهِ
وَيُؤْمِنُ تَدْيِيرِهِ ، وَكَانَ الْجَلِيسَ الْمُقَرَّبَ الْمُحَلَّ ، وَالْحَظِيَّ الْمَشَاوَرَ فِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ؛
وَالرَّسُولَ الْمُؤْتَمَنَ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَالْأَمِينَ عَلَى الْوُظَائِفِ الْجِبَارِ ؛ مَزِينَ الْمَجْلِسِ
السُّلْطَانِيِّ بِالْوَقَارِ ، وَمَتَّحِفَ الْمَلِكِ بِغَرِيبِ الْأَخْبَارِ ؛ وَخَطِيبَ مَنبَرِهِ الْعَالِي فِي الْجُمُعَاتِ ،
وَقَارِيَّ الْحَدِيثِ لَدَيْهِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ .

ثُمَّ رَأَى - أَيْدِي اللَّهِ - أَنْ يُشْرِكَ رِعِيَّتَهُ فِي نَفْعِهِ ، وَيَصْرِفَ عَوَامِلَ الْحُظُوتِ
إِلَى مَزِيدِ رَفْعِهِ ، وَيُجْلِسَهُ بِمَجْلِسِ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لِإِبْضَاحِ شَرْعِهِ ،
وَأَصْلِهِ الْوَشِيقِ وَفِرْعِهِ ؛ وَقَدَّمَهُ - أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ آلَاءَهُ وَنِعْمَهُ - قَاضِيًا فِي الْأُمُورِ
الشَّرْعِيَّةِ ، وَفَاصِلًا فِي الْقَضَايَا الدِّيْنِيَّةِ ؛ بِحَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ [العلية] حَرَمَهَا اللَّهُ تَقْدِيمَ
الِاخْتِيَارِ وَالْإِتْقَانِ ، وَأَبْقَى لَهُ نَخْرَ السَّلَفِ عَلَى الْخَلْفِ وَاللَّهُ يَمْتَنِعُهُ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ .

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ عَادِلًا فِي الْحُكْمِ ، مُهْتَدِيًا بِنُورِ الْعِلْمِ ؛ مَسْوِيًا بَيْنَ الْخِصُومِ حَتَّى
فِي لَحْظِهِ وَالنَّفَاتِهِ ، مُتَصَفًّا مِنَ الْحِلْمِ بِأَفْضَلِ صِفَاتِهِ ؛ مَهْيَبًا بِالذِّينِ ، رُءُوفًا بِالْمُؤْمِنِينَ ؛
مَسْجَلًا لِلْحَقُوقِ ، غَيْرَ مُبَالٍ فِي رِضَا الْخَالِقِ بِسُخْطِ الْمَخْلُوقِ ؛ جَزَلًا فِي الْأَحْكَامِ ،
مُجْتَهِدًا فِي الْفَضْلِ بِأَمْضَى حُسَامِ ، مُرَاقِبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، بَارًا
بِمَشِيخَةِ أَهْلِ التَّوَشِيقِ ، عَادِلًا إِلَى سَعَةِ الْأَقْوَالِ عِنْدَ الْمَضْيِيقِ ، سَائِرًا مِنْ مَشْهُورِ
الْمَذْهَبِ عَلَى أَهْدَى طَرِيقٍ - وَأَوْصَاهُ بِالْمَشُورَةِ الَّتِي تَقْدَحُ زِنَادَ التَّوْفِيقِ ، وَالتَّثْبِتِ

حتى يُبْلِجَ قِياسَ التَّحْقِيقِ ؛ وَصِيَّةٌ أَصْدَرَهَا لَهُ مَصْدَرُ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ ، وَيُعَلِّي اللهُ بِهَا الدَّرَجَاتِ وَيَرْفَعُ ، وَإِلَّا فَهُوَ عَنِ الوَصَاةِ غَنِيٌّ ، وَقَصْدُهُ قَصْدُ سَنِيِّ ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلِيُّ إِعَانَتِهِ ، وَالكَفَيْلُ بِحِفْظِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَصِيَّانَتِهِ .

[وَأَمْرُهُ - أَيْدُهُ اللهُ - أَنْ يَنْظُرَ فِي الْأَحْبَاسِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَالْأَوْقَافِ عَلَى شَتَّى أَصْنَافِهَا]^(١) وَالْيَتَامَى الَّتِي أَنْسَدَتْ كِفَالَةَ الْقُضَاةِ عَلَى ضِعَافِهَا . فَيَذُودُ عَنْهَا طَوَارِقَ الْخَلَلِ ، وَيُجْرِي أُمُورَهَا بِمَا يَتَكَفَّلُ لَهَا بِالْأَمَلِ .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرَاهُ ، وَأَنْ فَلَائِكَ الْحَكْمُ تُعَاوَدُهُ الْمِرَاجِعَةُ فِي أَنْحَرَاهُ ، فَيَذُرُّ جُنَّةَ تَقْوَاهُ ، فَسَبْحَانَ مَنْ يَقُولُ : (إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ) .

فَعَلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ حَقَّ هَذَا الْإِجْلَالِ ، صَانِتًا مَنْصِبَهُ عَنِ الْإِخْلَالِ ، مَبَادِرًا أَمْرَهُ الْوَاجِبَ بِالْإِمْتِنَانِ ؛ بِحَوْلِ اللَّهِ .

وَكُتِبَ فِي الثَّلَاثِ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ فَاتِحِ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، عَرَّفَ اللَّهُ فِيهِ هَذَا الْمَقَامَ الْعَلِيِّ عَوَارِفَ النَّصْرِ الْمُبِينِ وَالْفَتْحِ الْقَرِيبِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، فَهُوَ الْمُسْتَعَانَ لِأَرْبِ غَيْرِهِ .



وهذه نسخة ظهير بقضاء الجماعة بالحضرة أيضا، وهو :

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ أَعْلَى رَتَبَةِ الْأَحْتِفَاءِ [وَالْأَحْتِفَالِ]^(١) اخْتِيَارًا وَآخْتِبَارًا ، وَأُظْهِرَ مَعَانِي الْكِرَامَةِ وَالنَّخْصِصِ انْتِفَاءً وَأَصْطَفَاءً وَإِثَارًا ، وَرَفَعَ لَوَاءَ الْجَلَالَةِ عَلَى مَنْ أَشْتَمَلَ عَلَيْهَا حَقِيقَةً وَأَعْتَبَارًا ، وَرَفَعَهَا فِي دَرَجَاتِ الْعِزِّ مِنْ طَاوِلَهَا عِلَاءً بَهْرَ أَنْوَارِهَا ، وَدِينًا كَرِيمًا فِي الصَّالِحَاتِ آثَارًا وَزَكَاتًا فِي الْأَصَالَةِ نِجَارًا ، وَخُلُوصًا إِلَى هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ السَّعِيدِ

(١) الزيادة عن ربحانة الكتاب ، وقع الطيب ص ٧٣ ج ٣ .

راق إظهاراً وإحتماراً. أمر به وأمضاه، وأنفذ العمل بحكمه ومقتضاه، فلان للشيخ
القاضي، العدل، الأَرْضَى، فاضى الجماعة وخطيب الحضرة عليه، المخصوص
لدى المقام العلىّ بالحظوة السنية والمكانة الحفِيَّة؛ الفاضل، الحافل، الكامل،
الموقر، المبرور أبي الحسن ابن الشيخ الفقيه، الوزير، الأجل، الأعزّ، الماجد،
الأسنى، المرّع، الأحقل، الأصّح، المبارك، الأكل، الموقر، المبرور، المرحوم
أبي محمد بن الحسن - وصلّ الله عزّته، ووالى رفعتّه ومبرّته، ووهب له من صلة
العناية الربّانية أملاًه وبُغيتّه - لمّا أصبح في صدور القضاة العلماء مُشاراً إلى جلاله،
مستنّداً إلى معارفه المخصوصة بكاله، مطرّزا على الإفادة العلمية والأدبية بحاسنه
البديعة وخصاله، محفوقاً مقعدُ الحكم النبويّ ببركة عدالته وفضيل جلاله؛ وحلّ
في هذه الحضرة العلية المحلّ الذى لا يرقاه إلا عين الأعيان، ولا يتبوّء مهاده إلا مثله
من أبناء المجد الثابت الأركان، وموالى العلم الواضح البرهان، والمبرزين بالماثر العلية
في الحُسن والإحسان. وتصدّر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الأحكام الراجحة
الميزان، والأنظارُ الحسنة الأثر والعيان، والمقاصدُ التى وفّت بالغاية التى لا تُستطاعُ
في هذا الميدان؛ فكم من قضية جلاّ بمعارفه مشكلها، ونازلة مبهمّة فتح بإدراكه
مُقلّها، ومسألة مُهملة عرّف نكبتها وقزرها مهمّلتها؛ حتى قزرت بعدالته وجزّالته
العيون، وصدقت فيه الآمال النابجة والظنون، وكان في تصديره لهذه الولاية
العظمى من الحسير والخيرة ماعسى أن يكون - كان أحقّ بالتشفيح لولايته وأولى،
وأجدر بمضاعفة النعم التى لا تزال تترادّف على قدره الأعلى.

فلذلك أصدر له - أيدّه الله - هذا الظهير الكريم مشيراً بالترفيح والتنويه، ومؤكّداً
للإحتفاء الوجيه؛ وقدمه - أعلى الله قدّمه، وشكر نعمه - خطيباً بالجامع الأعظم

(١) [من حضرته] - عمّره الله بذكره - من عليّة الخطباء، و كبار العلماء، و خيار الفقهاء الصلحاء ؛ فليتولّ ذلك في جمعاته، مظهرًا في الخطبة أثر برّكته و حسناته، عاملاً على ما يقربّه عند الله من مرضاته، و يُظفره بجزيل مَثوباته ؛ بحول الله و قوته .

الضرب الثالث

(ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية)

وهذه نسخة ظهير بالقلم الأعلى المعبر عنه في بلادنا بكتابة السر ؛ وهى :

هذا ظهير كريم نصب للمتمد به الإنافة الكبرى ببابه فرّقه ، وأفرد له متلوا العز جمعه ووتره وشفّعه ، وقربه في بساط الملك تقريبا [أرغم به أنف عداه ووضعه] ، وفتح له باب السعادة وشرّعه ، وأعطاه لواء القلم الأعلى فوجب على من دون رتبته ، من أولى صنغته ، أن يتبعه ؛ ورعى له وسيلته السابقة عند استخلاص الملك لما أبتره الله من يد الغاصب وآنترعه ، وحسبك من ذمام لا يحتاج إلى شيء معه .

أمر به الأمير فلان لفلان - وصل الله سعادته ، وحرّس مجادته - أطلع له وجه العناية أبهى من الصبح الوسيم ، وأقطعته جناب الإنعام الجسيم ، وأنشقه أرج الحظوة عاطر النسيم ، ونقله من كرسى التدريس والتعليم ، إلى مرقى التنويه والتكريم ، والرتبة التى لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ؛ وجعل أعلامه جيادا لإجالة أمره العلى ، وخطابه السنّى ، في ميادين الأقاليم ؛ ووضع في يده أمانة القلم الأعلى ، جاريا من

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) في الريحانة «نصب المتمد به للأمانة» الخ وهو أنسب بالمقام .

(٣) من "ريحانة الكتاب" .

الطريقة المثلى، على النهج القويم، وأختصه بمزية الشفوف على كُتاب بابه الكريم .
 لما كان ناهض الوكر في طلبه حضرته من البدايه ، ولم يزل تظهر عليه لأولى التمييز
 محايِل هذه العنايه : فإن حضر حلق العلم جلي في حلبة الحفاظ إلى الغايه ؛ وإن نظم
 أو ترأى بالقصائد المصقوله ، والمحاطبات المنقوله ؛ فاشتهر في بلده وغير بلده ،
 وصارت أزمه العنايه طوعَ يده ، بما أوجب له المزيه في يومه وغده .

وحين رد الله عليه ملكه الذي جبر به جناح الإسلام ، وزين وجوه الليالي
 والأيام ، وأدال الضياء من الظلام ؛ وكان ممن وسمه الوفاء وشهره ، وعجم الملك
 عود خلوصه وخبره ؛ لحمد أثره ، وشكر ظاهره ومضمرة ؛ وأستصحب علي ركابه
 الذي صحب اليمن مسفره ، وأخلصت الحقيقه نقره ، وكفل الله وزده وصدره ؛
 ميمون النقيه ، حسن الضريبه ؛ خالصا في الأحوال المريبه ، ناطقا عن مقامه
 بالمخاطبات العجيبه ؛ واصلا إلى المعاني البعيدة بالعبارات القريبه ، مبرزا بالخدم
 الغريبه ، حتى أستقام العباد ، ونطق بصدق الطاعة الحى والجماد ، ودخلت
 في دين الله أفواجا العباد والبلاد ، لله الحمد على نعمه الثرة العهاد ، وآلائه المتواليه
 الترداد - رعى له - أيده الله - هذه الوسائل وهو أحق من يرعاها ، وشكر له الخدم
 المشكور مسعاها ؛ فقصر عليه الرتبة السماء التي خطبها بوفائه ، وألبسه أنواب
 أعنتائه ، وفسح له مجال آلائه ؛ وقدمه - أعلى الله قدمه ، وشكر نعمه - كاتب السر ،
 وأمير النهى والأمر ؛ تقديم الآخبار ، والأغباط بخدمته الحسنه الآثار ، واليتمن
 باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والأستقرار ، وغير ذلك من موجبات الإيثار .

فليتول ذلك عارفا بمقداره ، مقتفيا لآثاره ، مستعينا بالكتم لأسراره ، والإضطلاع
 بعظام أموره وكراره ، متصفا بما يجمل من أمانته وعفافه ووقاره ؛ معطيا هذا الرسم

حقه من الرياسه ، عارفاً بأنه أكبر أركان السياسه ، حتى يتأكد الاعتباط بتقريبه وإدناؤه ، وتتوفر أسباب الزيادة فى إعلانه ، وهو - إن شاء الله - غنى عن الوصاة فهما ناقبا ، وأدباً لعيون الكمال مراقبا ، فهو يعمل فى ذلك أقصى العمل ، المتكفل ببلوغ الأمل .

وعلى من يقف عليه : من حملة الأفلام ، والكتاب الأعلام ، وغيرهم من الكافة والخدام ، أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الأحكام ، والتقديم الراضح الأقدام ، ويوجبوا ما أوجب من البر والإكرام ، والإجلال والإعظام ، بحول الله وقوته ، وكتب فى كذا .

الطرف الثالث

(فى مصطلح كتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء الفاطميين
وفى بعدهم إلى زماننا)

وفيه أربع حالات :

الحالة الأولى - ما كان عليه أمر نواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء الدولة الطولونية .

ولم يكن لديوان الإنشاء بالديار المصرية فى هذه المدة صرف عناية ، تقاصراً عن التشبه بديوان الخلافة ، إذ كانت الخلافة يومئذ فى غاية العز ورفعة السلطان ، ونيابة مصر بل سائر النيابات مضمحلة فى جانبها ، والولايات الصادرة عن النواب فى نياباتهم متصاغرة متضائلة بالنسبة إلى ما يصدر من أبواب الخلافة من الولايات ، فلذلك لم يقع مما كتب منها ما تتوفر الدواعى على نقله ولا تتصرف الهمم لتدوينه مع تطاول الأيام وتوالي الليالى .

الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم إلى انعراض الدولة الأخشيدية .

وقد تقدم أن أحمد بن طولون أول من أخذ في ترتيب الملك وإقامة شعار السلطنة بالديار المصرية . ولما شتمخ سلطانه ، وأرتفع بها شأنه ، أخذ في ترتيب ديوان الإنشاء لما يحتاج إليه في المكاتب والولايات ، فاستكتب ابن عبد كان ، فأقام منار ديوان الإنشاء ورفع مقداره ؛ وكان يفتح ما يكتبه عنه في الولايات بلفظ « إن أولى كذا » أو « إن أحق كذا » وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة عهد كتب به ابن عبد كان عن أحمد بن طولون بقضاء برقة ترشد إلى ما عداها من ذلك وهي :

إِنَّ أَحَقَّ مَنْ آتَرَ الْحَقَّ وَعَمِلَ بِهِ ، وَرَاقَبَ اللَّهَ فِي سِرِّ أَمْرِهِ وَجَهْرِهِ ، وَأَحْتَرَسَ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَعَمِلَ لِمَعَادِهِ وَرَجَعْتِهِ ، إِلَى دَارِ فَاقَتِهِ وَقَفَرِهِ وَمَسْكَنَتِهِ ، مَنْ جُعِلَ بَيْنَ الْمَسْلَمِينَ حَاكِمًا ، وَفِي أُمُورِهِمْ نَازِرًا : [فَارَاقُ] ^(١) الدَّمَاءِ وَحَقَّقَهَا ، وَأَسَلَّ الْفُرُوجَ وَحَرَّمَهَا ، وَأَعْطَى الْحَقُوقَ وَأَخَذَهَا ؛ وَمَنْ عِلْمَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَائِلُهُ عَنِ مِثْقَالِ الذَّرَّةِ مِنْ عَمَلِهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي قَبْضَتِهِ ، أَيَّامَ مُدَّتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ دُنْيَاهُ نَكَرُوجُهُ مِنْ بَطْنِ أُمَّه ، إِمَّا سَعِيدًا بِعَمَلِهِ وَإِمَّا شَقِيًّا بِسَعْيِهِ .

وإنا لما وقفنا عليه من سيد مذهبك وقويم طريقتك ؛ وجميل هدبك وحسن سيرتك ؛ ورجواناه فيك ، وقزرناه عندك : من سلوك الطريقة المثلى ، واقتفاء آثار أئمة الهدى ، والعمل بالحق لا بالهوى — رأينا تقليدك القضاء بين أهل نغر برقة ، وأمرناك بتقوى الله الذي لا يعجزه من طلب ، ولا يقوته من هرب — وبطاعته التي من آثرها

(١) بياض في الاصل والتصحيح من المقام .

سعد، ومن عمِل بها حُمِد، ومن لَزِمها نَجاء، ومن فارقها هَوَى - وأن تُواصل
الجلوس لمن بحضرتك من الخُصوم : صابرا بنفسك على تنازُعهم فى الحقوق،
وتدافعهم فى الأمور؛ غير برِّيم بالمراجعات، ولا صَجير بالمُحاكات : فإنَّ من حاول
إصابة فصل القضاء، وموافقة حقيقة الحكم بغير مادة من حِلْم، ولا معونة من
صبر، ولا سُهْمَة من كَظْم، لم يَكُن خَلِيقًا بِالظفر بهما، ولا حَقِيقًا بِالذِّكْر لهما -
وأن تَقْسِم بين الخُصمين إذا تقدما إليك، وجلسا بين يديك، فى الحُظك والْفُظك،
وتوفى كل واحد منهما قِسْمه من إنصافك وعدلك؛ حتى يَناس القوى من مَيْلك،
ويأمن الضعيف من حَيْفك : فإنَّ فى إقبالك بِنَظرك وإصغائك بِسَمْعك إلى أحد
الخُصمين دُونَ صاحبه ما أضلَّ الآخَر عن حُجته، وأدخل الحَيْرَة على فكره ورويته -
وأن تُحضر مجلس قضائك من يُستظهر برأيه، ومن يَرجع إلى دين وِحْجًا وتُقى :
فإنَّ أصبَت أيدك، وإن نَسيت ذَكْرَكَ - وأن تَقسدى فى كلِّ ما تُعمل فيه
رَوِيَّتَكَ، وتُضى عليه حُكْمَكَ وقَضِيَّتَكَ، بِكُتاب الله الذى جعله صِراطًا مستقيمًا،
ونورًا مستبينًا؛ فشرع فيه أحكامه، وبين حلاله وحرامه، وأوضح به مشكلات
الأُمور، فهو شفاء لما فى الصُّدور . وما لم يكن فى كُتاب الله جل وعز نصُّه
فإنَّ فيما يُؤثَر عن النَبى صلى الله عليه وسلم حُكْمه؛ وما لم يكن فى حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم آفَتيَّت فيه سبيل السلف الصالح من أئمة الهدى رضى الله
عنهم الذين لم يألوا الناس اختبارًا، ولا أدَّخروهم نصيحةً وأجتهدا؛ علما أنك
أسعدُّ بالعدل ممن تعدل عليه، وأحظى بإصابة الحق ممن تُصيبه فيه : لما تتعجله
من جميل أهدوئته وذِكْره، ويُذخرك من عظيم ثوابه وأجره، ويُصرف عنك من
حُوب ما تتقلده ووزره - وأن يكون الذين تحكم بشهادتهم [من] أهل الثقة فى أديانهم،
والمعروفين بالأمانة فى معاملاتهم، والموسومين بالصدق فى مقالاتهم، والمشهورين

بالتقدم في عدالاتهم : فإنك جاعلهم بين الله وبينك في [كل] كلام تُصدِّره، وحكم تُبرمه، وحقيق بأن لا ترضى لنفسك منهم إلا بما يرضى منك، وتعلم أن ذلك هو الصدق، وأنت قد أبليت عُذرك في تحيُّرهم، فإنه يعلم أن ذلك هو الصدق من بيتك، والصحة من يقينك، تحسن عليه معونتك، ويحضرك التوفيق في جميع أفضيتك - وأن يكون من تستعين به على المسألة عن أحوال هؤلاء الشهود ومذاهبهم، وما يعرفون به وينسبون إليه في رحالهم ومساكينهم أهل الورع والأمانة، والصدق والصيانة - وأن تجدد المسألة عنهم في كل مرة، وتفحص عن خبرهم في كل قضية؛ ثم لا يمنعك وقوفك على سقوط عدالة من تقدمت بتعديله من استقبال الواجب في مثله، واستعمال الحق في أمره - وأن تُشرف على أعوانك وأصحابك، ومن تجرى أمورك على يديه من خلفائك وأسبابك؛ إشرافا يمنعمهم من الظلم للرعيه، ويقبض أيديهم عن المآكل الرديه؛ ويدعوهم إلى تقويم أودهم، وإصلاح فاسدهم، ويزيد في بصيرة ذوى الثقة والأمانة منهم؛ فمن وقفت منه على أمثالٍ لمذهبك، وقبول لأدبك؛ واقتصار فيما يتقلده لك، أقررتَه وأحسنَت مكافأته ومثوبته، ومن شتمت منه حيفا في حكمه، وتعديا في سيرته، وبسطا ليدِه إلى ما لا يجب له، تقدمت في صرفه، وأزمته في ذلك ما يلزمه - وأن تختار لكاتبك من تعرف سداد مذهبه، وأستقلاله بما يتقلده، وإشارا لرس (١) من صحته، ومن تقدَّر عنده تقدما (٢) في نصيحتك فيما يجرى على يديه، وتوخيا لصدقك فيما يحضره وتغيب عن مشاهدته؛ فإنك تأمنه من أمر حكك على ما لا يؤتمن على مثله إلا الأمين، وتفوض إليه من حجاج الخصوم المرفوعين إليك ما لا يفوض إلا لذي العفاف والدين - وأن لتفقد

(١) لعله « وإشاره للتأكد من صحته » . تأمل .

(٢) لعله « محزيا » . تأمل .

مع ذلك أمره، وتصفح عمله؛ وتشرّف على ماتحت يديه بما يؤدّبك إلى إحكامه
وضبطه، ويؤمّنك من وقوع خلل فيه - وأن تختار لحجّاتك من لا يتجهّم الخُصوم،
ولا يختصّ بعضها دونّ بعض بالوصول؛ وتوعز إليه فى بسط الوجه، ولين
الكَنَف، وحُسن اللفظ، ورفع المشونة، وكفّ الأذى.

فتقلّد ماقلدناك من ذلك عاملاً بما يحقّ عليك لله جلّ وعزّ ذكره، ومستعيناً به
فى أمرك كلّّه: فإنّا قلدناك جسماً، وحملناك عظيماً، وتبرأنا إليك من وزره
وإضره، واعتمدنا عليك فى توحى الحقّ وإصابته، وبسط العدل وإفاضته؛
واقبض لأرزاقك وأرزاق كُتّابك وأعوانك ومن يحجّبك ولئن قراطيسك وسائر
مؤنك فى كل شهر أربعين ديناراً؛ فقد كتبنا إلى عامل الخراج بازاحة ذلك، أوقات
استحقاقك إياه ووجوبه لك، وإلى عامل المدينة بالشّد على يدك، والتقوية
لأمرك؛ وضمّ العدة التى كانت تُضمّ إلى القضاة من الأولياء إليك، وهما فاعلان
ذلك إن شاء الله تعالى.

الحالة الثالثة - ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب.

وكانوا يسمّون ما يكتب عن ملوكهم من الولايات لأرباب السيوف والأقلام
«تقاليد» و«تواقيع» و«مراسيم» وربما صبروا عن بعضها با«لمناشير»
وهى فى الافتتاحات على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى - أن تفتح الولاية بخطبة مبتدأة بالحمد لله تعالى ثم يؤتى
بالبعديّة، ويذكر ما سنح من حال الولاية والموتى، ويوصى الموتى بما يليق
بولايتهم، ثم يقال: «وسبيل كلّ واقف عليه من النّواب العمل به» أو نحو ذلك.
وهى على ثلاثة أصناف:

الصف الأول - أرباب السيوف من هذه المرتبة

وهذه نسخة توقيع بولاية ناحية وإقطاع بلادها لمتوليها ، وهى :

الحمد لله على عوائده الجميلة وعواطفه ، وفوائده الجزيلة وعوارفه ؛ ناصب الحق وناصره ، وقاصم الباطل وقاصره ؛ ومبير الدين ومديله ، ومبير الكفر ومديله ؛ وشاد أزرو أوليائه وساد ثغرهم ، وناصر معزهم ومعز نصيرهم ؛ الذى أضفى علينا مدارع نعمة ، وأصفى لدينا مشارع كرمه ؛ وأعلق أيدينا من العدل بأوكيد الأسباب والأمراس ، وصرف بنا صرف العسف وكف بكفايتنا كف البؤس عن الرعية والباس ؛ وجلب إلى استجلاب الشكر من الناس همتنا ، وطوى على حب البر وإبرار المحب طويبتنا ؛ وحسم بما أولانا من أيد مادة كل يد تمتد إلى معذور ، ويسرنا بساط العدل المطوى لما طوى بعدلنا بساط الظلم المنشور ؛ وأبى لنا أن نكفر نعمة أو نهى لكافر ، أو ندع شكر منة أو نودعها عند غير شاكر .

ولما كان الأمير فلان ممن سبقت لخدمته ولائيه - تعاهد الله بالعهد متواهما ، وخص بثرار الرحمة ترأهما - الحرم الأكيده ، وانخدم الطريفة والتليده ؛ ولم يزالا مجتهدين فى تعمير هذا البيت وتشيد أسسه ، ملازمي الإداب فى إنمائه وتشديد غرسه ، مفضيين بالموالاة إلى مواليه ، مفصحين بالمعاداة لمعاديه ، رأينا - لازل الإقبال لآرائنا مقابلا ومرافقا ، والسعد مساعدا والتوفيق موافقا - أن نلحقه بدرجة أوليه ، ونورده من كرمنا مورد جده وأبيه ؛ وننتي إليه عنان عنايتنا ، ونرطاه بعين رعايتنا ؛ ونلحقه جناح لطفنا ، ونبوئه مقعد شرف تحت ظلنا ؛ ونحرس حده من القلول ، وجده من الخمول ؛ وعوده من الخور ، وورده من الكدر ؛ وأن نقرره

على ما يؤانا فيه واليد من الهبات والإنعام والإفضال والإحسان، وجميع ما دخل تحت اسمه من المعامل والبُلدان، وسيُوضح ذلك بقلم الديوان .

فليقابل هذا الإنعام من الشكر بمثله ، ويواز هذا الإفضال من حُسن القبول يعُدله ؛ وليرتبط نعم الله عنده بالشكر الوافى الوافر، فالسعيد من أطرح حلة الشاكي وأدرع حلة الشاكر ؛ وليدمن التحدث بها فالتحدث بالنعم من الشكر ، ويستجذب موادها بإيضاح سُبُل البر ؛ ويجعل التقوى شعاره ودثاره ، ويُخلص الطاعة لله إرادته وإصداره .

وليكن العدل ربيئته ورائده ، والأمر بالمعروف دليله وقائده ؛ وليقم فيما نيظ به حق القيام، ويسمر في حفظ ما أستر عيناه عن ساق الإهتمام، ويعلم أن منزلته عندنا أسنى المنازل وأعلاها، ومرتبته لدينا أهبج المراتب وأبهاها ؛ ومحلّه عندنا السامى الذى لا يضاويه سامى، ومكانه المكان الذى ليس له فى الممكن أن يفتزع علمه سامى ؛ فسبيله علم ذلك وتحقيقه، وتيقنه وتصديقه، وسبيل كل واقف على هذا المشال ، [أن] يقابله بالامتثال ، من سائر العمال ، وأرباب الولايات والأعمال . والاعتقاد على العلامة الشريفة فى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الصنف الثانى — أرباب الوظائف الدينية

وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة والنظر عليها، والتحدث على أوقافها وسائر تعلقاتها ، وهى :

الحمد لله الظاهر إحسانه ، الباهر برهانه ؛ القاهر سلطانه ، المتظاهر آمنتانه ؛ نحمده على إنعامه حمداً يدوم به من حلب غزارته وحلى نضارته ازدياده وازديانه ،

ونسأله أن يصلي على سيدنا محمد نبيه الشارع الشارح بيانه ، وعلى آله وصحبه الذين هم أعضاد شرعه وأركانه .

أما بعد ، فإننا لما نراه من تشييد بيوت ذوى البيوتات ، وإمضاء حكم المروءة في أهل المروءات ، وإرعاء موات ذوى الحقوق الحقيقية بالمرعاة وإحياء الموات ، وموالات النعم شامل عمومها لأولى الخصوص والخلوص في الموالات ، ما نزال نلحق درجات الأخلاف منهم في الاختصاص بالاستخلاص بالأسلاف ، فنوردهم من مشارع دولتنا ومشارب نعمتنا في الأصطفاء والأصطناع أعذب النطاف ، ومُجَنِّبهم من مغارس الرجاء ، ومجاري التمساء ، في الإذناء والاجتباء ، ثمرات النعم الدانية القطاف ؛ ونقيض عليهم من مدارع البهجة والبهاء ، وحلل الثناء والسناء ، في الاكرام ، بالاحترام ، ما يصفقو على الأعطاف .

ولما كان الشيخ فلان متوحدا بالنسب الأثير الأثيل ، والحسب الجلي الجليل ، والمحتد الأکید الأصيل ؛ والفضل الموروث والمكتسب ، والزكاه في المسمى والمنتسب ؛ والدكاء الذي أنارت في أفق التوفيق ذكأؤه ؛ والولاء الذي بان في شرعة الإخلاص صفاؤه ؛ والدين الذي علا سناسته ، في منار التحميد ، والخلوص الذي حلل جنى جنته ، في مذاق التوحيد ؛ والرياسة التي تصوع ربا رياضها الموقفة ، والسماحة التي تتوح حيا حياضها المغدقة ؛ والأمانة التي نهضت بها فضائله ، والموالات التي تجحت بها عندنا وسائله - رأينا لإجراؤه على عادة والده في تولي المدرسة المعمورة التي أنشأها جدّه للشافعية بحلب ، وأوقافها ، وأسبابها ، وتدريسها ، وإعادتها ، وأستنايه من يراه ويختاره في ذلك كله ، والنظر في جميع ما يتعلق بها كثره وقله ؛ وترتيب الفقهاء فيها ، وتقرير مشاهراتهم على ما يراه من تفضيل وتقديم ، وتفصيل

وتقسيم ، وتخصيص وتعميم ، ونقص وتكبير وتتميم ؛ وحفظ الوقوف بالأحتياط
 فى مصارفها ، والعمل فيها ، بشروط محبستها وإطلاقها بقيود واقفيها ، بالأبتداء
 بالعمارات ، التى تؤذن بتوفير الارتفاعات ، وتكثير المغلّات ، وتتمية الثمرات ؛
 مستشعرا تقوى الله التى هى حلية الأعمال الصالحات ، والعصمة الباقية والحنّة
 الواقية عند الناثبات . وفوضنا ذلك إلى أمانته ، وبعده إلى من يقوم مقامه من
 إخوته ، تشييدا لبيتهم الكريم ، وتجديدا لمجدهم القديم ؛ ورقعا لمكاتهم المكيّنه ،
 وحفظا لمرتبهم المصونه . وأمرنا بإعفاء جميع أوقاف المدرسة وسائر أوقافهم ،
 وأملاكه وأملاك إخوته وحمايتهم من جميع المظالم والمطالب ، والنائب والشوايب ،
 والعوارض والعراض واللوازم والكلف ، والمؤون والسخر ، والتبن والحطب ،
 والأطباق والأنزال ، وسائر التوزيعات والتقسيمات والأنفال ؛ وإعفاء فلاحها
 ومزارعيها من جميع ذلك ؛ وإطلاق كل ما يصل من مغلّات الأوقاف والأملاك
 المذكورة إلى مدينة حلب من جميع المؤون على الإطلاق ، وكذلك جميع ما لهم من
 البضاعات والبياعات والتجارات مطلقا مطلقا لا اعتراض عليها لأحد ، ولا تمتد إلى
 شىء منها يد ذى يد . وليتول ذلك على عادته المشكوره ، وأمانته المشهوره ؛ بنظر
 كافي شاف ، وكريم وافر واف ؛ وورع من الشوايب صاف ، وعزوف عن الدينيات
 بالدينيات متجاف ؛ وسداد لرؤن المصالح شائد ، وتذكر لترقى مواد المنابح رائد ؛
 ورأي في ذمة الصواب راجح ، وسعى برتبة الرشاد ناجح ؛ وهمة عالية في نشر العلم
 بالمدرسة وإعلاء مناره ، وإزام الفقهاء والطلبة بتدريسه وإعادته وحفظه وتكراره ؛
 ومروية تامة في الاشتغال على إخوته ومخلفي أبيه بما يصل به الرّحم ، ويظهر به
 الكرم ، ويُنحى من مفاخر أبائه الرّم ، ويقوى لهم من معاقد مكارمه العصم . وسبيل
 الولاية والنواب وكل واقف على هذا المشال إمضاء ذلك كله على سبيل الاستمرار ،

وتصرّم الأعمار ، وتصرف الأعصار ، وتقلب الأحوال والأدوار ، وحفظه فيهم
 وفي أعقابهم على العصور والأحقاب ، ووصل أسبابه عند انقطاع الأسباب ،
 من فسح ينقض مبرم معاقده ، أو تسخ يقوض محكم مقاعده ؛ أو تبديل يكدر صافي
 موارده ومشارعه ، أو تحويل يقلص ضافي ملبسه ومدارعه . وليبدل لهم المساعدة
 في كل ما يعود له ولجماعته بصلاح الحال ، وفراغ البال ونجاح الآمال ، وإقامة الجاه
 في جميع الأحوال . والعمل بالأمر العالى وبمقتضاه ، والاعتقاد على التوقيع الأشرف
 به إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث — أرباب الوظائف الديوانية

وهذه نسخة توقيع بوزارة ، من إنشاء بعض نبي الأثير ، وهى :

الحمد لله الذى فضّلنا على كثير من عباده ، وأغنانا بمزيد عطائه عن أزيداده ،
 وجعلنا من استخلفه فى الأرض فشكر عواقب إصداره ومبادئ إيراده .

نحمده ولسان أنعمه أفصح مقالاً وأفسح مجالاً ، وإذا آخلفت خواطير الحامدين
 روية كآثرها آرتجالاً ، ونسأله أن يوقنا لتلقى أوامره ونواهيه بالاتباع ، وأن يصنّى
 بقلوبنا إلى إجابة داعى العدل الذى هو خير داع ، ويُنقذنا من تبعات ما استرعانا
 يوم يُسأل عن رعيته كل راع .

أما بعد ، فإن الله قرّن استخارته برشده ، وجعلها تورا يهتدى به فى سلوك جده ،
 وبُستمد من يمين صوابه ما يُغنى عن رأى ومدده . ومن شأننا أن نتأدب بأداب الله
 فى جليل الأمر ودقيقه ، وإذا دلّ التوفيق أمراً على عمله دلّ عملنا على توفيقه ؛
 فمن عنوان ذلك أنا أصطفينا لوزارتنا من تمخّدا الأيام من أجله ، وتمخّدا الملوكة
 على مثله ، ويعلم من أتى فى عصره أنه فات السابقين من قبله ، وهو الوزير الأجل

السيد الصدر الكبير؛ جلال الدين، شرف الإسلام، مجتبي الإمام نجر الأنام؛
 وليست هذه النعوت مما تزيد مكانه عرفاً، ولا تستوفى من أوصافه وصفاً؛
 وإن عدها قومٌ جُل ما يدخرونه من الأحساب، ومعظم ما يخلفونه من التراث
 للأعقاب؛ ولا يفخر بذلك إلا من أعدم من ثروة شرفه، ورضى من الجوهر
 بصدفه؛ وأنت فغير فأنحر به ولا بما ورثته من مجد أبك الذى أضحت الأيام به
 شهوداً، والجُدود له جُدوداً، وقد وكأن عليه من شمس الضحى نورا ومن الصباح
 عموداً؛ وقد علمت أنه كان إليه نَسب المكارم وسيمها، وكان ما بلغه منها أعظم
 ما بلغه من دنياه على عظيمها؛ أنك خلفت لنفسك مجداً منك ميلاده، وعنك
 إيماده؛ وإذا اقترن سعى الفتى بسعى أبيه فذلك هو الحسب الذى تقابل شرفاه،
 وتلاقى طرفاه، وغض الزمان عنه طرفه كما فتح بمدحه فاه؛ وإذا استطرفت سادة
 قوم بنيت بالسؤدد الطريف التليد، ولقد صدق الله لهجة المنى عليك إذ يقول:
 إنك الرجل الذى تُضرب به الأمثال، والمهدب الذى لا يقال معه: أى الرجال؛
 وإذا وازرت مملكة فقد حظيت منك بسد أزرها، وسد تغرها، وأصبحت وأنت
 صدر قلبها وقلب لصدرها؛ فهى مزدانةً منك بالفضل المئين، معانته بالقوى
 الأمين؛ فلا تبيت إلا مستخدماً ضميرك فى ولأئها، ولا تغدو إلا مستجدياً كفايتك
 فى تمهيدها وإعلائها.

ومن صفاتك أنك الواحد فى عدم النظير، والمعدود بالف فى صواب التدبير،
 والمؤازر عند ذكر الخير على الإطاعة وعند نسيانه على التذكير؛ ولم ترق إلى هذه
 الدرجة حتى نكحت عقبات المعالي ففضيت أجلها، وأنست من طور السعادة نارا
 فهديت لها؛ ولم تبلغ من العمر أشده، ولا تزغ عنك الشباب برده؛ بل أنت
 فى ريعان عمرك المتجمل بريعان سؤدده، المتتمص من سيماء الخلال ما أبرز وقار

المشيب في أسوده . وهذا المنصب الذي أهلت له وإن كان ثاني الملك محلاً ، وتلوه عقداً وحلاً ؛ فقد علا بك قدره ، وتأبل بك أمره ؛ وأصبح وشخصك في أرجائه منار ، ورأيك وفضلك من حوله سور وسوار ؛ وله من قلمك خطيب يجادل عن أحساب الدولة فيفتحها خفراً ، وسيف يجالد عن حوزتها فيمنحها نصراً ؛ ولقد كان من قبلك وقبل أيك مكرها على إجابة خاطبه ، والترول إليه عن مراتبه ؛ فلما جئناه استقر في مكانه ، ورضى بعلو شأنك لعلو شأنه ؛ وقد علم الآن بانك نزلته نزول الليث في أجمه ، وأستقلت به أستقلال الرمح باحدمه (؟) ؛ وما زالت المعالي تسفر بينك وبينه وأنت مشغول بالسعى للسيادة وآدابها ، عن السعى للسعادة وطلابها . فخذ ما وصلت إليه باستحقاق فضلك ومناقبه ، لا باتفاق طالعك وكواكبه .

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ وَإِنْ جَاءَتْكَ فِي حَفَلِهَا ، وَأَنَاخَتْ بِكَ بِصَاحِبِهَا وَأَهْلِهَا ؛ فَلَا يُؤْنِسُهَا بِكَ إِلَّا الشُّكْرُ الَّذِي يَجْعَلُ دَارَهَا لَكَ دَارًا ، وَوُدَّهَا مَسْتَمْلَكًا لَكَ لِأَمْعَارًا ؛ وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الشُّكْرَ وَالنِّعْمَةَ تَوْعَمَانُ ، وَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِاجْتِمَاعِ سِرِّ الْقَلْبِ وَحَدِيثِ اللِّسَانِ ؛ فَاجْعَلْهُ مَعْرُوفًا الَّذِي تُنْمِسُكُمَا بِإِحْسَانِهِ ، وَتَقْيِدُهَا بِأَشْطَانِهِ .

وقد أفردنا لك من بيت المال ما تستعين به على فرائض خدمك ونوافله ، وترد فضله على آبناء مجديك وفضائله ؛ وذلك شيء عائد على الدولة طيب سمعته ، فلها محمود ذكره ومنك موارد شرعته ؛ وإذا تحدثت مناهل الغدر كان الفضل للسحاب الذي أغدرها . والمفرد باسمك من بيت المال كذا وكذا .

وَكُلُّ مَا تَضَمَّنَهُ تَقْلِيدُ غَيْرِكَ مِنَ الوصايا التي قُرِعَتْ لَهَا عَصَاهَا ، وَبُنِدَتْ لَهَا حَصَاهَا ، فَانْتَ مَسْتَفْنٍ عَنْ أَسْمَاعِهَا ، مَكْتَفٍ بِأَطْلَاعِ فِكْرِكَ عَنْ أَطْلَاعِهَا ؛ غَيْرَ أَنَا نَسَأَلُكَ كَمَا سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ

من أمرِك يُسرا ومن عَزَمِك نَفَاذاً ، وقد أجاونا لسانُ حالِك بأنك تأخذ بتقوى الله
التي ضمنَ لها العاقبه ، وجعل شيعتَها الغالبه ؛ وأنك تجعلُها بينك وبينه سبباً ممدوداً ،
وبينك وبين الناس خُلُقاً معهوداً ؛ حتى تُصيح وقد أمنتَ من دهرِك عِتاراً ، ومن
أبنائه أسمعاً وأبصاراً — ومن شرائطها أن يكونَ الرجلُ المسلم الذي سلم الناسُ
من يده ولسانه ، وفي هذين كفاية عن غيرهما من الشيم ، التي تُحفظ بها سياساتُ
الأمم : فإنَّ العدل هو الميزان الذي جعله الله ثانيَ الكتاب ، والإحسان الذي هو
الطينة التي شاركتها القلوبُ في جِبِلَّتِها مشاركة الأحاب .

وأما ماسوى ذلك من سياسة الملك في تقرير أصوله ، وتدير محصولة ؛ كالبلاد
وأستعمارها ، والأموال وأستثمارها ؛ وولاية الأعمال وأختبارها ، وتجنيد الجنود
وأختيارها ؛ فكلُّ ذلك لا يصدر تديره إلا عن نظرك ، ولا يُمتحنى فيه إلا على
أترك ؛ وأنت فيه الفقيهُ أبْنُ الفقيه الذي سرى إليك علمه نفساً ودرساً ، وثمرَةً
وغرساً ؛ فهذا كتابُ عهدنا إليك : نخذه بقوة الأمانة التي أبت السموات والأرض
حملها ، وما أطاقَتْ ثِقَلها ؛ والله يسئلك بك سَدِّداً ، ويَحْتَرى بك رَشِّداً ، ويلزمك
التوفيق قلباً ولساناً ويَدًا ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة توقيع باعادة النظر بشعر الإسكندرية لأبن بصاصة في شهر
سنة ثمان وسبعين وستائة ، وهي :

الحمد لله الذي أضحك الثغور بعد عبوسها ، وردَّ لها جمالها وأنار أفقها بطلوع
شموسها ، وأحيا معالم الخير فيها وقد كادت أن تُشرف على دُروسها ؛ وأقام
لمصالح الأمة من يُشريق وجه الحق ببياض آرائه ، وتلتدُ الأسماعُ بتلاوة أوصافه

الجميلة وأنبائه ؛ حمد من أُسِغَتْ عليه النعماء ، وتمادت إليه الآلاء ، وخطبته
لنفسها العلياء .

وبعد ، فاحق من ماس في أندية الرياسة عطفاً ، وأستجلى وُجوه السعادة من
مُحِبِّ عِزِّها فأبدت له بجمالاً ولُطْفاً ؛ وأصطفته الدولة القاهرة لمهماتها لما رأته
خير كافل ، وتقل في مراتبها السنية تنقل النيرات في المنازل^(١) .

ولما كان المجلس السامى القاضى ، الأجل ، الصدر ، الكبير ، الرئيس ، الأوحد ،
الكامل ، المحبى ، المرتضى ، الفاضل ، الرشيد ، جمال الدين ، نخر الأنام ، شرف
الأكابر ، جمال الصدور ، قدوة الأمتاء ، دُخر الدولة ، رضى الملوك والسلاطين ،
الحسين بن القاضى زكى الدين أبى القاسم - أدام الله رفعتَه - ممن أشارت إليه
المناقبُ الجليله ، وصارت له إلى كل سُؤلٍ نعم الوَسيلَه - رُسم بالأمر العالى ،
المولوى ، السلطانى ، الملكى ، العادلى ، البدرى ، - ضاعف الله علاءه ونفاذه -
أن يفوض إليه نظراً تفر الإسكندرية المحروس ونظر متاجره ، ونظر زكواته ونظر
صادره ؛ ونظر قوة والمزاحمتين ، فيقدم خيرة الله تعالى ويباشر هذا المنصب المبارك ،
بعزماته الماضيه ، وهيمه العالیه ؛ برأى لا يساهم فيه ولا يُشارك ، ليصبح هذا النغر
ببإشرته باسمًا حاليًا ، وتعود بهجته له بجميل نظره ثانيا . وينتصب لتدبير أحواله على
عادته ، ويقرر قواعدَه بعالى همته ؛ ويجهد في تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ،
وإستخراج زكاته وتميمه متاجره ؛ ومعاملة التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا
ألقوه منه ، والرفق الذى نقلوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هدايا البحور ، ودوالبه

(١) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم الناصح وأصله « من اشتهر بحاسن الخلال ، ومحمد الخصال ،

وساس الأمور برأيه الرابع ، ودبرها بسعيه الناصح ، ولما « الخ أو نحو ذلك فتنه .

الثغور، ومن ألسنتهم يُطَّلَعُ على ما يُجْنُهُ الصدور، وإذا بَدَّرَ لهم حَبَّ الإحسان
نَشَرُوا له أجنحةً مراكبهم وحأوا عليه كالطيور . وليعتدَّ معهم ما تضمَّنته المراسيمُ
الكريمةُ المستقرَّةُ الحكم إلى آخِرِ وقت ، ولا يسلكُ بهم حالةٌ تُوجب لهم القلق والتظلمُ
والمقْت ؛ وليواصل بالحمول إلى بيت المال المعمور، ويُملأ الخزانة السلطانية
من مستعملات الثغر وأمتعته وأصنافه بكل ما يُستغنى به عن الواصل في البرور
والبُحور ؛ وليصرف همته العالية إلى تدبير أحوال المتأجر بهذا الثغر بحيث ترتفع
رؤوس أموالها وتنبى ، وتجوِّدُ سحاب فوائدها وتهمى ؛ وليبرأج أحوال المستخدمين
في مباشراتهم، ويكشف عن باطن سيرهم في جهاتهم ؛ ليتحققوا أنه مهيمٌ عليهم،
وناظرٌ بعين الرأفة إليهم ؛ فتتكف يد الخائن منهم عن الخيانة ، وتتحلى أنامل الأمين
بمخاسن الصيانة ؛ ولتتفق فيما يأتيه ويُدْره ، ويقدمه من المهمات ويؤخره ، مع المجلس
السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، المجاهد ، المقدم ، الأوحيد ، النصير ، شمس الدين ،
متولى الثغر المحروس - أدام الله نعمته - فإنه نعم المعين على تدبير المهمات ، ونعمت
الشمسُ المشرقة في ظلم المشكلات . وليطالع بالمتجددات فى الثغر المحروس ، ليرد
الجواب عليه عنها بما يشرح الصدور ويُطيب النفوس ؛ وليتناول من الجامكية
والحرابية عن ذلك فى غزوة كل شهر من استقبال مباشرته ما يشهد به الديوان المعمور
لمن تقدمه من النظار بهذه الجهات ، وهى نظر الثغر وما أضيف إليه على ما شرح
أعلاه .

المرتبة الثانية

(أن تفتتح الولاية بلفظ « أما بعد حمد الله » أو « أما بعد فإن كذا »

ويؤتى بما يناسب من ذكر الولاية والموتى ، ثم يذكر ما سنع

من الوصايا ، ثم يقال « وسبيل كل واقف عليه »)

فمن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة ما كان يكتب لبعض الولاة .

وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهي :

أما بعد ، فإننا لما منحنا الله إياه من معجزات النصر المستنطق الألسنة بالتسبيح ،
وآتانا من نظريحي ناصر عيش الأئمة من التصويح ، والبسناه من ثياب العظمة
المخصوصة بأحسن التوشيح والتوشيح ، ووقفنا له من أصطفاء من تقبل عليه بوجه
التاهيل للمهمات والترشيح ؛ وقواه من عزائمنا التي ترج بها أرض الكفر وتدوخ ،
ووسعه لنا من الفتوح التي أنبأها خير ما تُصدّر به السير وتؤرخ - لا نزال نبالغ فيما
صان الحوزة وحاطها ، ومد رواق الأمانة ومهد بساطها ؛ وقرب نوازيح المصالح
وجمع اشتاتها ، وأوجب أنصرام جبال آختلال الأمور وأقتضى آيناتها .

ولما كانت الأعمال الشرقية جديرة بمناجاة الاعتناء وموالاته ، وإعراق كرم التعهد
فيما يحفظ نظامها بمغالاته ؛ وأحقها بأن تُصرف إلى صونها وجوه الهمم الطوامح ،
ويوقف عليها حسن الاحتفال الجامع دواعي تدليل الجاه ؛ إذ كانت أجدر الأعمال
بكلالة الفروع من أوضاعها والأصول ، والباب الذي لا يجب أن يدخله إلا من
أذن له في القدوم إليها والوصول ؛ ويتعين التحرز على الطرقات التي منها إليها
الإفضاء ، ويوكل بما دونها من المياه عيون حفظة لا يلزمها النوم والإغضاء ،

— وكنت أيها الأمير أشدَّ الأمرء باسا، وأوفاهم لحسن الذكر الجميل لباسا؛
وأكثرهم لمهجع الأعداء آختلاسا، وأجمعهم للحاسن المختلفه ضُروبا وأجناسا؛ وقد
تأصرت على قُصودك الحسنة وإصحات الدلائل، وتحلت أجيادُ خلائك من جواهر
المفانر بقلائد غير قلائل؛ واستطار لك أجملُ سُمعه، وقطمتُ سُيوفك أبناء الكُفْر
عن ارتضاعها من الملة الإسلامية تُدى طمعه؛ ولا استبهمت طُرق السياسة
إلا هُديت إلى مجاهلها، ولا حلاَّ التقصير سواك عن شرائع النعم إلا غدوت بكفايتك
وارد مناهلها؛ وكَم شهدت مقام جلاله، وموقف جهاده؛ فزقت ثوبَ مارقته نَسجا،
وأدلت في ليل قسطله عوادي صوارمك شرجا، وقُنت فيا وكل إليك من أمور
الفاقوسية وقلعتي صدرٍ وأيلة حرسهما الله تعالى قياما أحظاك بالثناء والنواب،
وأستنبت في كل منها من أجرى أمورها على الصواب - خرج أمر الملك الناصر بكتب
هذا السجل بتقليدك ولاية الأعمال الشرقية المقدم ذكرها .

فاعتمد مباشرتها عاملا بتقوى الله التي مَغْنَمُها خير ما آقناده مستشعروها لأنفسهم
وأستاقوه . قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنكُمْ مَلَاقُوهُ ﴾
وَأبسط العدل على أهل هذه الولايات، وأخصص أهل السلامة بما يُسبِل عليهم
ستر الحياطة والحمايه؛ وتطلب المفسدين أتم تطلب، وأحظر عليهم التنقل في هذه
البلاد والتقلب؛ ومن ظفرت به منهم فقايله بما يُوجب حكمة جريته، ويقتضيه
موقع جريمته، ويعمله مُزْدَجرا لسالكى طريقته . وشد من المستخلف على الحكم
العزیز شدا ينصر جانب الشرع ويعزه، ويكثر به على الباطل ترويع الحق وأزه؛
وَأعين المستخديمين في المال على استيفائه من وجوهه عند وجوبه، وبلغ كلاً منهم
من الإعانة على تحصيله أقصى مطلوبه؛ وقوا أيديهم في تخضير البلاد وتعميرها،

وأبعث المزارعين على مباشرة أحوال الزراعة وتقرير أمورها ؛ وفيما يُستترعون من مَصَالِح الأعمال ، ويُعود عليهم في موجبات الرجاء بمناجح الآمال . وراعى أمر السُّبُل والطُرُق ، وأجعل احتراسك عليها الآن موفياً على المتقدم من سالف الأوقات ؛ ولا تن في إنفاذ المتخبرين إلى بلاد العدو ، وتحذيرهم في الرواح والغدو ، بما يمنعهم من الهدو ؛ وكشِف أخبارهم ، وتتبع آثارهم ، وتسير الجواسيس إلى ديارهم ؛ حتى لا تخفى عنك من شؤونهم خافية ، ولا يجدوا سبيل غزوة يتبأونها - والعياذ بالله - بالجملة الكافية . وطالع بما يتجدد لك وما يرد من الأنباء عليك ، وغير ذلك مما يحتاج إلى علمه من جهتك ، وما تجرى عليه أحكام خدمتك ، فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الغربية من هذه المرتبة ، وهى :

أما بعد ، فإننا لما آتانا الله من سعادة لطرق الإيرادات فيها تعييد ، وأسبغ بنا من نعم لا يعدها التعييد ، ولا يحدها التعييد ؛ وأبهجتنا به من آكتناف المطالب بنجاح لا يعقبه تعسير ولا يعسره تعقيد ؛ وأمضاه من عزائنا التي ما فتت قط بالأعداء فقيد منهم فقيد ؛ ولقاه الأمانة بنظرنا من نضرة عيش جانب الجفاف دوحه الخفض ، وأهداه بتبصيرنا من أنوار الهدى المتقدمة كل ذى جهل ظل ممن ضل - لا تزال نستوضح أمور أمراء دولتنا متصفحين ، ونبلو أخبار المؤهلين منهم لسياسة الرعية المرتجحين ، ونكشف شؤونهم غير متجاوزين ولا متسمحين ؛ ونظهر في أحوالهم آثار الإيثار لرفع درجاتهم ، وأمارات الرفع منهم مقابلة على حيطة أموال من نكون عليه وصور منحتهم ، ونبؤهم مَبُوءاً صدق من تصديق آمالهم وتحقيقها ؛ ونزف إليهم

عقائل المِنَح المانِع شُكْرُهُم من تَسِيب سَبِيهَا وتَطَرُّق تَطْلِقِهَا؛ وشَمَل لِكُلِّ مِنْهُم ما يُؤَمِّلُهُ من أَجْتِهاده وَيُؤَثِّرُهُ؛ ولا تُلغى الأَهْتامَ بما يُوطئُ لَهْم مِهَادَ الطُّولِ الجَزِيلِ وَيُؤَثِّرُهُ؛ عملاً بآداب الله سبحانه في إجزال حُظُوظِ المُحْسِنِينَ من إِحْسانِ المِجْازاهِ، وإيلائِهِم المَزِيدَ الحَاكِمَ بِنَقْصِ أَعْتادِهِم عن المُوازَنَةِ لَهُ والمُوازاهِ، كما قال سبحانه وقوله هدى ونور وشفاء لما في الصدور: (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) .

ولما كان الأمير (والنعت والدعاء) من أَنْجِحِهِم فالأ، وأَرْجَحِهِم مَصَالاً، وَأَصْلِحِهِم أَعْمالاً، وَأَوْصَحِهِم كِلالاً، وما زالت أغصانُ نَهْاهِ مُتتَابِعَةً في بُسُوقِها، وَضرائِبُهُ نافقةٌ أَعْلَاقُ المِحامِدِ يُسُوقِها؛ وَعِزائِمُهُ في إِذْلالِ الفِرَقِ المِبالِغَةِ في فُسُوقِها، مِشْمَرَةٌ عن سُوقِها؛ وما يَرِحُ في شَوَاطِئِ الفَخْرِ رَاكِضاً، ولِعُقُودِ مَكْرُوهِ الأُمُورِ الَّتِي تُزِيلُ الأمانَةَ رافِضاً، وبأعباءِ القِيامِ بِفرائِضِ الأَلْأاءِ ناهِضاً؛ وما أَنْفَكْتَ مِناقِبُهُ تُعْبِي بَيانَ الواصِفِ وَبَنانِ العادِ، وَمِساغِيهِ مُدْرِكَةٌ وَهِيَ وادِعَةٌ ما يَعْجِزُ عن أَقْلِهِ جِدُّ الجِدادِ؛ وَرأْيُهُ [يَرْتَقِ] كُلُّ مِتَفَتَّقٍ وَمُنْبَثِقٍ من الأُمُورِ المِهمَّةِ بِسَدادِ الراتِقِ السادِ، وَجَميلُ ذِكْرِهِ يَفُوحُ بما يَفُوقُ المِسْكَ فيثُوبُ إِلَيْهِ من الثُوابِ بالنائِي النادِ؛ وما قَتِي دابُّ شَيْمَتِهِ الإِعْراضِ، عن المُوبِقِ من الأَعْراضِ؛ واخْتِيارَ الرَفِقِ، والإِعْراقِ فِما يُدِيمُهُ إلى فَكِّ أَعناقِ أُسْرَى المُسْلِمِينَ من سَرى العَتقِ - نَحْرَجُ أَمْرُ المَلِكِ الناصِرِ بِكُتُبِ هذا السِجْلِ لَهُ بِتَقْلِيدِهِ وَلايَةِ الأَعْمالِ الغَرِيبَةِ .

فَلِيتَقَلَّدْ ما قُلِّدَهُ مَعْتَمِداً على تَقْوَى اللهِ الَّتِي صَرَفَ عن مَعْتَمِدِها شِربَ التَكْذِيبِ، وَمَنَحَهُ من المِكارِمِ عِنْدَهُ ما يُوفِي على التَقْدِيرِ؛ وَلِيَجْرَ على عَادَتِهِ في بَسْطِ ظِلِّ المَعْدِلَةِ وَمَدِّ رُواقِها، وَصونِ مَساحِي الرِّعايا عن إِملاقِها مِنْها وإخْفاقِها؛ والمِساواةِ بِها بَيْنَ

الأقوى والأضعف، والأدنى والأشرف؛ والبادي والحضار، والمناوين والأنصار؛
والخاص والعام، والأجنبي وربّ الحرمّة والذّمّام: لينام المستورون على مهاد الأمن،
ويسلم جانب سلامة أموالهم وأرواحهم من الوهن. ويعامل المستخلف على الحكم
العزيم بما يستوجبه مثله من نصرة الأحكام « ووكّل إليه أمر الأمراء لمن آثرها^(١)
والإحكام» والإكرام الشامل لقدره، والأهتمام الشارح لصدره. وليتوخّ المستخّدمين
في الأموال بما يكون لعلّهم مُزيحاً، ليصل إليهم ما يرومونه نجيحاً. ويلزِم من
جرت عادته بلزوم الحدود وأجتناب تعديها، والتوقُّر على حفظ مسالكها والمترددين
فيها؛ وليطالع بما يتجدد قبله من الأحوال الطارئة، وما لم تزل الرسوم بيانها مثلها
جاريه؛ إن شاء الله تعالى.

المرتبة الثالثة

(أن تفتّح الولاية بلفظ «رُسم» ثم يذكر أمر الولاية والمولى ويوضح،
ثم يقال «وسبيل كلّ واقف عليه»)

فمن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة نسخة مرسوم بشدّ ناحية، وهي:
رُسم - أعلى الله المراسيم وأدام تفاقها - بالإتمام على الأمير فلان بما يُقيض عليه
ملايس الأصطفاء ويُضيفها، ويُسمى لقدمه في الثبات مدارج الارتقاء ويُسنيها؛
ويُعرب عن اختصاصه بالمتزلة التي يفضّل بها على مباريه، وأستخلصه للرتبة التي
يفوت بها شأؤُ مجاريه؛ ويؤهله لتغرّ حريم المحروس وشده، وتوليّه أمره بكفايته
ونهضته وحزّامته وجده؛ وقد أمرنا بتسليم قلعة حريم وأعمالها وسائر ما يختص
بها ويُضاف إليها من ضياعها ومواضعها إليه، والتعويل في ولايتها وتعميرها وتثميرها

(١) كذا في غير نسخة ولا معنى له وقد تقدّم لهذا المقام أمثال ونظائر يفهم منها المقصود.

عليه ؛ بموجب ما يُفَصَّل من الديوان على ما كان جارياً في الإقطاع المحروس للحال ،
وسبيل أهل الديوان - أيدهم الله - العمل بالأمر العالى وبمقتضاه ، والاعتقاد على
التوقيع الأشرف به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة مرسوم بَسَدَ وقف ، وهى :

رُسم - أعلى الله المراسيم وأدام نفاذها - بالتعويل على الأمير فلان فى تولى
الوقوف بالجامع المعمور بحلب المحروسة ، والبيارستان ، والمساجد ، والمشاهد
بالأماكن والمواضع ، وظاهرها وباطنها وأعمالها ، وتفويضها إليه ، والاعتقاد
فى جميعها عليه ؛ سكوناً إلى نهضته وكفايته ، ووثوقاً بخبرته ومعرفته وعلمها بنزاهته ،
وسداده وأمانته ؛ وذلك لاستقبال سنة سبع وثمانين وثمانمائة .

فليتول ذلك بكفاية كافيته ، ونهضة وافيته ، وهمة لأدواء الأحوال شافيته ؛ ونظر
تام ، لشمل المصالح ضام ، وتديير جميل فى كل خاص من أسباب عمله وعام ؛
وتقوى لله عز وجل تقوى بها يده ، ويصح بالاستقامة على سننها جدده ؛ ناظراً
فى الوقوف ومصارفها ، وتتبع شروط واقفها ؛ بكل ما يعود بتعمير أعمالها ، وتتمير
أموالها ، وتديير أحوالها ؛ مطالباً بحساب من تقدمه وتحقيق مبالغه تكميلاً وإضافة ،
وأحتساباً وسياقه ؛ وأيطلب شواهد ، وليبين على الصحة قواعده ، وليتمس ما يصح
من بواقه من جهاتها ، وليكشف بما يوضحه من سبل الأمانة وجوه شهباتها ؛ وقد أذن
له فى استخدام من يراه من الثواب والمتصرفين والمشارفين ، والوكلاء والمستخدمين ؛
على ما جرت به العادة ، من غير زياده . وسبيل الثواب - أيدهم الله - العمل بالأمر
العالى وبمقتضاه ؛ والاعتقاد على العلامة الشريفة ، إن شاء الله تعالى .

المرتبة الرابعة

(أن يفتح بلفظ : «إن أحق» أو «إن أولى» أو «من كانت
صفته كذا» وما أشبه ذلك)

فمن ذلك نسخة منشور بتقابة الأشراف، وهي :

مَنْ كَانَتْ أَوْصَافُهُ شَائِعَةً بَيْنَ الْأَنَامِ ، وَصُحُفِ فِضَائِلِهِ مَنْشُورَةً لَدَى الْخَاصِّ
وَالْعَامِّ ، مَعَ شَرَفِ نَسَبِ شَايِخِ الْأَعْلَامِ ، وَتَوْقُوقِ فَخْرِهِ عَلَى الْأَنَامِ ، وَعِلْمِ يُحْيِي بِهِ صَدَأَ
الْأَفْهَامِ ، وَعِفَّةِ مَرَاتِزِهَا مَحْكَمَةُ الْإِبْرَامِ - كَانَ جَدِيرًا بِإِفَاضَةِ سَبْجَالِ النَّعْمِ عَلَيْهِ ، وَقَمِينًا
بِإِرْسَالِ سَبِيلِ الْمَوَاطِبِ إِلَيْهِ .

ولما كان الشيخ فلان متصفاً بهذه الصفات الجميلة ، ومتخصّصاً بمزاياها الجليلة ؛
وضارباً فيها بالسهم المعلن ، ونازلاً منها في الشرف الأعلى ، ومتعمّصاً ثوب الإخلاص
والصفاء ، ومتمسحاً بوشاح العفة والولاء - اختصصناه بزيادة التقديم والإجتماع ،
وحبّوناه بوفور الكرامة والإصطفاء ؛ وأجريناه على مستمّر رسمه بالرعاية على ذرية أهل
العباء ، حسب عادته المستقرّة إلى آخر عهد من كانت الإيالة إليه وإلى رحمة الله
مضى : ليسير فيهم بكتاب الله العظيم وسنة رسوله ، ويسلك جدد الحق الذي يوصله
من الزلغنى إلى أقصى مناه وسؤله ؛ ويحضّمهم على تلاوة القرآن ، ومعرفة ما يصلح
للأديان . وليسو في الحكم بين الضعيف فيهم والقوى ، ويعمّ بالإنصاف الفقير
والغنى . وليحسن إلى محسنهم ، وليجبر على فضله لمسيئهم ؛ بعد أن يقدم إليه زجراً
ووعيداً ، ويوسع إنذاراً وتهديداً ؛ فإن وعى وأرعوى وإلا سلط عليه أسباب
الأذى ، وتولاه بما يستحقّه من الجزاء ؛ ويعيده إلى حالة الإستقامة والأستواء ،
ويكفّه عن دواعي الهوى . ومن وجب عليه حد أقامه فيه ، وبأدر إلى أعماده
وتوجّهه ، حسب ما يوجبّه حكم الشرع ويقتضيه .

وليكن رُؤوفاً بهم ما استقاموا، ومتقيّاً منهم ما أعوجوا ومالوا؛ وإن وجب على أحدكم حقٌ لملىّ أو دنى، استخلصه منه ولم يمنعه تعلقه بنسبٍ شريفٍ على؛ وإن أقرى منهم مفترىً على أحد من الملل، قابله عليه بما يزجره عن قبيح العمل: فإنّ الناس في دار الإسلام ومن هو تحت الذمام سواسية وأقربهم إلى الله تعالى من كانت سيرته في الإسلام رضيّه، وطويته في الإيمان خالصةً تقيّه؛ ومن حكم عليه حاكمٌ من الحكام، بحق ثبت عنده بالبينّة العادلة أو الإعلام، آتّعه منه أو سجنه عليه، إلى أن يرضى خصمه أو يردّ أمره إلى الحاكم ويفوضه إليه .

وليحرُس أنسابهم بإثبات أصولها، وتحقيق فروعها؛ ومن رام دخولاً فيه بدعوى يُبطل فيها نقب عن كشف حاله، وإظهار محاله؛ وجازاه بما يستحقه أمثاله، ويرتدع فيما بعد مثاله: ليخلص هذا النسب الكريم، من دعوى المجهول، وأندماجه في أسرة الرسول؛ عليه أفضل الصلاة والتسليم . ويمنع من اتصال أيم من الأسرة إلى عامي، ولا يفسح أن يُعقد عليها عقد إلا ليكف، ملىّ: ليبرأ هذا المجد الشريف من التكدير، ولا تُزيّفه شوائب التغيير .

ولينظر في الوقوف على المشاهد والنزّية، نظراً يحمده عليه من يعامه من البرية، ويُحظيه بالنواب عند مالك المشيه . ويتدى بعمارة أصولها وأستكال فروعها، وقسمة مغلّها على ما تضمنه شرط الواقفين لها . وليحتط على النذور، وينفقها على عاداتها في المصالح والمجهور؛ عالمًا أنّ الله تعالى سائله عمّا توحّاه في جميع الأمور، وأنه لا يخفى عليه كل خفيّ مستور . قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَن الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .

وأذنا له أن يستنيب عنه في حال حياته، وبعد وفاته - فسح الله له في المهل،
 وخوله صالح العمل - الأرشد من بينه، ومن يختاره لهذا الأمر وله يرتضيه . وقد
 أنعمنا عليه بإجراء ما كان باسمه مستمرا إلى الآن، وأضفنا إليه ما يعينه على النظر
 في مصالح الأمة أدام الله له علو الشان؛ من تملك وإدراة وتيسير، وجعلناه له
 مستمرا، وعليه مستقرا؛ ولمن بعده من نسله والأعقاب، على توالى الأزمان
 والأحقاب؛ وحظرنا تغييره وفسخه، وتبديله ونسخه: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
 فَأَمَّا آيُمَةٌ عَلَى الَّذِينَ يَبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وهو معين من ديوان الاستيفاء
 المعمور، بهذا المنشور المسطور، بالأمر العالى أعلاه الله وأمضاه، عما كان قديما،
 وما أنعم عليه به آنرا، وهو القديم الذى كان له وشهد به الديوان المعمور، وهو
 الإقطاع من ناحية كذا، ويجرى على عادته في إطلاق ما قرره له من ناحية كذا
 بشهادة الديوان الفلانى، والمجدد الذى أنعم به عليه لاستقبال سنة سبع وسبعين
 وما بعدها. وسبيل كافة الأسرة الطالبين بمدينة كذا الأقياد إلى تباعته، والامتثال
 لإشارته، والتوقر على إجلاله وكرامته؛ فإنه زعيمهم، ومقدمهم ورئيسهم؛ ومن
 خالفه منهم قابلناه، وبالم العقاب جازيناه، والاعتاد في ذلك أجمع على التوقيع
 الأشرف العالى أعلاه الله، والعلام الديوانية فيه، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الشرقية، وهى :

لما كانت الأعمال الشرقية أجدر البلاد باكيد الاهتمام وأخلق، وأولاهها بإضفاء
 سربال الاهتبال الذى لا يُخلق إذا رث سواه وأخلق؛ وأقننها بحسن نظير يُرسل
 لرسول على الرسم الأعنة في إدامة نضرة العارة عليها ويطلق، وأحقها بأن يُبرم لها

سَبَبُ تَفْقُدِ لا يَلْتَصِقُ بِهِ رَهْنٌ وَلَا يَغْلِقُ ؛ وَأَحْرَاهَا بِاعْتِنَاءِ يَقْضَى لِأَمْرِهَا بِالْإِطْرَادِ ،
وَأَوْلَاهَا بِتَعَهُدِ يَجْمَلُ مَصَالِحَ الشُّنُونِ آلِفَةً لِلثَّوَاءِ بِهَا وَالْمَقَامِ عَائِفَةً لِلنَّشُوزِ عَنْهَا
وَالشَّرَادِ ؛ لِأَنَّهَا بَابُ الشَّامِ ، وَإِلَيْهَا تَرِدُ الْقَوَائِلُ الْمُرْتَدَّةُ مِنْهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ؛ وَمِنْهَا
يَسْتَكْشِفُ الْأَخْبَارَ وَيَسْتَنْهَضُ الطَّوَالِعَ وَالْمُتَخَبِّرِينَ ، وَبِمَوَاصِلَةِ التَّفْقُدِ تَعْلَمُ الْأَحْوَالَ
الطَّارِئَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينَ ؛ فَتَجِبُ الْمِبَالِغَةُ فِي حِفْظِ طُرُقَاتِهَا وَمِيَاهِهَا ، وَأَنْ تَصْرِفَ
الْهِمَمُ إِلَى ضَبْطِ أَحْوَالِهَا ، وَعَامَّةِ أَعْقَابِهَا وَأَنْجَاهِهَا ، وَيَوْضِعُ بِنَاءَ الْحَزْمِ فِي صَوْنِ
أَطْرَافِهَا عَلَى أَثْبَتِ قَاعِدَةٍ وَيُؤَسِّسُ ، وَيَبَالِغُ فِي إِذْكَاءِ الْعِيُونِ عَلَى كُلِّ طَارِقٍ يَتَخَبَّرُ
لِلْعُدُوِّ الْمَلْعُونِ وَيَتَجَسَّسُ ؛ وَكَانَتْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ،
وَدَوَى الْكِنَايَةِ الْمُوفِي تَرَاوُهُمْ فِيهَا [عَلَى] عَارِضِ الْإِعْدَامِ ، وَمَا زَلَّتْ مَعْدُودًا مِنْ خَاصِ
الْأَثْرَاكِ الْأَعْيَانِ سَمِيمِ (؟) ، الْمَقْصَرِ بِجَارِهِمْ إِلَى غَايَةِ الْبَسَّالَةِ عَنِ الْخَلْقِ بِهِمْ وَالْإِدْرَاكِ
وَقَدْ تَقَدَّمَتْ وَلَايَتُكَ هَذِهِ الْأَعْمَالَ فَقَصَدْتَ مِنْهَا قَصْدًا سَدِيدًا ، وَأَلْحَقْتَ الرِّعَايَا
ظِلًّا مِنَ الْأَمْنَةِ مَدِيدًا - نَجَرَ الْأَمْرَ بِلَيْدَاعِ هَذَا الْمَنْشُورِ مَا أُتِمَّ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ إِعَادَتِكَ
إِلَى وَلَايَتِهَا ، فَبَالِغٍ فِي اسْتِضَاحِ الْأَنْبَاءِ وَكَشْفِهَا ، وَرَفْعِ الْوَيْسَةِ فِي ذَلِكَ وَصَرَفِهَا ؛
وَوَكَّلَ بِهِ عَزْمَةً لَا تُنَلِّمُ سِنَّةً بِطَرَفِهَا ، وَأَنْتَ فِيهِ إِلَى غَايَةِ تَضْيِيقِ سَعَةِ الْقَوْلِ بَوَصْفِهَا ؛
وَتَابِعَ فِي تَسْيِيرِ الطَّلَائِعِ وَنَدْبِهَا ، وَعَوَّلَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعُرَبَانِ الْمُسْتَنْهَضِينَ عَلَى
شَهْمِهَا وَنَدْبِهَا ؛ وَأَجْتَهَدَ فِي حِفْظِ الطَّرُقَاتِ وَالْمَنَاهِلِ ، وَاسْتَنْهَضَ لِتَحْرِزِ عَلَيْهَا
مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِهَا غَيْرُ جَاهِلٍ ؛ وَتَحَفَّظَ مِنْ جَلَلٍ يَتَطَرَّقُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - عَلَى الْبِلَادِ
وَخَلَّلَ يَتَخَلَّلُهَا ، وَأَنْتَ لِهَذِهِ الْمَهْمَاتِ بِصَارِمٍ حَدٍّ تَسْلَمُ مَضَارِبُهُ مِنْ عَجْزِ يَفَلِّهَا ؛
وَلَا تُتَبَّقُ مِمَّا فِي إِتْفَازِ الْمُتَخَبِّرِينَ ، وَإِرْسَالِ مَنْ يُغَيِّرُ عَلَى بِلَادِ الْعُدُوِّ مِنَ الْخَلْبِيرِينَ ،
بِمَا [أَنْ] هَذِهِ سَبِيلُ الْمُتَدَرِّبِينَ ، وَأُلْزِمَ أَرْبَابَ الْحُدُودِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ حِرَاسَةَ
حُدُودِهِمْ ، وَخُدْمَهُمْ بِاسْتِنْفَادِ وَسْمِهِمْ فِي الْأَحْتِيَاظِ وَأَسْتِغْرَاجِ مَجْهُودِهِمْ ؛ وَطَالِعُ

بما يُورد قبلك ، وأنه ما يُزيح بُسرعة إجابتك عنه في الخدمة طلك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية المتراحية ، وهي :

خرج الأمر بكتب هذا المنشور وتضمينه : إن من أظهر خلاصة جوهره السبب ، وأرتفع في إشكائه بالإنصاف عن كل شاك الشك ، وحصل عنده [من] الخلال الزكية نظم لا يتحلل وعقد لا يتفك ، وأوفى على التقدير والظن في التدبير المفرج به عن الرعية الضنك - أستوجب أن تُسند إليه حمايتهم ، وتعمل إليه كلاءتهم .

ولما كنت أيها الأمير من أحمد عند تحز عزمه ، وتجريب نصلي حزمه ، واعتبار فصل مقالته ، واختيار أصل أصالته ؛ وشكر استمراره على الانصاف بمحض الولاء ، واستدراؤه أخلاف غرر الآلاء ، واستثاره أصناف جنى الثناء ، واستقراره أكاف وهبي الاعتناء ؛ ولم تزل في رفعتك وجيها ، وما برح جميل الرأي يديم بعنا لتحف الإحسان نحوك وتوجيها ؛ وما أنتكت مجاهدتك مجاهدة في مهام إقدام تنويعها ، وشجاعتك مانية على الكفار كل كفاح يلقون منه كلاً ثقيلًا ويوماً كريهاً ؛ - أودع هذا المنشور ما رسم من استخدامك في ولاية الأعمال المتراحية .

فباشرها معتمدا على تقوى الله سبحانه التي تقوى بها أسباب توفيقك وتناؤه ، وتسلم أمور مباشرتك من خلل يكدر استبشارك وينكدر . وأعتد المعدل على من تشتمل عليه هذه الولاية وتحمويه ، وبالبح فيما يزيل عنهم الحيف ويؤويه ؛ وأقصد ما يقضى لسرهم بالتأمين ، ويبأفهم من تحصين أوطانهم غاية التأميل . وأجعل أيدي المفسدين مكفوفة عن كآتهم ، ووجوه المعتدين مصروفة عن إخافتهم ؛

وتطلب الأشرار ، وتبَّع الدُّعَّار ؛ ومن ظفرت به منهم فلا تكُن عن التنكيل به ناكلاً ، ولا تُقصر في الحوطة عليه والمطالعة به عاجلاً . وعامل النائب في الحكم العزيز بإنهاضه ، وصون مديد باعه في تنفيذ الأحكام عن انقباضه ؛ وأعضده في إنفاذ قضاياه ، واختصاصه بكرام يقبل عليه مطلق مجاه . وشد من الضامن في استيلاء حقوق الديوان واستنطاقها على أحسن حال من غير خروج عن الضرائب المستقره ، وعوائد العدل المستقره . وتحرز أن يكون لناهضة العدو طروقاً إلى ناحيتك أو آتيا ، وشمر للتحفظ من مكائدهم تسميراً يزول عن حقيقته عارض الإرتياب ؛ ولا تُبق شيئاً يمكن لأدل ولايتك قواعد الأمانة منهم ، وتبتل لوقايتهم أذاهم تبتل من لا ينأ عنهم . وطالع بما يحتاج إلى علمه من جهتك إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية السمنودية ، وهى :

إن أولى من ولى الأعمال ، وتعلقت بكفائته الآمال ، وعُدت به المهمات ، وأُسندت إليه الولايات ، من نطقت بمعدته الألبسه ، وانتفت عن عين خبرته السنه ؛ وكان حسن السياسة لرعيته ، كثير العجارة مدة توليته ؛ شهما فى استخراج الحقوق من جهاتها ، صارماً فى ردع المجرمين عن زلات النفس وهفواتها ؛ حسنة سيرته ، خالصة مناصحته وسريته .

ولما كنت أياها الأمير فلان - أدام الله تأييدك وتسديدك ، وحراستك وتمهيدك - أنت المتوشح بهذه الصفات الحسان ، المتصّف بما تقدم من الشرح والبيان ؛ الذى نطقت شمائلك بشهامتك ، وشهدت مخايلك ببأهتك - خرج الأمر الفلانى بأن نتولى مدينة سمنود وضواحيها ، وما هو معروف بها ومنسوب إليها ؛ بشرط بسط

العَدْلُ وَنَشْرُهُ ، وَإِعْبَاقِ عَرَفِ الْحَقِّ وَنَشْرِهِ ؛ وَأَنْ تُخَفِّفَ الْوَطْأَةَ عَنْهُمْ وَتُفَعِّلَ مَا هُوَ
 أَوْلَى ، وَتَعْلَمَ أَنَّكَ تُسْأَلُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَى وَمِنَّا فِي الْأُولَى ؛ وَأَنْ تَصُونَ
 الرِّعَايَا وَتَجْتَلِبَ لَنَا أَدْعِيَتَهُمْ ، وَتَعَامِلَهُمْ بِمَا يُطِيبُ قُلُوبَهُمْ وَيُبَلِّغُهُمْ بُغْيَتَهُمْ ؛ حَتَّى
 يَتَسَاوَى فِي الْحَقِّ ضَعِيفُهُمْ وَقَوِيَّهُمْ ، وَرَشِيدُهُمْ وَعَوِيَّهُمْ ، وَمَلِيَّهُمْ وَدَنِيَّهُمْ ؛ وَأَنْ لَا تُقِيمَ
 الْحُدُودَ عَلَى مَنْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ إِلَّا بِمُقْتَضَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَالْعَدْلِ الْمُنِيفِ ؛ وَأَنْ
 تَسْتَدَّ مِنْ تُوَابِ الْحَكْمِ الْعَزِيزِ ، وَتُفَعِّلَ فِي ذَلِكَ فِعْلَ الْمَهْدَبِ ذِي التَّمْيِيزِ ؛ وَأَنْ تَحْسِرَ
 عَنْ سَاعِدِ الْإِجْتِهَادِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ اسْتِخْرَاجِ جَمِيعِ الْحَقُوقِ الدِّيَوَانِيَّةِ وَالْعِمَارَةِ ، وَتَجْعَلَ
 تَقْوَى اللَّهِ هِيَ الْبِطَانَةُ لَكَ وَالظَّهَارَةُ ؛ وَأَنْ تَبْدُلَ النَّهْضَةَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ ،
 وَتَحْصِيلِ الْغِلَالِ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ ؛ بِحَيْثُ لَا يَتَأَخَّرُ مِنْهَا الدَّرْهَمُ الْفَرْدُ وَلَا الْقَدْحُ
 الْوَاحِدُ ، وَتُفَعِّلَ فِي ذَلِكَ فِعْلَ الْمُشْفِقِ الْمَشْمُرِ الْجَاهِدِ ؛ وَأَنْ تُدِيمَ مَبَاشَرَتَكَ لِلْأَقْصَابِ
 فِي حَالِ بَرِّشِهَا وَزِرَاعَتِهَا وَتَرْبِيَتِهَا وَحَمَلِهَا ، وَاعْتِصَارِهَا وَطَبْخِهَا ، وَتَرْكِيَةِ أُمَّارِهَا ؛
 بِحَيْثُ لَا تَكُلُّ الْأَمْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا غَيْرَ ذِي ذِمَّةٍ بِمُقَرَّدِهِ ، وَلَا إِلَى مَنْ لَيْسَ
 بِذِي خِبْرَةٍ لَا يَعْلَمُ مُشَقِّقِ التَّصَرُّفِ مِنْ مُسْعِدِهِ . وَقَدْ جَعَلْنَا لَكَ النَّظَرَ عَلَى جَمِيعِ النَّوَاحِي
 الْجَارِيَةِ فِي دِيَوَانِنَا بِالْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ خَاصَّةً لِنَنْظُرَ فِي أَمْرِهَا ، وَتَرْجُرَ أَهْلَ الْجَنَائِيَّاتِ بِهَا ؛
 وَتُفَعِّلَ فِيهَا كُلَّ مَا يَجْمَدُ بِهِ الْأَثَرُ ، وَيَطِيبُ بِسَمَاعِهِ الْخَبَرَ .

فَتَقَلَّدْ مَا قَلَّدْتَ ، وَقُمْ حَقَّ الْقِيَامِ بِمَا إِلَيْهِ تُدْبِتُ ؛ وَأَعْمَلْ فِيهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكَ
 وَجَهْرِكَ ، وَقَدِّمِ الْخُوفَ مِنَ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ مَا تَأْتِيهِ أَوْ تَنْذُرُهُ مِنْ أَمْرِكَ ؛ وَتَسَلِّمَهُ
 شَاكِرًا لِمَا أَسَدَيْتَاهُ إِلَيْكَ ، مَتَمِّسًا بِمَا أَوْجَبْتَاهُ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّ الشُّكْرَ يُوجِبُ مَزِيدَكَ ،
 وَيُكَثِّرُ عَدِيدَكَ .



وهذه نسخة بولاية النستراوية، وهى :

من عادتنا فى التدبير وشميتنا، وسنتنا فى السياسة وسيرتنا، إسباغ المواهب والنعم، وتنقيل عبيدنا فى مراتب الخدم، أسيرشادا بأسلافنا الملوكة وأقدياء، وأستضاءة بانوارهم المشرقة وأهتداء .

ولما كنت أيها الأمير ممن عرفت بسائته، وأشهرت شجاعته وصرامته، وأستحق أن يلاحظ بعين الرتايه، وأن يشرف بالإرتضاء للتعويل عليه فى ولاية، رأينا - وبالله توفيقا - أستخدامك فى ولاية الأعمال النستراوية، ونخرج أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ذلك، وتضمينه ماتعمد عليه، وتنتهى إلى الممثل لك فيه .

فتقلد ماقلدته عاملا بتقوى الله فيما تُسرّه وتعلنه، معتمدا فيها غاية مايسطيعه المكلف ونهاية ما يمكنه؛ فالله تعالى يقول إرشادا للمؤمنين وتفهيمًا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . وساو بين القوى من هذه الولاية والضعيف، ولا تجعل فى الحق فرقا بين المشروف والشريف؛ وأمدد على كافتهم رواق السكون والأمنه، وأجرهم فى المعدلة على العادة الجميلة الحسنه؛ وأعمل فى إقامة الحدود على من تجب عليه ما يوجب كتاب الله الكريم، وتفضى به سنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم؛ وأدأب فى حفظ السبل والمسالك، وأجتهد فى ذلك الاجتهاد الذى يجب على أنظارك وأمثالك؛ ومتى ظفرت بمن يؤذى مسافرا، أو يخيف واردا أو صادرا؛ فطالع بحاله يُمثل لك فى التمثيل بما تعتمده، وتؤمر فى شأنه بما تنتهى

إليه وتقصده . وراعى المستخديمين على الحكم والدعوة فهما يتوليان ما يباغزازه يقوم
منار الإسلام ، وتجرى أمور الشريعة على أجمل وضع وأحسن نظام . وخذ
المستخديمين فى الأموال الديوانية بالاجتهاد فى العماره ، وحمل المعاملين على ما توجب
المعدلة والحرض على ما وفر الارتفاع ، وحماه من أسباب التفريط والضياح ؛
واستمضى الرجال المستخديمين معك فيما ترى نذبهم إليه ، واستنهاضهم فيه ؛ فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الإسكندرية ، وهى :

أهتامنا بما حاط ثغر الإسكندرية - حماه الله تعالى وحصنه ، ومنحه أتم حفظ
التفقد وأكمله وأجمل وضع التعهد وأحسنه ؛ وقوى سبب استقامة شؤونه وأنشأ
أموره ومكثه ، ومد ظل الدعة والسكون على كافة من تدبره وسكته ؛ وحفظ
عليه نظام النضاره ، وأماط عنه مكروه الأحوال الضاره ؛ وأنام أهله على مضجع
الأمن ومهاده ، وحكم بإحلام تجود الاتحاد على المصالح وإجلالهم عن وهاده ؛
وسمى سوام أموالهم من مشروب وزيد أجاج ومرعى نبت وخيم ، وحباهم من
رسوم الإحسان وعوائده مالا ينطق لسان على زوائده بترخيم ؛ وملا آمال الأعداء
عن التطرق إليه إخفاقاً ، ورد نصول سهام مكابدهم عنه على ما عهد من فضل الله
سبحانه أفاقاً - إذ كان من أجل الثغور الإسلامية أوزاراً ، وأسبقها إلى غاية
التفضيل آندارا ، وأكثرها بمن حواه من صدور الدين وأئمة المساميين آفتخارا ،
وأفضلها محلاً ولم يزل مفرع السفار من كل جهة رؤلاً وتجارا - أوجب أن تسند
ولايته ، وزد كلاءته ، إلى من يجرى فى التدبير على حكم سياسته المعلوم ؛ الحسنى

الأخذ بيد المظلوم ، ويقوم بحسن التفويض والإيمان ، ويعطى بدل السلامة من حقوق انتقامه عهدة الأمان ؛ ويسلك فيما يعدق به طريق السداد ويلزم نهجه ، ولا يمكن أن يكون له على غير الصواب معاج ولا عرجه ؛ ويأخذ في كل أحواله بوثائق الحزم ، ويحلل له أعماله الصالحة من متوى المنازل الرفيعة ما هو على غيره من الحرام الحزم .

ولما كان الأمير المعنى بهذا الوصف الواضح البيان ، المتكافئة في ذكر مناقبه شهادة السماع والعيان ؛ الكائى ما يناط به بقلب المعنى وطرف يقظان ، الحال من الورع فى اسمى مكان وأعلى مظان ؛ الجامع فى إقامة شرع الإخلاص بين الفرائض والسنة ، الموفية عزائم على مضارب المهتدة التى لا تقي منها ما نعات الجئن ؛ الفائح من نيته ما تؤثر صحاح الأبناء عن عليل نسيمة ، الجدير بما يرف إليه من عقائل جزيل الإنعام وجسيمه ؛ وقد أبان فى ولايته بمطابقته بين شدته ولينه ، وإقامة منار الإنصاف المعرب عن امتداد باعه فى الحرب وأقباض يمينه ؛ وإروائه كافة أهلها من تميم العون على أستباب الأمور ومعيته - خرج أمر الملك العادل بتقليده ولاية نجر الإسكندرية حماه الله تعالى والبحيرة .

فلتقلد ما قلده إياه ، وبيأشره منشرحاً صدره متهللاً بحياه ؛ ولتعمد على تقوى الله التى هى خير عتاد ، وأفضل ما أعتمد عليه فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهداد ؛ وهى نجاة أهل اليقين ، وفوز المتقين ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وليبالغ فى نشر راية العدل ومد جناحه ، وتعفية أذى الجور وأجتياحه ؛ وليشمل الصغير والكبير من أهل هذه الولاية برداء النصفه ، ويعاملهم بالجميل الموفى على

الصَّغْفَه ؛ وَيُقِمُّ الحُدُودَ عَلَىٰ مستوجبها ، وَيُنْتَهِي إلى الغاية في تجنب إضاعتها وتوقيها ؛
 وَلِيدُلُّ عَلَىٰ المفسدين عينَ من يتتبع وقوعهم في قبضته ويتطلب ، ويقابل كلاً منهم
 بما يرى متعقبا بإيماض برق المعاقبة غير خلب ؛ ولا يبق مُمَكِّنا في التنقيب على
 مرتكبي الآثام ، والمرتكبين على سفك الدم الحرام ؛ وَمَنْ ظَفِرَ به منهم فليحكم فيه
 سباً ظفر الانتقام ونابه ، ويقابله من الردع بما يؤمن من معاودة عادات التعدي
 على كل حقيرونابه . وليجر على عادته فيما يسير عنه أحسن السمع ، ويشهد له بالتزهر
 عن خبيث الطعنة وقبيح الظمعه . ويشد من القاضي متولى الحكم فيما يصدره
 ويورده ، ويحلله ويعقده ، ويمضيه من الأحكام الشرعية ، ويعتمده في القضايا بما
 لديه من الألفية . ويعاضد المستخدمين في الأموال معاودة ثمره ، وتمي الأرتفاع
 وتوقره ، وتعود على الديوان بالحظ الوافي ، وتغرب عن كونه بمنزل هذه الولاية نعم
 الكفء الكافي . ويعامل التجار على تباين بلدانهم ، واختلاف ألسنتهم وألوانهم ،
 معاملة يجمل أثرها ويحسن ؛ ويتلقهم ببشر وطلاقة تنطق بشكر أستبشارهم بها
 الألسن ؛ ويحفظهم في أنفسهم وبضائعهم ، ويستفيد الوسع في دفع مضارهم
 وروائعهم . ويعتمد بعث رجاله على الاستعداد للجهاد ، والتأهب لِقراع الأضداد .
 وينتهى إلى الغاية فيما يزيل منهم اعتذاراً ويزيح اعتلالاً ، ويوجب لهم الاقتدار على
 مكافحة عدو إن طرق الثغر والعياذ بالله تعالى .



وهذه نسخة بولاية برقة ، وهي :

من حق الأطراف المتناهية في بُعد أقطارها ، والبلاد الشاسعة عن نواء المملكة
 ومحل استقرارها ، التي انتظمت في سلك أعمال المملكة الناصرية وأنخرطت ،

وَأَسْتَدْرَكْتُ مِمْدَانَهَا لِمَنْ حَوَتْهُ فَرَاثَتِ الْفَوَائِدِ الَّتِي سَلَفَتْ وَفَرَطْتُ - أَنْ يُدِيمَ أَكْبَدُ
الْإِهْتِمَامَ لَهَا التَّحْصِينَ وَالتَّحْسِينَ ، وَلَا يُغَيِّبُ أَهْلَهَا مَا يَغْشَاهُمْ مِنَ الْمَلَا حَقَّاتِ مُضْهِبِينَ
وَمُؤْمِسِينَ ؛ وَتُرْجَى لَهَا سَعَابُ كَرَمِ التَّعْهُدِ عَهَادِهِ غَدَقًا ، وَيُعْمَلُ الْأَوْلِيَاءُ فِي حَيَاطَتِهَا
مِنَ الْعُمُودِ أَلْسِنَةً وَيُذْكَرُونَ دُونَهَا مِنَ الْقَنَاءِ حَدَقًا ؛ وَيَفْوُضُ أُمُورَهُمْ إِلَى مَنْ تَخِفُ
عَلَى يَدِهِ كَلْفَتَهُمْ ، وَتَجْتَمِعُ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ الْفُتُومُ ؛ وَيَشْتَمِلُ مِنْ عِنَايَتِهِ عَلَيْهِمْ أَشْتِمَالَ
الصَّدْفَةِ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَتَنْبِلُهُمْ مَهَابَتُهُ مِنْ كَفِّ عَدُوِّ الْعِدَا كُلِّ مُؤَثَّرٍ مَطْلُوبٍ .

وَمَا كُنْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنْ أَمِيرٍ سَالِكِي هَذِهِ الطَّرَائِقِ ، وَأَمْتِلِ قُرْسَانَ الْحُرُوبِ
وَحِمَاةَ الْحَقِّينِ ؛ وَأَشْتَجِعِ الْمُجَاهِدِينَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، وَأَجْبِرِهِمْ عَلَى إِصْلَاءِ الشَّرِكِ
ضِرَامَ فَيْكِ لَا يُخْشَى إِصْلَادُ زَنَادِهِ ؛ وَلِكِ السِّيَاسَةِ الَّتِي تُرْتَّبُ بَيْنَ الْأَسْوَدِ وَالطُّبَاءِ
أَصْطَحَابًا ، وَالْمَخَالِصَةِ الَّتِي لَا تُنَابِحِي إِذَا وُصِفَتْ بِالْتغَالَى فِيهَا وَلَا تُحَابِي - نَخْرَجُ أَمْرَ
الْمَلِكِ الْعَادِلِ بِكُتُبِ هَذَا الْمَنْشُورِ لَكَ بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَلَايَتِهِ وَإِقْطَاعِهِ : وَهُوَ بَرَقَةٌ
بِجَمِيعِ أَعْمَالِهَا وَحُقُوقِهَا : مِنَ الْعَقَبَةِ الصَّغِيرَى وَإِلَى آخِرِ حُدُودِهَا ، وَبِمَا أَمَرَ بِهِ كَافَّةً
الْعُرَبَانَ الْمُقِيمِينَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ، وَجَمِيعِ أَهْلِهَا مِنْ حَاضِرٍ وَبَادٍ : مِنَ الْإِعْلَانِ لَكَ بِشِعَارِ
الطَّاعَةِ ، وَصَوْنِ مَا يَلْزِمُهُمْ أَدَاؤُهُ إِلَيْكَ مِنْ فُرُوضِ النُّصْحِ عَنِ الْإِضَاعَةِ ؛ وَأَنْ يَبْدُلُوا
فِي مَوَافِقَتِكَ غَايَةَ الْأَجْتِهَادِ ، وَيَعْتَمِدُوا مِنْ أَمْتِنَالِ مَرَا سِمِكَ أَحْسَنَ اعْتِمَادٍ ؛ وَيَحْدَرُوا
مِنَ الْعُدُولِ عَنِ أَمْرِكَ ، وَيَجْتَنِبُوا مَخَالَفَةَ نَهْيِكَ وَرَزَجْرِكَ .

فَاسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ التَّقْوَى الْفَائِزِ مِنْ يَعْتَصِمُ بِهِ وَيَتَعَلَّقُ ، وَاسْتَشْعِرْ مِنْ خَيْفَةِ اللَّهِ
مَا يُشْرِقُ لِأَجَلِهِ عَلَيْكَ نُورُ الرِّضْوَانِ وَيَتَأَلَّقُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمَكُونِ :
(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) . وَعَامِلٌ أَهْلَ هَذِهِ الْوَلَايَةِ بِالْإِنْصَافِ ،
وَلِيَّاكَ وَمَكْرَهُهُ الْعُدُولِ عَنِ مَحْجَةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْخِرَافِ ؛ وَتَوَقَّ الْعَسْفَ بِهِمْ وَالْحَيْفَ

عليهم ، وأجذب الترخيص لأصحابك في مد يد أحد منهم بعدوان إليهم ؛ وسرفيهم
سيرة ترؤف بهم وترؤف ، وجانب سبيل من تقوم عنده أسواق أختلاق المتخزصين
وتشفق ؛ ولا تخرج في تدبير الأمور عن قانون الشريعة ، ولا تجعل لك إلى فوز الآخرة
عن تقديم العمل الصالح من ذريعه . وغل عنهم أيدي حاضري المفسدين وبإديهم ،
وأيهم بالمهابة عن إصرارهم على المنكرات وتماديهم ؛ وكل بهم عزما رادعا لهم
وازيئا ، ونكل بمن ظفرت به منهم تنجيلا يزجر من يظل ببحر الضلال نازعا . وشد
من خلفاء الحكم العزيز في تنفيذ قضاياه ، وخصهم من الكرامة بما تقتضيه إقامة
مناره وإنارة مزاياه . وأعتمد ما يعيد الحقائق بوجوه ناضره ، ويرد الأباطيل
بصفقة خاسره . وراع أمور التجار والحجاج مراعاة تشملهم في السفر والإقامة ،
وتحميمهم من تطرق استهانة إلى أحد منهم وأستضامه ؛ وطالع بما يتجدد من أحوال
خدمتك ، وما يحتاج إلى علمه من جهتك ؛ إن شاء الله عز وجل .



وهذه نسخة بولاية الفرما ، وهي :

نحن لما ضاعفه الله لدينا من إحسانه وأجزله ، وعدقه بنا من تدبير أمور الخلق
وأسنده إلينا ووكله ، نعمد عبيدنا بتوفير الرعاية لهم والإكرام ، ونحافظ على ما يغممهم
من شامل الإفضال وسابغ الإنعام ؛ فنقدم للخدم من خطبها بخلوص طاعته ، ونزهل
للرتب من أبانت شيمه عن خبرته ومناصحته .

ولما كنت أيها الأمير ممن ظهرت مشايعته ومولاته ، وحسنت في مكافئة
الأعداء مشاهدته ومقاماته ، ووضحت في أفعاله دلائل الذصح وبانت عليه سيمائه ؛
ولك مساع مشكوره ، ومواقف مشهوره ، ومقاصد هي من ما شرك معدودة

وفي فضائلك مذكوره؛ رأينا - وبالله توفيقنا - استخدامك في ولاية الفرما والحفار :^(١)
سكوناً إلى رضا مذهبك ، وثقة بانتظام الحال فيما يُردُّ إليك ويُسأط بك ؛ وخرج
أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الولاية المذكورة وتضمينه
مانامر به وترسيمه ، مما يهديك إلى الصواب فتتمسك به وتعكف عليه وتلزمه .

فتقلد ما قلده شاكراً على هذه النعمى ، عاملاً بطاعة الله تعالى ومراقبته في السر
والنجوى ؛ وأعدّها زاداً إلى الآخرة تطمئن به القلوب وتقوى ، قال الله عز من
قائل في كتابه : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ . واعتمد في أهل هذه الولاية
نصفه نعمهم ومعدله ، وسنهم سياسة تكون لسنة الخير مؤكدة لسنة الجور
مبدله . ومائيل في الحق بين قوتهم وضعيفهم ، ولا تجعل مزية في الواجب
لشريفهم على مشروفهم ؛ وانتصف للظالم من المعتدى الظالم ، وأعمل بالكتاب
والسنة في الحدود التي تُقيمها على ذوى الجرائر والجرائم ؛ وانتصب لحفظ
الطُرقات ، وصون الصادقين والواردين في جميع الأوقات ؛ ونكل بمن تظفر به من
المفسدين ، وأجعله عظة لأمثاله من الظالمين والمعتدين ؛ وعايد النائب في الحكم
العزیز معاضدة تقضى بإعزاز الجانب ، وساعده مساعدة تنفذ بها أحكامه على قضية
الواجب ؛ وكذلك متولى الدعوة الهادية فهي مضباح الزمان ، وبإشادة ذكرك تقوى
دعائم الإيمان ؛ فاجتهد في تمييز متولّيها وإكرامه ، وبلغه في ذلك غاية مطلوبه
ومرامه . وتوقر على الشد من المستخدمين في الأموال ؛ وراع [ما يحسن] لدينا فيما
تنظر فيه من الأعمال ؛ وأحرص على ما عاد بوفور ارتفاعها ، وأجر أحوالها على أفضل
رُسومها وأوضاعها ؛ بحيث يكون العدل منبسطة منبتاً ، والحيف منحسماً مستأصلاً
مجتنباً ؛ وأجمل صحبة الرجال المستخدمين معك ، وأحسن معاشرتهم مع مطالبتهم بملازمة

(١) كانت عدة قرى ومن مدنها العريش والوزادة وريح وقلية وفس والزعفا . انظر معجم البلدان .

الخدمه، وأستنهاضهم في الأمور الشاقّة المهمّة؛ فاعلم هذا وأعمل به، وطالع بما تحتاج إلى المطالعة به؛ إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة بولاية عسقلان، وهي:

من شيمنا التي غدّت للصالح ضوا من، وعلت فكلّ متطاول عندها متطامن؛ وهمينا الكافلة [للرعية] بما يُقرّ عيوننا، والقاضية للخاصة والعامة بما يوجب طمأنينتها وسكونها؛ أنعمنا النظر فيما ترعاها به ونسوسها، وأعملنا الفكر فيما يستقيم به أمرها ويزول معه بؤسها؛ فيقف [بنا] الاجتهاد في ذلك على حجة الصواب التي لا ضلال في سلوكها، ويُفضى منا الحرص إلى غاية لم يبلغها أحد من مدبري الدول وملوكها؛ فننتخب لخطير الخدم من كان قسوما بها مستقلا بأصارها، ونتجب بلليل الربّ الأعيان من أمراء دولتنا وأنصارها؛ حفظا لما أستحفظناه من أمور العباد والبلاد، ورفعاً لعماد الصلاح وحسنا لمواد الفساد.

ولما كنت أيها الأمير من الأولياء الذين صفت في المخالصة ضمائرهم، وحسنت في الطاعة عقائدهم وسرائرهم؛ ونالوا من نبيه الحظ ما أطنب الواصف فيما يذكره منه ويرويّه، وأحمدوا المناصحة فيما رَقُوا فيه من درج التنويه؛ وقد استكفيت مهمات من الخدم فكفيت همّها وخففت ثقلها؛ وأهلت لولايات سنية فعملت كآها، وكنت مستحقا لها وأهلها؛ فلك موات حميدة من حسن المقاصد ومشكور المساعي، وحرّمت أكيدة ظلت على أصطفائك من أوقى البواعث وأقوى الدواعي؛ وكانت مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - تفر الإسلام الذي لا تغرله في الشام سواه، والرباط الذي من كان به فقد نال الثواب الجزيل وأحرزه وحواه؛ وهو في عيون الكفار - خذلهم الله - نُكته؛ وأسباب طمعهم فيه منقطعة بحماماته منبته؛ ونحن

تُوَفِّرْ أَهْتَامَنَا عَلَيْهِ رَعَايَةً لِمَكَانِهِ الْمَكِينِ ، وَنَتَّصِي الكُفَاةَ لِتَوَلَّيْهِ تَوْصِيلاً إِلَى النَّكَايَةِ
فِي الْمَشْرُكِينَ ؛ وَهُوَ مَعْقِلٌ لِلْسَّامِنِ الْمُجَاهِدِينَ وَرِدِّ ، وَجُجَاوِرِهِ قَوْمِ لُدِّ ، وَأَمْرُهُمْ
أَمْرٌ إِذْ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يُرْتَادَ لَضَبْطِهِ النَّدْبُ الَّذِي لَا تُهْتَبَلُ غِرَّتُهُ ، وَيُسَامَ لِحَفْظِهِ
الْعَضْبُ الَّذِي لَا تُسْقَى ضَرْبَتُهُ ؛ وَيُخْتَارُ لَصَوْنِهِ الشَّهْمُ الَّذِي تَقِفُ عَلَى الْمَصَالِحِ
هَمَّتُهُ ، وَتَنْفُذُ فِيهَا عَزْمَتُهُ ؛

وَحِينَ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِيكَ مَوْجُودَةً ، وَظَلَّتْ مَحْسُوبَةً مِنْ خِلَالِكَ
مَعْدُودَةً ؛ رَأَيْنَا - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُنَا - مَا نَحْرَجُ بِهِ أَمْرُنَا إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْسَاءِ مِنْ كَتَبِ
هَذَا السِّجْلِ بِتَقْلِيدِكَ وَوَلَايَةِ هَذَا الثَّغْرِ وَضَوَائِحِهِ ، وَعَمَلِهِ وَنَوَاحِيهِ ؛ ثَقَّةً بِمَشْهُورِ
مَضَائِكِ ، وَعَالِمًا بِبَارَائِكَ عَلَى نَظَائِكَ .

فَتَنَلِّدْ هَذِهِ الْخِدْمَةَ عَارِفًا قَدْرَ مَاخُولَتِ مِنْهَا ، وَعَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَخَيْفَتِهِ فِي جَمِيعِ
مَا تَأْمُرُ بِهِ وَتَنْهَى ؛ فَإِنْ تَقَوَّاهِ الْجُنَّةَ الْوَاقِيَةَ ، وَإِنْ خَيْفَتَهُ الذَّخِيرَةَ الْبَاقِيَةَ ؛ وَقَدْ وَعَدَ
اللَّهُ الْمُتَّقِينَ بِتَيْسِيرِ الْأُمُورِ ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَإِعْظَامِ الْأُجُورِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :
(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) . ثُمَّ قَالَ : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ فِي جَمِيعِ مَنْ يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ عَمَلُكَ ،
وَيَجْرِي عَلَيْهِ تَوَلِّيكَ وَنَظْرُكَ ؛ وَسَاوِ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِيِّ ، وَمَائِلِ فِي الْحُكْمِ
بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْقَاصِيِّ ؛ وَإِذَا ثَبَتَ عَلَى شَرِيفِ حَقِّ فَلَا تُحَايِهِ لِرُتْبَتِهِ ، وَإِذَا ثَبَتَ
لَوْضِعِ بَخْذِهِ مِمَّنْ لَزِمَهُ وَأَسْتَقَرَّ فِي جِهَتِهِ .

وَأَعْتَمِدْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا يَسْتَنْطِقُ بِالنِّسَاءِ عَلَيْكَ أَلْسِنَةَ
الْمَادِحِينَ ، وَيَنْظُمُكَ فِيْمَنْ عَنَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) فِي الْقَامُوسِ وَفِيهِ «أَنْتَصَيْتُ» أَيْ بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ «الرَّجُلُ أَخْرَتَهُ» فَتَبَهُ .

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ .

وأقيم الحدود على من لزمته بما أمر الله به إقامة [تجربى بها] تجرباتها ، وتوق الزيادة فيها والنقص توقي من يتمثل المجازاة كأنه يراها . وهذا الثغر لمحله وسمو مقداره ، وقرب العدو منه ودنو داره ؛ لا يقنع له بمركبته ، ولا يكتفى في حقه بمرايئته وقراريته ؛ فنحن نسير إليه العساكر المظفرة دفعتين في كل سنة على حكم البدل : فيرده عسكراً جديداً مزاح العلة ، كثيف العدة ، وافر العدة ؛ يؤثر أن يظهر أثره ، ويحافظ على ما يطيب به ذكره وخبره ؛ فبث السرايا وشن الغارات ، وضيق على العدو فسيح النواحي والجهات ؛ وجهز إليه من يخيفه في مآمنه ، وأبعث عليه من يطرقه في أحرز أمانه ؛ وأنذب من يطالعك بخفي أخباره ، ويظهر لك باطن أموره ومستور أسراره : لتتمز فيه الفرصة إذا لاحت عمالها ، وتبادر الغفلة منه إذا ظهرت دلائلها . وأجعل للتطوعين من الكفائيين نصيباً من ثواب الجهاد ، وأحملهم على است فراغ الوسع بغاية الحرص والاجتهاد ؛ وأفعل في هذا الباب ما تتضاعف به مواد الأجر ، وتتسخ به الأوزار كما يتسخ الظلام بضياء الفجر ؛ وأعضد متولى الحكم العزيز عضداً يعلى أمره ، ويسد أزره ؛ ويحرس نظامه ، وينفذ قضاياه وأحكامه ؛ وكذلك متولى الدعوة الهادية - بثما الله تعالى - فاعتمده بما يشرح صدره فيما يوصحه للمؤمنين ، ويهدى به المستجيبين والمتدينين ؛ ووفر موقراً اهتمامك على مرافدة من يتولى أمر المال وما يجرى في الخاص لتبدير أخلاقه ، ويزكو ارتفاعه ، وتغزر مادته ، ويتوفر مستخرجه ؛ ويحتمى من خيانه وتحيف ، ويسلم استيادته من تريت وتوقف . وأستنهض الرجال المستخدمين في الأمور السوانح ، وصرفهم فيما ترى تصرفهم عليه من أسباب المنافع والمصالح ؛ وأستمطر

الإحسان لمن أحمَدت طريقته ، وقوم بالتأديب من ذممت فعله وكرهت سيرته ؛
فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما يُحتاج إلى المطالعة بمثله ؛ إن شاء الله عز وجل .



ومن المكتتب بالوظائف الديوانية من هذه المرتبة نسخة توقيع بنظر
الدواوين ، وهى :

أحق الأعمال بأن يُنعم فيها النظر الشافى ، ويُندب لحمل عبئها الأمين الكافى ،
ويُحال النظر فى تقليدها للقيم بأمرها ، ويعمل الرأى لأرتياد القوى على ضبطها
وحصرها ، ما كان منها جامعاً لمصالح الدولة ، حائزاً لمهام الملكة : وهى أعمال
الديوان ، والنظر فى حفظ وجوه الأموال وما يُعين على آسئتها ، ويعود بالزيادة
فى أصول أبوابها ؛ إذ كان ذلك ملاك الأمور ، وزمام التدبير فى حفظ الجمهور ،
والمعونة العظمى على الاستكثار من الرجال الذين بهم يتم حفظ البلاد وحماية الثغور .

ولما سلطنا البحث على استصلاح من نؤهله لهذه المنزلة ، واستخلاص من نُحله
بهذه المرتبة ، أذانا الاختبار والانتقاد ، وأنهى بنا الاعتيام والأرتياد ؛ إلى اختيار
الشيخ فلان : حين سَفرت له النباهة فى الكفاية ، والوجاهة فى الخبرة والدراية ؛
وجب ... (١) ... على اختصاصه بالفضل الذى تحلى بأدبه ، والعفاف الذى أشتهر من
مذهبه ؛ من انحصال الحميدة ، والخلال الرشيدة ؛ والفضائل الموروثة والمكتسبة ،
والخلائق المتفقاة المهذبة ؛ ورأينا أهلاً لإحلال هذه المكانة ، وعدلاً قيماً باحتمال
هذه الأمانة ؛ وعلمنا أن الصنعة عنده زاكية المغارس ، والنعمة المفاضة عليه
ضايفة الملابس ؛ فقلدناه أمر الديوان بحلب وما معها من البلاد المضافة إليها

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

والداخلية في حكمها : قاصي ذلك ودانيه ، وأواسطه وحواشيه ؛ مقدمين الاستخارة فيما يُبديه من قول ، ونعزم عليه من فعل .

وأمرناه أن يستشير تقوى الله سبحانه فإنها الجئنة الواقية ، والذخيرة النافعة الباقية ؛ ويعتاق أسبابها فإنها المنجية من المهالك ، الهادية إلى السبيل الواضحة إذا اشتبهت المسالك ؛ محققا ما توهمناه فيه من تخاليل الأوصال ، ودلائل الجزالة ؛ مصدقا ما استلمه حناه من كفايته وغنائه ، وأستوضحناه من أستقلاله وأستقصائه . وأن يبدأ فيرتب في كل معاملة أمينا من الثقات الكفاه ، مشهودا له بالنهضة والأمانة المستوفاه . وأن يزم الأعمال القاصية والدانية ، والبلاد القريبة والنائية ؛ بالضبط المستقصى ، والحفظ المستوفي ؛ وبمن يرتبه عليها من الكتاب الأمانة ، ويستصلحه لها من الحفظة النصحاء . ويتبع حال من بها من الثواب : فمن شهدت له التجربة بالكفاية ، ودل الاختبار منه على العفة والأمانة ، أستدامه في خدمه المتوسطة به ، وطالع من حاله بما يقضى له حسن النظر بحسبه ؛ ومن ألقاه متنجبا سبيل الأمانة ، مقارفا طريق العجز والخيانة ، بادر إلى الاستبدال به ، وعجل قطع ما بينه من الخدمة وبين سببه . وأن يسترفع البواقى من الأموال ، في سائر الجهات والأعمال ، إلى آخر التاريخ الذي تليه مباشرته ، ويتصل بأخره مبدأ نظره وفتحته ؛ موشحة أوراق ذلك بخطوط الأمانة ، مفصلة جهاته بأسماء المعاملين والضماناء ؛ حتى إذا حلت إليه ، وصارت حجة على رافعها في يديه ؛ طالبه بموافقة من هو في ذمته ، وتقدم بعد تصديقه على ذلك بمضايقته بعد المطالعة بجلى الحال وحقيقته . ثم يسترفع من مستوفى الديوان وعماله شروط الضمان ورسومهم ، وقواعدهم في الضمان وعوائدهم ؛ ليكون علم ذلك عنده مبينا ، ووقت مَسَّاس^(١) الحاجة إليه حاضرا . ويطلب بجراند الضياع خاصها ومقطعيها المشتملة على ذكر رسومها وحقوقها ؛ وعدد فُدُنْها

(١) الأول بل الصواب مسيس الحاجة .

ومقاييسها . وجرائد الخسراج اللازم لأرباب الأملاك على أملاكهم ، وتحقيق المصفوح عنه والمسامح به والباقي على الأداء فى جهته . وجرائد الجزية مفصلة فى نواحيها ، وأسماء أربابها إلى حين رفعها - وأن يطالب نواب الجزية فى كل شهر بختمه تتضمن ذكر مصارف ما يحول إليهم ، وإقامة وجوه المال الذى جمع عليهم ؛ مفصلة مميزة الإبتاعات عن الإطلاقات ، والضياقات عن السفرات والإصطبلات ؛ وكذلك نواب الأهرام يسترفع منهم مايدل على مثل ذلك ، وسائر المتولين فى سائر الخدم يطالبهم بهذه المطالبه ، ويضيق عليهم فى مثل ذلك سبيل المغالطة والمواربه ؛ ويجعل مؤاخذتهم بذلك من الأمور الراتبه ، والوظائف اللازمه الواجبه ؛ حتى يتبين له الكافى من العاجز ، والأمين من الخائن .

وليتأمل وجوه الإخراجات ، ومبلغ الإطلاقات والإدراجات ؛ ويسترفعه من مظانه مفصلاً بجهاته ، منسوباً إلى أربابه ؛ ويتقدم بكتب مؤامرة جامعه لذلك التفصيل ، دالة على المقدار المطلق فى كل سنة محكم النظر الدقيق دون الجليل ؛ وليعتمد فى إطلاق ما يطلق منها على سبيل ما يوقع به عند ذلك ، وليكن هذا من الأمور الجارية على العادة والرسم ، ويلزمه كل من نواب الديوان .



ومن المكتتب منها بالوظائف الدينية نسخة تقليد بولاية الحسبة ، من إنشاء الوزير ضياء الدين بن الأمير ، وهى :

((وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) .

هذا أمرٌ يستعملُ على معنى الخُصوص دونَ العموم ، ولا يختصُّ به إلا ذُوو الأوامر المُطاعة أو ذُوو العُلوم ؛ وقد منحنا اللهُ هذين الوصفين كليهما ، وجعلنا من المستخلفين عليهما .

فلنبداً أولاً بحمده الذي هو سبب للزَّيد ، ثم لناخذُ في القيام بأمره الذي هو على كلِّ نفسٍ منه رقيبٌ عتيدٌ ؛ ولا ريب أن إصلاح العباد يسرى إلى الأرض حتى تزكو بطونها ، وتتمو عيونها ، ويسترك في بركات السماء ساكنها ومسكونها ؛ والأمرُ بذلك حمل إن لم تتوزعه الأَكُفُّ ثقل على الرقاب ، وإذا أنتشرت أطراف البلاد فإنها تفتقر إلى مساعدةٍ من مستنيبٍ ومستناب ؛ وقد اخترنا لمدينة كذا رجلاً لم نال في اختياره جهداً ، وقدمنا فيه خيرة الله التي إذا صدقت نيَّتها صادقت رُشداً ؛ وهو أنت أيها الشيخ فلان .

فابسط يدك [بقوة^(١)] إلى أخذ هذا الكتاب ، وكُنْ حسنةً من حسناتنا التي ثمَّ يرجح بها ميزانُ الثواب ، وحقق نظراً فيك فإنه من نور الله الذي ليس دونه من حجاب .

وأعلم أن أمر الشريعة مبنى على التيسير لا على التعسير ؛ ولا يضعُ اللسان موضع السوط إلا من أوتي زيادةً في التفسير ؛ وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مندوحة لمن لزمها ، وهي هدى لمن عمل بها ونور لمن علمها ؛ ويكفي من ذلك قصة الأعرابي الذي أتى حاجته في المسجد فسارع الناس إليه ، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إِيْمَا بُعِثْتُمْ مَيْسِرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعْسِرِينَ ، ثُمَّ دَعَا بِذُنُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا آخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُوضَعْ لشيءٍ من هذا وإنما وُضِعَتْ للصلاة وقراءة القرآن » .

(١) الزيادة من "المثل السائر" ص ٤١٦ .

فانظر إلى هذا الرفق النبوى الذى شفى وكفى، وعفى على أثر المعصية لمآ عفا، ولو عاد ذلك الأعرابى لمثلها لثقل عن لين التهذيب، إلى شدة التاديب، وكذلك فكن أنت فى الرفق الذى حدثت عنه، ومن عاد فينتقم الله منه.

ونحن نأمرك أن تحتسب أولاً بلبين القول لا بالألف [و] النكير، وأن تترفق فى الموعظة التى هى طريق إلى الخشية والتذكير، وأن لا تكون باحتسابك مديلاً بأنك على الصراط المستقيم، وأن الناس بين يديك على سنن التثقيف والتقويم، فإن من أكبر الذنوب ذنب الإعجاب، والأولى لك حينئذ أن تعود على نفسك بالاحتساب^(١)، ومن أدبك وأدب أمثالك أن يقف فى أمره بالمعروف مع التقوى لامع هواه، وأن لا يفرق فى إزالة المعصية أن تكون بيده أو بيد أحد سواه، وإذا كنت كذلك قرئك الله بمن أنزل السكينة على لسانه ويده، وقوم له أود الناس لتقويم أوده، والله ينظر إلى قلب ابن آدم لا إلى عمله ولا إلى جسده. وعليك بالمجاهدين الذين سلب عنهم ثوب العافية، ومن آخفتك منك بالاستتار فلا تكشف عن حاله الخافية. وأما ذوو الهيئات فإن عثراتهم تُقال، وأعراضهم لا تُدال، ولربما كان التجاوز عنهم داعياً إلى الانتقال، وفى قصة أبى محجن وسعد ما ينبئك أن الحياء أغنى فى الإزدجار، وفى الناس أذنب لا قدر لها تدب عنه ورءوس تدب عما لها من الأقدار. وهاهنا من ضروريات الوصايا ما يؤتى فى مثله بتوكيد الأقوال، وأكثر ذلك يدور فى المعاملات التى ألفها قوم دون قوم، وأستمروا عليها يوماً دون يوم، وقد أتى منها ما اتفق على العمل به كل فريق، وأيسر ذلك إزالة النخامة من المسجد وإماطة الأذى عن الطريق.

(١) فى القاموس أحسب عليه أنكرومه المحتسب.

وهذه الوصايا كلها لا تفتقر فيها إلى التوقيف ، وأنت عالمٌ بوضع كلِّها في موضعه
وغيرك الذي يتعدى إلى التحريف ؛ فامض على السنن ، وأت بالحسن ؛ وسوِّ بين
حالتيك في السرِّ والعلن ، وكن من خوف الله ورجائه بين رحلة سفرٍ وقرارة وطن .
وهذا عهدنا إليك تتقمص اليوم منه رداء جميلاً ، وستحمل غداً منه عبئاً ثقيلاً ؛
وقد فرضنا لك عن حقِّ سعيك فريضةً تجدُّ بها كفافاً ، وتمنعك أن تمدَّ عينيك إلى
غيرها استشرافاً ، فإنَّ العمل الذي توليته يستغرق أوقانتك أن تكون للدنيا كاسبه ،
وتسغل نفسك بالعمل والنصب لا أن تكون عاملةً ناصبه . وإذا نظرت إلى ما يبط
بك وجدته قد استحصى الزمن أو كاد ، وأنت فيه بمنزلة الباني وقواعده :
« وكلُّ بناء على قدر بانيه وما شاد » . ونحن نأمرُ ولاتسا على اختلاف مراتبهم
أن يرفعوا من قدرك ، ويسدِّدوا من أمرك ، وإذا استوعر عليك أمرٌ من
الجوانب سهلوا من وعرك ؛ والله قد أمر أهل طاعته بأن يكون بعضهم لبعض
من الأعوان ، فقال جل وتعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

الحالة الرابعة

(مما يُكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات ما عليه مصطلح كُتُب الزمان
بديوان الإنشاء بالديار المصرية مما يُكتب عن السلطان لأرباب السيوف
والأقلام وغيرهم من التقاليد والمراسيم والتفاويض والتواقيع ،
على ما سأتى بيانه ، وفيه [ثلاثة] مقاصد)

المقصد الأول

(فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيعان)

المهيع الأول

(فى بيان رجوع هذه الولايات إلى الطريق الشرعى)

قد تقدم فى أول الكلام على العهد أن السلطنة فى زماننا دائرة بين إمارة
الإستلاء : وهى أن يقلده الخليفة الإمارة على بلاد ويُفوض إليه تديرها فيستولى
عليها بالقوة ، وبين وزارة التفويض : وهى أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه
تدير الأمور برأيه وفصلها على أجهاده ، وأنها بإمارة الإستلاء أشبه ، على ما تقدم
بيانه هناك . وقد صرح الماوردى فى "الأحكام السلطانية" أنه إذا كَلَّ فى المستولى
على الأمر بالقوة بعد تولية الخليفة له مع أشتماله على الصفات المعترية فى المولى
فى الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة الإسلام ، والحرية ، والأمانة ، وصدق
اللّهجة ، وقسلة الطمع ، والسلامة من الميل مع الهوى ، والبراءة من الشحنة ،
والذكاء ، والفطنة - جازله ما يجوز لخليفة من تولية وزارة التفويض وغيرها من
سائر النيابات ، وجرى على من استوزره أو استنابه أحكام من استوزره الخليفة

(١) بياض بالأصل والتصحيح من الآتى .

أو أستتابه ؛ وإن لم يستكمل الصفات المعتبرة في الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة ،
أستتاب له الخليفة لكل ولاية من تتكامل فيه شروطها .

قلت : وقد كانت ملوك بني بويه وبنو سلجوق مع غلبتهم على أمر الخلفاء
ببغداد وأستيلاهم يقتصرون في تصرفهم على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف
في الأموال ، ويكون أمر الولايات إلى الخليفة يسأئرها بنفسه ، وتكتب عنه
العهود والتقاليد على ما تشهد به نسخها الموجودة من إنشاء الصابي وغيره . وكذلك
الخلفاء الفاطميون بمصر عند غلبة وزراءهم على الأمر من لدن خلافة المستنصر
وإلى آقراض خلافتهم من الديار المصرية ، كالصالح طلائع بن رزيك^(١) في وزارته
للفائز والعاقد ، ونحو ذلك : فإن الخليفة هو الذي كانت الولايات تصدر عنه
تارة بإشارة الوزير ، وتارة بغير إشارته ، على ما تشهد به نسخ السجلات المكتتبة
في دولتهم ، على ما تقدم بيانه في الفصل الأول من هذا الباب . على أن أصحابنا
الشافعية وغيرهم من أئمة الفقهاء - رحمهم الله - قد صححوا الإمامة بغلبة الشوكة
والاستيلاء على الأمر بالقهر دون استكمال شروط الإمامة ، تصحيحاً للأحكام
الشرعية الصادرة عن المستولي بالشوكة : من العقود والفسوخ وإقامة الحدود
وغيرها ، على ما هو مذكور في باب الإمامة . وحينئذ فتكون جميع الولايات الصادرة
عن السلطان صحيحة شرعاً وإن لم يستنبه عنه الخليفة ؛ وكذلك ما يرتب عليها ،
على ما الأمر جارٍ عليه الآن .

(١) ضبطه النجد في قاموسه فقال « كقبيط » . ونقل عن المحافظ ابن حجر ضبطه بكسر الزاي وصوبه
شارح القاموس وبه ضبطه ابن خلكان في تاريخه .

المهَيِّعُ الثَّانِي

(فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات)

وأعلم أنه يجب على الكاتب فى ذلك مراعاة أمور .

الأمر الأول - براعة الاستهلال بذكر أسم المولى أو نعتيه أو لقبه أو الوظيفة ، أحوال الولاية ، مع استصحاب براعة الاستهلال إلى آخر الخطبة ونحوها من الافتتاحات ، كما أشار إليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى كتابه "حُسن التوسل" كما تقدم ذكره فى الكلام على البيعات والعهود .

الأمر الثانى - مراعاة قطع الورق فى الجملة لكل ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتب والولايات وغيرها . والذى يختص بهذا المكان ذكر مقادير قطع الورق فيما يتعلق بهذه الولايات خاصة ، وهى خمسة مقادير : - أحدها قطع الثلثين ، ويختص فى الولايات بكبار التقاليد دون غيرها - وثانيها قطع النصف ، وفيه تُكتب صغار التقاليد ، والمراسيم المكبرة ، والتفاويض ، وكبار التواقيع - وثالثها قطع الثلث ، وفيه تُكتب صغار المراسيم المكبرة ، والتواقيع المتوسطة - ورابعها قطع العادة المنصورية ، وفيه تُكتب صغار التواقيع والمراسيم التى لأصحابها بعض مزية لا تنتهى بهم إلى رتبة قطع الثلث - وخامسها قطع العادة الصغير ، وفيه تُكتب صغار التواقيع والمراسيم التى هى فى الرتبة الأخيرة .

الأمر الثالث - معرفة ما يناسب كل قطع من هذه المقادير من الأقلام . وقد تقدم فى المقالة الثالثة تقلا عن "التعريف" ما كلف مقدار من الأقلام . والمتعلق بهذا الموضوع من ذلك أن لقطع الثلثين قلم الثلث الثقيل ، ولقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم التوقيعات ، ولقطع العادة مطلقاً قلم الرقاع .

الأمر الرابع — معرفة اللَّقَبِ المطابق لرتبة كلِّ ولايةٍ وصاحبها من الألقاب
الأصولِ المتقدم ذكرها في الكلام على الألقاب من المقالة الثالثة . وهي المَقَرَّةُ ،
والجَنَابُ ، والمَجْلِسُ ، ومَجْلِسُ كذا على الإضافة؛ وما يُنَاسِبُ كلَّ لَقَبٍ من هذه
الألقاب من الفروع المرتبة عليها، كوصف المَقَرَّةِ بالكريم العالی، ووصف الجَنَابِ
تارةً بالكریم العالی، وتارةً بالعالی مجرداً عن الكريم، ووصف المجلس تارةً بالعالی،
وتارةً بالسامی، وإضافة مجلس في حق أرباب السيوف إلى الأمير فيقال : مجلس
الأمير، وفي حق أرباب الأقاليم من العلماء وأصحاب الدواوين إلى القاضي فيقال :
مجلس القاضي ، وفي حق الصُّلَحَاءِ إلى الشيخ فيقال مجلس الشيخ؛ وإنَّ لِمَنْ دُونَ
هؤلاء الصُّدْرُ ويوصف بالأجل فيقال الصُّدْرُ الأجلُّ ؛ وأن لكل أصل من هذه
الأصول فروعا شتى ترتب عليه . وتقدم أيضا في المقالة الرابعة في الكلام على
المكتباتِ الصادرة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في زماننا إلى أهل المملكة
مكتبة كل واحد ممن جرت العادة بالمكتبة إليه، وما يختص به من الألقاب
الأصولِ والفروع .

وأعلم أنَّ الولاياتِ أعم من المكتباتِ : فقد يكون للشخص ولايةٌ من الأبواب
السلطانية وليس له مكتبة، إذ المكتبات إنما تكون لقوم مخصوصين من أرباب
الولايات . إذا علم ذلك فكلُّ من له مكتبة عن الأبواب السلطانية من أرباب
السيوف والأقاليم ممن تقدم ذكره في الكلام على المكتبات إذا كُتِبَتْ له ولايةٌ
نُعت بالقباه ونُوعِيَتْ التي بها يُكاتب عن الأبواب السلطانية، إلا أنَّ الدعاء المصدَّرَ به
المكتبة يجعل في الآخِرِ دُونَ الأَوَّلِ : فإذا كانت المكتبة إلى أحدٍ «أعزَّ اللهُ تعالى
انصارَ المَقَرَّةِ الكريم» قيل في ألقابه في الولاية «المَقَرَّةُ الكريم» إلى آخر ما يقتضيه
الحال، ثم يقال : فلان أعزَّ اللهُ تعالى أنصاره؛ وكذلك في البواقي . أمَّا من لم تجر

العادة بمكاتبة إليه عن الأبواب السلطانية ممن يُولى عنها فإن لكل طبقة ألقاباً تخصهم . ونحن نذكر الألقاب الأصول وما يتفرع عليها لكل طبقة من كل طائفة على الوضع الذى تقتضيه الولايات دون المكاتب، ليُجرى كل من أرباب الولايات على ما يناسبه من الألقاب .

وقد علمت فيما تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أن الألقاب على خمسة أنواع^(١) :

النوع الأول - ألقاب أرباب السيوف

والمستعمل منها بديوان الإنشاء تسع مراتب :

المرتبة الأولى - المقر الكريم مع الدعاء بعز الأنصار، وهى : المقر الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العوفى، الغياتى، المتأغرى، المرابطى، المهمدى، المشيدى، الظهيرى، العابدى، الناسكى، الأتابكى، الكفيلى، الفلانى، معز الإسلام والمسلمين، سيد أمراء العالمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، ممد الدول، مشيد الممالك، عماد الملّة، عون الأمة، ظهير الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين، فلان (باسمه) الفلانى (بلقب الإضافة إلى لقب السلطان) أعز الله تعالى أنصاره .

المرتبة الثانية - الجنب الكريم مع الدعاء بعز النصرة، وهى : الجنب الكريم، العالى، الأميرى الكبيرى العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العوفى، الغياتى، المتأغرى، المرابطى، المهمدى، المشيدى، الظهيرى، الكفيلى، الفلانى، معز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش

(١) المذكور ستة فتنه .

الموحدين ، مقدّم العساكر ، ممهّد الدول ، مشيّد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب الإضافة إلى لقب السلطان) أعزّ الله تعالى نصرته .

المرتبة الثالثة — الجناّب العالی مع الدعاء بمضاعفة النعمة ، وهي : الجناّب العالی ، الأمیری ، الكبیری ، العالی ، العادلی ، المؤیّدی ، العونی ، الزعیمی ، المهدی ، المشیّدی ، الظهیری ، الکافی ، الفلانی ، عزّ الإسلام والمسلمین ، سیّد الأمرآء فی العالمین ، نصرّة الغزاة والمجاهدین ، زعیم جیوش الموحّدین ، ممهّد الدول ، مشیّد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب الإضافة إلى السلطان) ضاعف الله تعالى نعمته .

المرتبة الرابعة — الجناّب العالی مع الدعاء بدوام النعمة ، وهي : الجناّب العالی الأمیری ، الكبیری ، العالی ، المؤیّدی ، الأوحدي ، النصیری ، العونی ، الحمّامی ، المقدمی ، الظهیری ، الفلانی ، عزّ الإسلام والمسلمین ، سیّد الأمرآء فی العالمین ، نصرّة الغزاة والمجاهدین ، مقدّم العساكر ، كهف الملة ، ذخّر الدولة ، عماد المملكة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حسام أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ، أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة الخامسة — المجلس العالی والدعاء بدوام النعمة ، وهي : المجلس العالی الأمیری ، الكبیری ، العالی ، المجاهدی ، المؤیّدی ، العونی ، الأوحدي ، النصیری ، الحمّامی ، المقدمی ، الظهیری ، الفلانی ، عزّ الإسلام والمسلمین ، شرف الأمرآء فی العالمین ، نصرّة الغزاة والمجاهدین ، مقدّم العساكر ، كهف الملة ، ذخّر الدولة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حسام أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ، أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء، والدعاء بدوام التأييد ونحوه، وهى :
المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ، الذخرى ، النصيرى ، الأوحدى ،
المؤيدى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، ذخر المجاهدين ،
عمد الملوك والسلاطين ، فلان الفلانى ، أدام الله تأييده .

المرتبة السابعة — السامى بغير ياء، والدعاء أدام الله رفعتة ونحو ذلك، وهى :
المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحى ،
المرتضى ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نحر الأمراء ، زين المجاهدين ،
عمدة الملوك والسلاطين ، أدام الله رفعتة .

المرتبة الثامنة — مجلس الأمير ، والدعاء أدام الله سعده ونحوه، وهى : مجلس
الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحى ، المرتضى ، فلان
الدين ، مجد الأمراء ، زين المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين ، فلان الفلانى ،
أدام الله سعده .

المرتبة التاسعة — الأمير مجزدا عن المضاف إليه، وهى : الأمير ، الأجل ،
وربما زيد فيه فليل الكبير، المحترم، ونحو ذلك .

النوع الثانى

(ألقاب أرباب الوظائف الديوانية ، وهى على ست مراتب)

المرتبة الأولى — الجتاب العالى مع الدعاء بمضاعفة النعمة . وفيها أسلوبان :
الأسلوب الأول — ألقاب الوزير وهى : الجتاب العالى ، الصباحى ،
الكبرى ، العالى ، العادى ، الأوحدى ، الأكلى ، القوامى ، النظامى ، الأثيرى ،

البليغي، المنقذى، المسددي، المتصرفي، المهدي، العوفي، المدبري، المشيري،
الوزير، الفلاني، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الوزراء في العالمين، رئيس
الكبراء، كبير الرؤساء، أوجد الأصحاب، ملاذ الكُتاب، قوام الدول، نظام الملك،
مفيد المتأجج، معتمد المصالح، مرتب الجيوش، عماد الأمة، عون الأئمة، مشير
الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، فلان الفلاني، ضاعف الله تعالى نعمته .

الأسلوب الثاني — ألقاب كاتب السر، عند ما استقر ما يكتب له تقليدا
في قطع الثلثين، وهي: الجناح العالی، القاضوي، الكبير، العالی، العادلي،
العلّامي، الأفضلي، الأكلبي، البليغي، المسددي، المنقذی، المشيدى، العوفي،
المشيري، اليميني، السفيري، الأصيلي، العريفي، الفلاني، صلاح الإسلام
والمسلمين، سيد الرؤساء في العالمين، قدوة العلماء العاملين، جمال البلغاء، أوجد
الفضلاء، جلال الأصحاب، كهف الكُتاب، يمين الملكة، لسان السلطنة، سفير
الأمة، سليل الأكابر، مشير الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، فلان الفلاني،
ضاعف الله تعالى نعمته .

قلت: وقد كان رتبته: المجلس العالی عند ما كان يكتب له توقيع في قطع
النصف .

المرتبة الثانية — المجلس العالی مع الدعاء بدوام النعمة؛ وفيها أربعة أساليب .

الأسلوب الأول — ألقاب كاتب السر على ما كان الأمر عليه في كتابة توقيع
في قطع النصف، ويدعى له: أدام الله نعمته، وهي: المجلس، العالی، بالألقاب
المتقدمة له مع الجناح العالی، على ما استقر عليه الحال .

الأسلوب الثانى — ألقاب ناظر انخاص ، وهى : المجلس العالى القاضوى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الأكلى ، الرئيسى ، البليغى ، البارعى ،
القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأيرى ، المنفذى ، المسدى ، المتصرفى ،
الفلانى ؛ جمال الإسلام والمسلمين ، سيد الرؤساء فى العالمين ، قوام المصالح ، نظام
المنابع ، جلال الأكارب ، قدوة الكُتاب ، رئيس الأوصياء ، عماد الملة ، صفوة
الدولة ، خالصة الملوك والسلاطين ، ولئى أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله
تعالى نعمته .

الأسلوب الثالث — ألقاب وزير دمشق إذا صرح له بالوزارة ، وهى :
المجلس العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الأجلى ، الكبرى ، العالمى ، العادى ،
المؤيدى ، الأوحدى ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأيرى ، المشيرى ،
الفلانى ؛ صلاح الإسلام والمسلمين ، سيد الوزراء فى العالمين ؛ رئيس الكبراء ، كبير
الرؤساء ؛ بقية الأوصياء ، ملاذ الكُتاب ، عماد الملة ، خالصة الدولة ؛ مشير الملوك
والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ؛ فلان الفلانى ، أدام الله تعالى نعمته .

الأسلوب الرابع — ألقاب ناظر النظار بالشام ، إذا لم يكن وزيراً ، وهى :
المجلس العالى ، القضاى ، الكبرى ، العالمى ، العالمى ، الأوحدى ، الرئيسى ،
الأيرى ، القوامى ، النظامى ، المنفذى ، المتصرفى ، الفلانى : مجد الإسلام
والمسلمين ، شرف الرؤساء فى العالمين ؛ أوحده الفضلاء ، جلال الكبراء ؛ حجة
الكُتاب ، صفوة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله
تعالى نعمته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بالياء مع الدعاء بدوام الرفعة وما فى معناها ،
وهى : المجلس السامى ، القَضَائى ، الأَجَلِّ ، الكَبِيرِ ، العَالِمِ ، الفاضِلِ ،
الكاملِ ، الرئِيسِ ، الأُوحدِ ، الأَصِيلِ ، الأَييرِ ، البَلدغِ ، الفلانى ؛ مجد
الإسلام ، شرفُ الرؤساء فى الأنام ؛ زينُ البلغاء ، جمالُ الفضلاء ؛ أُوحدُ الكُتَّاب ،
نخِرُ الحُساب ؛ صفوةُ الملوك والسلاطين ، أدام الله تعالى رِفعتَه .

فإن كان من كتاب الإنشاء ، أسقط منه « نخرُ الحُساب » .

المرتبة الرابعة — السامى بغير ياء ، مع الدعاء بدوام الرفعة ونحوه أيضا ، وهى :
المجلس السامو ، القاضى ، الأَجَلُّ ، الكَبِيرُ ، الصَّدرُ ، الرئِيسُ ، الأُوحدُ ، البارِعُ ،
الكاملُ ، الأَصِيلُ ، الفاضلُ ، فلان الدين ؛ جمالُ الإسلام ، بهاءُ الأنام ؛ شرفُ
الأكابر ، زينُ الرؤساء ، أُوحدُ الفضلاء ؛ زينُ الكُتَّاب ، صفوةُ الملوك والسلاطين ،
أدام الله تعالى رِفعتَه .

المرتبة الخامسة — مجلسُ القاضى ، وهى : مجلسُ القاضى ، الأَجَلُّ ، الكَبِيرُ ،
الفاضلُ ، الأُوحدُ ، الأَييرُ ، الرئِيسُ ، البليغُ ، العريقُ ، الأَصِيلُ ، فلان الدين ؛ مجد
الإسلام ، بهاءُ الأنام ؛ شرفُ الرؤساء ، زينُ الكُتَّاب ، مُرتضىُ الملوك والسلاطين ،
أدام الله رِفعتَه .

المرتبة السادسة — القاضى ، وهى : القاضى الأَجَلُّ . ورُبَّما زيد فى التعظيم
الصَّدرُ ، الرئِيسُ ، الكَبِيرُ ، ونحو ذلك .

النوع الثالث

(ألقابُ أربابِ الوظائفِ الدِّينيةِ - وهى أيضا على ستِّ مراتبِ)

المرتبة الأولى - الجنابُ العالى - وهى لمن استتقر له كتابةٌ تُقلدُ في قطعِ
الثنتين من قضاة القضاة بالديارِ المصرية وهو الشافعى ؛ وهى : الجنابُ العالى ،
الفاضلوى ، الشيبخى ، الكبيرى ، العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدى ،
البليغى ، الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الورعى ،
الخاشعى ، النباسكى ، الإمامى ، العلامى ، الأصبلى ، العريقى ، الحاكى ، الفلافى ؛
جمالُ الإسلام والمسلمين ، شرفُ العلماء العاملين ، أوحدُ الفضلاء المفيدين ؛ قُدوةُ
البلغاء ، حجةُ الأمة ؛ عمدةُ المحققين ، نخرُ المدرسين ، مفتى المسلمین ؛ جلالُ الحكام
بركةُ الدولة ، صدرُ مصر والشام ؛ معزُّ السنة ، مؤيدُ الملة ؛ شمسُ الشريعة ، رئيسُ
الأصحاب ، لسانُ المتكلمين ، حَكَمُ الملوك والسلاطين ، ولىُّ أمير المؤمنين ؛ فلان
(بنسبه) أعزُّ الله تعالى أحكامه .

وكذلك قاضى القضاة الحنفى بالديار المصرية عند ما استقر المكتوبُ له تقليداً .

المرتبة الثانية - المجلس العالى ؛ وبها كان يكتب لقاضى القضاة الشافعى
قبل أن يستقر ما يكتبُ له تقليداً ، بالألقاب والنعوت السابقة له مع الجناب ؛
وكذلك الثلاثة الباقون باختصارٍ فى الألقاب والنعوت ؛ وهى : المجلس العالى ،
الفاضلوى ، الكبيرى ، العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدى ، البليغى ،
الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الإمامى ، الأصبلى ،
العريقى ، الحاكى ، الفلافى ؛ جمالُ الإسلام والمسلمين ، سيّدُ العلماء العاملين ،
أوحدُ الفضلاء المفيدين ؛ قُدوةُ البلغاء ، حجةُ الأمة ، عمدةُ المحدثين ، نخرُ المدرسين ،

مفتي المسلمين؛ جلال الحكام، حكم الملوك والسلاطين، فلان الفلاني (بنسبه)
أعز الله تعالى أحكامه .

المرتبة الثالثة — المجلس السامي بالياء، وهي : المجلس السامي، القضاة،
الكبير، العالمي، الفاضل، الأوحدي، الرئيسي، المفيد، البليغ، القدوي،
الأبيري، مجدد الإسلام والمسلمين، جمال العلماء العاملين، أوجد الفضلاء، صدر
المدرسين، عمدة المفتين، خالصه الملوك والسلاطين، فلان الفلاني : أدام الله
تعالى تاييده .

المرتبة الرابعة — السامي بغير ياء، وهي : المجلس السامي، القاضي، الأجل،
الكبير، الصدر، الرئيس، العالم، الفاضل، الكامل، فلان الدين، مجدد الصدور،
زين الأعيان، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعتة .

المرتبة الخامسة — مرتبة مجلس القاضي؛ وهي : مجلس القاضي، الأجل،
الكبير، العالم، الفاضل، الأوحيد، الصدر، الرئيس، مجدد الإسلام، بهاء الأنام،
زين الأعيان، فجر الصدور، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أعزه الله تعالى .

المرتبة السادسة — مرتبة القاضي؛ وهي : القاضي، الأجل . وربما زيد
في التعظيم نحو الكبير، الصدر، الرئيس، ونحو ذلك .

النوع الرابع

(ألقاب مشايخ الصوفية - وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — المجلس العالی . وبها يكتب لشيخ الشيوخ بالديار المصرية،
وهي : المجلس العالی، الشيخ، الكبير العالی، العالمی، السالکی، الأوحدي،

الزاهدي، العائدي، الخاشعي، الناسكي، المفيد، القدوي، الإمامي، النظامي،
الملاذي، جلال الإسلام والمسلمين، شرف الصالحاء في العالمين، شيخ شيوخ
الإسلام، أوجد العلماء في الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين، فلان،
أعاد الله تعالى من بركاته .

المرتبة الثانية — المجلس السامي بالياء، وهي : المجلس السامي، الشيخي،
الكبير، الأوحدي، الأكملي، العائدي، الخاشعي، الناسكي، جمال الإسلام،
زين الأنام، صفوة الصالحاء، نخر العباد، بركة الملوك والسلاطين : أعاد الله تعالى
من بركاته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامي بغير ياء، وهي : المجلس السامي، الشيخ،
الصالح، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، السالك، فلان الدين،
مجد الصالحاء، زين المشايخ، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين : نفع الله
تعالى ببركته .

المرتبة الرابعة — مجلس الشيخ، وهي : مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد،
العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصالحاء، زين المشايخ، بركة الملوك
والسلاطين : أدام الله تعالى بركاته .

المرتبة الخامسة — مرتبة الشيخ، وهي : الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد،
ونحو ذلك : نفع الله تعالى به .

النوع الخامس

(ألقاب مَنْ قد يُكتب له بولاية من رؤساء العامة من التجار وغيرهم)

وفيه أربع مراتب :

المرتبة الأولى — المجلس السامى بالياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدرى ، الأجل ، الكبيرى ، الرئيسى ، الفلافى .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بغير ياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدر ، الأجل ، الكبير ، الرئيس ، المحترم .

المرتبة الثالثة — مجلس الصدر ، وهى : مجلس الصدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين . ويقال فى ألقاب المهتارية ونحوهم : الحاج فلان .

المرتبة الرابعة — مرتبة الصدر ، وهى : الصدر ، الأجل . فإن زيد فى تكريمه قيل بعد ذلك : الكبير ، المحترم .

النوع السادس

(ألقابُ زعماء أهل الذمة ، وهم ثلاثة)

الأول — بطرك النصارى اليعاقبة ، وهى : الحضرة السامية ، الشيخ ، الرئيس ، المبجل ، المكرم ، الكافى ، المعزز ، المفخر ، القديس ، شمس الرياسة ، عماد نبي المعمودية ، كثر الطائفة الصليبية .

الثانى — بطرك المملكانية ، وتختصر ألقابه عما يكتب به لبطرك اليعاقبة بعض الاختصار .

الثالث - رئيس اليهود، وهى : الرئيس الأوحُد، الأجل، الأعز، الأخص،
الكبير، شرف الداوديين، فلان أبو فلان : سده الله فى أقواله، وثبته
فى أفعاله .

قلت : ومما يجب التنبه له أن ما تقدم من الألقاب والتعوت المفرعة على
الألقاب الأصول ليست مما يوقف عند حد، بل محتملة لزيادة والنقص بحسب
ما تقتضيه الحال، ويحتمله المقال . بل ربما ولى بعض المناصب من فيه صفات
تستحق ألقابا ونعوتا خاصة، فيكتب له بذلك مراعاة لما يقتضيه حاله، ويستوجبه
مقامه، ثم يلى ذلك المنصب بعده من لا يستحق الوصف بالألقاب والتعوت التى
تحص المتقدم، فيؤتى بها للثانى : كما اتفق فيما كتبت به فى نيابة الشام حين وليها
الأمير بيدمر الخوارزمى رحمه الله، وكان من الديانة على ما لا يوجد فى غيره .
فكتب فى ألقابه حينئذ : العايدى، الناسكى، الخاشعى . فلزمت فىمن بعده
وصارت مما يكتب به إلى الآن، سواء أنصف نائبا بدين أم لا - وكما اتفق
فى الصباح علم الدين بن زنبور حين اجتمع له الوزارة ونظر الخاص والجيش،
فكتب له بالقب ونعوت جامعة لألقاب تلك الوظائف ونعوتها، فاستمر ذلك فيما
يكتب به لكل من ولى الوزارة بعده إلى الآن، حتى إنه يكتب فى ألقاب الوزير
الآن « مرتب الجيوش » وهو من الألقاب الخاصة بناظر الجيش استطرادا لما
كتب به لابن زنبور : لأنضمام نظر الجيش إليه على ما تقدم - وكما اتفق فيما كتبت به
للشيخ تقي الدين السبكي من الألقاب الجليلة المقدر، الرفيعة المكانة، فى قضاء
الشام لرفعة مقامه، واتساع باعه فى العلم، وعلو مكانته فى الخاصة والعامة فلزم
كتابة ذلك لقاضى قضاة الشانعية بالديار المصرية، من حيث إنه لا يليق بالحال

أن يكون قاضي الشام أعلى رتبةً من قاضي الديار المصرية . ثم سرى ذلك في كل من ولى المنصب بعد ذلك ، وهلمَّ جرًّا إلى زماننا .

ومما يلتحق بذلك أنه قد جرت العادة في الزمن المتقدم وهلمَّ جرًّا إلى زماننا أنه كان يكتب في الطرة لأرباب السيوف بعد الأميرى « الكبيرى الفلانى » بلقب الإضافة إلى لقب السلطان كالناصرى ونحوه ، بخلاف أرباب الأقاليم فإنه لم تجر العادة بأن يكتب لهم ذلك في شيء من طرة تقاليدهم ولا توقيعهم ، إلى أن ليس القاضي سعد الدين بن غراب الكاوتة ، وأستقر إستاندارا في الدولة الناصرية فرج ابن برقوق ، ثم أستقر مشيرا وكتب له تقليدًا بالإشارة كتب له في طرة تقليده بعد الكبيرى « الناصرى » لجمعه بين السيف والقلم . ثم جرى بعض الكُتاب على مثل ذلك في غيره من أرباب الأقاليم الأكارب : كالوزير ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ومن في معناتهم من أرباب الوظائف الديوانية . والمجته فيه ظاهرة من حيث إن كلاً من المذكورين إذا كتب عنه كتاب ، كتب في أعلاه تحت البسملة « الملكى الناصرى » وإذا كتب عنه قصة ، كتب فيها تحت البسملة « الملكى الفلانى » . ومقتضى ذلك أن يكتب لقب الإضافة إلى لقب السلطنة في تقليده أو توقيعه على ما تقدمت الإشارة إليه من فعل بعض الكُتاب .

الأمر الخامس — مما يجب على الكاتب مراعاته معرفة الوصف اللائق بصاحب الوظيفة .

فيجب عليه مراعاة ما يناسبه من الأوصاف التي يقع بها تعريفه ومدحه :

فإن كان نائب سلطنة وصفه بالشجاعة، والنَّجْدَة، وقُوَّة العزم، والشَّهامة،
 وشِدَّة الشَّكِيمَة، ونُصْرَة الدِّين، وكَفَّ [الأيدى] العاديَّة، وإرهابِ العدو، وقَمَع
 المفسدين، وإرغامِ أهلِ العُدوان، وحِمايةِ الثُّغُور - إن كان فى نغر - ووُقُورِ الهَيْبَة،
 وبعْدِ الصَّيْت، وطيرانِ السُّمْعَة، مع بَسْطِ المَعْدِلَة والرَّفْقِ بالرَّعيَّة، والرَّافَة بخلقِ الله
 تعالى، والشَّفَقَة عليهم، والإحسانِ إلى الكافَّة، والأخذِ بقلوبهم، والوقوفِ مع
 أحكامِ الشريعة، وبذَلِ الطاعة، والمناصحة، والمخالصة، وقَدَمِ هجرته فى الدولة - إن
 كان قديمِ هجرة - ومرُورِ الدُّولِ عليه - إن كان قد مرَّت عليه دول - ، وأنه نَشَأُ
 الدولة - إن كان ابتداء أمره فيها - ، ونحو ذلك .

وإن كان نائب قلعة وصفه بالحِدْق، واليَقْظَة، وقُوَّة الحزم، وشِدَّة
 التحرُّز، والمعرفةِ بأحوالِ الحِصارِ وضُروبِ القتالِ وطُرُقِ التحصينِ والمدافعة،
 ونحو ذلك .

وإن كان وزيراً وصفه بحُسْنِ التدبير، وجرالةِ الرأى، والإحتياطِ فى الأمور،
 والقيامِ بمصالحِ الإسلام، وعمارةِ البلاد، والنهوضِ فى المهمَّات، وكَفَّ الأيدى
 العاديَّة، والأخذِ على يدِ المتعدِّى، وتميَّةِ الأموالِ وتثْميرها، وتسهيلِ مايجرى من
 الأرزاقِ على يده، وبذَلِ المجهُودِ فى معاضدةِ الشريعة، وشبَّه ذلك ممايجرى
 هذا المجرى .

وإن كان كاتباً سرّاً وصفه بالفصاحة والبلاغة، وقيامِ أعلامه فى التأثير
 فى العدوِّ مقامَ السُّيوفِ والرِّماح، وكُتْبِهِ فى تفریقِ الكُتَّابِ مقامَ الجيوشِ
 والعساكر، وسدادِ الرأى، وكَثَمِ الأمرار، وحمايةِ المالِكِ بنتائجِ أفكاره،
 وما شاكل ذلك .

وإن كان ناظر جيش وصفه بالمعرفة بأمور الجيوش وترتيبها ، وأصناف الأُمراء ، والجُنُود ، والمستخدمين ، وترتيب مقاماتهم ، وما يتخَرِّط في هذا السَّلك .

وإن كان ناظر الخاص وصفه بالمعرفة بأمور الحِسَاب ، والنهضة في المهمَّات ، والمعرفة بأحوال ديوان الخِصِّص وجِهاته ، والقُدرة على تحصيل الأموال وزياتها ، ومعرفة ما يُحتاج إليه من أصناف الأقمشة والطُّرُز وغيرها ، مع الأمانة والعِفَّة ، وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان مستوفى الصُّحبة وصفه بالمعرفة بفنون الكتابة ، ونظم الحُسابات ، والاحتياط في استرفاعها ، مع الضبط والاحتراز والأمانة والعِفَّة وما هو من هذا القَيْل .

وإن كان ناظر خزانة الخِصِّص وصفه بالأمانة ، والعِفَّة ، والمعرفة بأصناف الخزانة : من الأقمشة ، والتَّشَارِيف ، والطُّرُز ، ومعرفة مراتب أربابها ، وما يُناسب كلِّ واحدٍ منهم من أنواع التَّشَارِيف من عاليها وهابطها ، وما يطابق ذلك .

وإن كان قاضيا وصفه بغزارة العِلْم ، وسعة الفضل ، ونُصرة السُّنَّة ، وقمع البِدعة ، والعدْل في الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، والأخذ للضعيف من القويِّ ، والتزاهة عن المَطَاعِم الوَخِيمة ، والمطامع الرديئة ، والبُعد عن الأهواء في الحكم ، وما يتخَرِّط في هذا السَّلك .

وإن كان محتسبا وصفه بعد وصفه بالفضل بالعِفَّة ، والأمانة ، وعلوِّ الهِمَّة ، وقوَّة العزم ، والصَّرامة ، ووُفُور الهيبة ، والنُّهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنظر في مصالح المسلمين ، وعدم مُحَاباة أهل الدنيا وأرباب الجاه ، وأنه لا يفرِّق في الحق بين الجليل والحقير ، وما في معنى ذلك .

وإن كان وكيل بيت المال وصفه بعد العلم والديانة بالوقوف مع الحق ،
والتثبت فيه ، ومراعاته المصلحة العامة في كل ما يتعلق به ، والمعرفة بشروط الاعذار
ومواقع ابداء الدافع ونفيه ، وأنه يقدم مصالح المسلمين على مصالح نفسه ،
وما يقارب ذلك .

وإن كان مدرسا وصفه بسعة العلم ، والتضلع بالفنون ، والأخذ من كل منها
بحظ وافر ، وطول الباع في البحث والمناظرة ، والوقوف مع الحق فيها ، وعدم
الجدال في الباطل ، وتربية الطلبة ، وتأديبهم ، والتقريب على من عسر على فهمه
شئ من المسائل ، وعدم الترفع عليهم ، وتنزيلهم منازلهم في الفضل ، وتقديم من
برع منهم .

وإن كان خطيبا وصفه بالفصاحة ، والبلاغة ، ونوة اللسان ، وشدة الشكيمة
في الكلام ، وتأثير وعظه في القلوب ، وأنسكاب الدموع من وقع عظامه ، وما
أشبه ذلك .

وإن كان شيخ خانقاه وصفه بالورع ، والزهد ، والنسك ، وقطع العلائق من
الدنيا ، وتربية المريدين وتسليكهم ، والوقوف مع طريق السلف الصالح .

وإن كان رئيس الأطباء وصفه بالحدق في الطب ، والمهارة فيه ، وتقديمه على
غيره في الفن ، والمعرفة بالعقاقير وما فيها من نفع وضرر ، والمعرفة بالأمراض والعلل
وطرق العلاج ، وما يجرى مجرى ذلك .

وإن كان رئيس الكحالين وصفه بالمعرفة في صنعة الكحل ، والتقدم على أبناء
صنعتهم فيه ، والمعرفة بحال العين وأمراضها ، وأصناف الأكمال ، وما يوافق كل
علة من ذلك ، وما يخرط في هذا السلك .

وإن كان رئيس اليهود أو بطركا من بطاركة النصارى، وصفه بالمعرفة بأمور ملته، والوقوف مع قوانين شرعته، ومعاونة العدل في جماعته، والتزام شروط الذمة، والوقوف عند حدّها، والدخول تحت الطاعة، والوقوف عند ما حدّ له، ونحو ذلك .

الأمر السادس — مما يجب على الكاتب مراعاته وصية ربّ كل ولاية من الولايات المعترّة بما يناسبها .

وأعلم أن كل ما حسن وصية المولى به، حسن وصفه به . والوصايا مختلفة باختلاف موضوعاتها، إلا أن الجميع يشترك في الوصية بتقوى الله، فهي الأثر الذي ينبت عليه، والركن الذي يستند إليه . وهذا الباب هو الذي يطول فيه سحر الكاتب، ويحتاج فيه إلى سعة الباع؛ فإنه ما لم يكن الكاتب حاذقاً بما يلزم ربّ كل ولاية ليوفّيها في الوصية حقّها، وإلا ضلّ عن الطريق، وحادّ عن جادة الصنعة . ولذلك يقال للكاتب : « القلم الأكبر » : لأنه بصدد أن يعلم كلّ واحد من أرباب الولايات ما يلزمه في ولايته .

وحينئذ فإن كان المتولّى « نائب سلطنة » وصّى بتفقد العساكر، وعرض الجيوش، وإنهاضها للخدمة ... (١) ... للوظائف من يليق بها، وتنفيذ الأحكام الشرعية، ومعاونة حكام الشرع الشريف، وإجراء الأوقاف على شروط واقفيها، وملاحظة البلاد وعمارتها، وإطابة قلوب أهلها، والشّد من مباشرى الأموال، وتقوية أيديهم، وملازمة العدل، وعدم الانفكاك عنه؛ وتحصين ما لديه من القلاع، وأستطلاع الأخبار والمطالعة بها، والعمل بما يردّ عليه من المراسيم

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة ولعله « وأنتفانه » للوظائف الخ .

السلطانية، وأن ما أشكل عليه يستضىء فيه بالآراء الشريفة، والإحسان إلى الجند،
وتعيين إقطاع من مات منهم لولده إن كان صالحا، ونحو ذلك .

وإن كان « نائب قلعة » وصى بحفظ تلك القلعة، وعمارة ما دعت الحاجة
إلى عمارة منها، والأخذ بقلوب من فيها، وجميعهم على الطاعة، وأخذ قلوبهم
بالإحسان إليهم، وتحصينها بالآلات الحصار، وأدخال آلات الحرب : من المجانيق
والقيسيّ وسائر الآلات : من السهام، واللبوس، والسائر، وغير ذلك . وكذلك
آلات أرباب الصنائع، كالآلات الحدادين، وصنّاع القيسيّ ومن في معناهم مما
يحتاج إلى عمله في آلات القلعة، والأعتناء بفتح أبواب القلعة وفتحها، وتفقد
متجددات أحوالها في كل مساء وصباح، وإقامة الحرس، وإدامة العسس،
وتعريف أخبار المجاورين لها من الأعداء، وإقامة نوب الحمام بها، والمطالعة بكل
ما يتجدد لديه من الأخبار .

وإن كان « وزيرا » وصى بالعدل وزيادة الأموال وتتميرها، والإقبال على تحصيلها
من جهات الخلل، واختيار الكفاة الأمانة، وتجنب الخونة، وتطهير باه، وتسهيل
حجابه، والنظر في المصالح، وأنه لا يستبدل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو خيانتته،
والنظر في أمر الرواتب وإجرائها على أربابها .

وإن كان « كاتب سر » وصى بالاهتمام بتلقى أخبار الممالك وعرضها على المواقف
الشريفة، والإجابة عنها بما تبرز به المراسيم الشريفة، وتعريف النواب في الوصايا
التي تكتب في تقاليدهم عن المواقف الشريفة ما أتهم عليهم، ويبرهن لهم ما يقفون

(١) جرى على اللغة القليلة والكثير الشائع إغلاق فنه .

عند حدّه ، والنظر في تجهيز البريد والتجّابة ^(١) ، وما يُبعث فيه من المصالح وينفّذ فيه من المهّمات والقُصّاد ، ومعرفة حقوق ذوى الخدمة والنصيحة ، وإجرائهم في رسوم الرواتب وعوائد البر والإحسان على أتمّ العوائد ، وتأليف قلوبهم ، والأخذ بنحو أطيرهم ؛ والنظر في أمر الكشافة والديّاب والناظرة والمتاور والمحرقات وأبراج الحمام ؛ وصرف نظره إلى رسل الملوك الواردة ، ومعاملتهم بالإكرام ، والأخذ في صون سرّ الملك وكتابه حتى عن نفسه ، وضبط ألواح البريد ، والاحتراز فيما تؤخذ عليه العلامة الشريفة ؛ ومراعاة كُتاب ديوان الإنشاء ، والإحسان إليهم ، وأن لا يستكتب في ديوانه إلا من علم صلاحه لذلك وكفايته ، ووثق منه بكتّان السرّ كما يتق به من نفسه .

وإن كان « ناظر جيش » وُصّي بالاحتياط في أمر ديوانه ، والوقوف على معالم هذه المباشرة ، وجرائد الجند ، والإقطاعات ، وتحرير الكُشوف والمحاسبات ، وأسديضاح أمر من يموت من أرباب الإقطاعات من ديوان المواريث أو من المقدمين والنقباء ، والاحتراز في أمر المربعات وجهات الإقطاعات وما يرتب عليها من المناشير ، والنظر في أمر المقطعين : من الجند ، والعرب ، والتركان ، والأكراد ، ومن عليه تقدمة أو درك بلاد أو غير ذلك .

وإن كان « ناظر خاص » وُصّي بالاحتياط لِدِيوانه ، والأخذ في تحصيل أموال جهاته وتتميتها وتتميرها ، وزياتها وتوفيرها ؛ والتحرز فيما يرفع من حُساباتها ، والاهتمام بأمر التشاريف والخلع ، وما يختص بكل ولاية وغيرها من التشاريف ،

(١) جارى العامة في هذا الاستعمال .

وما جرت به العادة من الهدايا المحضرة إلى ملوك الأقطار ، والأخذ في ذلك كله بالخط الأوفى للديوان السلطاني ، وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان « مستوفى صحبة » وصى بإلزام الكتاب بما يلزمهم من الأعمال وتحريرها ، وعمل المكائفات وتقدير المساحات ، وتمييز ما بين تسجيل الغدن في كل بلد بحسب ما يصلح لها من الزراعة ، وتمييز قيم بعضها على بعض ، ومستجد الجرائد ، وما يقابل عليه من ديوان الإقطاعات والأجاس وغير ذلك .

وإن كان « ناظرًا لخزانة الخاص » وصى بتحصيل ما يحتاج إليه لتفصيل الخاص وتشاريف أرباب السيوف والأفلام : العرب ، والتركان ، والأكراد ، وغيرهم ، وهدايا الملوك وما يجري مجرى ذلك : من العتابي والأطلس ، والمشرش ، والمقندس والمتمر ، والطرازات على اختلافها : من الزركش ، والباهي ، وأنواع المستعملات ، وما يحل من دار الطراز ، وما يتباع للخزانة العالية ، وما هو مرصد لها من الجهات التي يحل إليها متحصلها : لينفق في أثمان المبيعات ومصروف المستعملات ، والاحتراز فيما ينفق من الأثمان وقيمة المبتاع ، وشهادات الرسائل المكتتبة إليه بالممول وما يكتب بها من الرجعات ، وأن يحصل كل شيء هو بصدد الحاجة إليه قبل الاحتياج .

وإن كان « قاضيا » وصى بالتروى في أحكامه قبل امضاها ، وأن يراجع الأمر مرة بعد أخرى ، واستشارة أهل العلم ، والرُجوع إليهم فيما أشكل عليه ، واستخارة الله تعالى قبل الإقدام على الحكم ، والقضاء بحق الخصم بعد وضوحه ، والتسجيل له به ، والإشهاد على نفسه بذلك ، والتسوية بين الخصوم حتى في تقسيم النظر إلى الخصمين ، والتحرى في استيلاء الشهادات ، وأن لا يقبل من الشهود الا من عُرف

بالعدالة : من ربّ قلم أو سيف ، والتنقيب عما يصدر من العقود ، ولا يعول من شهود القيمة إلا على كل عارف بالقيم خبير بها ، والنظر في أمر الرُّسل والوكلاء ، والنظر في أمور أهل مذهبهم ، والاعتناء بشأنهم .

ويزاد « الشافعي » التوصية بالنظر في دعاوى بيت المال ومحاكماته ، والاحتراز في قضاياها ولا يقبل فيها بينة لو كفل بيت المال فيها مدفع ، ولا يعمل فيها بمسألة ضعيفة ، والنظر في أمر أموال الأيتام وأمر المتحدّثين فيها بالإحسان إليهم ، وكذلك أموال الصدقات الجارية تحت نظره ، واليقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، وأن لا يعمل في مسألة تفرد بها مذهبها إلا بما نصّ عليه إمامه أو كان عليه أكثر أصحابه ، ولا يعتمد في ذلك مرجوحا ولا ما تفرد به قائله ، وأن لا يولى في البرّ نائباً إلا من عرف استحقاقه وأهليته لما يتولاه .

ويزاد « الحنفي » الوصية بالعمل بما اقتضاه مذهبهم من الأمور التي فيها صلاح لكثير من الناس : كترويح المعصرات ، وشفعة الجوار ، ونفقة المعتدة البائن ، وعدم سماع بينة الإعسار إلا بعد مضيّ المدة المعتبرة في مذهبهم ، والإحسان إلى من ضمنه نطاق ولايته ممن تزح إليه من أهل الشرق وأقصى الشمال .

ويزاد « المالكي » الوصية بالتحزّي في بينات الدماء ، والإعذار إلى الخضم لبيدتي مالدیه من دافع ، والعمل بما تفرد به مذهبهم مما فيه فسحة للناس : كالثبوت بالشهادة على الخط ، وولاية الأوصياء ، وإسقاط الرّيع في الوقف المستردّ بعد البيع ، والإحسان إلى من لديه من غرباء أهل مذهبهم ، لاسيّما من أتاه من بلاد المغرب .

ويزاد « الحنبلي » الوصية بالأحتياط في بيع مادّثر من الأوقاف والاستبدال بها ، ورعاية المصلحة في ذلك لأهل الوقف بما أمكن ، والفسخ على من غاب عن زوجته

الغيبية المستوجبة للفسخ عندهم ، ووقف الإنسان على نفسه ، وأمر الجوائح التي يحصل بها التخفيف عن ضعفاء الناس ، والمعامل على الزرع بالحرث ونحوه ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، والوصية بأهل مذهبه الذين هم أقل المذاهب عدّة وأنزرتهم وظائف وأوقافا ، ومعاملتهم بالإحسان .

وإن كان « قاضى عسكر » وصى بنحو ما يوصى به [القاضى] وأن يتخذ معه كاتباً يكتب للناس ، وأن يقبل من الجند من كان ظاهره العدالة ، فإن الشهود المعدن لتحمل الشهادة يعز وجودهم فى العسكر ، وأن يكون له مترل معروف يقصد فيه إذا نصبت الخيام ، وأحسن ما يكون ذلك عن يمين الأعلام السلطانية ؛ وأن يكون مستعدا للأحكام التي يكثر فضلها فى العسكر : كالغنائم ، والشركة ، والقسمة ، والمبيعات ، والرد بالعيب ؛ وأن يسرع فى فصل القضاء بين الخصوم : لئلا يكون فى ذلك تشاغل عن مواقع الحرب ومقدماته ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى .

وإن كان « محتسبا » وصى بالنظر فى أمر المكاييل والموازين وسائر المقادير ، والتحذير من الغش فى الطعام والشراب ؛ وأن يتعرف الأسعار ، ويستعلم الأخبار فى كل سوق من غير علم أهله ؛ وأن يقيم على الأسواق وأرباب المعاش من ينوب عنه فى النظر فى أمورهم من الأمناء المأمونين ؛ وأن لا يمكن أحدا من العطارين من بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يستراب به بخط متطبب لمريض ؛ وأن يمنع المتحيلين على أكل أموال الناس بالباطل : من الطرقيّة وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى بنى ساسان من تعاطى ما يتعاطونه من ذلك ، ويقمعهم ويحسم مادتهم ، والتصدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمنع من الغش

(١) أى المنجمين الذين يدعون معرفة الغيبات بمقتضى النظر فى النجوم .

وإخبار المشتري بأزيد مما اشترى به ، والنظر في أمر فقهاء المكاتب والعالمات من النساء ، ولا يمكن منهم أحدا [أن] يتعاطى ذلك إلا من عرفت أمانته ، وأثرت صيانتته ، وأن لا يستنيب إلا أهل العفة والأمانة والتزاهة ممن بعد عن الطمع ، ونأى عن مطاعم السوء .

وإن كان «وكيل بيت المال» وصى بالعمل بالشرع الشريف في جميع أحكامه ، وأن من مات وله ورثة تستوعب ميراثه لا يكفهم ثبوتنا فيه تعنت ومدافعة عن حقهم ، والتشديد في أمر من كانت قصته منكرا ، والتحرز من شهود الزور في مثل ذلك ، وأن يرجع في كل ما يساع ويؤجر إلى العوائد ، وأن يتحرز في شهادة شهود القيمة ، ولا يرجع فيها إلا لمن يوثق به ممن يكون عنده معرفة بقيمة الأشياء ، ويذبه على أن له أن يدعى بحق المسلمين حيث شاء عند من يشاء من أصحاب المذاهب ، وأن الدعوى عليه لا تكون إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي ، على ما جرت به العادة القديمة ، والاحتياط في حق بيت المال ، وليختر للاستنابة في الأعمال من يصلح لذلك .

وإن كان «مدرسا» وصى بأن يقبل على جماعة درسه بطلاقة وجه ، وأن يستميلهم إليه جهدا استطاعته ، ويريبهم كما يربي الوالد ولده ، ويستحسن نتائج أفكارهم التي يأتون بها في درسه ، ويقدم منهم من يجب تقديمه ، ويترزل كل واحد منهم منزلة ، ليهزم ذلك إلى الإيجاب على الاشتغال والأزدياد في التحصيل . ثم يأتي [في] كل مدرس بما يناسبه من أمور العلم الذي يدرس فيه إن كان يدرس في علم خاص .

وإن كان «خطيبا» وصى برعاية حق رتبة الخطابة والقيام بحق ازدواجها ، وأن يأتي من المواعظ بما يقرع الأسماع بالوعد والوعيد ، ويلين القلوب القاسية ،

وأن يُعَدَّ لكل مقام يقومه مقالاً يقوله ، وأن يخفف الخطبة ، ويأتى بها بليغة مفهومة ، إلى غير ذلك من متعلقات الخطابة .

وإن كان «شيخ خانقاه» وصى بالاجتهاد فى العبادة ، والمشى على طريق السلف : من الزهد ، والورع ، والعفاف ؛ وأن يأخذ جماعته بما أخذه فى الأمور ؛ وأن يعرف جماعة مكانه حقوقهم الواجبة لهم ويُترلم منازلهم خصوصاً أولى السابقة منهم ، ويأخذ فى الرفق بهم ومداراتهم ، مع ترتيب من استجد منهم ، وإجرائهم على طرائق الصوفية ، وتعريفهم الطريق إلى الله تعالى ، وتدرج المريدين على قدر ما تحتمله أفهامهم ، دون أن يهجم عليهم من أحوال الطريق بما لا تحتمله عقولهم . و [اتباع] سبيل الكذب والسنة اللذين من حاد عنهما ضل ، ومن خرج عن جادتهما زل ، وكفهم عن ارتكاب البدع والجرى على منهاجها ؛ ومن أتى ذنبا نخذه بالتوبة والأستغفار ؛ والإنكار على من أخذ فى الشطحات ، وانحروج عن قانون ظاهر الشريعة ، ومنع من نحا هذا النحو أو جرى على هذه الجادة ، والإحسان إلى من يقدم عليه من الآفاق ، وحسن التلقى له ، وإكرام نزله بعد أن يعجل له بالإذن ، والأمر بأخذ عكازة ، وفرش سجادة ، وما يخترط فى سلك ذلك .

وإن كان «رئيس الأطباء» وصى بالنظر فى أمر طائفته ، ومعرفة أحوالهم ، ويأمر المعالج أن يعرف أولاً حقيقة المرض وأسبابه وعلاماته ، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد ، وحينئذ يشرع فى تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوة ؛ وأن لا يهاجم الداء ، ولا يستغرب الدواء ، ولا يقدم على الأبدان إلا ما يلائمها ، ولا يخرج عن عادة الأطباء ، ولو غلب على ظنه الإصابة حتى يتبصر فيه برأى أمثاله ؛ ويتجنب الدواء ، ما أمكنته المعالجة بالغذاء ، والمركب ما أمكنته المعالجة بالمفرد ؛

ويتجنب القياس إلا ما صحَّ بتجريب غيره في مثل من أخذ في علاجه، وما عرض له،
وسنَّه، وفصله، وبلده، ودرجة الدواء؛ وأن يحذر التجربة فإنها خطر، مع الاحتراز
في المقادير والكيفيات، وفي الاستعمال والأوقات، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر
عنه؛ ولا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستغرب من غذاء حتى يحقق حقيقته، ويعرف
جديده من عتيقه، ليعرف مقدار قوته في الفعل .

وإن كان «رئيس الكهان» وُصِيَ بالنظر في حال جماعته أيضا، ومعرفة
أحوالهم، وأن لا يصرف منهم إلا من عُرف بحسن الإدارة والملازمة في العلاج،
ويأمر كلاً منهم أن لا يقدم على مداواة عين حتى يعرف حقيقة المرض، وأن
يلطفها بما يناسبها من الغذاء، وأن يتخير من الكحل ما فيه شفاء العين وجملاء
البصر، وأن يستشير الأطباء الطبائعية فيما أهم، مما لا يستغنى عن رأى مثلهم فيه،
من تخفيف المادة بالاستفراغ أو نقص ديم أو غير ذلك .

وإن كان «رئيس اليهود» وُصِيَ بضم جماعته، ولم تشملهم، والحكم فيهم بقواعد
مأته، والنظر في أمور الأنكحة عندهم، وما يعتبر عندهم فيها على الإطلاق، وما يفتقر
إلى الرضا من الجانيين في العقد والطلاق، والنظر فيما أوجب حكم دينه عليه
التحريم، والتوجه في صلاتهم تلقاء بيت المقدس إلى جهة قبلتهم، وإقامة حدود
التوراة على ما أنزل الله تعالى من غير تحريف ولا تبديل للكلمة بتأويل ولا غيره،
وأتباع ما أعطوا عليه العهد مع إزامه لهم [ما الترموه] من حكم أمثالهم من أهل الذمة
الذين أقرؤا في دار الإسلام على الصغار والإذعان لأهل الإسلام، وعدم مضايقتهم
للمسلمين في الطرق، وتميزهم بشعارهم في الحمام، كي لا يحصل اللبس بالمسلمين، وحمل
شعار الذمة على رؤوسهم: وهى العمامة الصفراء؛ وياخذهم بتجديد صبغه في كل حين،
وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة: من ذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم

بُسوء، أو إظهار الخمر أو معتقدهم في العزير عليه السلام . وله أن يرتب طبقاتهم على ما تقتضيه مراتبهم عنده، وكذلك له التحدث في كائس اليهود المستمرة إلى الآن بأيديهم، من حين عقد الذمة، من غير تجديد متخرب، ولا فعل مالم تُعقد عليه الذمة ويقترهم عليه السلف الأول .

وإن كان « بطرك النصارى المليكانيّة » وصى بما عليه بناء شرعته من المسامحة والاحتمال والصبر على الأذى، وعدم الأكرات به، وأخذ نفسه بهذه الآداب؛ وأنه يُقدم المصالحة بين المتحاربين إليه قبل فصلها على البت فإنه قاعدة دينه المسيحى، ولم تخالف فيه الملة الإسلامية، وأنه ينقى صدور إخوانه من الغل، ويتخلق بكل خلق جميل، ولا يستكثر من الدنيا، ويتتره عن أموال جماعته والنوشل إلى أخذها، وأن إليه أمر الكائس والبيع، وعليه أن يتفقددها فى كل وقت، ويرفع مافها من الشبهات، ويحذر رهبان الديارات من جعلها مصيدة لئال؛ وأن يتجنبوا فيها الخلوّة بالنساء، ولا يؤوى إليه أحدا من الغرباء القادمين عليه يكون فيه ريبه، ولا يكتم ما أطلع عليه من ذلك عن المسامع الشريفة السلطانية، ولا يخفى كتابا يرد عليه من أحد من الملوك، أو يكتب له جوابا؛ ويتجنب البحر وما يرد منه من مظان الريب .

وإن كان « بطرك اليعاقبة » قيل فى وصيته نحو ما تقدم فى وصية بطرك المليكانيين، إلا أنه لا يقال : وأعلم أنك فى المدخل إلى شريعتك طريق الباب، بل يقال : وأعلم أنك فى المدخل إلى شريعتك قسيم الباب، ومساووله فى الأمر والنهى والتحليل والتحرير . ويقال بدل قوله « ولتجنب البحر » : « وليتوق ما ياتيه سرا من تلقاء الحبشة » .

قلت : وهذه الوصايا مدخل إلى ما يرضى به أصحاب الولايات ممن تقدم ذكره والأمر في الزيادة والنقص في ذلك بحسب المناسبة راجع إلى نظر الكاتب . على أن المقتر الشمهاني ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر في "التعريف" عدة وصايا ليست مما يكتب الآن ، فأضربنا عن ذكر مقاصدها هنا : لتورد برمتها في الكلام على ما يكتب في متن التقاليد والتواقيع ونحوها ، مع النسخ التي تورد هناك على صورة ما أوردها ، لينسخ على منوالها إن أمر بكتابة شيء منها .

المقصد الثاني

(في بيان مقاصد ما يكتب في الولايات ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيان الرسوم في ذلك ، ومقادير قطع الورق لكل صنف منها)

على سبيل الإجمال

وهي على أربعة أنواع :

النوع الأول

(التقاليد)

جمع تقليد . يقال : قلده أمر كذا إذا وليته إياه . قال الجوهري : وهو مأخوذ من القلادة في العنق ، يقال قلدت المرأة فتقلدت ، قال : ومنه التقليد في الدين أيضا .

ثم التقاليد تستعمل على طرة ومثن ، فاما الطرة فقد أشار إليها في "التعريف" بقوله : وعنوانها «تقليد شريف لفلان بكذا» . وأوضح ذلك في "التعريف" فقال :

وصورته : أن يكتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقتز الكريم ، أو إلى الجناح الكريم ، أو إلى الجناح العالى الأميرى الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، أعز الله تعالى أنصاره ، أو نصرته ، أو ضاعف الله تعالى نعمته ، نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، أو بحاب المحروسة ، أو بطرابؤس المحروسة ، أو نحوها ، على أجمال العوائد فى ذلك وأكمل القواعد على ما شرّح فيه .

قلت : وتفصيل هذا الإجمال : إن كان المكتوب له التقليد هو النائب الكافل ، كتب فى طرّة تقليده : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقتز الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيلى ، الفلانى ، فلان الفلانى ، بلقب الإضافة إلى لقب السلطان ، كالناصرى مثلا ، كغالة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية ، أعلاها الله تعالى على أجمال العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرّح فيه .

وإن كان التقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقتز الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيلى ، فلان الناصرى ، مثلا كغالة السلطنة بالشام المحروس على أتمّ العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرّح فيه .

وإن كان التقليد بِنِابة السلطنة بحاب ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناح الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى ، أعز الله تعالى نصرته ، نيابة السلطنة الشريفة بحاب المحروسة ، على أجمال العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرّح فيه .

وإن كان التقليد بِنِابة طرابؤس ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناح العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى : ضاعف الله

تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بطرابُلس المحروسة، على أجمل العوائد في ذلك
وأكل القواعد، على ما سُرح فيه .

وإن كان التقليد بِنِياية السلطنة بِحِماة، أُبدل لفظ طرابُلس بِحِماة .

وإن كان بِنِياية السلطنة بِصَفَد، أُبدل لفظ طرابُلس وَحِماة بِصَفَد، والباقي على
ما ذُكر في طرابُلس .

وإن كان التقليد بِنِياية السلطنة بِغَزّة - حيثُ جُعِلت نِيايةً - كتب : تقليدُ
شريفُ بأن يفوّض إلى الجَنابِ العالى، الأميرى، الكبيرى، الكافى، الفلافى،
فلاينِ الناصرى : أدام الله تعالى نعمته، نيابةً السلطنة الشريفة بِغَزّة المحروسة، على
أجمل العوائد، وأكل القواعد، على ما سُرح فيه .

فإن كان مُقدّم العسكر كما هو الآن، أُبدل لفظ نِياية السلطنة الشريفة بلِفظ
« تَقْدِمة العسكر المنصور » والباقي على ما ذُكر .

وإن كان التقليد بِنِياية السلطنة بالكرك، كُتب : تقليدُ شريفُ بأن يفوّض إلى
المجاسِ العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلافى، فلاينِ الناصرى : أدام الله تعالى
نعمته، نيابةً السلطنة الشريفة بالكرك المحروس، على أجمل العوائد، وأكل القواعد،
على ما سُرح فيه .

وإن كان التقليد بالوزارة، كتب : تقليدُ شريفُ بأن يفوّض إلى الجَنابِ العالى
الصاحِبى، الفلافى، فلاينِ الناصرى : ضاعفَ الله تعالى نعمته، الوزارةُ الشريفةُ
بالممالك الإسلامية أعلاها الله تعالى، على أجمل العوائد، وأكل القواعد، بالمعلوم
الشاهد به الديوان المعمور، على ما سُرح فيه .

وإن كان التقليد بكتابة السر، كُتِبَ : تقليدُ شريفُ بأن يفوض إلى الجنب العالى، القاضوى، الكبيرى، اليمينى، الفلانى، فلان الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته، صحابهُ دواوين الإنشاء الشريفة بالمالك الإسلامية، أعلاها الله تعالى، على أجمل العوائد، وأكل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، كُتِبَ : تقليدُ شريفُ بأن يفوض إلى الجنب العالى، القاضوى، الكبيرى، الفلانى، فلان : أعز الله تعالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، على أجمل العوائد، وأكل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الحنفية، كتب كذلك، إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بلفظ الحنفية .

وإن كان التقليد لأمر مكة، كتب : تقليدُ شريفُ بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الشريفى، فلان الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة مكة المشرفة، على أجمل العوائد، وأكل القواعد، على ما شرح فيه .

وإن كان بإمرة المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام، كتب كذلك إلا أنه يُبدل لفظ مكة المشرفة بلفظ المدينة الشريفة .

وإن كان بإمرة آل فضل، كتب : تقليدُ شريفُ بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة آل فضل، على أجمل العوائد، وأكل القواعد، على ما شرح فيه .

هذه جملة ما عُهدت كتابته من التقاليد المكتتبة من ديوان الانشاء بالأبواب الشريفة، فإن حَدث كتابته ما يستحق أن يكتب له تقليدٌ، كالأنابكية ونحوها، كتب بالألقاب اللائقة بصاحبه .

ثم وراء ذلك أمران : أحدهما - أنه قد تقدم نقلا عن "التعريف" أنه يكتب في العُنوان الذي هو الطرة : « تقليدٌ شريفٌ لفلان بكذا » فإن كتب تقليدٌ بكفالة السلطنة مثلا، كتب : « تقليدٌ شريفٌ للقرّ الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الفلانى ، بكفالة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه » .

الثانى - أنه اقتصر في "التثقيف" على قوله في آخر الطرة ، على أجمل العوائد في ذلك وأكمل القواعد ، وليس الأمر منحصرًا في ذلك ، بل لو عكس بأن قيل : تقليد شريفٌ بأن يفوض إلى فلان كذا ، أو تقليدٌ شريفٌ لفلان بكذا على أكمل القواعد واجمل العوائد على ما شرح فيه ، لكان سائغا .

فإن كان صاحبُ التقليد على الرتبة : كالنائب الكافل ، ونائب الشام ، ونائب حلب ، والوزير ، وكاتب السرّ ، ونحوهم ، كتب على أجمل العوائد وأتمّها ، وأكمل القواعد وأعمّها ، أو بالعكس : بأن يكتب على أجمل العوائد وأعمّها ، وأكمل القواعد وأتمّها ، على ما شرح فيه .

وأما متن التقليد ، فقد قال في "التعريف" إن التقاليد كلها لا تُفتح إلا بالحمد لله وليس إلا ، ثم يقال بعدها : أما بعد ، ثم يذكر ما سنع من حال الولاية وحال الموثى ، وحسن الفكر فيمن يصلح ، وأنه لم ير أحق من ذلك الموثى ويسمى ، ثم يقال ما يفهم أنه

هو المقدم الوصف أو المتقدم إليه بالإشارة؛ ثم يقال: رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له) أن يقلد كذا، أو أن يفوض إليه كذا، والأول أجل؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه تارةً جُملياً وتارةً تفصيلاً، وينبّه فيه على تقوى الله تعالى؛ ثم يختم بالدعاء للمولوى، ثم يقال: وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخط الشريف أعلاه.

قال: ولفضلاء الكُتاب في هذا أساليب، وتفنن كثير الأعاجيب، وكل مالوف غريب، ومن طالع كلامهم في هذا وجد ما قلناه، ونجلى له ما أهتمناه.

وذكره في "التنقيف" بأوضح معنى وأبين، فقال: ويكتب بعد الصدر بمُطبة مناسبة أولها الحمد لله إلى آخرها، ثم أما بعد، ويذكر ما يرى ذكراً من حال الولاية والمولوى، ويذكر اسمه، وهو أن يقال: ولما كان المقر، أو الجناب، وألقابه ونعوته إلى آخرها، ويدعى له: أعز الله أنصاره أو نصرته، أو نحوه، على ما جرت به عادته، ولا يُزاد على دعوة واحدة؛ ثم يقال ما يفهم أنه المراد بهذه الأوصاف، أو المعنى بهذه الإشارة أو نحو ذلك؛ ثم يقال: آقتضى حُسن رأينا الشريف، ويذكر ما يقتضى تكريمه وتعظيمه؛ ثم يقال: فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى، الفلانى (ويدعى له بما يناسب الحال ثلاث دعوات أو أربعا) أن يفوض إلى المشار إليه كذا؛ ثم يقال: فليقلد ذلك، أو فليتلق هذا التفويض، أو نحو هذا؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه، ويحرص أن ينبّه فيه على العمل بالتقوى؛ ثم يختم بالدعاء للمولوى بالإعانة والتأييد ونحو ذلك ثلاث دعوات، وأكثرها أربع، وأقلها اثنتان؛ ثم يقال: بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه إن شاء الله تعالى؛ ثم التاريخ

والمستند، والحمدلة، والحسبلة على العادة . ولم يقل فيه : وسبيل كل واقف عليه ، كما قال في "التعريف" .

وأعلم أن التقاليد على اختلافها لا تخرج في مقادير قطع الورق عن مقدارين :
الأول - قطع الثلثين بقلم الثلث الثقيل . وفيه يكتب لنواب السلطنة بمصر والشام مطلقا ، وكذلك الوزير ، والمشير ، وكاتب السر ، وقاضي قضاة الشافعية والحنفية بالديار المصرية .

الثاني - قطع النصف بقلم الثلث الخفيف . وفيه يكتب لذوي التقاليد من أمراء العرب : وهم أمير مكة المشرفة ، وأمير المدينة الشريفة ، وأمير آل فضل من عرب الشام على ما تقدم ذكره . ولا يكتب من التقاليد شيء فيما دون هذا المقدار من قطع الورق بحال . وسيأتي الكلام على نسخ التقاليد فيما بعد ، إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(مما يكتب في الولايات السلطانية المراسيم)

جمع مرسوم ، أخذًا من قولهم : رسمت له كذا فارتسمه إذا آمنتله ، أو من قولهم : رسم على كذا إذا كتب ، ويحتمل أن يكون منهما جميعا .

وهي على ضربين :

الضرب الأول

(المراسيم المكبرة)

ولم يتعرض لها المقتر الشهابي ابن فضل الله في "التعريف" لأنها لم تكن مستعملة في زمنه وإنما حدثت بعده .

قال فى "التثقيف" : وهى على نمط التقاليد ليس بينهما اختلافٌ إلا فى أمرين : أحدهما - أنه لا يكتب شئٌ من المراسيم فى قطع الثلاثين بل فى قطع النصف أو الثلث . الثانى - أنه لا يقال فيها «تقليدٌ شريفٌ» بل «مرسومٌ شريفٌ» .

قلت : ويفترقان من أربعة وجوه . أحدها - أنه يقتصر فى طرّة المرسوم على «الأميرى» دون «الكبرى» بخلاف التقاليد فإنه يقال فيها «الأميرى الكبرى» . الثانى - أنه يقال فى المرسوم : «أن يستقر» ولا يقال : «أن يفوض» ولا : «أن يُقَدِّد» . الثالث - أنه لا يقال : «على أجمل العوائد وأتم القواعد» بل يقال : «على عادة من تقدمه وقاعدته» . الرابع - أنه لا يقال فى الصدر : «أما بعد» بل «وبعد» .

قال : وهى تخص بنواب القلاع المنصورة بالممالك الإسلامية، وأمراء العربان أو من بالشام وحلب، وشاذى مراكز البريد وغيرهم .^(١)
ثم هى على طبقتين :

الطبقة الأولى - ما يكتب فى قطع النصف بقلم خفيف الثلث . وذلك للنواب بالقلاع : من مقدّمى الألوفا والطبلخانات : كتاب حصص، والرحبة، والبيرة، وقلعة المسلمين، وملطية، وطرسوس، وأذنة، وبهسنى، والفتوحات الجاهانية وغيرها من يكتب له المجلس العالى والسامى بالياء أو بغيرياء على ما تقدم بيانه فى المكاتبات إليهم . وكذلك بعض أمراء العربان وهم أمير آل على، وأمير آل مراد، وأمير بنى عقببة . قال فى "التثقيف" : وصورة ما يكتب فى الطرّة أن يكتب :

(١) لعله من الشام الخ . تأمل .

« مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلسُ العالى أو السامى الأميرى ، الفلانى ، فلان (ويدعى له بما يناسبه) فى النيابة فى الجهة الفلانية على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما أُشِرِح فيه » .

إن كانت النيابة مقدمة ألف : كنيابة الرّجبة ونحوها ، كُتِب فى طرّة مرسومٍ نائبها : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلسُ العالى الأميرى الفلانى فلان ، أدام الله تعالى نعمته ، فى المكان الفلانى على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كانت النيابة طلبًا ناه كُتِب : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلس السامى الأمير فلان ، أدام الله تعالى تاييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » ، أو كُتِب : « مرسومٌ شريفٌ أن يستقر المجلس السامى الأمير فلان الدين فلان ، أدام الله تعالى تاييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كانت نيابة قلعة دِمَشق ، كُتِب : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلسُ العالى ، الأميرى ، فلان ، أدام الله تعالى نعمته فى النيابة بالقلعة المنصورة بدمشق المحروسة ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ، على ما أُشِرِح فيه » . وكذلك كلُّ قلعة بحسب ألقاب نائبها التى يُكاتب بها .

ثم يُكَتَب فى الصّدر بعد البسملة خُطبةً مَفْتَحَةٌ بالحمد لله ، ثم يقول : وبعد ، ويأتى بنحو ما تقدم ذكره فى التقاليد ، ثم يقال : ولما كان المجلسُ العالى أو السامى إلى آخر ألقابه ، ثم يقال : فلان ، ويدعى له بما جرت به عادته ، ويقال ما يفهم منه أنه المقصود بما تقدم ذكره من المدح والأوصاف السابقة ؛ ثم يقال : فلذلك رُسم

بالأمر الشريف إلى آخره أن يستقر المشار إليه في كذا على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته، فليتأق ذلك ونحوه . ثم يوصى بما يناسب وظيفته التي تولّاها، ويختم بنظير ما تقدم ذكره في ختم التقاليد .

الطبقة الثانية — من المراسيم المكبرة ما يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات . قال في "التتقيف" : وصورته في الطرة والصدر على ما تقدم في الطبقة الأولى، إلا أن خطبته تفتتح بأما بعد حمد الله، وتختتم بما تقدم ذكره . قال : وقد تكتب لثواب القلاع من أمراء العشرات : مثل نائب بقراس، ونائب الدر بساك، ونائب كركر، ونائب الكختا، ونحوها . قال : وكذلك أرباب الوظائف غير النيابات، مثل شادّ الدواوين بالشام وحلب، وشادّ مراكر البريد بهما، ونحو ذلك، وبعض أمراء العرب : كأمر بنى مهدي، ومقدم عرب حرم، ومقدم عرب زبيد على نذرة فيه . فإن كان المرسوم بنبابة من النيابات المذكورة وغيرها، كتب : «مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامى، الأمير فلان الدين أعزه الله تعالى، فى النبابة ببقراس، أو بالدر بساك، أو بكركر، وما أشبه ذلك على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بشدّ بالشام أو بحلب، كتب : «مرسوم كريم أن يستقر المجلس السامى، الأمير، فلان الدين : أعزه الله تعالى فى شدّ الدواوين بالمكان الفلانى، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» . وإن كان بشدّ مراكر البريد، أبدل لفظ «شدّ الدواوين» بلفظ «شدّ مراكر البريد بالمكان الفلانى» . وإن كان بإمرة بنى مهدي، كتب : «فى إمرة بنى مهدي، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب بحرّم، كتب : «فى مقدمة عرب بحرّم، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب زبيد، أبدل لفظ جرم بزبيد، وعلى ذلك .

الضرب الثاني

(من المراسيم التي تكتب بالولايات المراسيم المصغرة)

وهي ما يكتب في قطع العادة، وبها يكتب لأرباب السيوف بالولايات الصغيرة مثل نظير الأوقاف ونحوه . وهي صنفان :

الصنف الأول — ما يُترك فيه أوصالٌ بياض بين الطرة والبسمة، وهي أعلاها، ويكتب بالسامى بغير ياء أو مجلس الأمير :

وصورتها أن يكتب في الطرة : « مرسومٌ شريفٌ أن يستقر المجلس السامى الأمير فلان الدين ، أو مجلس الأمير فلان في كذا وكذا بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوانُ الوقف ، أو نحو ذلك ، على ما شرح فيه » ثم يكتب في الصدر بعد البسمة ماصورته : « رسمٌ بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطاني ، المملكي ، الفلاني » (باللقب الخاص ولقب السلطنة) ويدعى له بما فيه براءة الاستهلال بذكر الوظيفة أو اسم صاحبها أو لقبه ونحو ذلك ، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد « أن يستقر المجلس السامى ، الأمير ، الأجل » (إلى آخر ألقابه) ، أو أن يستقر مجلس الأمير ، الأجل (إلى آخر الألقاب) لما له من كذا وكذا (ويأتي من صفات المدح بما يناسب المقام) ثم يقال : فليباشر ذلك ، أو فليتناق ذلك ، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة بكذا ونحو ذلك . ثم يوصى بما يليق به ، ويدعى له بدعوتين فقط ، ثم يقال : بعد الخط الشريف العالى أعلاه الله تعالى .

قلت : وهذا الصنف إن روعي صاحبه ، كتب في قطع العادة المنصوري ، وإلا ففي قطع العادة الصغير . قال في "التثقيف" : ومما ينبئ عليه أنه لا يكتب

مرسومٌ شريفٌ في قطع العادة إلا بمثل نيابة الشَّيْفِ بَصْفِدُ وَصَرَّخِدُ وَتَجَلُّونُ^(١) والصَّبِيْبَةُ ، فإنه لا يُؤْتَى فيها إلا مقدَّمُ حَلْقَةٍ او جنسدى ، ومثل هذا لا يكتب عن المواقف الشريفة إلا نادرا، فإن كُفَّال الممالك يَسْتَبْتون بالتولية في ذلك .

الصنف الثاني — ما يكتب في هيئة ورقة الطريق ، ويكون في ثلاثة أوصال ؛ وصورته أن يكتب في الطزرة ماصورته : «مرسومٌ شريفٌ أن يستقر فلان ، أو أن يرتب فلان في كذا وكذا، على ماشرح فيه» ويكون ذلك في سطرين ، ولا يكتب في أعلاه الأسمُ الشريفُ كما يكتب في غيره : لأن من المعلوم أنه لا يكتب في هذا إلا الأسمُ الشريفُ فيستغنى عن ذكره ؛ ثم يكتب في آخر ذلك الوصل : «رُيِّم بالأمر الشريف» على نحو ما تقدم ، إلا أنه لا يحتاج في الدعاء إلى ما يكون فيه براعة أستهلال ، بل يكفي «أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه في الآفاق وصرفه» ونحو ذلك «أن يستقر فلان في كذا أو يرتب في كذا ، فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى» .

النوع الثالث

(مما يكتب في الولايات السلطانية التفاويض)

جمع تفويض ؛ وهو مصدر فوض الأمر إلى زيد إذا رده إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أى أرده إليه . قال في «التعريف» : وبه يكتب لعامة القضاة ، يعنى ممن دون أرباب التقاليد ، وهى من تمت التقاليد ، غير أنها يقال في تعريفها «تفويض شريف لفلان بكذا» . ومقتضى ما ذكره أنه إذا

(١) لعله وصفد بواو العطف . تأمل!

كتب « تفويض شريف بقضاء قضاة الديار المصرية مثلاً » يكتب في الطرة :
 « تفويض شريف للجلوس العالى ، القاضوى ، الكيرى ، بقضاء قضاة المالكية
 بالديار المصرية ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان
 المعمور على ما شرح فيه » ثم يأتى بنحو ما تقدم ترتيبه فى التقاليد ، إلا أنه
 يكون أخصر .

قلت : ولم أرف على نسخة تفويض غير نسخة واحدة من إنشاء المقر الشهابى
 ابن فضل الله لبعض قضاة دمشق . وقد أنشأت أنا تفويضا بقضاء قضاة المالكية
 بالديار المصرية لقاضى القضاة جمال الدين يوسف الإساطى ، حين ولى على أثر
 ولاية قاضى القضاة جلال الدين البلقينى^(١) قضاء قضاة الشافعية ، أفتتحته بلفظ :
 « الحمد لله الذى شفع جلال الإسلام بجماله » وكتبت له به ، وكتبت فى طرته :
 « تفويض شريف للجلوس العالى ، القاضوى ، الجمالى ، يوسف الإساطى المالكى ،
 أعز الله تعالى أحكامه بقضاء قضاة المالكية بالديار المصرية ، على أجمل العوائد ،
 وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه » . وقرأته بالمجلس العام بالمدرسة المنصورية .
 وسيأتى ذكر نسخته فى الكلام على النسخ فى المقصد الثانى من هذا الطرف ،
 إن شاء الله تعالى .

(١) بلقينية يضم الباء وسكون اللام وكسر القاف كما فى المعجم والقاموس .

النوع الرابع (التواقيع ، جمع توقيع)

قد تقدم في مقدمة الكتاب عن ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكُتَّاب: أنَّ التوقيع معناه في اللغة التأثير الخفيف ، ومنه قولهم : ناقةٌ موقَّعةٌ الجنبُ إذا أثر فيها الرَّحْلُ تأثيراً خفيفاً ، وأنه يحتمل غير ذلك . وفي اصطلاح الأقدمين من الكُتَّاب أنه اسم لما يُكْتَبُ في حواشى القِصَصِ تخطُّ الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدم ، وخط كاتب السِّرِّ الآن ؛ ثم غلب حتى صار علماً على نوع خاص مما يُكْتَبُ في الولايات وغيرها . قال في " التعريف " : وهى على أنموذج التفاوض . قال : وقد يقال : أن يرتب ، وأن يقدم ، ثم قال : وعنوانها « توقيع شريف لفلان بكذا » ولا يقال فيها على اختلافها : « وسبيل كل واقف عليه » كما في التقاليد ، بل يقال : « فليعتد ما رسم به فيه بعد الخط الشريف أعلاه » . وقد ذكر في " التعريف " أنها تكون لعامة أرباب الوظائف جليلها وحقيريها ، وكبيرها وصغيرها ، حتى الطبليخانات اللاحقين بشأو الكبار فمن دونهم . وقال في " التثقيف " : إنها مختصة بالمتعممين من أرباب الوظائف الدينية والديوانية ، ولا يُكْتَبُ لأرباب السيوف منها إلا القليل : مثل نظر البيارسُتان ، ونظر الجامع الحديد ، ونظر الحرمين الشريفين ، يعنى حرم القدس وحرم الخليل عليه السلام .

قلت : والجامع بين كلاميهما أنه في زمن صاحب " التعريف " كانت التواقيع تُكْتَبُ بالوظائف لأرباب السيوف من الثيابات وغيرها قبل أن تُحدَثَ المراسمُ المكبرة المقدمة الذكر ؛ ثم خُصَّت التواقيع بعد ذلك بالمتعممين دون أرباب

(١) الجنب والجانب والجنب محركة شق الانسان . قاموس .

السيوف . ومضى الأمر على ذلك في زمن صاحب "التثقيف" بغري على حكمه ولم يبق ممن يكتب له توقيع من أرباب السيوف سوى نظار الجهات الثلاث المتقدمة الذكر : من البيارستان المنصوري ، والجامع الجديد الناصري بمصر ، ونظر الحرمين : حرم القدس الشريف ، وحرم الخليل عليه السلام . والحكم باق على ذلك إلى الآن .

ثم التوقيع على اختلافها لا تخرج عن أربع طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يفتح بخطبة مفتوحة بالحمد لله ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف بقلم خفيف الثلث . قال في "التثقيف" : وصورته يعني ما يكتب به لأرباب الأقلام أن يكتب في الطزة : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي ، القاضوي ، الكبيرى ، الفلانى (ويُدعى له دعوة واحدة) بما جرت به عادته ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخروقت على ما شرح فيه » .

قال : فإن كان حاكماً ، كتب له بعد الكبيرى ، الحاكمى . وإن كان كاتب السر ، كتب له بعد الكبيرى ، اليمينى ، لاغير . ثم يكتب في الصدر خطبة مفتوحة بالحمد لله ثم يقال : أما بعد ، والتمة على نظير ما ذكر في التقاليد إلا فيما يليق بالوظيفة والمتولى لها مما يناسب الحال . وقد ذكر في "التثقيف" أنه كان يكتب بذلك للقضاة الأربعة بالديار المصرية ، والقضاة الأربعة بالشام ، وكاتب السر بمصر

(١) لم يذكر المفوض به إليه لعلم به من فظاثره والأصل أن يفوض الى المجلس نظر الجامع الجديد الناصري مثلا بما جرت به الخ فتنه .

والشام ، وناظر الجيش بهما ، وناظر الدواوين المعمورة والصُّحبة الشريفة ، وهو ناظرُ الدولة .

وحينئذ فإن كتب بذلك لقاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية على ما كان الأمرُ عليه أولاً ، كتب فى الطرة « توقيعُ شريفُ بأن يستقرَّ المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى ، الفلانى ، فلان : أعزَّ الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية ، على أجمل العوائد وأتممها ، وأكمل القواعد وأعتمها ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوانُ المعمور ، على ما سُرح فيه » .

وإن كتب به لقاضى القضاة الحنفية ، على ما كان الأمرُ عليه أولاً أيضاً ، كتب له نظير قاضى القضاة الشافعية إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بـ «الحنفية» .

وإن كُتب لقاضى القضاة المالكية ، على ما الأمرُ مستقرُّ عليه الآن ، كتب له كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية والحنفية بـ «المالكية» .

وإن كُتب لقاضى القضاة الحنابلة فكذلك ، ويقال فيه «الحنابلة» .

وإن كتب به لأحد من القضاة الأربعة بالشام ، فكذلك ، إلا أنه يقال قضاء قضاة الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة بالشام المحروس .

وإن كتب به لكاتب السرِّ على ما كان الأمرُ عليه أولاً ، كتب : « توقيع شريفُ بأن يُفوض إلى المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى ، اليمينى فلان ، ضاعفَ الله تعالى نعمته ، صحابة دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية أعلاها الله تعالى ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوانُ المعمور ، على ما سُرح فيه » .

وإن كُتِبَ به لكاتبِ السمر بالشام، أُبدِلَ لفظُ الممالكِ الإسلاميةِ «الشامِ المحروسِ» .

وإن كُتِبَ به لناظرِ الجيشِ بالديارِ المصريةِ، كُتِبَ : «توقيعُ شريفٍ بأن يفوضُ إلى المجلسِ العالى، القاضِي، الكبيرِ، الفلانى، ضاعفَ الله تعالى نعمته، نظرُ الجيوشِ المنصورةِ بالممالكِ الإسلاميةِ، أعلاها الله تعالى على ما شُرح فيه» .

وإن كُتِبَ به لناظرِ الجيشِ بالشامِ، أُبدِلَ لفظُ الممالكِ الإسلاميةِ «الشامِ المحروسِ» .

وإن كُتِبَ به لناظرِ الدولةِ، كُتِبَ : «توقيعُ شريفٍ بأن يفوضُ إلى المجلسِ العالى، القاضِي، الكبيرِ، الفلانى، فلان، ضاعفَ الله تعالى نعمته، نظرُ الدواوينِ المعمورةِ والصَّحبةِ الشريفةِ، على أجملِ العوائدِ، وأكملِ القواعدِ، بالمعلومِ الشاهدِ به الديوانُ المعمورُ على ما شُرح فيه» .

وإن كُتِبَ به لناظرِ البيارستانِ لصاحبِ سيفٍ^(١)، كُتِبَ : «توقيعُ شريفٍ أن يفوضُ إلى المقرِّ الكريمِ، أو الجنابِ الكريمِ، أو العالى (على قدر رُتبته) الأميرِ، الكبيرِ، الفلانى، فلانِ الناصرى مثلاً : أعزَّ الله أنصاره، أو نصرته، أو ضاعفَ الله تعالى نعمته (بحسب ما يليق به) نظرُ البيارستانِ المعمورِ المنصورى، على أجملِ العوائدِ، وأكملِ القواعدِ، بما لذلكِ من المعلومِ الشاهدِ به الديوانِ المعمورِ على ما شُرح فيه» . وكذلك نظرُ الجامعِ الحديدِ ونظرُ الحرمينِ الشريفينِ كلُّهما يناسبُ الألقابِ . وعلى ذلك .

(١) لعله وكان صاحب سيف .

المرتبة الثانية من التواقيع — ما يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات ، وهو لمن مرتبته السامى بالياء . قال في "التثقيف" : وصورته في الطرة والصدر على ما تقدم شرحه لكن بأخصر مما تقدم . قال : وبذلك يكتب لتقيب الأشراف ولقضاة القضاة بحلب وطرابلس وحماة وصدق والكرك ، وكذلك لقضاة العسكر بالممالك المذكورة والمفتين بدار العدل بها ، ووكلاء بيت المال بها ، والمحاسبين ، ونظار الجيش بها ، وكتاب الدست بمصر والشام ، وناظر البيوت بالديار المصرية . وكذلك ناظر خزان السلاح ، ومستوفي الصعبة ، وناظر بيت المال ، وناظر الخزانة الكبرى وخزانة الخاص ، وناظر الأحباس ، ومشايخ الخواتم الجبار : كسعيد السعداء ، وبيبرس بالقاهرة ، والشميمصاتيية بدمشق . وكذلك مقدمة الترمكان بالشام ، ومقدمة الأكراد به ، ومشيخة العائد .

فإن كتب بذلك لتقيب الأشراف ، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الأميرى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى علوه ، في تقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه» .

وإن كتب لقاضى قضاة الشافعية بحلب ، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أيد الله تعالى أحكامه ، في قضاء قضاة الشافعية بحلب المحروسة ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» .

وإن كتب للمعنى بها كتب كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية بـ«الحنفية» وكذا فى المالكية والحنابلة .

وإن كتب لأحد قضاة القضاة بغيرها : كطرابلس ، وحماة ، وصدق ، والكرك ، أبدل لفظ حلب بلفظ تلك المدينة ، والباقي على حكمه .

وإن كتب لأحدٍ من قضاة العسكر بالممالك المذكورة ، كتب « توقيع شريف » بأن يستقر المجلس السامى ، القضاة ، فلان الشافعى ، مثلا أو نحو ذلك : أيد الله تعالى أحكامه ، فى قضاء العسكر المنتصور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته .

وإن كتب بإفناء دار العدل بشيء من هذه الممالك ، أبدل لفظ « قضاء العسكر » بلفظ « إفناء دار العدل » والباقى على حكمه .

وإن كتب لأحدٍ من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاة ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من المحتسبين بهذه الممالك ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاة ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى نظر الحسبة الشريفة بالمكان الفلانى على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاة ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى وكالة بيت المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من نظار الجيش بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاة ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى نظر الجيوش المنصورة بالمملكة الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من كُتَّاب الدُّسْت بالديار المصرية، كتب «توقيع شريفٌ بأن يستقر المجلس السامى، القضاى، الفلانى، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه، فى كتابَة الدُّسْت الشريف بالأبواب الشريفة» . ثم إن كان عن وفاة عيِّنه أو بتزول عيِّنه .

وإن كان بالشام، أُبدل لفظ «بالأبواب الشريفة» بلفظ «بالشام المحروس» .

وإن كتب بذلك فى نظر البيوت بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى، القضاى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر البيوت المعمورة» .

وإن كُتِب لأحدٍ بنظر خزائن السلاح بالديار المصرية، كتب «توقيع شريفٌ بأن يستقر المجلس السامى، القضاى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى خزائن السلاح المنصورة، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب باستيفاء الصُّحبة، كتب «توقيع شريفٌ أن يستقر المجلس السامى، القضاى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى آستيفاء الصُّحبة الشريفة، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر بيت المال، كتب «توقيع شريفٌ بأن يستقر المجلس السامى، القضاى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر بيت المال المعمور، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر الخزانة الكُبرى، كتب «توقيع شريفٌ أن يستقر المجلس السامى، القضاى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر الخزانة العالية الكُبرى، على عادة من تقدّمه وقاعدته» .

وإن كتب بنظر نحرّانة الخاص ، أبدل لفظ الخزانة العالية الكبرى بلفظ خزانة الخاص الشريف ، والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بنظر الأحباس ، كتب « توقيع شريف ان يستقر المجلس السامى ، القضائى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتّه ، فى نظر الأحباس المبرورة ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب بمشيخة الخانقاه الصلاحية (سعيد السعداء) كتب « توقيع شريف ان يستقر المجلس السامى ، الشيخى ، الفلانى : أعاد الله تعالى من بركاته ، فى مشيخة الخانقاه الصلاحية ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بمشيخة خانقاه بيبرس ، أبدل لفظ « الخانقاه الصلاحية » بلفظ « الخانقاه الركنية بيبرس » والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بمشيخة الشميصاتية بدمشق ، أبدل ذلك بلفظ « الخانقاه الشميصاتية بالشام المحروس » .

وإن كتب بتقدمة التركان بالشام ، كتب « توقيع شريف بان يستقر المجلس السامى ، الفلانى : أعزّه الله تعالى ، فى تقدمه التركان بالشام المحروس ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بتقدمة الأكراد ، أبدل لفظ « التركان » بلفظ « الأكراد » .

وإن كتب بمشيخة العائد ، كتب « توقيع شريف بان يستقر المجلس السامى الفلانى : أعزّه الله تعالى ، فى مشيخة العائد ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .
وعلى ذلك .

الطبقة الثانية

(من التواقيع ما يُفْتَح بلفظ « أما بعد حمد الله » وهو لمن رُتِبته

السامى بغيرياء ، وهى على مرتبتين)

المرتبة الأولى - ما يُكْتَب فى قِطْعِ الثُلث ، وهو الأَصْلُ فيما يُكْتَب فى الثُلث ثم تُرْفَى عنه إلى رُتْبَةِ الأَفْتاح بالحمد . ألا ترى أن المَنَاشيرَ التى تُكْتَب فى قِطْعِ الثُلث بقلم التوقيعات تَفْتَحُ كُلُّهَا بلفظ « أما بعد » على ما سيأتى بيانه فى المقالة السادسة ، فى الكلام على المَنَاشير ، إن شاء الله تعالى .

وصورته أن يكتب فى الطرة « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، فلان الدين أو الشيخ فلان الدين فى كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شرح فيه » ثم يكتب فى الصدر « أما بعد حمد الله » ويصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : « فإن أولى الأمور بكذا من هو بصفة كذا » أو « إن أولى الناس بالتقديم من هو متصف بكذا » ونحو ذلك ، ثم يقال : « ولما كان المجلس » ويؤتى بنحو ما تقدم فى المفتاح بالحمد لله .

قلت : وقد قلَّ استعمال هذا الضرب بديوان الإنشاء الشريف وإن كان هو الأصل فيما يكتب فى هذا القطع ، حتى لا يكاد يكتب به إلا فى النادر ، تغالبا فى رِفعة المكتوب لهم ، مع المسامحة لهم فى مثل ذلك .

المرتبة الثانية - ما يُكْتَب فى قِطْعِ العادة المنصورى .

والأمر فيه على ما تقدم فيما يكتب من هذه الطبقة فى قطع الثلث . قال فى « التثقيف » : وهو قليل جدًا لا يكون إلا فى تدريس كبير ، أو نظير وقيف

كبير، أو مشيخة الحرم الشريف بالقدس الشريف، إن لم يكن في قطع الثلث؛ أو لرجل كبير قديم الهجرة في الخدمة الشريفة، إلا أن الوظيفة صغيرة لا تقتضى أن تكون في قطع الثلث .

الطبقة الثالثة

(من التواقيع ما يفتتح بلفظ «رُسم بالأمر الشريف» وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع العادة المنصوري بقلم الرقاع، وهو لمن رتبته السامي بغيرياء ممن لم تبلغ رتبته قطع الثلث . قال في «التثقيف»: «وصورته أن يكتب في الطزة «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي القاضي فلان الدين: أعزه الله تعالى في كذا، أو أن يُرتب، أو أن يُقدم» ويذكر ما تضمنته الشاهد من قصة أو قائمة من ديوان الوزارة أو الخاص أو غير ذلك «على ما شرح فيه». قال: ثم يكتب في الصدر بعد البسملة «رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطاني، الملكي، الفلاني، الفلاني، باللقب الخاص، ولقب السلطنة»: مثل الناصري، الزيني، ونحو ذلك (ويدعى للسلطان بأدعية تناسب الوظيفة والمتولى لها، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد) «أن يستقر المجلس السامي، القاضي، فلان الدين فلان، أو مجلس القاضي فلان الدين فلان: أعزه الله تعالى في كذا، لما له من صفات هي كذا وكذا (ويأتي من صفات المدح بما يناسب المقام) ثم يقال: فليباشر ذلك، أو فليتلق هذا الإحسان، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة» ونحو ذلك؛ ثم يوصى بما يليق بتلك الرتبة، ويدعى له بسجعتين فقط . ثم يقال: «بعد الخط الشريف أعلاه». ثم قال: وبذلك يكتب لكتاب الدرج، ومستوفي

الدولة ، وناظر الأهراء ، وناظر المطابخ ، ومشايخ الخواثق الصغار ، والتدريس الصغار ، وأنظار الأوقاف الصغار ، ونحو ذلك مما لا يأخذه حصر .

وحيثذ فإن كُتِبَ بذلك لكاتب درج ، كتب فى الطرة « توقيع شريف أن يستقر مجلس القاضى فلان الدين فلان : أعزّه الله تعالى فى كتابة الدرج الشريف » .

وإن كتب به لمستوف من مستوفى الدولة ، كُتِبَ « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله نعمته ، فى آستيفاء الدولة الشريفة على عادة من تقدمه » .

وإن كُتِبَ لناظر الأهراء ، كُتِبَ « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله رفعتّه ، فى نظر الأهراء السعيدة » .

وإن كتب بنظر مطابخ السكر ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله تعالى رفعتّه ، فى نظر المطابخ السعيدة » .

وإن كتب بمشيخة خانقاه صغيرة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، الشيخى ، فلان الدين فلان ، أو مجلس الشيخ فلان الدين فلان : نفع الله تعالى ببركته ، فى مشيخة الخانقاه الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كُتِبَ بتدريس صغير ، كتب « أن يستقر فى تدريس المدرسة الفلانية ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بنظر وقف ، كتب « أن يستقر فى نظر الوقف الفلانى » ونحو ذلك .

ثم إن كان لشيء من ذلك معلوم يشهد به الديوان السلطاني ككتابة الدرج وأستيفاء الدولة، كُتِبَ بعد قوله وقاعدته: «بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور» .

وإن كان الشاهد بالمعلوم كتاب وقف، كتب «بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف المبرور» . ويقول في آخر طرزة كل ولاية من التقاليد، والتفاوت، والمراسيم، والتواقيع على اختلافها: «على ما شُرح فيه» .

الطبقة الرابعة

(التواقيع الصغار؛ وهي لأصغر ما يكون من الولايات:

من نظر وقف صغير ونحو ذلك، وتكون في ثلاثة أوصال ونحوها)

وهي على ضربين

الضرب الأول — ما يكتب على مثال أوراق الطريق .

وصورتها أن يكتب في أعلى الدرج: «توقيع شريف بأن يستقر فلان في كذا، على ما شُرح فيه» . ويكون ذلك في سطرين؛ ثم يكتب في آخر ذلك الوصل: «رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني» إلى آخر ما تقدم في الطبقة الثالثة . ويقال في الدعاء: «أعلاه الله وشرفه، وأنفذه وصرفه» ونحو ذلك . ثم يقال: «أن يستقر فلان في كذا» ويشرح ما تضمنته الجواب في هامش القصة . ثم يقال: «فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه، ويعمل بحسبه ومقتضاه، من غير عدول عنه ولا خروج عن معناه، بعد الخط الشريف أعلاه» .

الضرب الثانى — ما يُكْتَب على ظُهور القِصَص .

وكيفيته أن تُلصق القِصَّة التي شَمِلها جوابُ كاتب السِّرِّ أو غيره على وَصَلين من ورق العادة الصغير . قال فى "التثقيف" : وصورُها أن يُكْتَب فى ظاهر القِصَّة بغير بَسْمَلَة قبل الوصل الذى وصله بنحو أربعة أصابع ماصورته : « رُسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى » على نحو ما تقدّم . ويُدعى له : « أعلاه الله وشرّفه ، وأنفذه وصرّفه » على ما تقدّم فى الضرب الأول . ثم يقال : « أن يُتأمل ما أنهاه رافعها باطنا ، ولُيتقدّم بكذا وكذا » ويشرح ماتضمّنه الجوابُ فى هامش القِصَّة . ثم يقال : « فليعتد هذا المرسوم الشريف كلُّ واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخطّ الشريف أعلاه » . قال : وإن كان رافعُ القِصَّة ممن هو متميّز بعض التميّز قيل : « مترجمها » بدل « رافعها » . فإن زيد فى قدره ، قيل : « ما ذكره مجلس القاضى أو المجلس السامى القاضى » إن كان من هذه الرتبة ، وتُذكر بعض ألقابه . ثم يقال : « أدام الله علوه » أو « أعزه الله ، فليقدّم » ويكُل إلى آخره .

وأعلم أن المقرّ الشهابى ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر فى "التعريف" آفتتاحاتٍ أخرى للتواقيع بين رتبة «أما بعد حمد الله» ورتبة «رُسم بالأمر الشريف» فقال : بعد الافتتاح بأما بعد حمد الله : وقد تستفتح بقول : «أما بعد فإن أولى ما كان كذا» أو ما هذا معناه ، وقد تستفتح بقول : « من حسنت طرائقه ، ومحمدت خلائقه » أو ما هذا معناه ، وجعلها رتبة بعد رتبة .

قلت : وهذه الافتتاحات كانت مستعملة فى الدولة العباسية ببغداد ، وفى الدولة الفاطمية بالديار المصرية والبلاد الشامية ، ثم فى الدولة التركية إلى زمن المقرّ الشهابى

المشار إليه في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون؛ ثم رُفضت بعد ذلك، وترك استعمالها بالديار المصرية البتة، فلم يكن أحدٌ من كُتاب ديوان الإنشاء يستعمل شيئاً منها .

المقصد الثالث

(في بيان كيفية وضع ما يكتب في هذه الولايات في الورق ،

ويتعلق به عشرة أمور)

الأمر الأول — الطَّزَّة، وهي في اصطلاحهم عبارة عن طَرْف الدَّرَج من أعلاه، ثم أطلقوه على ما يكتب في رأس الدَّرَج مجازاً، تسميةً للشيء، باسم محله .

قلت : وليس صحيحاً من حيث اللغة، فإنه في الأصل مأخوذٌ من طُزَّة الثوب . وقد ذكر الجوهري وغيره أن طُزَّة الثوب هي طَرْفه الذي لأهدب فيه، والذي لأهدب فيه من الثوب هو حاشيته، بخلاف أعلاه وأسفله . نعم يجوز أن تكون مأخوذةً من الطَّرْبَعُ بمعنى القطع ، لأن الطَّزَّة مقتطعةٌ عن كتابة المتن ، يفصل بينهما بياضٌ ، ومنه سُمِّيَ الشَّعْرُ المرسل على الصُّدغ طُزَّة . وقد جرت العادة في كل ما يكتب له طُزَّةٌ أن يكتب في أعلى الدَّرَج في الوَسَط بقلم الرِّقاع بكل حالٍ ماضوته « الاسم الشريف » ثم تكتب الطَّزَّة تلو ذلك من أول عَرْض الدَّرَج إلى آخره ، دون هامشٍ عن يمينٍ ولا شمال : بحيث تكون أطراف المتصبات من أول السطر الأول ملاصقةً لأسفل ما كتب في أعلى الدَّرَج مما تقدم ذكره . ويأتي بالطَّزَّة المناسبة : من تقليد ، أو مرسوم ، أو تفويض ، أو توقيع ، بالقلم المناسب لمقدار قطع ذلك الورق على ما تقدم بيانه ، ويأتي على ما يكتب في الطَّزَّة على ما تقتضيه

الحال، على ما سبق ذكره إلى أن ينتهى إلى آخره . فإن آتتهى فى أثناء سطر، ترك باقىه بياضا، وكتب فى آخره «على ما شرح فيه» بحيث يوافق آخر ذلك آخر السطر . وإن آتتهى ما يكتب فى الطرة فى آخر السطر، كتب تحت ذلك السطر على حياىل آخره «على ما شرح فيه» كما تقدم ، لا يختلف الحال فى ذلك فى مكتوب ولاية، إلا فيما يكتب على ظهور القصاص : فإن العادة جرت فيه أن لا يكون له طرة، ولا يكتب فى أعلاه الأسم الشريف : لأنه قد علم أنه لا يكتب فيه إلا الأسم الشريف، فلم يحتج إلى تنبيه على ذلك .

الأمر الثانى — البسملة الشريفه . ومن شأنها أن يكتب فى أول كل ولاية لها شأن، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « كل أمرى ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم » يعنى ناقص البركة . ومحلها من كتب الولايات فى أول الوصل الرابع بعد أوصال البياض . أما مالا بال له من كتب الولايات : كالتواقيع التى على ظهور القصاص وما هو منها على صورة أوراق الطريق ، فقد جرى الإصطلاح على أنه لا يكتب فى أولها بسملة أصلا، بل تفتح بـ «رسم بالأمر الشريف» .

قلت : وقد كان القاضى علاء الدين على الكركى حين ولى كتابة السر الشريف بالديار المصرية فى أول سلطنة الظاهر برقوق الثانية أمر أن يكتب فى أول هذه التواقيع بسملة لطيفة المقدار، طلباً للتبرك، ثم ترك ذلك بعد موته وانتقال الوظيفة إلى غيره . ولا يخفى أن ما عليه الإصطلاح هو الوجه : فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد قيد ما يبدأ بالبسملة بما يكون له بال من الأمور، ومقتضاه أن مالا بال له لا يبدأ فيه بسملة . على أنه قد كان أمر أن تجعل البسملة قبل قوله «رسم بالأمر

الشريف» ومقتضى ذلك أن تقع العلامة فوق البسمة، وفيه مالا يخفى. بخلاف غيره من الولايات الكبار فإن العلامة تكون فيها تحت السطر الثاني من البسمة، على ما سيأتى بيانه.

الأمر الثالث — الافتتاح الذى يلى البسمة. وقد علمت مما تقدم أن الذى أستقر عليه آفتاح كتب الولايات على اختلافها من أعلى وأدنى لا يخرج عن ثلاثة أصناف:

أحدها — الافتتاح بالحمد لله، وهو أعلاها. ثم تختلف رتبته بعد ذلك باختلاف ما يكتب فيه من مقادير قطع الورق: إذ هو تارة تفتتح به التقاليد، وتارة تفتتح به المراسيم المكبرة، وتارة تفتتح به التفاويض، وتارة تفتتح به أرتواقيع.

الثانى — الافتتاح بأما بعد حمد الله. وهو المرتبة الثانية من المراسيم المكبرة، والتواقيع الكبار. وتكون فى قطع الثلث تارة، وفى قطع العادة المنصورية أخرى.

الثالث — الافتتاح برسم بالأمر الشريف. وهو المرتبة الثالثة من المراسيم والتواقيع، وهى أدنى رتبها. وتكون فى قطع العادة الصغير، وربما كتبت بها فى قطع العادة المنصورية.

الأمر الرابع — البعدية فيما يفتتح فيه بالحمد لله، وهو على ضربين.

الأول — أن يقال بعد التحميد والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: أما بعد، وهو الأعلى. وتكون فى التقاليد خاصة.

الثانى — وبعد، وهى دون أما بعد. وتكون فى التفاويض وكتب المراسيم والتواقيع. وقد مرّ القول على ذلك مستوفى فى الكلام على الفواتح فى المقالة الثالثة.

الأمر الخامس — وصفُ المتوَلَّى بما يُناسبُ مقامه ومَقَامَ الولاية من المدح والتعريف . وقد مرَّ القولُ على ذلك في المقصد الأول من هذا الطَّرَفِ، في الكلام على مقدمات الولايات .

الأمر السادس — الألقابُ المختصةُ بصاحب الولاية . قد تقدّم أنه يذكر في الطَّرِفة بعضُ الألقابِ التابعةِ للقبِ الأصليّ : من المقرِّ والجناب وغيرهما، مع التصريح باسمِ المولى والدعاء له بما يُناسبه، على ما تقدّم بيانهُ هناك . أما في أثناء الولاية، فإنه يُستوعب جميعُ ألقابه ويعاد ذكرُ الاسمِ والدعاء المذكور في الطَّرِفة . وقد تقدّم ذكرُ الألقابِ مستوفى في المقصد الأول من هذا الفصل في الكلام على مقدمات الولايات .

الأمر السابع — وصيةُ صاحبِ الولاية بما يُناسبُ ولايته . وقد تقدّم التنبيهُ على ذلك في الكلام على مقدمات الولاياتِ أيضا .

الأمر الثامن — الدعاءُ لصاحبِ الولاية بما يُناسبه إذا كان مستحقاً لذلك . وقد ذكر في "التعريف" أن من استُصغر من المولَّين لا يدعى له في أول ولاية ولا آخرها، وربما قيل بدل الدعاء أو بعده : « وانخيرُ يكون » .

الأمر التاسع — الخواتيم : من كتابة « إن شاء الله تعالى » والتاريخ، والمستند، والحمدلة، والتصلية، على نحو ما تقدّم في المكاتبات .

فأما المشيئة، فإنه يكتب في آخر مكتوبِ كلِّ ولاية : « إن شاء الله تعالى » في سطرٍ منفردٍ .

وأما التاريخ، فإنه يكتب في سطرين كما تقدّم في المكاتبات، فيكتب « كُتِبَ في يوم كذا من شهر كذا » في سطر، ويكتب « سنة كذا وكذا » في سطرٍ تحته .

وأما المستند، فإنه يكتب تحت التاريخ، كما تقدم في المكاتبات . فإن كان بتلق كاتب السر، كُتب في سطر واحد « حسب المرسوم الشريف » . وإن كان برسالة الدوادار، كتب « حسب المرسوم الشريف » في سطر، ثم كتب في سطر تحته « برسالة الجناب العالي الأميري، الكبيرى، الفلانى الدوادار، الناصرى » مثلا . وإن كان بخط السلطان، كتب « حسب الخط الشريف » . وإن كان بإشارة النائب الكافل، كتب « بالإشارة العالية الأميرية الكبيرة الفلانية » في سطر، وكتب « كافل المالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » في سطر تحته . وإن كان بإشارة الوزير، كتب « بالإشارة العالية الصاحبية الوزيرية الفلانية » في سطر، ثم كتب في السطر الثانى « مدبر المالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » . وإن كان الوزير صاحب سيف، أسقط منها « الصاحبية » . اللهم إلا أن يكون مرسوماً صغيراً أو توقيعاً صغيراً مما كُتب في هيئة ورقة الطريق أو على ظهر القصة، فإنه إن كان بتلق كاتب السر، كُتب المستند على حاشية التوقيع على سمت ما بين السطر الأول والثانى . وإن كان بإشارة النائب الكافل كُتب هناك « بالإشارة العالية » سطرين، على نحو ما تقدم فيما يكتب تحت التاريخ . وإن كان بإشارة الوزير، فالأمر كذلك . وإن كان برسالة الدوادار، كتب على الحاشية هناك « حسب المرسوم الشريف »، ثم كُتب تحت التاريخ « برسالة الجناب العالي » إلى آخر المستند .

وأما الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ففي سطر تحت المستند، كما فى المكاتبات، يكتب فيها « الحمد لله وحده » ثم يحلى بياضاً، ثم يكتب « وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه » .

وأما الحسبلة ، ففي سطر تحت ذلك يكتب فيه « حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » على ما تقدم في المكاتبات .

الأمر العاشر — البياض الواقع في كُتُب الولايات ، وله سِتَّةُ مواضع :
الأول — فيما بين الطَّزَّة والبسملة ، وهى ثلاثة أوصال بالوصل الذى فيه الطَّزَّة ، لا يتجاوز ذلك فى مقدار قطع كبير ولا صغير . إلا أنه ربما أَقْتَصِرَ على وصلين فيما استصغر شأنه من الرتبة الثالثة من التواقيع .

الثانى — الحاشية فيما على يمين البسملة وما بعدها . وأهل زماننا يعبرون عن ذلك بالهامش ، ولم أجد له أصلاً فى اللغة . وقد تقدم القولُ عليها فى المقالة الثالثة ، فى الكلام على متعلقات قطع الورق وما ينخرط فى سلكه . أما آخر الأسطر فإنه لا بياض فيه ؛ على أن ملوك الروم يجعلون لكتبهم حاشية من أول الأسطر وحاشية من آخرها ، على ما تقدم القولُ عليها فى الكُتُب الواردة عن صاحب القُسطنطينية .

الثالث — بيتُ العلامة ؛ وهو فيما بين السطر الأول : وهو الذى يلى البسملة ، وبين السطر الثانى : وهو الذى يكون فى آخر وصل البسملة . وقد تقدم فى الكلام على مقادير الورق فى المقالة الثالثة أن مقداره فى الزمن القديم كان قدر شبر ، وقد شاهدناه دون ذلك بقليل فيما كُتِب به فى الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" على ما يشهد به الموجود من تواقيعهم ؛ ثم تناقص قليلاً . فلما غلَا الورق وقُصرت الأوصال نقص مقداره حتى صار نحو شبر^(١) ، وهو على ذلك إلى الآن . ويزيد ذلك وينقص باعتبار قطع الورق فإنه فى القطع الكبير يكون الوصل أطول منه فى القطع الصغير .

(١) لعله نحو "نصف شبر" كما لا يخفى .

الرابع — ما بين الأسطر في متن الولاية . وهو على مقدار النصف من بيت العلامة في القطع الكبير والقطع الصغير ، لا يكاد ذلك يختلف إلا في التواقيع والمراسيم التي هي على هيئة أوراق الطريق ، والتي على ظهور القصص فإن ما بين السطرين منها يكون متضابقاً حتى يكون بقدر ثلاثة أصابع مطبوقه .

الخامس — ما بين أسطر اللواحق فيما بعد « إن شاء الله تعالى » فإنه يكون ما بين كل سطرين من ذلك قدر نصف ما بين السطرين في متن الولاية ، إلا في المستند إذا كان سطرين ، مثل أن يكون برسالة الدوادار ونحوها ، فإن السطرين يكونان متلاصقين .

السادس — ما بعد اللواحق في آخر الكتاب ، وهو قدر يسير يكون قدر إصبعين مطبوقين أو ثلاثة أصابع مطبوقات وما قارب ذلك .

المهيع الثاني

(في ذكر نسخ مما يكتب في متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة والتفاويض والتواقيع)

قلت : وقد كنتُ هممتُ أن أجعل آيات التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع : من الافتتاح « الحمد لله » أو « أما بعد حمد الله » أو « رُسم بالأمر الشريف » في فصل مستقل ، ومقاصدها المتعلقة بالوظيفة الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب من الأبتداآت المناسبة للاسم أو اللقب ونحوهما ثم بيّن القصد المتعلق بالوصف . ثم أضربت عن ذلك وأتيت بالنسخ على صورتها لأمر : منها — أن في تضييع النسخة إفساداً لصورتها وضياع فضيلة المنشئين (١) بياض بالأصل في غير نسخة ولله « في فصل على حدة ليعتار الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب الخ » .

وإشاعة ذكركم . ومنها - أن يعرف أن الصورة التي تُورد مما كُتِب به في الزمن السابق ، وأنها مصطلح قد أصطلح عليه أهل ذلك الزمان . ومنها - أن يعرف المنشئ ترتيب من تقدم لينسج على منواله . وإذا أراد من لأدربة له بالإنشاء أخذ تجميدة من تقليد أو توقيع وغيرهما ونقلها إلى مقصد من مقاصد الولاية لم يُعجزه ذلك .

ثم قسمته على ثلاثة أقسام .

القسم الأول

(ولايات وظائف الديار المصرية ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(الولايات بالحضرة ، وهي على ستة أضرب)

الأضرب الأول

(ولايات ارباب السيوف ، وهي على طبقتين)

الطبقة الأولى

(ذوات التقاليد ، وهي ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الكفالة ، وهي نيابة السلطنة بالحضرة)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف المملكة في المقالة الثانية أن الكفالة هي أعلى رتب نيابة السلطنة ، وأن النائب الكافل يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويُعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك ؛ بخلاف غيره من النواب فإن كل نائب لا يعلم إلا على ما يختص بخاصة نيابته . وقد تقدم في مقدمة الولايات أن لقبه «المقرّ الكريم» على ما استقر عليه الحال .

وهذه نسخةٌ تقليد بكفالة السلطنة ، كُتِبَ بها من إنشاء الشَّهاب محمود الحلبيّ
رحمه الله ، وهي :

الحمد لله الذي جعل رُكنَ الدولة في دولتنا الفاهرة ثابتَ القواعد ، على فرقد
الفرّاقد ، راقياً في رَبِّ العلو الآخذة من أفق التأييد بالمطالع ومن نُطق العزِّ بالمعاند ؛
حالياً بعقود المهابة التي لا تزال لرُعبها على الأعداء طلائع خيل في المراقب وورائع
خيال في المراقد ، حاوياً من أنواع المفاخر ما لو كثرته الدراري غدت وهي
لمجموعه فرّاقد ، أو فاحرته الدرر نقبتها الأفكار النواقد ، مقلداً من سُيوف الظفر
مالا تنبو في نصرة الإسلام مضاربه وكيف تنبو وأمرنا لعقود حمائها على عواقق
مجده عواقد .

نحمده على نعمه التي عدت أمور دولتنا بمن يرفع بأسه منارها ، وعقدت قواعد
مملكتنا بمن يوالى فضله أنوارها ، وعضدت هم أولياتنا بمن إذا تحيلت أعداء الدين
مواقع صوارمه كان أمنع صونها إسمارها وأنفع سلاحها فرارها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشرق الهمم ، بلوامعها ، وتُشرق
الكلم ، بجوامعها ، وتركو الأمم ، بما تنقل الألسنة منها عن القلوب إلى مسامعها ؛
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أقامنا الله لنصر دينه ، وألهمنا تفويض مصالح
أمتيه إلى كلِّ ولي ما رُفعت رأيه نصر إلا تلقاها عرابه مجده بيمينه ؛ وعضدنا
في جهاد أعدائه بأعز صفيّ ينوب بأسه للجيش عن طليعته ويقوم رأيه في الحرب
مقام كمينه ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آخراهم لصحبه وأرتضاهم ،
وأزهدهم لإقامة ملته وانتضاهم ، فمنهم من فاز بمزيجي سببه وتصديقه ، ومنهم من
كان الشيطان يُنكب عن طريقه ، ومنهم من آختر الشهادة على الانتصار بقريته

ورَفِيقَه، ومنهم مَنْ أَقامَه بِشَرَفِ الأُخُوَّةِ مَعَه مُقامَ شَقيقَه، صِلاةً يَبْلُغُه إِخْلاصُ مُقيمِها، وَيُعَرِّضُ عَلَيه إِيمانُ مُدِيمِها، وسَلِمَ .

أما بَعْدُ، فَإِنا مِنْ حِينِ أَوَرَّثنا اللهُ مُلْكَ الإِسلامِ لَاعنِ كَلالِه، وَأَلبَسنا فِي مَواقِفِ الذَّبِّ عَن دِينِه حُلَّ العِزِّ المُعَلِّمَةَ بِالْحِلالَةِ، وَمَكَّن لَنا فِي أَرْضِه، وَأَنهَضنا بِمَسْئُونِ الجِهادِ وفَرَضِه، وَنَشَرَ دَعوَةَ مُلْكِنا فِي طُولِ الوُجودِ وَعَرَضِه - لَمْ نَزَلْ نَزادُ لِكِفالَةِ المِمالِكِ الإِسلامِيَّةِ مِنْ تَأوِيِ مِنْه إِلى رُكنِ شَدِيدِ، وَرأى سَيِّدِ؛ وَحَرِّمَ يَقَرِّبَ مِنْ مَواهِبِ النَصْرِ كُلِّ بَعِيدِ، وَعَزَمَ إِذا أَرهَفَ صِوارِمَه مِنْ أذُنِ الصَّعِيدِ، وَجَفَّ لهُوْلُ مَواقِعِها بِأَبِ الحَديدِ؛ فَهُوَ المَطوِيُّ فِي أَثناءِ ضَمائِرِنا وَإِن تَقَلدنا قَبْلَه سِواهِ، وَالْمُنوِيّ فِي أحناءِ سَرائِرِنا وَإِنَّمّا لَأَمْرِي ما نَواهِ؛ قَد حَلَبَ قَدَمُ هِجْرَتِه، الدَّهْرَ أَشْطَرَه، وَكُتِبَ حُسنُ خِبرَتِه، مِنْ عُنوانِ السَّيرِ أَشْطَرَه، وَتَمَثَّلَتْ مَرآةُ الزَمانِ لِفِكْرِهِ فَاجتَلَى صُورَ الوَاقِعِ فِي صَفائِها، وَتَرَدَّدَتْ تِجارِبُ الأُممِ عَلَي سَمِعِه فَعَلِمَ ما يَأْتى وما يَدْرُ فِي تَرْكِها وَأَقْتِفاها؛ وَأَسْتَقْبِلَ دِوَلَةَ أَسلافِنا الشَّرِيفَةَ مِنْ فِوائِحِها: فَكانَ لسانَ مَحاسِنِها، وَبَيَّانَ مِيامِنِها؛ وَنِحرانَةَ سَرِّها، وَكِناةَ نَهْجِها وَأَمْرِها؛ وَطَلِيعَةَ تَأْيِيدِها، وَذَرِيعَةَ أُولِيائِها إِلى عِوارِفِها وَجُودِها؛ وَعُنوانَ أَخْبارِها، وَعِنانَ سَوابِقِها الَّتى لا تُدْرِكُ ما تُرْمى مِنْ سَلَفِ شَقِّ غُبارِها؛ وَيَمِينَ قَبْضَتِها المَصْرَفَةَ بَينَ البِاسِ وَالنَّدى، وَأَمِينَ آرائِها المُوَيَّدَةَ بِالتَّوْفِيقِ اللِّدْنِيِّ عَلَي العِدا؛ وَرُكنَها المُشَيَّدَ بِالأسَلِ وَهُوَ ما تُبْنى عَلَيْهِ المِمالِكُ، وَحَصَّنَها المَصْفَحَ بِالصَّفاحِ فَلا تَسْتَطِيعُ الأَهْواءُ أَنْ تُتَوَقَّلَ إِليه تِلْكَ المَسالِكُ؛ وَزَعِمَ جِويشِها الَّتى أَجْتَنَّتْ مِنْ قَصَبِ قَواضِيبِه ثَمَّ النُّصْرَ غَيرَ مَرَّةٍ، وَمَقَدَّمَ عِسا كِراها الَّتى أَجْتَنَّتْ بِه وَجُوهَ الظُّفْرِ الحُلُوةِ فِي أَيامِ الكَرِيمَةِ المُتَرَّةِ .

ولما كان المَقَرُّ الكريمُ (الفلافي) هو معنى هذه الصفات المُبَهِّمَة ، ومَبْنَى هذه القواعد المحمَّكَة ، وطِرَاز حُلِّ هذه الأحوال المُعَلِّمَة ؛ وسِرِّ المقاصد الظاهره ، وسِلْك هذه [النجوم] الزاهية بل فَلَك هذه الدَّرَارِيّ الزاهره ؛ تُحَلِّق صَوَادِحُ البراعة ، فتَقَع دُونَ أوصافه بمراحل ، وتغوصُ سَوَاحِجُ البراعة ، فيُلَقِّبها العجْزُ عن استخراجه دُرر نُعُوتِه بالسَّواحِل ، فأوصافه تُذَكِّرُ على وجه الإجمال لضيق نِطَاقِ الفصاحة عن تفصيلها ، ومناقبُه تُشكِّرُ بلسان الإجماع لعجز ألسنة الأقلام عن بلوغها إلى غايتها ووُصُولها ؛ فلذلك أَقْتَضَتْ آراءُنا الشريفةُ أن نُفَسِّحَ مجالَ الهدى ، بتفويض إِبَالَةِ الممالك إليه ، وأن تَقَطَّعَ آمالِ العدا ، بالاعتماد في زَعَامَةِ الجيوش الإسلامية عليه ، وأن تُقَرَّرَ عيونَ الرعايا بالقاء مَقَالِيدِ العَدْلِ والإحسان إلى يَدَيْهِ ؛ وأن نُصَوِّنَ عقائِلَ الممالك من مَهَابَتِه بما يغدو سُورًا لِعَوَاصِمِهَا ، وَسِوَارًا لِمَعَاصِمِهَا ؛ وَشَبَابًا تَقَرَّرُ نُغُورُهَا عن بُرُوقِه ، أو لُجْبًا يَقَطِّعَ طَرِيقَ أَمَلِ العِدَا عن تخيُّل خيَالِهَا في طُرُوقِه ؛ لِيَعْتَصِدَ الدِّينَ مِنْهُ بَرُكَّتُه ، وَيَتَغَلَّبَ [على] الشُّرْكَ في حَالَتِي حَرْبِه وَوَهْنِه ، وَيَتَقَلَّبَ كُلُّ مَنْ رَعَايَانَا بَيْنَ وَهَادِ يَمِينِه وَمِهَادِ أَمْنِه - رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لا زال مُلْكُه على الأركان ، رَاقِيًا مِنْ أُنْفُقِ النُّصْرِ إلى أَعْلَى مَكَانَةٍ وَأَرْفَعِ مَكَانٍ - أن تُفَوِّضَ إليه نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ ، وَالْمَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ ؛ على أَكْمَلِ العَوَائِدِ ، وَأَجْمَلِ القَوَاعِدِ ؛ تَفْوِيضًا تَمَيِّزِي أَحْكَامُه فِي المَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبُعْدًا وَقُرْبًا ؛ فلا يَخْرُجُ مِنْهَا شَيْءٌ عَنِ أوامِرِه وَأَحْكَامِه ، وَلَا يُعَدَّلُ فِي سُلْطَنَتِهَا وَحَرْبِهَا عَنِ حُكْمِي سَيْوفِه وَأَقْلَامِه .

فَلْيَسْتَقِرَّ فِي هَذِهِ الرُّتْبَةِ العَالِيَةِ اسْتِقْرَارَ الأركانِ المَوَاقِثِ ، وَالْأَطْوَادِ اللُّوَابِتِ ؛ وَالْأُصُولِ النَّوَابِتِ ، وَالنُّجُومِ النَّوَابِتِ ؛ مَثَلًا قَوَاعِدَها بِرَأْيِه السَّيِّدِ وَرَأْيَتِه ، مَعُوذًا كَمَا هِيَ بِسَيْفِ النُّصْرِ وَآيَتِه ، مَبْتَدَأًا فِي إِعْلَاءِ مَنَارِهَا مِنْ العَدْلِ بِأَقْصَاهِ

ومن الإحسان بغايته ؛ مكثراً أعداد الجيوش الإسلامية برأيه السعيد ، مقرباً من مطامح النصر النائية كل بعيد ؛ مؤكلاً بحركات العدو وسكاته جفناً لا يالفت^(١) الفرار ، وسيقاً لا يعرف الفرار ، وعزماً لا يرضى من عدوه دون أضطلامه الفرار ؛ فلا تزال جيوش الإسلام بجيمل تعاوده مزاحة العوائق ، مزالة العلائق ؛ لا مانع لها عن الركوب ، ولا قاطع عن الوتوب ؛ قد أعدتها عزائمها ، فكل زمانها بالتأهب للقاء وقت إمكانه ، وأمدت بأسها صوارمها ، فهي لا تسأل عن عدد عدوها بل عن مكانه ؛ مقيماً منار العدل الذى هو أساس الملك وديعته ، ورأس الحكم بأمر الله فى خلقه وهامته ، وتور الخصب الكافل بمصالح العباد والبلاد وعامته ، ناشراً له [فى] أقطار الممالك ، ماحياً بنور إقامته آية ليل الظلم الحالك ؛ معاضداً أحكام الشريعة المطهرة بالانقياد إليها ، والاعتدال فى الحلل والعقد عليها ، والاحتفال برقع منارها ؛ فإن ذلك من أفضل ما قدمته الدول الصالحة بين يديها ؛ مقدماً عمارة البلاد على كل مهمم ؛ فإنها الأصل الذى تنفرع عنه المصالح على آفراقها ، والمادة التى تستطيل الجيوش الإسلامية على العدا بتوسعها فى إنقادها وإنفاقها ، والأسباب التى تُعين الغيوت على نماء ما بسط الله لعباده من أرزاقها ؛ وآكد مصالحتها الرفق الذى ما كان فى شيء إلا زانه ، والعدل الذى ما أتصف به ملك إلا حفظه وصانه ، فقد جعلنا أمره فى ذلك جميعه من أمرنا المطاع ، وأقتصرنا عن ذكر الوصايا بما فى خصائصه الكريمة من حسن الاضطلاع وجيمل الاطلاع ، وأكتفينا بما فى خلايقه الجميلة من محاسن لو تخير نفسه لم يزدنا على ما فيه من كرم الطباع ؛ والله تعالى يؤيده وقد فعل ، ويجعل ركنه من أثبت قواعد الدين وقد جعل ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) الفرار النوم القليل أو القليل من كل شيء . انظر اللسان ج ٦ .

(٢) العامة قبض الحصد إذا اجتمعت بعد حصدها وجمعها عام . كذا يؤخذ من اللسان .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا، وهي :

الحمد لله الذي زان دولتنا القاهرة من حُسامها بتقليده ، وصان حمى ممالكنا
الشريفة من أولياتنا بمن تغدو مواقع سيوفه من كل عدو قلائد جيده ، وزاد جلالته
الملك بمن إذا ركب في مواكب نيابته أورد جساد رُعبه من كل متوج من ملوك
العدا مناهل وريده ، وفوض تقدمه جيوشنا المنصورة إلى من تضاعف مهابته
في عيون العدا عدد جنوده ، وتغزوه سرايا خيله في يقظته وتطلع عليه طلائع خياله
في هجوده ، وإذا صلت سيوفه في موقف وعى أغرت رأس كل مستكبر لم يعرف الله
قبل ركوعه بسجوده ، مشرف أقدار أولياتنا من المراتب بما تشرف به أقدار المراتب
في نفسها ، ومفضل أيام دولتنا على الدول بما ألفت من جلاله ملكا في أمسيها ،
ومجمل سير أصفياتنا من المعدلة بما إذا غرسته في قلوب الرعايا كان الدعاء الصالح
ثمرة غرسها ، ومقلد خواصنا من إيالة الملك ما إذا خطبت به الأعلام على منابر
الأنامل نقلت البلاغة في تلك الأوصاف عن قسها ، ومفيض حلل الأنبياء المرقومة
بأسنى الرتب على من إذا زانت حبرها اللابس زانها بئسها ، وإذا أشرفت به هالة
المواكب لو عى سقطت فوارس ملوك العدا عن مراكبها وأضطربت الأسيرة بملوك
فريسها ، وإذا كتمته الأعداء أنباءها نطقت أسنة رياحه بأسرار أهل الشرك ولا يرى
أسمع من ضمها ولا أفصح من خرسها ، وإذا تطاولت أبطال الوقائع للقيائه أقرت
نغور سيوفه عن شنب النصر لإلفها بمعانقة الأعناق وأنسها .

نحمده على نعمه التي أعادت شرف أسمائنا إلى أسماع المنابر ، وأنطقت بمضاعفة
الأنبياء لأولياتنا أسنة الأعلام في أفواه المحابر ، وأعادت بسيف النصر حقوق ملكنا
الذي تلقيناه مع الأولية والأولية من أسلافنا الكرام كابرًا عن كابر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال سيوفنا بإعلاء منارها
 ناهضة ، وجياد جهادنا لنشر دعوتها فى الآفاق راجضة ، ومواد نعمنا ونعمنا لآمال
 حاملها باسطة ولأرواح جاحديها قابضة ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
 أیده الله تعالى بنصره ، وآتاه من معجزاته ما يحول البصر دون حصره ، وجعله أمام
 الأنبياء وإمامهم مع تأخر عصره ، ونصره بالرغب الذى زحزح كل ملك عن سريره
 وأزل كل متوج من قصره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا فى نصرته ،
 ماؤوف الأوطان والأوطار ، وركبوا فى إقامة ملته ، مخوف الأهوال والأخطار ،
 وفتحوا بيمين دعوته ، ما أشتمت عليه المشارق والمغرب من الأرجاء المنتدة والأقطار ؛
 صلاة لا يزال سيف جهادنا لدوامها مقيا ، وحكم جلالنا لإقامتها مديما ؛ وسلم
 تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من سميت التقاليد بأوصافه ، وصرفت أمور الممالك بين بأسه
 وإنصافه ؛ وحليت مواقف الخدمة الشريفة من جواهر مهابة ، بما هو جدير بحلى
 السيف ، وزينت مجالس العدل من إباته ، بما هو مبرأ من الميل والهوى متره عن
 الظلم والحيف ؛ ومليت القلوب من مخافته ، بما يمنع ذا القوة فى الباطل من توهم
 البطش وذا الصبوة فى الهوى من استزاره (؟) ويحسن لها الفرار ، ويهون عليها
 فى جنب ما تتوقفه من مواقع سيوفه السبي والإسار ، وعديق به من مصالح الأقاليم
 ما يصرفه بيمين دأبها اليمن ويسار شأنها اليسار ؛ وفوضت زعامة الجيوش منه إلى إمام
 يقوم بأمرها على ما يجب ، وليت لو لم ينهض بألوفها المؤلفة فى الوقائع لكان من
 نفسه وحدها فى بحفل لحب ؛ ومقدام آلاف العدا فى شجاعته آحاد ، وضربام
 قسور أهل الكفر بين يدي وثباته وثباته وأسودهم نقاد ؛ من لم نزل نعدده فى أركان
 البيت الشريف المنصورى بالخصر ، ونعدده للواقف التى ليس للدين فيها غير تأييد

اللهِ وَحَدَّ السَّيْفِ نَاصِرًا ، وَتَدَنِرُهُ مِنْ مَعَادِنِ أَوْلِيَانَا الَّذِينَ تَمَسَّكُوا مِنَ الْإِنْتِمَاءِ إِلَيْنَا بِأَمْتِكِنِ الْأَسْبَابِ وَأَقْوَى الْأَوَاصِرِ ، وَتَقَلَّدَ أَعْطَافَ الْأَوَاصِرِ مِنْهُ سَيْفًا يُرْمَى مِنْهُ يَدُتُ الْعِدَا وَمَعَا قُلُوبَهُمْ بِأَفْتِكِ حَاصِدٍ وَأَقَلِّ حَاصِرٍ ، فَكَمْ مِنْ مَوَاقِفَ شَفَعَتْ فِيهَا الشَّجَاعَةُ بِالْخُضُوعِ لِرَبِّهِ ، وَمَوَاطِنَ لَيْسَ فِيهَا قَلْبُهُ عَلَى الدَّرْعِ إِذَا لَيْسَ غَيْرُهُ الدَّرْعَ عَلَى قَلْبِهِ ، وَمَسَالِكَ سَلَكَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالسُّيُوفُ تَفِرُّ مِنْ قُرْبِهَا ، وَمَشَاهِدَ شَهِدَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالتَّلُوبُ تَفِرُّ مِنْ حُجْبِهَا ، وَلَيْسَالٍ قَطَعَهَا فِي خِدْمَتِنَا لَمْ يَصْحَبْ غَيْرَ أَلْسِنَةِ أَسْنَتِهِ وَأَعْيُنِ ثَمْبِهَا ، وَمَقَاصِدَ لِلَّذِينَ بَلَغَهَا وَالسَّهَامُ لَا تَجْمَلُهَا مِنَ الْفَرَقِ قَوَادِمُ النَّسُورِ ، وَسَرَايَا وَقَفَ بَيْنَهَا وَيِنَّ الْعِدَا فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ مِنْ شَجَاعَتِهِ بِسُورٍ ، وَبِحَارِ حَرْبٍ لَمْ تُجْبَسِرِ السَّوَابِجُ عَلَى قَطْعِهَا حَتَّى مَدَّ عَلَيْهَا مِنْ مُعَوَّجَاتِ سَيْوْفِهِ قَنَاطِرَ وَمِنْ مَقُومَاتِ ذَوَابِلِهِ جُسُورٍ ، وَكَمْ أَنَامَ الرِّعَايَا فِي مِهَادِ عَدْلِهِ فَلَمْ يَطْرُقْهُمْ طَيْفٌ ظَالِمٌ فِي الْكِرَا ، وَلَا رَوْعٌ سَرَّيَهُمْ خِيَالُ مُغِيرٍ أَوْ هَمَّهُمُ السَّرِيُّ ، بَلْ كَانُوا مَحْفُوظِينَ بِمَهَابَتِهِ مَحْفُوفِينَ بِمَوَاهِبِهِ ، وَادِعِينَ فِي ظِلِّهِ الَّذِي مَادَجَا عَلَيْهِمْ لَيْلٌ خَطْبٌ إِلَّا أَطْلَعَ لَهُمْ بَدُورَ الْأَمْنِ فِي غِيَابِهِ .

ولما كان (فلان) هو الذي سار بذكر مهابته المثل، وصار له في قلوب الأعداء من الرعب ما تشابه فيه القاتلان الوجل والنجل، وجمع محاسن الصفات فما أخذ عنه أو يُطلق به أو يُنظر إليه إلا ووجد (ملء المسامع والأفواه والمقل)، ولا جرد على العدا سيفًا إلا وودعت أرواحهم الأجساد، ولا أرهف في مجالس العدل والإحسان قلما إلا وضمنت له الآجام التي نشأ بها (كرم السبيل وسطوة الآساد)، ولا طلع في أفق مواكب إلا وهالت العدا هائلة بذرته، ودلت على عظم سلطاننا رفعة قدره، وشهدت له بحسن طاعتنا طاعة أمرائنا لأمره، وأسلمت من خدمة والدنا السلطان الشهيد ما لم ترل له به عندنا حقوق مرعيه، وسوابق مرضيه،

ورتبة تقديم سيده ، ومزية تقريب جعلته مشاهدا بالعيان مقدما في نيته - آقتضت
 آراؤنا الشريفة أن نروع العدا بسيفه ، ونريهم من تقدمته على الجيوش يقظة
 ما كانوا يرونه حاما من طيفه ؛ وليعلم الأعداء معاجلة أخذهم بالعنف والحيثف ،
 وأنا لا تأخذنا في الله لومة لائم فليس بيننا وبين أعداء الله ورسوله (صلى الله عليه
 وسلم) إلا السيف .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لآ زالت ممالك الإسلام به مفرقة المباسم ، عالية
 مدى المهابة إذا طرقتها عواصف رياح العدا وقفت دون بلوغها دامية المناسم -
 أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية على العادة في ذلك
 والقاعدة تفويضاً يفيض على الممالك حلال المهابة ، ويسلب أعداء الدين رداء
 الأمن فلا يتفعم الخضوع ولا الإنابة ، ويضاعف لنا أدعية الرعايا الصالحة بإجرائهم
 على ما ألقوه من العدل والإحسان فمنهم الدعاء الصالح ومن كرم الله الإجابة .

فليتقلد هذه الرتبة الدالة على ارتفاع قدره لدينا ، الشاهدة له باحتفالنا بما أوجه
 إخلاصه من حقوق الطاعة والولاء علينا ؛ المنبهة على أنه سيفنا الذى نصوصن الممالك
 بحده ، ونصول على العدا بمضائه الذى تهلل وجوه النصر كما أسفر من غمده ؛
 وليستقر في ذلك نافذاً في المصالح الإسلامية أمره ، مغيراً على جيوش الأعداء
 ذكوه ، معملة في حماية الدين بيضه المرهقة وشممه ، مجملة بإشراق طلعتة مطالع
 المواكب ، مسيرة نجوم أسنته إلى قلوب أعداء الدين مسير الكواكب ، مخفقة
 بحقوق رايته مساعى الكفر الصادرة عن آمالم الكواذب ؛ ليعلم عدو الله أنه أشد
 طلباً له من أجله ، وألزم لعنته من عمله ؛ وأسبق إليه من رجع صوتيه ، وأنزل عليه
 من مفاجاة موته . وليجمل النظر في مصالح الجيوش الإسلامية بما يضاعف عتتها ،

ويبقى على توالي الأحقاب حديثها وحدثها، ويأخذهم بإدامة التمرن في الحروب، وإطالة عنان التأهب للركوب؛ ويعين كلاً منهم بملاحظة حاله على استدامه قوته وإمكانه؛ ويعملهم بالافتباس من شجاعته من القوم الذين لا يسألون عن عدد عدوهم بل عن مكانه. وليكن لكلمة الشريعة الشريفة رافعا، ولشبهه من يمتنع عن الأتقياد إلى الأحكام دافعا؛ وعلى يد من يتطرق إلى الخروج عن أحكامه أخذا، ولمن لم يسلك الأدب بين يدي حكمه بما يقتضيه تعظيم الحكيم العزيز مؤاخذا. وليأمر النواب بإقامة منار العدل الذي يوم منه خير للأرض من أن تمطر أربعين يوما، ويصرف إلى مصالح الثغور الإسلامية وحماتها فكرا لم يختر دعة ونظرا يأنف أن يألف نوما؛ وملاك الوصايا تقوى الله وهي من خصائص نفسه الكريمه، وراحة روجه التي هي للفكر في مصالح الإسلام مديمه؛ فليجتهد في المحافظة عليها ما استطاع، ويخلص بها في مصالح الإسلام أمره الذي جعلناه من أمرنا مطاع.



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا، كتبت به عن السلطان الملك أبي بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون للأmir طغرلدمش أمير مجلس، في سنة اثنتين وأربعين وسبعائة، بعد أن بطلت النيابة في دولة أبيه الملك الناصر عتة سنين، وهي:

الحمد لله الذي أصطفى لسلطاننا المنصور من ينوب عنا في رعاية الجمهور أحسن مناب، وأضفى على ملكنا المعمور من رياسته أسر سربال ومن حراسته أجل جلباب، وكفى دولتنا الشريفة بسياسته مهجات الأمور فلتأيدها بقيامه دوام ولتشديدتها باهتمامه استصحاب، وشفى الصدور بصُدور إشارته المباركة التي لها بأوامرنا العالية أقران ومن ضمائرنا الصافية أقراب، وأوفى له من ربنا العميم بحقه

الذى [له] بعهدہ استحقاقاً للتقديم وإيجاب ، وسبقہ القديم الذى له من سعيد المصاهرة أكرم أنشاج ومن حميد المظاهرة أزم أنتساب .

نحمدہ على أن بصر آراءنا بطرق الوفاق وسبل الصواب ، ونشكره على أن نصر رأيتنا فى الآفاق : فقلوب العدا من خوفها إرهاب وإرهاب .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزّهة عن الشك والارتياب ، موجّهة إلى قبلتها التى رضاه الألباب ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أظفر عزّمه بالثبات وقهر خصمه بالثبات ، ووفّر قسمه من الإنجاد وبسرّ حزبه للإنجاب ، وأظهر اسمه بعد اسمه فخلاً فى الأفواه ذكّره وطاب . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلّكوا من بعده فى رعاية عهده أحسن الآداب ، صلاة متصلة الأسباب ، موصلة إلى خير مآل متكفلة بنعم باب (؟) لا يزال لسحب جودها فى الوجود أنصباب ، ولمقترب وفودها ورود إلى مظان الرضوان من غير إنجاب ، ما جرد انتقامنا على الأعداء سيف سطا يقدر الرقاب ، وأورد إنعامنا الأولياء بجر ندى زانر العباب ، وجدد قيامنا بعلم هدى مرت عليه الأعوام وما لمح له أثر ولا فتح له باب ، وأعتمد مقامنا الشريف ، فى الجمع للقلوب والتأليف ، على أعلى ولى وأعلى جناب ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى من أعتدنا فى الإنجاب والإنجاح على ديانته ، وأنتجدا فيما أردنا من الاستصحاب للصالح بإعانتة ، وأعتضدنا فى تقطين الممالك وتأمين المسالك بصيائته وصيائته ، ورعينا عند الدنا الشهيد - سقى الله عهده صوب الرضوان - على علو مكانه ودنو مكانته ، فاكتفينا فى كفالة الأمة وإيالة النعمة بخشيته من ربه واستكائته - من حمدت سبحاياه ، وتعددت مزاياها ، واستندت

إلى ما أمر الله تعالى به من العدل والإحسان في الأحكام قضائياً ، ووجدت منه الزهد والرفق زعامة الإسلام ورعاياه ، فهو الممدوح فعله ، من جميع الألسنة ، الممنوح فضله ، في سائر الأزمنة ، الملموح عليه آثار القبول الظاهر من عناية الله لما نواه من الخير لخلق الله وأبطنه ، فهو عاضد السلطنة الذي حل من العلياء موطنه ، وكافل الملكة ، الذي سبق إلى كل مجد فأدركه ، وسيف الدولة ، الحامي الحوزة البادية الصولة ، ومن له اشتغال على العلياء ، ومن يقارن التحقيق له رأياً ، ولا يباين التوفيق له سعيًا ، ويعاون المهدي والنهي على طول المدى له أمراً ونهياً ، ويعاين الوري لسلطاننا المنصور منه مهدياً يجمل لدولتنا حفظاً ويحسن لملكنا رعيًا .

وكان فلان هو الذي لم يزل متعبين المحاسن ، متبين الميادين ، متمكن الرئاسة في كل الأماكن ، فحلمه إذا اضطربت الجبال الرواسي ثابت ساكن ، وعلمه الزائد بأوضاع السياسة وأنواع النقاسة للوجود من بهجته زائن ، ورأيه الصائب للبلاد والعباد صائين ، ورعيه الخلق بالحق : القوي منه خائف والضعيف إليه راكن ، وبشره هادٍ للرائي وبادٍ للعاين ، وذكره الجميل سائر في الآفاق والأقطار والمدائن ، حتى أظهر الله تعالى بإمداد نيرنا الأعظم من إشراق بذره الكامل ما هو في سر الغيب كامن ، وشهر سيفه الذي يغدو الإيمان من مهايته في كنف منيع وحرم آمن .

ولما مضت على منصب النيابة الشريفة في أيام والدنا الشهيد يضع سنين ، وأتقضت الأيام والليالي والدهر بموهبتها صنين ، ولا وطبت لها ربوه ، ولا أمتطيت لها صهوه ، وكانت في سلك ملكه مندرجه ، وبصفو سلطته ممتزجه ، إلى أن قضى عليه الرضوان النخب ، وأفضى من الحنان إلى الحمل الرحب ، رأينا بعده بمن كان يتحقق وده أن نستأنس ، وأمضينا وصيته المباركة في اختيار ثمرة الإخلاص بمن

كان له الاختصاص يفرس ؛ وأفضينا إليه بالمناب عنا لما كان من أنوار والدنا الشهيد فى كل تسديد يقتبس ، ومن الاستثنائى بحالسته يفوز فيحوز حكم الحكم لأنه كان أمير ذلك المجلس ، وقضينا باعتماد أميره الكريم بعد أمرنا الشريف : لأنه الخبير الذى لا يتبهم عليه شىء من خفايا القضايا ولا يلتبس - أقتضى حُسنُ الرأى الشريف إلقاء ما فى أيدينا من مقاليد الممالك إلى يده ، وإبقاء وديعة هذا الأمر العظيم إلى صونه وعونه وتسدده ، وإبقاء جنابه إلى حميد هذه الغاية التى هى للنسبة مناسبة لسؤدده .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازل يجمع شمل الإسلام بتبعيه وتفريده ، ويرجع أمر الأنام منه إلى مأمون الرأى رشيد سَفَاح السيف مهتده ، منصور العزم مؤيده ؛ ويوسع الخليفة إذا وليهم بالرفقة والرحمة ومن أولى من أبى بكر بان يخص أصحاب عهد عند الخلافة بإعذاب منهل الجود ومورده - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية - أعلاها الله تعالى - نيابة شاملة تحيطه ، كاملة بَسِيطة ؛ تعنى كل أمير ومأمور ، وتُدنى أمرها الذى يعامل بالإجلال ويقابل بالسُرور ؛ برأ وبحرا ، وسهلا ووعرا ؛ غورا وتجدا ، بُعدا وقربا ، شرقا وغربا ؛ وما منحه الله تعالى لوالدنا الناصر من الممالك ويدتحر لسلطاننا المنصور ويحجى : تستوعب أمر ما نأى من هذه الأقاليم ودنا ، وتجب طاعته فيها على كل من كان مؤمنا ، ويمتثل فى ذلك كله أمره ، وتعمل فيه الروية فيجمل فكره ؛ ويؤمل فيه فتحه ونصره ، ويتقل به مدحه وشكره ، ولا ينفصل منحه وبره ؛ ناظرا فى هذه النيابة الشريفة بفكره التام ، سائرا فيها السير الجميل من الذرية والإلهام ؛ ناشرا ظلال المعيلة على من سار أو أقام ، مظاهرا بجنابه منا أجل مقام . ونحن وإن كنا نتحقق من خلاله الحسنى ، كل وصف يُسنى ؛ ويتيق منه بذى الصدر السليم الذى هو على

المقاصد يُعان وبالمحامد يُعنى ، فلسنا نُخلُّ بالوصية التي تعلم أنَّ له عنها آستغنا ؛
ولكننا لا نترك بها التبرُّك ولا ندع ماسن الله تعالى منها وشرع ، ولا نُفعل ، ما يجب به
أن يحتفل ؛ فقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمضى أمره
المسموع كل ذى رجوع إلى الله تعالى منهم وإنايته ؛ فقد أولاه الله تعالى كل جميل
قبل أن ولَّاه ، وحلَّاه بالسيات والمكرِّمات قبل أن رَفَعَ علاه ؛ وأعطاه ما أَرَهَب
الغدا من سَطَّاه ، وهداه إلى كل رُشد تأتمُّ به الهداه .

فأهمُّ ذلك تقوى الله تعالى وهو عليها مجبول ، وأمرها عنده متلقِّ بالقبول .
والعدل فهو منه مأمول ، والاتصاف بالإنصاف فهو دأبه فيما يفعل ويقول ؛
والجهاد : فعزائم في ميدانه تجول ، وصورامه بها من قِراع فرسانه فُلُول . والزعماء
والأكابر فلهم من محافظته اعتناءً وبملاحظته شُمُول . والعساكر الإسلامية فبناييده
تَبْطِش أيديهم بالعدا وتُصُول . وزعماء البلاد فلهم إلى ظلِّ رحمته إيواءٌ وبكتف
نعمته ظُلُول . وممالك الإسلام فما منها لإلعمور بما أوته كفالته ماهول ؛ وتغوره
فكلها بسام بفتكاته التي ألقى رُعبها في البحر فهو بين كلِّ فاجر وبين البحر يحول ،
وما هو بذلك من حميد المسالك موصول ، ومحلُّه المقدم لأنه أهمُّ الأصول : من إكرام
الحُكَّام ، وإبرام الأحكام ؛ وأستيفاء الحُدود ، وأقتفاء السنن المعهود : من إنجاز
الوُعود ، وإحراز السُعود ؛ والإجهاز على كلِّ كُفُور وِجُود ، والأحتراز من قِظاظه
الناس بإفاضة الجُود ؛ فكلُّ ذلك على خاطره مشرود ، ولما آثره مؤرود ؛ وفي ذخائره
موجود ، ومن خبرته معلوم معهود ، وعن فكرته مشهور ومن فطرته مشهود ، فليسع
أمرنا هذا جميع الأمراء والجنود ، ويُرجع إليه كلُّ من هو من جملة الملة معدود ؛
وليقابل مرسومنا بالسمع والطاعة ، أهل السنة والجماعة ؛ ساعة الوقوف عليه وحالة
الوُرود ؛ والله تعالى يُصلح ببقائه الوُجود ، ويمنح باهتمامه المقصود ، ويفتح المعاقل

باعترامه الذى ليس بمردود عن مراده ولا مصدود ، بل يُصيح الكفر من خوفه محصورا ويُمسَى وهو بسيفه محصود ؛ والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لنائب سلطنة ، أوردها فى "التعريف" قال :

يُوصى بتقوى الله تعالى وتنفيذ الأحكام الشرعية ، ومعاودة حكامها ، واستخدام السيف لمساعدة أقاليمها ؛ وتفقد العساكر المنصورة وعرضها ، وإنهاضهم لنوافل الخدمة وفرضها ؛ والتخير للوظائف ، وإجراء الأوقاف على شرط كل واقف ؛ والملاحظة الحسنى للبلاد وعمارة أوطانها ، وإطابة قلوب سُكَّانها ، ومعاودة مباشرى الأموال مع عدم الخروج عما ألف من عدل هذه الأيام الشريفة وإحسانها ؛ وتحسين مآلديه ، وتحسين كل ما أمره إليه ؛ وأستطلاع الأخبار والمطالعة بها ، والعمل بما يرد عليه من المراسيم المطاعة والتمسك بسببها ؛ وأنه مهما أشكل عليه يستضىء فيه ، بنور آرائنا العالية فهو يكفيه ، ومن قُتِل من الجند أو مات وخلف ولدا يصلح لإقطاعه يعين له ليقوم بخلفيه ، ويقال من هذا ما يقوم بتمام الغرض ويوفيه .

الوظيفة الثانية

(الوزارة لصاحب سيف)

وأعلم أن أول من أطلق عليه لقب الوزارة فى الإسلام "أبو حفص الخلال" وزير أبى العباس السفاح أول خلفائهم كما ذكره القضاعى فى "عيون المعارف فى أخبار الخلفاء" ثم صارت الوزارة بعد ذلك للخلفاء والملوك دائرة بين أرباب السيف

(١) أى خلفاء العباسيين .

والأقلام ، تارةً يليها صاحبُ سيف وتارةً يليها صاحبُ قلم ، إلا أنها في أرباب
الأقلام أكثر. وعلى ذلك جرى عُرْف الديار المصرية من ابتداء الأمر وإلى الآن.
ومما يَنبئ عليه أنَّ الوزير إذا كان صاحبَ سيف ، كان في مجلس السلطان قائماً
في جملة الأمراء القائمين . وإذا كان صاحبَ قلم ، كان جالساً كما يجلس أرباب
الأقلام : من كاتب السرِّ وغيره .

وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كتب به للأمر سيف الدين بكتمر . وهي :
الحمد لله الذي شدَّ أزر دولتنا القاهرة ، من أوليائنا بأمضى سيف ، وعضد أيامنا
الزاهرة ، من أصفينائنا بأعدل ولي لا يوجد في حكمه حيف ، وعدق تدبير أمور
ممالكنا الشريفة بمن تحجَّب مهابته ذوى الأَطَاع الطامحة عما لا يُحِب فلا يُلم بهم فيها
خاطر [ولا] يطرقهم بها طيف ؛ جاعل التأييد لآرائنا مصاحباً ، والتوفيق موافقاً
لأوامرنا التي لا تُهمل من مصالح الإسلام مندوباً ولا تدع من مهمات الملك وإجبا ،
والإقبال نالياً لمراسمتنا في آرتياد من يغدو قلب المحق من حيفه ساكناً وقلب المبطل
من خوفه واجبا ، واليمين تابعا لاستخارتنا في انتخاب من لم يزل في خدمتنا الشريفة
للأدعية الصالحة جالياً ، ولمنافع الإسلام والمُلك طالبا ، ولمضارهما حاجبا .

نحمده على نعمة التي عضدت أيامنا بمن جمعت أدواته ، رتبت سيف والقلم ،
وعدقت تدبير ممالكنا بمن أحرزت [صفاته] ، مزيت العلم والعلم ، وشدَّ أزر دولتنا
بمن يبيض بمعدلته من صحائف أيامنا ما هو أحب إليها من حمر النعم .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُعدّها للقاته ، ونتمن بها
في اقتقاد من نعتضد به في مصالح أهلها وانتقائه ، ونقدمها أمام كل أمر ندخره
لاعتلاء وليتنا بالحق وأرتقائه ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله إلى الأمم

طُرًا، وخصَّه بالأمة التي جعلَ أمارَةَ سبقها إلى الخيرات أنْ غَدَتْ مَجَلَّةً غُرًا ،
وأيدَه بنصره وبالمؤمنين الذين ما منهم إلا مَنْ أعرَضَ عن زُخُوفِ الدنيا وإن كان
حُلُوا وقال الحقَّ وإن كان مُرًا ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصَحْبِهِ الَّذِينَ وَلُوا أُمَّتَهُ
فَعَدَلُوا، والذين تَمَسَّكُوا بِسُنَنِ سُنَّتِهِ فَمَا حَادُوا عَنْهَا وَلَا عَدَلُوا؛ صَلَاةً لَا تَرَالُ الْأَلْسُنُ
لِإِقَامَتِهَا مَدِيمِهِ، والقلوبُ لِإِدَامَتِهَا مُقِيمِهِ؛ وَسَلْمٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعدُ، فإن أولى من أبرزتِ الضمائرُ، في الاعتضادِ به مَكُونُ طَوِيَّتِهَا، وأَعْتَمَدتِ
الخواطرُ، في تصريحِ عَلايَتِهَا بأولويَّتِهِ لمصالحِ الإسلامِ على نِيَّتِهَا، وتَسْوِيفِ البلاغَةِ
لرُقمِ مَقَانِرِهِ، وتنافستِ المعاني في تحلِيلِ مآثِرِهِ؛ وَهَنَّتِ المَعْدَلَةُ نَفْسَهَا، بَرِافِعِ لَوَائِهَا،
وأبَدتِ الدولةُ أَنْسَهَا، بناشِرِ رِيَّهَا في الأَقْطَارِ والآلِيَا؛ وَأَفْتَرَّتْ نَعْوَرُ الأَقَالِيمِ المَحْرُوسَةِ
بِمن تَلَهَّجَ بِمِصَالِحِهَا أَلْسِنَةُ أَقْلَامِهِ، وَأَخْضَرَّتْ رُبَى أَمَالِ الأَوْلِيَاءِ بِمَا يُسْفِرُ عَنْهُ مِنْ
تَهْلِيلِهَا بِغُرْرِ أَيَامِهِ؛ مَنْ هَزَزْنَا مِنْهُ لِمِصَالِحِ الإِسْلَامِ سَيْفًا يَصِلُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ، وَيُفْصَلَ مِنْ مِهْمَاتِ المَمَالِكِ مَا يَقْتَضِي الحَقُّ أَنْ يُفْصَلَ؛ وَيُبرِزُ مِنْ مَعَادِنِ
العَدْلِ والإِحْسَانِ مَا هُوَ فِي سِرِّ خِلَاتِقِهِ كَامِنٌ، وَيُنزِلُ مِنْ أَسْتِقَامَتِ سِيرَتِهِ فِي الحِمَى
الْمُخْصَبِ والحَرَمِ الآمِنِ؛ وَيَصُونُ الأَمْوَالَ بِمَهَابَتِهِ فَلَا تَمْتَدُّ إِلَيْهَا هَوَاجِسُ الأَطْمَاعِ،
وَلَا تَتَجَسَّرُ أَبْصَارُ غَيْرِ الأَمْنَاءِ أَنْ تَقْصُ نَبَأَ رُؤْيَتِهَا عَلَى الأَسْمَاعِ؛ وَيُضَاعَفُهَا بِخَبْرَتِهِ
الَّتِي تَهْدِيهَا الأَمَانَةُ إِلَى مَعَادِنِهَا، وَتُدْخِلُهَا التَّرَاهَةَ عَلَى مَوَاطِنِهَا، وَتُبْدِي لَهَا ظَوَاهِرُ
الأَعْمَالِ أَسْرَارَ بَوَاطِنِهَا، وَيُعَمِّرُ بِيوتِ الأَمْوَالِ بِعِمَارَةِ البِلَادِ، وَيَتَمَرَّرُ فُرُوعَ الطَّوَارِفِ
مِنْ مِصَالِحِهَا بِحِفْظِ أَصُولِ التَّلَادِ؛ وَيَكْفُ أَكْفَ الظُّلْمِ عَنِ الرِّعَايَا فَلَا يَخْشَى حِقْقُ
عَلَى حَقِّهِ، وَلَا يَخَافُ مُسْتَقِيمٌ عَلَى مَا قُسِمَ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ؛ وَلَا يَطْمَحُ قَوِيٌّ إِلَى مَنْ
يَسْتَضَعِفُ جَانِبَهُ، وَلَا يَطْمَعُ بَاغٌ فِي الحَيْفِ عَلَى أَحَدٍ مَخَالِطَهُ فِي نَسَبِ كَانَ أَوْ مُجَانِبَهُ .

ولما كان الجَناب العالى (الفلانى) هو الذى أُشِيرَ إلى مناقبه ، وأَعْتُضِدَ منه بمطيع لله فى السرِّ والعلَنِّ ومراقبِهِ ؛ وفُوضَ تديرُ الممالك منه إلى مَنْ لا تأخُذه فى الحقِّ لومةُ لائمٍ ، وأَعْتَمَدَتْ أيماننا الزاهرةُ منه على مَنْ طالما سَرى فى مصالحها على جِيادِ العزائمِ ؛ وشَدَّ أزرَ الملك من موازرتِهِ بمن يكسُو دَسَّ الوزارةِ أهبَةً وجلالا ، ويُلْبِسُ منصبها سِنًا لو ملكته الشمسُ مارامتْ عن بُروجِ شرفها أنتقالا ؛ ويمدُّ على الرعايا لواءَ عدلٍ لا يُقَلِّصُ له هجيرُ الظلمِ كما تنقلُّ الظلالُ ظلالاتا ؛ وتطلُّعُ به شمسُ الأرزاقِ على أولياءِ دولتنا لكن لا ترهبُ كالشموسِ غروبًا ولا زوالًا ؛ مع مهابةِ تُخيفُ الأسد فى أجماتها ، ومعدلة تُعينُ الفيث على رقعِ محمولِ البلادِ ودفعِ أزماتها ؛ وديانةِ زانها التُّقى ، وخبرةِ صانها الورعُ وهما أفضلُ ما به يُرتقى .

وكانت الوزارةُ الشريفةُ نظامَ المملكةِ وقوامها ، وذروةَ الدولةِ وسنامها ؛ وتاجَ المراتبِ وإكليلها ، وعنادَ الخزائنِ الجامعِ دقيقِ المصالحِ الإسلاميةِ وجليلها - أقتضتْ آراؤنا الشريفةُ أن تُرَبَّنَ هذه الرتبةُ بجمهرِ فيرنده ، وأن يصُدَّرَ منصبها عن مناقبِ لا تصدر إلا عن جهته ومفانِحِ لا تُرد إلا من عنده ؛ وأن يطلقَ فى مصالحها قلمه ، ويمضى فى قواعدها إشاراته وكلمه ؛ ويُطلِّعَ فى أفعالها شمسَ تديره ، ويُعدِّقَ به ما يراه فى أمورها من صغيرِ الأمرِ وكبيره ؛ وأن نجعلَ مسامعَ الأقاليمِ على سَعَتها إلى أوامره ونواهيهِ مُصغيةً ، وأن نصُدِّدَ بسُمتِهِ عن بعدِ عوارضِ الإهمالِ الملهيةِ ومواقِعِ الإهمالِ المُطغيةِ .

فلذلك رَسِمَ بالأمرِ الشريفِ - لازالت سحائبُ برهٍ مستهلهً ، وركائبُ المحامدِ إلى حرمِ نِعَمه مهلهً - أن تفوضَ إليه الوزارةُ الشريفةُ بالممالكِ الإسلاميةِ على أكملِ القواعدِ ، وأجملِ العوائدِ ؛ تفويضًا يُعلى مرامه ، ويمضى مضاءً السنةَ الأسننةَ أقلامه ،

ويُسْطُ في مصالِح الأقاليم المحروسة يَدَه ولسانَه ، ويلقى إليه من مهمَّات كلِّ قُطْرٍ
أزْمَنه ليصْرَف على ما يَرَاه من المصالحِ عِنانَه .

فليستقر في هذه الرتبة السنية استقرار الدرر في أسلاكها ، والدرارى في أفلاكها ؛
نافذ الأمر في مصالح شرفها وغربها ، مطاع القول في بُعد أماكنها منه وقربها ؛
ناشراً كلمة العدل في أرجائها ، محققاً بالإحسان آمال أمم قصرت على كرمنا ممدود
رجائها ؛ معلماً منار الشرع الشريف بمعاودة حكامه ، والوقوف عند أوامره المطاعة
وأحكامه ؛ حافظاً أقدار الرتب باكتفائها ، معتمداً على ذوى البيوت المحافظين على
اتباع سير أسلافهم وأقتفائها ؛ معولاً على ذوى الخبرة التامة مع الديانة ، مُراعياً
مع ظهور المعرفة جانب العقّة والتراثة والصيانة ؛ مُوَكِّلاً بمصالح بيوت الأموال
والخزائن المعمورة موادّ الأموال ومعيّنها ، صارفاً إلى عمارة البلاد جميل تدير تعضد
البحار والسحب منه بمساعدتها على رى الأرض ومعيّنها ؛ ميسراً موادّ أرزاق خدام
دولتنا القاهرة وأولياؤها بجميل بشره وحسن روائه ، مسهلاً مطالب أرباب الرواتب
والصدقات بطلاقة وجهه لو تأمله أمرؤ صادى الجوانج لأرتوى من مائه ؛ ليتوقّف
أهل الوظائف على خدمهم بقلوب منبسطة الآمال ، ويُناضل عنها الفقراء بيهم^(١)
الليل التي لا تطيش إذا طاشت النبال ؛ فقد جعلنا أمره في ذلك جميعه من أمرنا
فليكتب يمتثل ، وليقل في مصالحتنا بما يراه يسير كلامه سُرى الرياح ويسير قوله
سير المثل ؛ ولا يُمض عقد ولا حل ، ولا ولاية ولا عزل ؛ ولا رقع ولا خفض ،
ولا إبرام ولا نقض ؛ إلا عن رأيه وإشارته ، وبنص خطّه وعبارته .

وفي سيرته السريّة ، وديانته التي هي من أسباب الهوى عريّه ، ما يغني عن وصايا
ثملى على فكره ، وقواعد ثملى على ذكره ؛ وملاكها تقوى الله ؛ وهي من أخصّ

(١) المراد دعوات السحرا كما لا يخفى .

أوصافه ، ونشر العدل والإحسان وهما من نتائج إنصاته لأُمور الرعايا وإنصافه ؛
 لكن على سبيل الذكْرِ التي تنفع المؤمنين ، وترفع درجات المتقين ؛ فليجعلها نجى
 خاطره ، وقبلة ناظره ؛ والله تعالى يُعلي قدره وقد فعل ، ويجعله من عباده المتقين
 وقد جعل ؛ بمنه وكرمه . والاعتماد [على الخط الشريف أعلاه] إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(الإشارة) ، وهي وظيفة قد حدثت كاتبها ولم يُعهد بها كتابةً في الزمن القديم
 وهذه نسخة تقليد أنشأته بالإشارة للأمير جمال الدين يوسف البشاشي إستاذار
 في الدولة الناصرية فرج ، حين فُوضت إليه الإشارة مضافةً إلى الإستدارية ،
 وكتب له به المقر الشمسي العمري كاتب الدست الشريف ، في شعبان سنة تسع
 وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جدد للديار المصرية بالمحاسن اليوسفية رونق جمالها ، وأعز جانبها
 بأجل عزيز ملائ هيبته الوافرة فسيح جمالها ، وأسعد جدتها بأسعد مشير أدارت
 آراؤه الصائبة متقاعس الأمور ما بين يمينها وشمالها ، وأكرم مآبها بأمثل كاف عاد
 حسن تديره بضروب من المصالح أنام الخلق في ظلالها ، وأجاب سُؤلها بأكل
 لم تعدل عن خطبتها له وإن أطال في مطالها .

نحمده على أن أغاثت الدولة القاهرة بمن أخصب به بعد الإحمال ربُّعها ، وطال
 بطوله بعد القصور فرُّعها ، وحسن في المناظر بحسن تأتبه لدى التأمل ينُّعها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي شرع المشورة وحث عليها ،
 وعدق أمور السيف والقلم بها فردهما عند اختلاف الرأي إليها ، شهادةً ترفع قائلها إلى
 أسنى المراتب وتُعليه ، وتقرب المخلص في آتجالها من مقام الاستخلاص وتُدنيه .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى ورد وأرد الأمة من منهل شرعته المطهرة
 ما عذب مشرعه وزدا وصدرا ، وألقت السياره أحاديث فضله فصيرتها للرفاق
 سمرا ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تقبلوا مساحب أذباله فى العدل فعدلوا ،
 ولزموا منهج سننه الواضح فما حادوا عن سواء السبيل ولا عدلوا ؛ صلاة تفوق العد
 حصرا ، وترفع بركاتها عن الأمة حصرا وتبدل العسر يسرا ، فتعيد عجاف الزمان
 سمانا وسنبلات الوقت بعد اليأس خضرا ؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن للملكة قواعد تبنى عليها ، وأركان تستند إليها ؛ ودعائم يئسد
 بالاعتضاد بها بنيانها ، وعمد يعتمد عليها فى المهمات سلطانها ؛ وهذه المباني وإن
 اتسع نطاقها ، وأمتد بامتداد الملكة رواقها ؛ فإن بالسيف والقلم قوامها ، وبالتعلق
 بحبالها بقاءها ودوامها ؛ إذ كانا قطبين عليهما مدار فلكتها ، ونقطتين عنهما ينشأ
 الخط المستقيم فى تدبير ملكها ؛ وزعيمين يترافع إليهما عند التخاضم ، وحكيمين يرجع
 إلى حكمهما عند التحاكم ؛ إلا أنهما لا يستقلان بأنفسهما عند التحالف ، ولا يقوم
 أحدهما برأسه لدى التخالف ؛ بل لهما إمام يرجعان إليه ، ويعولان عند اضطراب
 الأمور عليه ؛ وهو الرأى الذى لا يقطع أمر دون حكمة ، ولا يهتدى سائر فى مهامه
 المهمات إلا بتجمله ؛ إذ كان على الشجاعة مقدما ، ودليله من المعقول والمنقول
 مسلما ، والمتسم به لا يزال عند الملوك مبعجا معظما ؛ لا يقدمون عليه ولدا ولا والدا ،
 ولا يؤثرون على معاصدته عضدا ولا ساعدا ؛ إن أشار برأى تمسك الملك منه بالحبل
 المئين ، أو محضه كلام نصح قال : (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينًا مَكِينٌ أَمِينٌ) .

ولما كان الجنب العالى ، الاميرى ، الكبيرى (إلى آخر القاب) يوسف
 الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته ، هو الذى حنكته التجارب و « حلب الدهر »

أشطره» ، وعرف بتقليب الأمور على ممر الزمان مخبره ، مع ما أشتمل عليه من رأى الصائب ، والفكر الذى اذا أبدت قريحته فى الارتباء عجباً أنت فطرته السليمة بالعجاب .

هذا وقد علا فى الدولة القاهرة مقامه ، ورشقت أغراض مقاصدها بانقضاء الآجال فى الوقائع سبامه ؛ وساس العساكر فأحسن فى سياستها التدبير ، وبذل فى تنفقاتها الأموال فمال فيها إلى الإسراف دون التقدير ؛ وأستجلب الخواطر فأخذ منها بجماع القلوب ، وأقتاد النفوس الأبيسة قهراً فأطاعه من بين الشمال والجنوب ؛ وقام من المهتمات الشريفة بما لم يسبقه إليه سابق ، وأتى من خوارق العادات فى التنفيذ بما لم يلحقه فيه لاحق ، وبادر إلى ترتيب المصالح فرتبها ولم يعقه فى آتهاز الفرصة عن دفع المفساد عائق ؛ وأخذ فى حط الأسعار فورد منها من المعروف صافياً ، وأمر بإبطال المعاملين فكان له عملاً على توالى الأزمان باقياً ؛ ولازم بعد رضا الله تعالى رضا ملكه فغاز بأشرف المآثر فى الحديث والقديم ، وتأسى فى تعريفه بنفسه بيوسف عليه السلام فقال : (أجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليم) - أقتضى حسن رأى الشريف توبيهاً بذكره ، وتقديمه على غيره ممن رام هذه الرتبة فحجب دونها (والله غالب على أمره) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزينى - لا زال يجمع لأوليائه شمل المعالى ، ويرقى أصفياه فى درجات العز على ممر الأيام والليالى - أن تفوض إلى المشار إليه الإشارة الشريفة التى هى أسنى المقامات وأعلاها ، وأقصى المرادات لدينا وأغياها ؛ مع ما أنضم إلى ذلك من النظر فى الوزارة الشريفة التى جل قدرها ، وعلا فى المناصب ذكرها ؛ والخاص الذى آختص بمهماتنا

الشريفة، والديوان المفرد الذى عمّر من ممالكنا السعيدة ذا الوظيفة وغير ذى الوظيفة، وتعلقات المملكة شرقاً وغرباً، ولوازمها المفترقة بعداً وقرباً .

فليتلق ما فوض إليه بيمينه التى طالما ربحت فى الطاعة صفقتها، ويقابله بالقبول الذى محله من القلوب مهجتها، مقدماً تقوى الله تعالى فيما خفى من مقاصده وظهر، مؤثراً رضاه فى كل ما يأتى ويذكر، معتمداً فى المصالح اعتماداً ذى اليقظة الساهر، آتياً من غرائب الرغائب بما يحقق قول القائل : « كم ترك الأول للآخر » .

والوصايا كثيرة ومن بحرهُ نُسَخِرَجُ دُررُها، ومن سوابق آرائه نُسَوِّصِحُ أوضاحُها وغُررُها، والله تعالى يُدِيمُ عليه نِعَمَ إقبالنا الباطنة والظاهرة، ويتولاه من العناية بما يحقق له دائم قوله : (أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) . والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية

(من يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نظر البيارستان لصاحب سيف)
(١)

الحمد لله رافع قدر من كان فى خدمتنا الشريفة كريم الخلال، ومُعَلِّي درجة من أضفى عليه الإخلاص فى طاعتنا العلية مديد الظلال، ومجدد نعم من لم يُحصه اعتنائنا بغاية إلا رفته هممه فيها إلى أسنى رتب الكمال، ومفوض النظر فى قرب

(١) فى بعض نسخ الأصل بياض ولعله كان متروكاً لنسبة القول الى منشه كما يأتى فى نظيره بعد .

الملوك السالفة إلا من لم يلاحظ من خواصنا أمرا إلا سرنا ما نُشاهد فيه من الأحوال الحوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تَسِيرى إلى الأولياء عوارفها ، ومناهيله التي لا تَبْرَح تستميل على الأصفياء عواطفها ، وآلائه التي تُسَدِّد آراءنا في تفويض القرب إلى من إذا باشرها سر بسيرته السرية مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها ، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها ، ووالى الايقان إعادة أداها بمواقف الحق وإبداءها .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى ، المقصود في السنة ذكر حوضه الذى من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يظما ، المنصوص على نبوته فى الصحف المنزلة وبشرت به الهوائف نورا ونظما ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرتب الفانحة ، وحازوا بالإخلاص فى محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظوظهم من رضا الله ورضاه فلم يلووا على خدع الدنيا الساحرة ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس دولتها من الغروب والزوال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بالنظر فى مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على اعتبار مناهجها وأعتاد مناهجها ، أمر جهات البر التي تقرب بها السلطان الشهيد الملك المنصور (قدس الله روحه) إلى من أفاض نعمه عليه ، وتتوع فى إنشائها فأحسن فيها كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله : لعلمه أن ذلك من أنفس الذخائر التي أعدتها بين يديه ؛ وحل منها فى أكرم بقعة نقله الله بها عن سريره إلى مقعد صدق عند ربه ،

وعمرها مواطن العبادة في يوم سيامه بعد أن عفى بها معاقلة الكفر في يوم حربه ؛ وأقام بها منار العلوم فعلا منالها ، وأعد للضعفاء بها من مواد البر والإلطف مالو تعاطته الأغنياء قصرت عن التطاول إليه أموالها ؛ وأن نرتاد لها من اذا فوضنا إليه أمرا تحققتنا صلاحه ، وتيقنا نجاحه ، واعتقدنا تنمية أمواله ، واعتمدنا في مضاعفة ارتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله ، وعلمنا من ذلك ما لا يحتاج فيه إلى اختبار ولا اعتبار ، ولا يحتاج في بيان الخيرة فيه إلى دليل إلا إذا احتاج إليه النهار ، لتكون في ذلك بمثابة من ضاعف لهذه القرب أسباب ثوابها ، أو جدد لها وقفا ؛ لكونه أتى بيوت الإحسان في ارتياد أكفاء النظر لها من أوابها .

ولما كان فلان هو الذى نهت أوصافه على أنه ماوولى أمرا إلا وكان فوق ذلك قدرا ، ولا اعتمد عليه فيما تضيق عنه همم الأولياء إلا رحب به صدرا ، ولا طلع في أفق رتبة هلالا إلا وتاملته العيون لأجل رتب الكمال بدرا ؛ يدرك مانائى من مصالح ما يليه بأذنى نظر ، ويسبق في سداد ما يباشره على ما يجب سداد الآراء ومواقع الفكر . ونحن نزداد غبطة بتديره ، ونحقق أن كل ما عدقنا به إليه من أمر جليل فقد أسدناه إلى عارفيه وفوضناه إلى خيريه - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نعدق بجميل نظره هذا المهيم المقدم لدينا ، وأن نقوض إليه نظر هذه الأوقاف التى النظر في مصالحها من أكد الأمور المتعينة علينا .

فريم بالأمر الشريف - لا زال فضله عميا ، ويره يقدم في الرتب من كان من خواص الأولياء كريما - أن يقوض إليه كيت وكيت .

فليل هذه الرتبة التى أريد بها وجه الله وما كان لله فهو أهم ، وقصد بها النفع المتعدى إلى العلماء والفقراء والضعفاء ومراعاة ذلك من أخص المصالح وأعم .

ولينظر في عموم مصالحتها وخصوصها نظراً يسد خللها ، ويُرِجِحُ عِلَلَهَا ؛ ويعمر أصولها ، ويثمر محصولها ؛ ويحفظ في أماكنها أمواتها ، ويقم بها معالم العلوم في أرجائها ، ويستزل بها مواد الرحمة لساكنها باليسنة قرائنها ، ويستعيد صحة من بها من الضعفاء بإعداد الدخائر لملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ؛ ويحافظ على شروط الواقف في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصارفها ؛ وتقديم ما قدمه مع ملاءة تديره باستكمال ذلك على أكل ما يجب ، وتميز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف التي يعز وجودها ويحتب ؛ وضبط تلك الحواصل التي لا خزائن لها أوثق ، من أيدى أمنائه وثقاته ، ولا مودع لها أوفق ، من أمانته من يتقى الله حق تقاته ؛ فلذلك وكنناه في الوصايا إلى حسن معرفته وأطلاعه ، ويؤمن نهوضه بمصالحنا وأضطلاحه ، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجامع الطولوني)

من إنشاء المقترب البدرى ابن المقترب العلاتى بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء الشريف ، فى الدولة الظاهرية برقوق ، كتب به المقترب الشمسى العمري كاتب الدست الشريف لأبى يزيد الدوادار ، وهى :

الحمد لله الذى أقام من أولياتنا خير ناظر ، يقتر به كل ناظر ، وأدام بنا بناء المعروف الزاهير وحسنه الباهر ، وأنام الأنام فى مهاد الأمن بانتقاء ولي لسان الكون حامد له ومادح وشاكر ، وفتح أبواب السعادة باصطفاء صنفى طاب بسفارته كل خاطر من مقيم وخاطر ، ومنح أسباب السيادة بأوفى وفى عمر بوجوده

الوجودَ وعمَّرَ بجوده كلَّ بادٍ وحاضرٍ ، وأبصرَ بالدينِ المتينِ والفضلِ المبينِ فأقنناه
لننظرَ على بيوتِ الله تعالى لأولوئيته بذلك : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

نحمدُه على نِعَمِهِ التي ظَهَرَتْ بِالْمَزِيدِ فَسَرَّتِ السَّرَائِرَ ، وَظَهَرَتْ بِنُورِ الرُّشْدِ الْمَدِيدِ
فَأَشْرَقَ بِهَا الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَزِيزُ
الْقَادِرُ ، شَهَادَةً صَدَقَتْ فِي الْإِخْلَاصِ بِهَا الْأَلْسِنَةُ وَالضَّمَائِرُ . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مَعْدِنُ الْأَسْرَارِ ، وَبِحُرِّ الْجُودِ الزَّانِحِ ، وَمَنْبَعِ الْأَنْوَارِ ، صَاحِبِ الْآيَاتِ
الظَّاهِرَةِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْمَقَانِرِ ، الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ الْأَوَائِلُ
وَالْآوَائِرُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ النَّجُومِ الزَّوَاهِرِ ، الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ فَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ أَعْظَمَ مَجْتَهِدٍ وَمُؤَيِّدٍ وَنَاصِرٍ ، وَسَلَّمَ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ أَلْقَيْتُ إِلَيْهِ مَقَالِدُ الْأُمُورِ ، وَصَرَّفْنَا فِي جَمِيعِ مَصَالِحِ
الْجُمْهُورِ ، وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى لِيَعْمُرَهَا بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ وَتَضَاعَفَ لَهُ
الْأُجُورُ ، وَمَنَّكَ لَهُ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ حَتَّى صَارَ قُطْبَ فَلَكِهَا عَلَيْهِ تَدْوِيرُ ، وَبَسَطْنَا
يَدَهُ وَلِسَانَهُ فَهُوَ يَنْطِقُ عَنَّا وَيَأْمُرُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ فِي الْوُرُودِ وَالصُّدُورِ ، وَقَيَّدَنَا
الْأَرْزَاقَ بِقَامِهِ ، وَالْمِهْمَاتِ بِكَلِمِهِ ، فَلَا فَضْلَ إِلَّا مَنْ قِيضَهُ الْمُنْشُورُ - مِنْ أَمْتَارِ
عَلَى غَيْرِهِ بِفَضِيلَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ بِأَثْبَتِ قَدَمٍ ، كَانَ بِهَا
مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقِدَمِ ، وَأَتَّصَفَ بِالشَّجَاعَةِ وَالشَّمَامَةِ وَالْمَعْرِفَةِ النَّامَةِ وَالْحِلْمِ
وَالْعَدْلِ وَالْحِكْمِ ، فَهُوَ التَّرْجُمَانُ عَنَّا النَّاطِقُ بِفَصْلِ الْخُطَابِ فِي السَّرِّ لِلتَّرْكِ وَالْعَرَبِ
وَالعَجَمِ ، وَعُرِفَ بِالرَّأْيِ السَّعِيدِ ، وَالنَّظَرِ السَّعِيدِ ، وَالتَّدْيِيرِ الْحَمِيدِ ، وَالْقَوْلِ الْمُثْبِتِ ،

(١) ظهرت بالمزيد قويت به وظهرت بنور الرشد ووضحت وبنات .

وإلجود والكرم ؛ وطبوع على الخير الجزيل ، والدّين الجميل ، عُمره في الحق قائم ،
لا تأخذه في الحق لومة لائم ، طالما أحيا بحسن السفارة من العدم .

هو واحدٌ في الفضل والنظر السعيد لأبي سعيد .

فمن الذي يحكيه في الشرف العتيد بطل الوغى أبو يزيد .

قد تفرد في العفة والديانة ، والثقة والأمانة ، والتجف بالصفا ، وتردى بالوفا ،
وشفى بالخير والخير من كان بالفقر على شفا فحصل له الشفا ؛ ووفى بالعهود والمواثيق
وذلك أمر ماخفي^(١) ، ولحق في الجود والدّين بسيمه أبي يزيد البسطامي الولي :

قالوا : الولي أبو يزيد قد مضى * وهو الفريد بفضله والصادق !

قلت : الأمير أبو يزيد مثله * هذاك سابقه وهذا الألاحق !

ولما كان فلان هو المشار إليه بهذه الصفات الحسنه ، والمناقب التي تتوعت
في مدائحها الأليسه ، وعُرف بإلجود فلما حبه الأفتدة فارتفعت الأصوات بالدعاء
له معلنه ؛ طالما أنال النعم ، وأزال النقم ؛ وجبر القلوب ، وكشف الكروب ، وجلا
ظلام الخطوب ؛ ونشر المعروف ، وأغاث الملهوف ؛ وأنقذ من المهالك ، وعمّر
بتديره الممالك ؛ ووصل الأرزاق ، وأجرى الأطلاق على الإطلاق - أقتضت
أراؤنا الشريفة أن نعتد في جميع الأشياء عليه ، ونلقى مقاليد الأمور إليه ، ونسوط
به المهمات وغيرها : ليكون العلم بالكليات والجزئيات لديه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازال يتحف بالمزيد من كرمه ، ويُسبغ جلايب
نعمه ؛ ويمجى بجر فضله الواسع ، ويعم بنظره المقترين من أوليائه كل جامع لقبير
جامع ، أن يستقر^(٢)

(١) جرى على لغة طي . نظر السجع فتنه .

(٢) بياض بالأصل والمراد "في نظر الجامع الطولوني" الخ وكثيرا ما يفعل ذلك في مثل هذه المواضع .

فلتلق هذا التفويضَ الجليلَ بقبوله ، وبلِّغ الجامعَ المذكورَ ما يرتقبه من عمارته
التي هي غايةُ مأموله . ومنه تؤخذ الوصايا لأنه لساننا الناطق ، وسفيرُ مملكتنا العالمِ
بالحقائق والدقائق ، فلا يحتاج أن يُوصى ولا أن نفتح معه في الوصية باباً ، وما يصلح
ان يقال لغيره لا يجوز أن يكون له خطاباً :

ومثلك لا يدلُّ على صوابٍ • وأنت تعلم الناس الصواباً!

والله تعالى يؤيده في القول والعمل ، ويممُّ بوجوده وجوده الوجود وقد فعل ؛
ويُقيمه مدى الدهر ، ويستخدم لسعوده الساعة واليوم والجمعة والشهر ؛ ويجعل
بابه الطاهر مفتوحاً للقاصدين على الدوام ، ويُقيمه واسطةً عند الملك فإنه مبارك
أينما كان ورحمةً للأنام ؛ والاعتادُ على الخطِّ الشريف أعلاه حجةً بمقتضاه ،
إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(تقابة الأشراف)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية في المقالة الثانية أن
موضوعها التحدث على الأشراف ، وهم أولاد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى
الله عنه ، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد جرت العادة أن الذى يتولى هذه الوظيفة يكون من رؤوس
الأشراف ، وأن يكون من أرباب الأقلام ، وإنما أوردته مع أرباب السيف
لأن المقرَّ الشهابى بن فضل الله قد ذكر في بعض دساتيره الشامية أنه يُكتب
لقريب الأشراف « الأميرى » ولا يكتب له « القضاى » ولو كان صاحب قلم .

وقد رأيت له عدة توقيع على ذلك مكتوبة من الأبواب السلطانية وعن نائبي الشام وحلب وغيرها، معبراً عنه فيها بـ «الأميرى» وتوقيع في قطع الثلث مفتوحاً بحُطبة مفتحة بـ «الحمد لله» .

وهذه نسخة^(١) [توقيع] بتقابة الأشراف، وهي :

الحمد لله مشرف الأنساب، وموفى الأحساب، حقوق ملاحظتهم بغير حساب،
وجاعل أيامنا الشريفة تحمد الأكتساب .

نعمه بحامد حسنة الإيجاد والإيجاب . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شك في مقالها ولا أرتياب . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه الذي أنزل عليه الكتاب، وشرف به الدراري من شجرته المباركة الأعقاب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تنوارى شمسها بحجاب .

وبعد، فإن خير ما صيرت الهمم إلى تسديد مبانیه، وتقصيد مهمل رواعيه وملاحظة قاصيه ودانيه، المحافظة على كل ما يرفع قدر الآل ويعليه، ويرد إليهم عنان الاعتناء ويثنيه .

ولما كانت الفترة الطاهرة النبوية ورات الوحي الذين آل إليهم ميراثه، وأهل البيت الذين حصل لهم من السؤدد آياته؛ وقد سال الله وهو المسئول لهم القربى، وخصهم بمزايا حقيق بمثل متصرفهم أنه بها يُنجي وأنها لهم نُجى : لما في ذلك من بركات ترضى سيد المرسلين وتُجبه، ويُسطر الله [الأجر] لفاعله ويكتبه؛ وكان لابد لهم من رئيس يُنضد سلكهم وينظمه، ويعظم نجرهم ويفخمه؛ ويحفظ أنسابهم،

(١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام .

ويصقل بمكارمه أحسابهم ؛ ويمتلى بتديره ريعهم ، ويتابع تحت ظل هذه الشجرة
الزكية ما زكى ينعمهم ؛ ويحفظهم فى ودائع النسل ، ويصد عن شرف أرومتهم من
الأذعياء المدعين بكل بسل^(١) ؛ ويحرس نظامهم ، ويوالى إكرامهم ؛ ويأخذهم بمكارم
الأخلاق ، ويمدحهم بأنواع الإرفاد والإرفاق ؛ ويتولى ردع جانبيهم إذا لم يسمع ،
ويتدبر فيه قوله : « أنفك منك وإن كان أجذع » .

ولما كان فلان هو المشار إليه من بنى هذه السلالة ، وله من بينهم ميزة باطنة
وظاهرة وإن كانوا كلهم شيئاً واحداً فى الإجلال والإعظام ، فقد تميزت من بين
الأنامل السبابة على الخنصر والخنصر والوسطى والإبهام ، وتم تميز جنى فضل بعضه
على بعض فى الأكل وهو يسقى بماء واحد ، وقد أمتاز على بنى هاشم سيد المرسلين
عليه أفضل الصلاة والسلام - آقتضى حسن الرأى المنيف ، أن ريسم بالأمر
الشريف - لا يرح يختار ويتقى ، ويعتني من يخشى الله ويتقى - أن تفوض إليه
نقابة الأشراف الطالبيين على عادة من تقدمه من الثقباء السادة .

فليجمع لهم من الخير ما يهيج الزهراء البتول فعله ، ويفعل مع أهله وقربته
منهم ما هو أهله ؛ وليحفظ مواليدهم ، ويحرر أسانيدهم ؛ ويضبط أوقافهم ،
ويتمد إنصافهم ؛ ويتمر متحصلاتهم ، ويكثر بالتدبير غلاتهم ؛ ويأخذ نفسه
بمسواتهم ، فى جميع حالاتهم ؛ وليأخذهم بالتجمع عن كل ما يشين ، والعمل بما
يزين ؛ حتى يضيفوا إلى السؤدد حسن الشيم ، وإلى المفاخر فإخرا القيم ؛ وكل ما يفعله
معهم من خير أو غيره هو له وعليه ، ومنه وإليه ، والله يحفظه من خلفه ومن بين
يديه ، بمنه وكرمه ! .

(١) البسل الشدة كما فى اللسان . ووقع فى الأصل «نسك» بالنون والكاف وهو تصحيف .



وهذه نسخة وصية لنتيب الأشراف أوردها في "التعريف" فقال :

ونحن نُجِلُّكَ عن الوَصَايا إلا ما نَتَّبِعُكَ بِذِكْرِهِ ، وَيُسْرِكَ إِذَا أَشْتَمَلَتْ عَلَى سِرِّهِ ؛
فَاهْلَكَ [أَهْلَكَ ؛ رَاقِبٌ ^(١)] اللهُ وَرَسُولُهُ جَدُّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا أَنْتَ عَنْهُ مِنْ
أُمُورِهِمْ مَسْئُولٌ ، وَأَرْفُقُ بِهِمْ فَهَمُّ أَوْلَادِ أُمَّكَ وَأَبِيكَ حَيْدَرَةَ وَالبُتُولِ ؛ وَكُفَّ يَدَ مَنْ
عَلِمْتَ أَنَّهُ [قَدْ] اسْتَطَالَ بِشَرَفِهِ فَتَدَّ إِلَى العِنَادِ يَدًا ، وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّرِيفَ وَالمَشْرُوفَ
سِوَاهُ فِي الإِسْلَامِ إِلا مِنْ أَعْتَدَى ؛ وَأَنَّ الأَعْمَالَ مَحْفُوظَةٌ ثُمَّ مَعْرُوضَةٌ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ
فَقَدِمْتَ فِي اليَوْمِ مَا تَفَرَّحَ بِهِ غَدًا ؛ وَأَزَلَّ البِدْعَ الَّتِي يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَهْلُ العُلُوِّ فِي وِلَايَتِهِمْ ،
وَالعُلُوِّ فِيمَا يُوجِبُ الطَّعْنَ عَلَى آبَائِهِمْ ؛ : لِأَنَّهُ يُعْلَمُ أَنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ
كَانُوا مَتَّزِهِينَ عَمَّا يَدَّعِيهِ خَلْفُ السُّوءِ مِنْ أَفْتِرَاقِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَبِتَعَرُّضِ مَنْهُمْ أَقْوَامٌ
إِلَى مَا يُحْزِرُهُمْ إِلَى مَصَارِعِ حَيْثِهِمْ ؛ فَاللَّشْبَعَةُ عَثْرَاتٌ لَا تُقَالُ ، مِنْ أَقْوَالِ نِقَالٍ ؛ فَسَدَّ
هَذَا البَابَ سَدًّا لَيْبِ ، وَأَعْمَلَ فِي حَسْمِ مَوَادِّهِمْ عَمَلًا أَرِيبًا ؛ وَقَمَّ فِي نَهْيِهِمْ وَالسَّيْفِ
فِي يَدِكَ قِيَامَ خَطِيبٍ ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ قَوَارِعِكَ [مَوَاقِعٌ ^(١)] كُلِّ سَهْمٍ مُصِيبٍ ؛ فَمَا دُعِيَ
« بِحَيٍّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ » إِلَى خَيْرٍ مِنْ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ [فَانظُرْ فِي نَادِي
قَوْمِكَ عَلَيْهَا عُقُودَ الأَجْتِمَاعِ] . وَمَنْ أَعْتَرَى إِلَى اعْتِرَالٍ ، أَوْ مَالَ إِلَى الزَّيْدِيَّةِ فِي زِيَادَةِ
مَقَالٍ ؛ أَوْ أَدْعَى فِي الأئِمَّةِ المَاضِيينَ مَا لَمْ يَدَّعُوهُ ، أَوْ أَقْنَى فِي طُرُقِ الإِمَامِيَّةِ بَعْضَ
مَا أَبْتَدَعُوهُ ؛ أَوْ كَذَّبَ فِي قَوْلٍ عَلَى صَادِقِيهِمْ ، أَوْ تَكَلَّمَ بِمَا أَرَادَ عَلَى لِسَانِ نَاطِقِيهِمْ ؛
أَوْ قَالَ : إِنَّهُ تَلَّقَى عَنْهُمْ سِرًّا ضَنْوًا عَلَى الأُمَّةِ بِبِلَاغِهِ ، وَذَادُوهُمْ عَنْ لَذَّةِ [مَسَاغِهِ] ^(١) ،
أَوْ رَوَى عَنْ يَوْمِ السَّقِيْفَةِ وَالجَمَلِ غَيْرَ مَا وَرَدَ أَخْبَارًا ، [أَوْ تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ مِنْ يَقُولُ :
عَبْدُ شَمْسٍ قَدْ أَوْقَدَتْ لِبْنِي هَاشِمٍ نَارًا] ^(١) أَوْ تَمَسَّكَ مِنْ عَتَائِدِ البَاطِنِ بِظَاهِرٍ ، أَوْ قَالَ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٠ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

إِنَّ الذَّاتَ الْقَائِمَةَ بِالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي مَظَاهِرٍ ؛ أَوْ تَعَلَّقَ لَهُ بِأُتْمَةِ السَّرْتَرِجَاءِ ، أَوْ أَنْتَظِرَ مُقِيمًا بَرَضُوى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ ، أَوْ رَبَطَ عَلَى السَّرْدَابِ فَرَسَهُ لِمَنْ يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءَ ؛ أَوْ تَلَقَّتْ بِوَجْهِهِ يُظَنُّ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي النِّعَامِ ، أَوْ تَفَلَّتْ مِنْ عِقَالِ الْعَقْلِ فِي أَشْتِرَاطِ الْعِصْمَةِ فِي الْإِمَامِ . فَعَرَفْتَهُمْ أَجْمَعِينَ أَنَّ هَذَا مِنْ فِسَادِ أَذْهَانِهِمْ ، وَسُوءِ عَقَائِدِ أَدْيَانِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ عَدَلُوا فِي التَّقَرُّبِ بِأَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ عَنْ مَطْلُوبِهِمْ ، وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُمْ طَلَبُوا فَقُلْ لَهُ : (كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ) .

وَأَنْظُرْ فِي أُمُورِ أَنْسَابِهِمْ نَظْرًا لَا يَدَعُ مَجَالًا لِلرَّيْبِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِمْ بِغَيْرِ نَسَبٍ ، وَلَا يُخْرِجَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ ، وَسَاوِقِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أُمُورِهِمْ فِي كُلِّ حِسَابٍ وَأَحْفَظْ لَهُمْ كُلَّ حَسَبٍ . وَأَنْتَ أَوْلَى مِنْ أَحْسَنٍ لِمَنْ طَعَنَ فِي أَسَانِيدِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَوْ تَأَوَّلَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ مُرَادٍ قَائِلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْدِييًّا ، وَأَرَاهُمْ مِمَّا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ طَرِيقًا قَرِيبًا . وَنَكَّلَ بَيْنَ عِلْمَتِهِ أَنَّهُ قَدْ مَالَ عَلَى الْحَقِّ أَوْ مَالَ إِلَى فَرِيقِ الْبَاطِلِ قَرَفًا ، وَطَوَى صَدْرَهُ عَلَى الْغَيْلِ وَغَلَبَ مِنْ أَجَلِهِ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى مِنْ تَقْدِيمِ مَنْ تَقَدَّمَ حَقًّا ؛ [وَجَارَ وَقَدْ]^(١) أَوْصَحَّتْ لَهُمُ الطَّرِيقَةُ الْمُثَلِّى طُرُقًا ؛ وَأَرَدَعَهُمْ إِنْ تَعَرَّضُوا فِي الْقَدْحِ إِلَى نِضَالِ نِضَالٍ ، وَأَمْتَعَهُمْ فَإِنْ رَقَّهِمْ كُلُّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ خَابِطَةٌ فِي ظِلَامِ ضَلَالٍ ؛ وَقَدَّمَ تَقْوَى اللهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ وَحَلٍّ ، وَأَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهَا النَّسَبُ الْمَوْصُولُ الْحَبْلُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بْنَ فَضْلِ اللهِ قَدْ ذَكَرَ فِي "التعريف" عِدَّةَ وَصَايَا لِجَمَاعَةِ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ ، لَمْ يُكْتَبْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي زَمَانِنَا ، بَلْ رُفِضَ آسْتِمَالُهَا وَأَهْمَلُ . وَنَحْنُ نَذْكُرُهَا حِفْظًا لِذِكْرِهَا ، وَأَحْتِيَاطًا أَنْ يَقْتَضِيَ الْحَالُ فِي زَمَنِ كِتَابَةِ شَيْءٍ مِنْهَا .

(١) بياض بالأصل والنصح من التعريف ص ١٣٢ .

إحداها - وصية أتابك المجاهدين

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن أصله أتابك بالطاء الممهلة ومعناه الأب الأمير ، وأن أول من لقب بذلك زنكي أتابك صاحب الموصل ، ثم غلبت فيه التاء المشناة بدل الطاء ، وهي :

وأنت ابن ذلك الأب حقيقه ، وولد ذلك الوالد الذي لم تعمل له إلا من دماء الأعداء عقيقه ؛ وقد عرفت مثله بنبات الجنان ، وصلت بيدك ووصلت إلى مالم يصل إليه رُخ ولا قدر عليه سنان ؛ ولم يراحمك عدو إلا قال له : أيها البادي المقاتل كيف تراحم الحديد ، ولا تسمى أسماك لجبار إلا قال له : ((وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)). وأنت أولى من قام بهذه الوظيفة ، وألف قلوب هذه الطائفة التي ما حلّم بها حالم إلا وبات يرعد خيفه ؛ فليأخذ هذا الأمر بزمامه ، ويعمل لله ولإمامه ؛ وليرم في حبّ البقاء الدائم بنفسه على المنية ، ولينادم على معاقره الدماء زهور سكاينه الحنية ؛ وأطبع منهم زبرا تطاول السيوف بسكاينها ، وتأخذ بها الأسود في عمرينها ؛ وتمتد كأنها آمال ، لما تريد ، وترسل كأنها آجال ، ولهذا هي إلى كل عدو أقرب من جبل الوريد ؛ وأذك منهم شعلا إذا دعيت بأحسابها لا تجد إلا متحميا ، وأرم منهم سهاما إذا دعيت (؟) بأسمائها الاسماعيلية فقد جاء أن إسماعيل كان راميا ؛ وفرج بهم عن الإسلام كل مضيق ، وأقلع عن المسلمين من العوانية كل حجر في الطريق ؛ وصرف رجالك الميامين ، وتصيّد بهم فائهم صقور ومناسرهم السكاكين ؛ وأخطف بهم الأبصار فبايمانهم كل سكينه كأنها البرق الخاطف ، وأقطف الرؤوس فإنها ثمرات أينعت لقاطف ؛ وأعرف لهم حقهم وضاعف لهم

(١) هو فتح الباء الموحدة كما ضبطه ابن بطوطة في رحلته ص ٢٥٨ ج ٢ .

تكرماً، وأدب لهم بنا برأ عميماً ، وقدم أهل النفع منهم فقد قدمهم الله ﴿وقضّل الله
المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً﴾ .

وأعلم أنهم مثل الوحوش فزد في تأييدهم ، وأشكر إقدامهم فطالما اقتحموا على
الملوك وما هابوا يقظة حرسهم ، وأرفع بعضهم على بعض درجات في نفعات نسا فيهم
وقعود مجلسهم ، ولا تسو بينهم فما هم سواء و ﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين
غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ . وأصل هذه الدعوة
ما زالت تثقل بالمواريث حتى انتهت إلينا حرقوها ، وأومضت بنا حيث خلعت
هياً كلها بجرعاء الحمى برقوقها ، والله تعالى يوقفه ويرشده ، ويقول بآه لما قصرت
عنه سواعد الرماح ووصلت إليه يده .



الثانية - وصية أستاذ الدار .

وليتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها ، وأنواع وظائفها ، وليرتبها
في الخدمة على ما يجب ، وينظر في أمورهم نظراً لا يخفى معه شيء مما هم عليه
ولا يحتاج ؛ وليبدأ بهم الساط المقدم الذي يقدم ، وما يتنوع فيه من كل مطعم ؛
وما يمد منه في كل يوم بكرة والعصر ، وما يستدعى معه من الطوارئ التي لا يحدها
الحد ولا يحصرها الحصر ، وأحوال المطبخ الكريم الذي منه ظهور تلك المخافي ،
ووفاء ذلك الكرم الوافي ؛ والتقدم إلى الأمناء والمشيرين فيه بأمانة الإنفاق ، وصيانة
الماكل مما يعاب على الإطلاق . ثم أمر المشروب وما تعلق عليه أبواب الشراب خاناه
السعيدة من لطائف مأكول ومشروب ، وشيء عزيز لا يوجد إلا فيها إذا

عزَّ المطلوب ؛ ومراجعة الأطباء فيما تجرى عليه قوائنها ، وتُسبُّ لطبخه من حُمُر
اليواقيت كقوائنها ؛ وإفراز ما هو للخاص الشريف منها وما هو للفرقة ، وما لا يصرف
إلا بخط الطبيب ولا يسلم إلا إلى تيقه . ثم الطشت خاناه السعيدة التي هي خزانة
اللباس ، وموضع ما تبرُّز به من الزينة للناس ؛ وما يُحتاج إليه من آلات التطيب ،
وما يُعين لها من الصابون وماء الورد والطيب ، وغير ذلك من بقية ما هي مستقره ،
ويؤخذ منها مستدره ؛ ومن يُستخدم بها ممن برئ من الرب ، وعُرف بالعفاف
والأدب ؛ وعلم أنه من أهل الصيانة ، وعلى ما سلم إليه ومن خالطه الأمانة .
ثم الفراش خاناه وما يُنصب فيها من الخيام ، وما يكون فيها من فرش سفر ومقام ،
وشمع يُفضض كأفور كفورته آبنوس الظلام . ثم غلمان الإصطبل السعيد والتجابة
وإن كان إلى سواه استخداهم ، ولدئ غيره مستقرهم ومقامهم ، لكنهم ما خرجوا
من عديده ، ولا يروفهم ويروعههم إلا حسن وعده وخشن وعيده . ثم المناجات
السلطانية وما بها من جمال ، وما يترجح فيها من مال وجمال ؛ ومن يُستخدم فيها
من سيروان ومهمرد ، وما فيها من قطار مزدوج وفرد ؛ فيوفر لهذه الجهة نصيباً
من النظر يشاهد أمورها وقد غابت في الأقطار ، وتفرقت كالسحب يلزمها القطار
القطار ؛ وليكونوا على باله فإنهم يسرقون الذرة من العين ومعهم الذهب العين مجملاً
بالقنطار ؛ فليحسن منهم الارتياح ، وليتخير أرقهم أفئدة فإنهم بكثرة ملازمتهم للإبل
مثلها حتى في غلظ الأجداد . وطوائف المعاملين ، والأبقار ومن عليها من العاملين ،
وزرائب الغنم وخولها ورعايتها ، وأصناف البيوت الكريمة وما تطلبه في استدعائها ؛
ونفقات الأمراء المماليك السلطانية في إهلال كل هلال ، وما يُصرف في كساحم

على جارى عادتهم أو إذا دعت إليه ضرورة الحال ؛ وما يؤخذ عليه خطه من
 وصولات تكتب ، وأستدعآت تُحسب من لوازمه وهى للكثرة لا تُحسب ؛ فليكن
 لهذا كله مراعىا ، ولأُموره وإعيا ، ولما يجب فيه دون ما لا يجب مستدعياً وإليه
 داعياً ؛ وهو كبير البيت وإليه يرجع أمر كل مملوك ومستخدم ، وبأمره يؤخر
 من يؤخر ويقدم من يقدم ، ومثله يتعلم منه ولا يعلم ؛ وعصاه على الكل بحمولة
 على الرقاب ، مبسوطة فى العفو والعقاب ، ومكانه بين يدينا حيث نراه ويرانا ولدينا
 قاب قوسين أو أدنى من قاب .

وعليه بتقوى الله فيها تمام الوصايا وكال الشروط ، والأمر بها فعصاه بحكمة
 وأمره مبسوط ، وكل ما يناط بنا : من خاصة أمورنا فى بيتنا - عمره الله ببقائنا وزاد
 تعميره - بتديره منوط .

الثالثة - وصية أمير اخور .

وقد تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أنه مرَّكب من لفظين :
 عربى وهو أمير ومعناه معروف ، وأخور فارسى ومعناه العلف ، والمعنى أمير العلف .
 وكأنه فى الأصل كان هو المتولى لعلوفة الخيل ، ثم أرتفعت وظيفته حتى صار صاحبها
 من أكابر الأمراء المقدمين ، وهو يتحدث فى الإصطبلات السلطانية وما حوته
 من خيل وبغال ودواب وجمال وأثاث ، وغير ذلك .
 وهذه نسخة وصيته :

وليكن على أكل ما يكون من إزاحة الأعدار ، والنأهب لحركاتنا الشريفة فى ليل
 كان أونها ؛ مقدماً الأهم فالأهم من الأمور ، والأبدأ فالأبدأ من [تقديم]^(١) مرَّا كبنا

(١) الزيادة عن "التعريف" وهى لازمة كما لا يخفى .

السعيدة وتهيئة موكبنا المنصور؛ وترتيب ذلك كله على ما جرت به العوائد، وتحصيل ما تدعو الحاجة إليه على قدر الكفاية والزوائد؛ والنظر في جميع اصطبلاتنا الشريفة، والحشرات السعيدة؛ وخيل البريد، والركائب المعدة لقطع كل مدى بعيد؛ وما يجتمع في ذلك وينقسم، وما يركب منها ويُنسب مما يسم الأرض بالبدور والأهله من كل حافر ومنسجم؛ وما هو برسم الإطلاق، وما يعد للمالك الطباقي؛ وخيل التلاد، وما يُجلب من قود كل قبيلة من القبائل ويحىء من كل بلد من البلاد؛ والمشتري مما يباع من الموارث ويُستعرض من الأسواق، وما يُعد للوأكب والسباق؛ ويُجل رأيه في ترتيب ذلك كله في مراتبه على ما تقتضيه المهمات، والاحتراز في التلاد مما لعله يُبدل ويقال هو هذا أو يؤخذ بحجة أنه مات؛ وليجتهد في تحقيق ما نفق، [وليُحرره على حكم ما يتحقق عنده لا على ما أتفق^(٢)] وكذلك فليكن فخصه عن استخدام عنده من الغلمان، ولا يهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان؛ ولا يستخدم إلا من تُشكر سيرته في أحواله، وتُعرف خبرته فيما يراد من أمثاله؛ وكذلك الرُكابة الذين تملك أيديهم أئنة هذه الكرائم، والتحرز في أمرهم ممن لعله يأوى إليهم من أرباب الجرائم؛ والأوشاقيّة الذين هم مثل مماليكهم وهم في الحقيقة إخوانه، وجماعة المباشرين الذين هم في مباشرة الإصطبلات السعيدة ديوانه؛ وكل هؤلاء يلزمهم بما يلزم أمثالهم من السلوك، ويعلمهم بما يجب عليهم أن يتعلموه من خدمة الملوك؛ ولا يسمح لأحد منهم في أمر يُفضي إلى إخلال، ولا يقتضى قرط إذلال، وليقيم أودهم بالأدب فإن الأدب مافيه إذلال؛ وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنب العامة مخالطتهم لما طار في أيام من تقدم عن أمثالهم من سوء السمع،

(١) في اللسان من معاني "القود الخليل" وهو المناسب هنا .

(٢) الزيادة عن "التعريف" (ص ١٠٠) وهي لازمة كما لا يخفى .

وَيُخَوِّفُ مِنْهُمْ الشَّرْعَةَ ؛ فليَكُنْ لَهُمْ مِنْكَ أَعْظَمُ زَاجِرٍ ، وَمَنْ شَكِيَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَسَارِعْ إِلَى التَّنْكِيلِ بِهِ وَبَادِرْ ؛ وَأَشْهَرُ مِنْ فِعْلِكَ بِهِمْ مَا يُوجِبُ مِنْهُمْ الطَّمَأْنِينَةَ ، وَلَا يَعُودُ أَحَدٌ بَعْدَهُ يُكْذِبُ بِقِيَّتِهِ ؛ وَأَمْرَاءُ أَخُورِيَةِ الَّذِينَ هُمْ أَتْبَاعُكَ ، وَبِهِمْ يَمْتَدُّ بِأُفْكَ ، هُمْ بِحَسَبِ مَا تَجْعَلُهُمْ بِصَدَدِهِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ [أَنْ] يَتَعَدَّى حَدَّهُ فِي مَقَامِ قَدَمِهِ وَبَسْطِ يَدِهِ ؛ فَاجْعَلْ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَقَامًا مَعْلُومًا ، وَشَيْئًا تَجْعَلُ لَهُ فِيهِ تَحْكِيمًا . وَتَمَيِّنِ الْخِيُولَ الْمَشْتَرَاةَ وَالتَّقَادِيمَ قَوْمَهَا بِأَهْلِ الْخِبْرَةِ تَقْوِيمَ عَدْلٍ ، وَقُلِ الْحَقُّ وَلَا يَأْخُذُكَ فِيهِ لَوْمٌ وَلَا عَدْلٌ ؛ وَمَا يُصْرَفُ مِنَ الْعَلِيقِ بِرِسْمِ الْخِيُولِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَنْ لَهُ مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةِ عَلِيقٌ ، مُرَّ بِصَرْفِهِ عِنْدَ الْأَسْتَحْقَاقِ وَأَضْبِطْهُ بِالتَّعْلِيقِ ؛ وَتَصْرَفْ فِي ذَلِكَ كَلَّهُ وَلَا تُتَصْرَفْ إِلَّا تُصْرَفْ شَفِيقٌ ، وَصُنْهُ بِأَقْلَامِ جَمَاعَةِ الدِّيَّانِ وَلَا تَقْنَعْ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الضَّرُورَةِ بِرَفِيقٍ عَنِ رَفِيقٍ ؛ وَكَذَلِكَ الْبِرَاسِمُ السُّلْطَانِيَّةُ أَصْلًا وَزِيَادَةً ، وَلَا تُصْرَفْ إِلَّا مَا أَمُرُ بِهِ وَإِلَّا فَلَا تَخْرُجْ فِيهِ عَنِ الْعَادَةِ ؛ وَزَلَّالُوكَ مِنْ أَمْرَاءِ الْعُرَبَانِ عَامِلُهُمْ بِالْجَمِيلِ ، وَزِدْ فِي أَخْذِ خَوَاطِرِهِمْ وَلَوْ بَسْطَ بِسَاطِ الْأُنْسِ لَهُمْ فَمَا هُوَ قَلِيلٌ ، : لِتَضَاعَفَ رَغْبَتُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَليَسْتَدِلُّوا بِبَشَاشَةٍ وَجْهَكَ لَهُمْ عَلَى مَا بَعْدَهُ مِنَ الْإِنْعَامِ ؛ وَبِغَالِ الْكُؤُوسَاتِ السَّعِيدَةِ وَالْأَعْلَامِ الْمَنْصُورَةِ ، وَأَنْتَقَالَ الْخِزَانَةَ الْعَالِيَةَ الْمَعْمُورَةَ ؛ أَجْعَلْهَا مِنْ الْمَهْمَاتِ الْمَقْدَمَةِ ، وَالْمَقْدَمَاتِ لِتَنْبُجِ أَيَّامِ النُّصْرِ الْمُعْلَمَةِ ؛ وَرَتِّبْهَا فِي مَوَاقِفِهَا ، وَأَتَمِّمْهَا أَيْمًا مَا يَكُونُ مِنْ وِظَائِفِهَا ؛ فَبِهَا تُثَبَّتُ مَوَاقِفُ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ ، وَإِلَيْهَا يَأْوِي كُلُّ مُسْتَظِلٍّ وَرَحَى الْحَرْبِ تُدَوِّرُ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ قُمَاشِ الْإِضْطَبَّالَاتِ السَّعِيدَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَرِيرِ ، وَكُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ؛ بِأَشْرِهِ مَبَاشَرَةً مِنْ لَا يَتَخَلَّى ، وَأَحْصِيهِ تَخْرُجًا وَدَخْلًا ؛ وَإِيَّاكَ وَالْأَخْذَ بِالرَّخْصِ ، أَوْ إِهْمَالَ الْفُرْصِ ، أَوْ طَلَبَ فَائِثِ جُرْمِ أَهْمَانَتِهِ حَتَّى نَكْصِ .

الرابعة - وصية مُقَدَّم الممالك .

وقد تقدّم في الكلام على أرباب الوظائف أنه يتحدّث في أمر الممالك السلطانية والحُكْم بينهم ، ويركّب خلفهم إذا ركب السلطان كأنه يحفظهم . والوصية هي :

وليُحَسِّن إليهم ، وليُعلِّم أنّه واحد منهم ولكنه مقدّم عليهم ، وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يُخيّل إليهم بها أنه معهم وخلفهم وبين يديهم ، وليُزِم مقدّم كلّ طبقة بما يلزمه عند تقسيم صدقاتنا الحاربية عليهم : من ترتيب الطباق ، وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ولا ينس السواق ؛ وليكن لأحوالهم متعهدا ، ولأمورهم متفقدا ؛ وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال منها على بصيره ، وليعرف ما هم عليه مما لا يخفى عليه فإنهم وإن لم يكونوا له أهلا فإنهم جيّره ؛ وليأمر كلّا منهم ومن مقدّميهم والسواقين لهم بما يلزمهم من الخدمة ، وليرتبهم على حكم مكاتبتهم منّا فإن تساووا فليقدّم من له قدّمه ؛ وليعدل في كل تفرقه ، وليحسن في كل عرض وتنفقه ، وليفرّق فيهم ما هم من الكساوى ويُسبّل عليهم رداء الشفقه ؛ وليعدّ منهم لغاينا المحميّ سبعا تفرس العاديه ، وليجعل النظر في أمر الصغار منهم واليكبار أصحاب الطبقات العاليه ؛ وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتاده ، والدخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العاده ، وليُدِرهم في أوقات البيا كبير والأسفار نطاقا دائر الدهلين المنصور ، وليأمرهم أمرا عامّا بأن لا يركب أحد منهم إلا بدستور ولا يتزل إلا بدستور ؛ وليحترز عليهم من طوائف الغلمان ، ولا يستخدم منهم إلا معروفا بالخير ويقيم عليهم الضمان ؛ وليحرر على من دخل عليهم وخرج ، ولا يفتح لأحد منهم إلا من علم أنه ليس في مثله حرج ؛ ولا يدع للريبة بينهم مجالاً للأضطراب ، وليؤص مقدّميهم بتفقد ما يدخل إليهم فإن الغش أكثره من الدعاء والشراب ؛ وليدّم مراجعتنا في أمرهم فإنّ بها يعرف الصواب ، وليعمل بما نأمره به ولا يجحد جوى في جواب .

الضرب الثانى

(مَنْ يُكْتَبُ لَهُ بِالْوِلَايَاتِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ أَرْبَابُ الْوِظَائِفِ الدِّيْنِيَّةِ،

وَهُوَ عَلَى طَبَقَتَيْنِ)

الطبقة الأولى

(أَصْحَابُ التَّقَالِيدِ مَنْ يُكْتَبُ لَهُ بِالْحَنَابِ الْعَالِي)

وتشتمل على عدة وظائف

الوظيفة الأولى

(القضاء)

قد تقدّم في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب الوظائف أن الديار المصرية كان يليها قاض واحد، إلى أن كانت الدولة الظاهرية «بيبرس» في أوائل الدولة التركية، وقاضى القضاة يومئذ القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرّ الشافعى، فاضطرب الأمر لاختلاف المذاهب، فاقضى رأى السلطان تقرير أربعة قضاة من كل مذهب قاض، وقرّر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعرّ في قضاء قضاة الشافعية على حاله، وكُتِبَ لكلّ منهم تقليدٌ بذلك؛ ثم خُصَّ قاضى القضاة الشافعية بالتولية في بلاد الريف دون غيره من القضاة الثلاثة، واستمر الأمر على ذلك إلى الآن. إلا أنه لما حدث بديوان الإنشاء تنوع ما يكتب لأرباب الأقاليم إلى تقاليد، في قطع الثلثين، وتفاويض، وتواقيع، في قطع النصف، تقرّر الحال على أن يكتب للقضاة الأربعة تواقيع في قطع النصف بـ«المجلس العالى»، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن ولى القاضى عماد الدين احمد الكركى الأزرقى قضاء قضاة

الشافعية في أول سلطنة الظاهر « برقوق » الثانية ، وأخوه القاضي علاء الدين علي كاتب السر ، فعني بأخيه عماد الدين المذكور ، فكتب له تقليدا في قطع الثلثين « بالجناب العالي » . وبقى الثلاثة على ما كانوا عليه من كتابة التواقيع إلى أن ولي القاضي جمال الدين محمود الثاني القيسري المعروف بالمعجمي رحمه الله قضاء قضاة الحنفية في الدولة الظاهرية أيضا ، مضافا إلى نظر الجيش ، فكتب له تقليدا في قطع الثلثين بالجناب العالي أيضا ؛ وبقى المالكي والحنبلي على ما كانا عليه من كتابة التواقيع في قطع النصف . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن ولي قاضي القضاة جمال الدين يوسف الساطي قضاء قضاة المالكية في الدولة الناصرية « فرج بن الظاهر برقوق » فأنشأت له تفويضا وكتبت له به ، ولم يكن أحدهم من حاضرناه كتب له تفويض غيره . ثم لما ولي الشيخ جمال الدين عبد الله الأفهسي قضاء المالكية ، كتب له توقيع في قطع النصف ، إلا أنه كتب له « بالجناب العالي » كما يكتب لأصحاب التقاليد ، وجرى الأمر فيمن بعده على ذلك . ولم يبق من هو على النمط الأول سوى قاضي القضاة الحنابلة ، ويوشك أن يكتب لكل من المالكي والحنبلي أيضا تقليدا ؛ لمساواتهم بغيرهم من الأربعة . وقد ذكرت ما يكتب لهم من تقاليد وتواقيع هنا جمعا لفتق ونقريرا للأخذ .

وهنا أذكر ما يكتب للأربعة على الترتيب .

الأول (قضاء القضاة الشافعية)

وهذه نسخة تقليد بقضاء القضاة الشافعية ، كتب به لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعرز رحمه الله ، حين أسنقر أحد القضاة الأربعة بعد انفراده بالوظيفة على ما تقدم ، وهي من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله مجرد سيف الحق على من اعتدى، وموسع مجاله لمن راح إليه وأغتنى،
وموضح طريقه لمن اقتاد وأقتدى، ومزين سمائه بنجوم تستمد الأنوار من شمس
الهدى، الذى أعذب لشرعة الشريعة المحمدية ينبوعا، وأقامها أصلا مدينا
الرشد فروعا .

نحمده على نعمه التى ألزمتنا لتشييد مبانيها شروعا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تعمربها من القلوب والأفواه ربوعا . ونصلى على سيدنا محمد الذى
أرسله الله إلى الخلائق جميعا، وقام بعبه الأمر يصنع حسنا ويحسب صديقا ،
صلى الله عليه وعلى آله صلاة لا يبرح برقها مأموعا، ولا ينفك وترها بالتسليم مشفوعا .

وبعد، فإن أحق من جدد له شرف التقريض، وخلد له إرضاء الأحكام وإمضاء
التفويض، وریش جناحه وإن لم يكن المهيض، وفصح مجاله وإن كان الطويل
العريض، ورُفِع قدره على الأقدار، وتقسمت من سخائه الأنواء ومن أشعته
الأنوار، من غرر مدته بخرت منه فى رياض الحق الأنهار، وغدا تخشع لتقواه القلوب
وتنصت لقوله الأسماع وترنو لحياه الأَبصار، قد أوفد من إرشاده للأمة لطفًا لطفًا،
وأوقد من علمه جدوة لا تحبو وقبسا بالهوى لا يطفى، وفات النظراء والنظار فلا يرسل
أحد معه طرفا ولا يمد إليه من حياته طرفا، وأحتوى من علوم الشريعة على ما تفرق
فى غيره، وغدا خير دليل إلى الحق فلا يقتدى فى المشكلات إلا برأى آجهاده
ولا يهتدى فى المذاهب إلا بسيره، وكان لملك الشريعة المحمدية قطبا، وبلجانها
قبا ولسوارها قبا، ولدليلها برهانا، ولإنسانها عينا ولعينها إنسانا، فكم أرضى نبي
الأنام عن الأيام، وكم أغضى حياء مع قدرته على الانتقام، وكم أمضى الله حكا
لا انفصال لعروته ولا انفصام، وكم قضى بالجور فى ماله وبالعدل فى الأيتام،

فلو أستعداهُ الليلُ على النهار لأنصفه من تعديهِ ، ولم يُداجه لما ستره عليه من تعديهِ في دِياجِيهِ ؛ فهو الصادِعُ بما أمر الله به ولو على نفسه ، والمستردُّ الحقوقَ الذاهبةَ من غير محاباةٍ حتى لغدِهِ من يومِهِ وليومه من أمِسِهِ .

ولما كان قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب من هو في أحسن هذه الله ات قد تصوّر ، وكادت نجومُ السماء بأنواره تتكثّر ، وتجوهر بالعلوم فأصبح حقيقةً هو التاجُ المُجوهرُ ؛ وله مزايا السؤدد التي لا يُنسك فيها ولا يُرتاب ؛ وسجاياء الفضل التي إذا دخل [إليه] غيره من باب واحد دخل هو إليه من عِدّة أبواب ؛ وهو شجرة الأحكام ، ومصدّد كلِّ الحُكّام ؛ ومطلّع أنجم شرائع الإسلام ، ومهيّط وحى المُقدمات والإرتسام ، ومجتمّع رفاق القضايا في الحلال والحرام - خرج الأمر الشريف بتجديد هذا التقليد الشريف له بقضاء القضاة بالديار المصرية : فليستصحب من الحق ما هو مَلِيٌّ باستصحابه ، وليستمر على إقامة منار الحق الذي هو مَوْثِقُ عُرَاه ومؤكّد أسبابه ، وليحتلب من أخلاف الإنصاف ما حفله آجتهاده ليد احتلابه ؛ عالماً بأن كل إضاءة إنارتها من قبسه ، وإن استضاء بها في دِياجِيِ المُنَى ، وكل ثمرة من مغترسه ، وإن مد إليها يد الاجتينا ؛ وكل جدول هو من بجره وإن بسط إليه راحة الاعتراف ، وكل منهج هو من جادته وإن تخی إلى سلوكه عنان الانصراف لا الإتحراف ؛ وهو بحمد الله المجتهد المصيب ، والمادة للعناصر وإن كان نصيبه منها أوفر نصيب ؛ وسجاياء يتعلم منها ، كيف يوضى ويُعلم ، ومزاياه تُقوم الأود ، كيف يُقوم ، والله الموفق بمنه وكرمه ! .

الثاني - قاضي قضاة الحنفية على ما استقر عليه الحال من لدن القاضي جمال الدين محمود القيسرى وإلى آخر وقت . وموضوعها النظر في الأحكام

الشرعية على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، ويختص نظره بمصر
والقاهرة خاصة .

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة الحنفية كُتِبَ به لمن لَقِبَهُ شمسُ الدين ، وهى :
الحمدُ لله الذى أطلع فى أفقِ الدين الحنيفِ شمساً مُنيرةً ، ورفَعَ درجةً من جعله
من العلم على شريعةٍ ومن الحكم على بصيرةٍ ، وَقَدَّ أمورَ الأمة لمن يَعْلَمُ أَنَّ بين يديه
كتاباً لا يُفادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً ، ووقَّقى لفصل القضاء من مشى على قَدَمِ أَقدم الأئمة
فسار فى مذهبه المذهبِ أحسنَ سيره ؛ الذى أدنر للحكم فى أيامنا الشريفة من نفانس
العلماء أفضلَ ذخيرته ، وقضى بإرجاء أمره لنخار له من تحلَّى به بعد العطل وكُلِّ
قضاءٍ خيرته ، وأيقظ عنايتنا لمن رقد الدهرُ عن فضله فباتت عينُ الاستحقاق بأستقرار
رتبته قديره .

نحمدُه حمدَ مَنْ توافقت إليه النعم الغزيرة ، وتوالت عليه المنن الكثيرة فى المدد
اليسير ، وأخصبت فى أيامه رياضُ الفضائل فهى بكلِّ عالمٍ عديمِ النظرِ نصيره ؛
وأتاحت دولته برفع منار العدل فأمال أهل الظلم عن تعاطيه قاصرةً وأيدى أهل الباطل
عن الإمتداد إليه قصيره ، وخصَّ المناصبَ فى ممالكه بالأكفاء فإذا تلبَّست بها
هيمٌ غيرهم عادت خاسئةً أو أمتدت إليها أبصارٌ من دونهم رجعت حسيره .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُصلح العلى والسريه ،
وتُصيح بها القلوب موقنةً والألسن ناطقةً والأصابع مُشيره ؛ ونشهد أن محمداً عبده
ورسوله الذى بعث الله به الرسل مُحيرةً وأنزل الكتب بمبعثه بشيره ؛ وأجتابه
فى خير أمة من أكرم أرومة وأشرف عشيره ، وأظهر أنوار مِلته إلا لمن أعمى النى
بصيرته وهل ينفع العمى شمس الظهيره ؛ وخصه بالأئمة الذين وفقهم للاستعانة بالصبر

والصلاة وإنما لكثيره، وجعل علماءهم ورثة الأنبياء فلو أذعيت لأحكامهم العصمة لكانت بذلك جديره؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة نتقرب بدوامها إلى الله فيضاعفها لنا أضعافاً كثيرة، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن أولى الأمور بأن تُشاد قواعده، وتُعهد معاهدته؛ ويُعلَى مناره، وتُفاض بطلوع شمس أنواره؛ ويُثَلَى به بعد العطل جيده، ويُنظَم في سلك عقود الأمة فريده؛ وتُكَلَّى به قوى الدين تكلمة الأجساد بقوى الطبائع الأربع، وتُعمَّر به ربوع الملة التي ليس بعدها من مصيف لمة ولا مربح، وتُثَبَّت به قوائم الشرع التي ما للباطل في إمالة بعضها من مطمع؛ وتُجَلَى به عمَّن ضاق عليه المجال في بعض المذاهب الغمَّة، ويستقرَّ به عدد الحكماء على عدد الأئمة المستقرَّ على عدد الخلفاء الراشدين من خلفاء الأمة؛ ويمتدَّ به على الخلق جناح الرحمة وإفرا القوائد وإرف الظلال، ويجمع به عليهم ما جمع الله في أقوال أئمتهم من الحق وما ذابعد الحق إلا الضلال، - أمر القضاء على مذهب الإمام أبي حنيفة الثمان بن ثابت رضى الله عنه الذى أشقَّ الله له من الملة الحنيفة نسبة سرت في الآفاق، وأفاض عليه من مواد التماس الجلى كُنوزاً نمت على الإنفاق، وعضد أيامه بولي عهد قولهما حجة فيما تفرذا به من الخلاف أو اجتمعا عليه من الوفاق؛ وعُد من التابعين لقدم عهده، وسمى «سراج الأمة» لإضاءة نوره بهما من بعده.

ولما خلا بانتقال مباشره إلى الله تعالى، توقَّف مدة على آرتياد الأكفاء، وأرتياد من هو أهل الأصطفاء؛ واختيار من تكمل به رفعة قدره، ويعيد لدسته بتصدُّره على بساط سليمان بهجة صدره؛ ويغدو لير إمامه بعد إمانة هذه الفترة باعناً، ويصبح وإن كان واحد عصره لأبى يوسف ثانياً ولمحمد بن الحسن ثالثاً؛

وَيُسَبِّهَ بِهِ الْبَلِيخِي زُهْدًا وَعِلْمًا ، وَالطَّحَاوِي تَمَسُّكَاً بِالسُّنَّةِ وَفَهْمًا ؛ وَيُعْتَرِفُ الْقُدُورِيُّ
 مِنْ بَحْرِهِ ، وَيُعْتَرِفُ الْحُصْرِيُّ بِالْحَصْرِ عَنْ إِحْصَاءِ فَضْلِهِ وَحَصْرِهِ ؛ وَيَقِفُ مِنْ
 مَذْهَبِ ابْنِ ثَابِتٍ ، عَلَى أُثْبِتِ قَدَمٍ وَيَنْتَمِي مِنْ قَفِّهِ النَّعْمَانُ إِلَى فَرْعِ زَاكٍ وَأَصْلُ
 ثَابِتٍ ، وَيُنْشَرُ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا إِنَّ وَاثِقَ الْأُئِمَّةِ فَهُوَ حِجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَمَحْجَةٌ سَاطِعَةٌ ؛
 أَوْ خَالَفَهُمْ بِمَذْهَبِهِ فَهُوَ رَحْمَةٌ وَسَعَةٌ ، وَنِعْمَةٌ [و] إِنْ كَانَتْ بَيْنَ الطَّرِيقِ فَارِقَةٌ فَإِنَّهَا عَلَى
 الْحَقِّ جَامِعَةٌ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرَّتْبَةِ أَنْتَظَرَ الشَّمْسُ بَعْدَ الْغَسَقِ ، وَالْمُرْتَقِبُ
 لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمُنْزَلَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا بِوَادِرٍ أَسْتَحْقَاقِهِ فِي السَّبْقِ ، وَالْمَعْطُوفُ عَلَى مَنْ
 وَصِفَ مِنَ الْأُئِمَّةِ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ زَمَانِهِ عَطَفَ النَّسَقُ ؛ وَهُوَ الَّذِي مَادَامَ يَعْدِلُ دَمَ
 الشَّهْدَاءِ مَدَادًا أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أُجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ نَقْلِ خَطَوَاتِهِ
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعْيِ أَقْدَامِهِ ؛ وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمْرَةِ مَنْ حُصِرَ بِإِلْمًا ،
 وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عُدَّتْ هَجْعَاتُهُ لِقَلَمًا ؛ وَهَجَرَ فِي إِحْرَازِ
 الْفَضَائِلِ قَبْدَ أَوَابِدِهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ؛ وَبَلَغَ فِي بَحَارِ الْمَعَانِي فَغَاصَ عَلَى
 جَوَاهِرِهَا ؛ وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهْرِهَا وَرَادَ نَحَائِلَ الْفَضَائِلِ
 فَاسْتَوَى عَلَى أَزَاهِرِهَا ؛ وَأَتَمَّ إِلَيْهِ عِلْمُ مَذْهَبِهِ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ، وَجَارَى عِلْمَاءَ
 عَصْرِهِ فَوَقَفَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ غُبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ، وَنَحَا نَحْوَ إِمَامِهِ فَلَوْ قَابَلَهُ
 يَعْقُوبُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ فِي بَحْثٍ لَانْصَرَفَ ؛ وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرَضَ كِفَايَةَ
 لَا فَرَضَ عَيْنٍ ، وَقَدَّمَ التَّرْجِيحَ الَّذِي جَعَلَ رُتْبَتَهُ هَمزَةً أَسْتَفْهَامٍ وَرُتْبَةَ غَيْرِهِ بَيْنَ
 بَيْنَ - آفَتْضَى رَأْيِنَا الشَّرِيفَ آخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا
 اللَّفْظِ الْوَجِيزِ .

(١) يريد الإشارة إلى قوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

فلذلك رُسم أن يفوض إليه كيت وكيت . فليتولَّ هذه الرتبة التي أصبح فيها عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نائبا وبشْرعه قائما، ويتقلدها تقلدًا من يعلم أنه قد أصبح على حكم الله مُقدما وعلى الله قادِما، ويتثبت تثبتًا من يعتصم بالله في حكمه فإن أحد الخصمين قد يكونُ الحنَّ بحجته وإن كان ظالما، ويلبس لهذا المنصب حلة تمنع المبطّل من الإقدام عليه، وتدفع الظالم عن التطاول إلى أمرٍ تزعه الشرع من يديه، وتؤمن الحق من امتداد يدي الجور والحيف إليه؛ وليسوي بين الخصمين في مجلسه وحلّظه، ويعدّل بينهما في إنصاته ولفظه؛ ليعلم ذو الجاه أنه مساوٍ في الحق لخصمه، مكفوفٌ باستماع حجته عن الطمع في ظلمه؛ ولا ينقض حكما لم يخالف نصا ولا سنة ولا إجماعا، وليشارك فيما لا يبغله من القضايا غيره من العلماء ليريد بذلك مع اطلاعه اطلاعا، وليغتنم في ذلك الاستعانة بأرائهم فإن الله تعالى لا يترفع هذا العلم اتزاعا؛ وليسد مسالك الهوى عن فكره، ويصرف دواعي الغضب لغير الله عن المرور بذكره؛ وليجعل العمل لوجه الله نتيجة علمه، وليحكم بما أراه الله (والله يحكم لا معقب لحكمه)؛ إن شاء الله تعالى .

الثالث — قاضي قضاة المالكية :

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة المالكية ، لقاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطي المُقدم ذكره ، في العشر الأخير من رجب الفرد سنة أربع وثمانمائة ، وهو :

الحمد لله الذي شفع جلال الإسلام بجماله ، وناط أحكامه الشرعية بمن أقرن بحميد مقاله جميل فعّاله ، وخص مذهب عالم المدينة بخير حاكم ما جرى حديثه

(١) الذكر والذكر أي بالضم والكسر التذكر .

الحسن يوماً إلا وكان معدوداً من رجاله ، وَعَدَقَ النظرَ فى أحكامه بأجلِّ عالم
لو طَلِبَ له فى الفضلِ مِثْلُ لعَجَزِ الزمانُ أن يأتى بِمِثَالِهِ .

نَحْمَدُهُ على أن أَخْلَفَ من النَّبِعةِ الزَكِيَّةِ صِنُوعاً زَايِجاً ، وَأَدَالَ من الأَخِ الصَّالِحِ أَخاً
للعلومِ شَافِياً ، وَلَمَنِّصِبِهِ العِلىَّ وللهِ الحمدُ وَإِفِيَا . وَنَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده
لا شريكَ له مجرَّدُ سيفِ الحقِّ على كَلِّ مَبِطِلِ معانِدٍ ، ومرجِفُ حدِّه القاضِ
لكلِّ مُلْحِدٍ عن سِواءِ السَّبيلِ حائِدٍ ؛ وأنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضلُ نبيِّ فاق
الأنامَ بفضله وعمِّ البريةِ بَعْدِهِ ، وَسُدَّ بابُ التَّوبَةِ على مَنْتَقِصِهِ فلم تكن تُقْبَلُ تَوْبَةُ
مِثْلِهِ ، وكان إلى مالِكٍ مصيرُهُ فلا جرمَ قَضَى بِإِهْدَارِ دَمِهِ وتَحَمُّ قَتْلِهِ ؛ صَلَّى اللهُ عليه
وعلى آلِهِ وصحبِهِ الذين ذَبُّوا عن حِمَى الدينِ وذادُوا ، وسلَكُوا سَبيلَ المَعْتَلَةِ إذ حَكَمُوا
فما ضَلُّوا عن سَنَنِ الطَّرِيقِ ولا حادُوا ؛ صلاةً تَبقى ببقاءِ الدَّهْورِ ، ولا تزولُ
بِهَجَّةٍ جَمالِها بتوالى الأَعوامِ والشُّهورِ ، وسَلَّمَ تسليماً كثيراً .

أما بَعْدُ ، فإنَّ أَوْلَى ما قَصِرَ عليه النظرُ ، وأسْتَعْرَقَتْ فيه الفِكرَ وعَرَا العِيونَ فيه
السَّهَرُ ؛ وَصُرِفَتْ إليه الهِمَمُ ، وَرَغِبَتْ فى البراءةِ من تحلُّفه الدَّمُ - النظرُ فى أمرِ
مَنْصِبِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الذى يَأْوِي المَلْهُوفَ إلى ظِلِّهِ ، وَيُجِئُ المَسْتَجِيرَ إلى عَدْلِهِ ،
وَيَتَعَلَّقُ العُفْءَةَ بوَثيقِ عُرْوَتِهِ ومَتِينِ حَبْلِهِ ؛ وَبَرَهْبَتِهِ يَكْفُ الظَّالِمَ عن ظُلْمِهِ ،
وَيَنْتَصِفُ الخَصْمَ من خَصْمِهِ ، وَيُذْعِنُ العاصِىَ إلى طاعَتِهِ وَيُنْقَادُ الأَبَى إلى
حُكْمِهِ ، وَيَأْتُمُّ به الخائِرُ فى دُبْحَى الجَهْلِ فيسْتَضِيءُ بِنُورِهِ ويَهْتَدِي بِنَجْمِهِ ؛ لا سِمْما
مَذْهَبُ مالِكٍ الذى لم يَزَلْ للدينِ من أهلِ الإلحادِ مُثْبِتاً ، وللقصاصِ من أهلِ العِنادِ
مَبْتَدِراً ، وبَسَلَّ سَيْفِ الحَقِّ على الطُّغاةِ ائْتَمَرْدِينَ مَشْتَهَرًا ؛ ففازَ من سَطَواتِ
الإرهابِ بأرْفَعِ المراتِبِ ، وعلا رِقابَ المُلْحِدِينَ بأرْهَفِ القِواضِبِ ، وَخُصَّ من

سَفَكَ دِمَاءَ الْمُبْطِلِينَ عَلَى الْبَيْتِ بِمَا لَمْ يَشَارِكْهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ ؛ فَوَجَبَ أَنْ يُخْتَارَ لَهُ مِنْ يَنْصُ الْأَخْتِبَارِ عَلَى أَنَّهُ أَهْلٌ لِلَاخْتِيَارِ ، وَيَقْطَعُ الْمُنَافِسُ أَنَّهُ الرَّاجِحُ وَزَنَا عِنْدَ الْأَعْتِبَارِ ، وَتَأْخُذُ مَنْقِبُهُ الْبَسِيطَةَ فِي الْبَسْطِ فَلَا تَنْفَعُ إِذَا تَفَدَّتْ مَنْاقِبُ غَيْرِهِ الْمُرْكَبَةُ عِنْدَ الْأَخْتِصَارِ ؛ وَيَشْهَدُ لَهُ ضِدُّهُ بِالْتَفَدُّمِ فِي الْفَضْلِ وَإِنْ لَمْ تَتَقَدَّمْ مِنْهُ دَعْوَى ، وَيَعْتَرِفُ لَهُ بِالْأَسْتِحْقَاقِ خَصْمُهُ فَيَتَمَسَّكَ مِنْ عَدَمِ الدَّانِعِ فِيهِ بِالسَّبَبِ الْأَقْوَى ، وَيَحْكُمُ لَهُ بَعْلُو الرُّبِيَّةِ مُنَاوَنُهُ فَيَرْفَعُ الْخِلَافُ وَتَقْطَعُ النَّجْوَى ، وَيَسْجَلُ لَهُ حَاسِدُهُ بِبُيُوتِ الْمَفَاحِرِ الْمَحْكُومِ بِصِحَّتِهَا فَلَا يَنْقُضُهَا حَاكِمٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنْ تَدْقِيقِ النَّظْرِ الْغَايَةَ الْفُضْوَى ؛ وَتَنْفِذُ أَحْكَامِهِ فِي الْبَرِيَّةِ فَلَا يُوجَدُ لَهَا مَخَالِفٌ ، وَتَحْتَدِرُ شَيْعَةُ الْبَاطِلِ سَطْوَتَهُ فَلَا يَرَى لِبَاطِلٍ مُخَالَفٌ ، وَيَشْتَهَرُ عَنْهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ مَا يَأْمَنُ مَعَهُ الْمُسْتَضْعَفُ الْخَائِفُ ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ مِنْ قِيَامِ الْعَدْلِ مَا يَرْتَدِعُ بِهِ الظَّالِمَ الْخَائِفَ ؛ وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ فِي لُزُومِ الْحَقِّ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ؛ وَلَا يُفَرِّقُ فِي لَازِمِهِ بَيْنَ الْمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ؛ وَلَا يُمَيِّزُ فِي حَمْلِ الْأَعْبَاءِ الشَّرِيعَةِ بَيْنَ الشَّاقِّ وَغَيْرِهِ وَلَا بَيْنَ الثَّقِيلِ وَالْخَفِيفِ ؛ وَلَا يُخَاجِي قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ ، وَلَا جَلِيلًا لْجَلَالَتِهِ ، وَلَا ظَالِمًا خَوْفَ ظَلَمِهِ وَلَا إِذَا اسْتَطَالَتْ لَأَسْطَطَاتِهِ ، وَلَا يَسْتَرِلُهُ ذُو لِسَانٍ لِلسَّنَةِ وَلَا بَلِغٌ لِبَلَاغَتِهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بَيْنَ الصَّدِيقِ الْمَلَاطِفِ وَغَيْرِهِ إِلَّا فِي مَنَعِ قَبُولِ شَهَادَتِهِ .

ولما كان المجلس العالی القاضوی ، الکبیری ، الإمامی ، العالی ، الصّدوری ، الرئیسی ، الأوحیدی ، العلامی ، الکاملی ، الفاضلی ، المُفیدی ، الفریدی ، الحجّی ، القُدوی ، الخاشعی الناسکی ، الحاکمی ، الجسالی ؛ جمال الإسلام ، شرف الأنام ، حاکم الحُکام ؛ أوحّد الأئمة ، مُفید الأُمّة ؛ مؤید الملة ، مُعزّ السنّة ؛ شمس الشریعه . سیف المناظرین ، لسان المتکلمین ، حکم الملوك والسلاطین ، خالصة أمير المؤمنین ،

أبو المحاسن «يوسف البساطي» المالكي - أدام الله تعالى نعمته - هو المراد من هذه الصفات، التي وقعت من محله الكريم موقعها، والمقصود من هذه السمات، التي ألفت من سيرته الفاضلة موضعها؛ وقارع صفاة هذه الذروة التي ما كان ينبغي لغيره أن يقرعها؛ وشمس الفضل الحقيقي بمثلها أن لا يتوارى جملها بحجاب الغروب، وفاصل مشكلات الفضائيا إذا اشتد إشكالها وعظمت في فصلها الخطوب، ومتعين الولاية التي إذا كانت في حق غيره على الإباحة كانت في حقه على الوجوب؛ وقد درّب الأحكام وخبرها، وعرف على التحقيق حالها وخبرها، وورد من مشاربها الرائقة أصفى المناهل فأحسن وزدها وصدرها؛ ونفست جواهر فوائده ففاقت جواهر المعادن، وغطت محاسن فضله فضائل غيره ولا تُسكّر المحاسن «يوسف» وهو «أبو المحاسن»، فعلموه المدونة بالبيان والتحصيل كإفله، ومقدمات تنبيهاته بنتائج النواذر الحسنة متواصله؛ وتهذيب ألفاظه المنقحة تؤذن بالتحجير، وعبون مسائله المتواردة لا تدخل تحت حصر ولا تقدير؛ فلوراه «مالك» لقال: ما أعظم هذه الهمة، أو أدركه «أبن القاسم» لوقر من الثناء عليه قسمه، أو عاصره «أبن عبدالحكم» لحكم له بأن سهمه قد أصاب الغرض وغيره أطاش الريح سهمه؛ أو عاينه «أشهب» لقال قد ركب هذا الشهباء أثنى يلحق، أو سمع «أبن وهب» كلامه لقطع بأنه هبة ربانية وبمثلها لم يسبق؛ أو بلغ «أبن حبيب» خبره لأحب لقاءه، أو بصربه «مختون» لتحقق أنه عالم المذهب ما وراءه؛ أو استشعر بقدمه «أبن سيرين» لبشره، أو جاوره «أبن عوف» لعاف مجاورة غيره أو مجاوزة طنبه؛ أو جالسه «أبن يونس» لتأنس مجالسته، أو حاضره «أبو الحسن بن القصار» لانشجي قلبه بحسن محاضرتة؛ أو جاره «القاضي عبد الوهاب» لقضى بعلو مكانته، أو اتصل ذكره «بالمازري» لزرى على «مازر» لبُعدها عن دار إقامته؛ أو أطلع

«القاضي عياض» على تحقیقاته لاستحسن تلك المدارك، أو ناظره «أبن عبدالسلام» لسلم أنه ليس له في المناظرة نظير ولا في تدقيق البحث مشارك؛ أو مر به «أبن الجلاب» بلحب فوائده إلى بلاده، أو حضره «أبن الحاجب» لتحقق أنه جامع الأمهات على أفراداه .

هذا وقد حُفَّ بجلال لا عهد لأحد بمثله ، ولا طاقة لفاضل بمقاومة فضله ، ولا يسمع الزمان بنظيره من بعده كما لم يسمع به من قبله ؛ فاجتمع من جمال الجلال ، وجلال الجمال ، ما لم يكن ليدخل تحت الإمكان ، وعزز عددتهما من أعلام الأئمة بثالث ورابع فقام بناء الدين من المذاهب الأربعة على أربعة أركان ؛ ولا عبرة بما يذهب إليه الذاهبون من كراهة التربع تبعاً للنجمين في اعتقادهم الفاسد ، فقد ورد أن زوايا الحوض على التربع وذلك فيه أعظم دليل وأقوم شاهد .

وكان مذهب مالك رحمه الله هو المراد من هذه الولاية بالتخصيص ، والمجلس الجمالی المشار إليه هو المقصود بهذا التفويض بالتخصيص - آقتضى حسن الرأي الشريف أن نوفي مرتبته السنية حقها ، ونبوي النعم مستحقها ، ونملك رقاب المعالي مسترقها ، ونقدم على طائفة المالكية من أضحى لهم جمالا ، ونحفهم بمن أمسى لعزهم كالا ، ونفوض قضاء مذهبهم إلى من إذا جرى في ميدان حكمه قالت محاسن قضاياه : (هكذا هكذا وإلا فلا) . ونسند الأحكام الشرعية إلى من هو بها أعرف ، ووقفها على من أعرف أنه على الحقائق ما مضى وعند السنة يتوقف ، ونعديق أمرها بمن ألب النزاهة فنكرة المطامع عنده لا نتعرف ؛ ونكل النظر فيها إلى من أمسى لشروط الاستيجاب جامعا ، وتقدم في ولاية هذا المنصب من شفع له استحقاقه وكفى بالاستحقاق شافعا .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازل يَسُطُّ لأوليائه من إساط الأُنس ما كان
مَعَاوِيَا ، وَيُنِيلُهُمْ مِنْ رَغَائِبِ الْأَمَلِ مَا كَانَ عَنْهُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ مَزْوِيَا -
أَنْ يُفَوِّضَ إِلَيْهِ قَضَاءُ قُضَاةِ مَذْهَبِ عَالَمِ الْمَدِينَةِ ، وَإِمَامِ دَارِ الْمِجْرَةَ ، مَالِكِ بْنِ أَنَسِ
الْأَصْبَحِيِّ : قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ . فَلْيَتَلَقَّ مَا فُوضَ إِلَيْهِ بِأَفْضَلِ تَلَقُّ بِرِيقِ بَيْتِهِ ،
وَيَتَقَبَّلَهُ تَقَبُّلاً يَنْسَبُ رِفْعَةً مَحَلَّهُ ، وَيَتَبَهَّجُ بِأَجَلِّ تَفْوِيضٍ لَمْ يُسَمَّحْ بِتَمْنِيَةِ لِآخِرِ
مِنْ قَبْلِهِ .

وَمِنْ أَهَمِّ مَا نُوصِيهِ بِهِ ، وَنُوجِّهُ الْقَوْلَ إِلَيْهِ بِسَبَبِهِ ؛ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ مِلَاكُ
الْأَمْرِ كُلِّهِ ، وَقَوَامِ الدِّينِ مِنْ أَصْلِهِ ؛ وَالْإِشْتِمَالُ عَلَيْهَا فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ وَالْعَمَلُ بِهَا
فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، ثُمَّ يَرُ الْخَلْقَ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُمْ إِلَّا فِيمَا أَوْجِبَهُ الشَّرْعُ
مِنَ الْحَقُوقِ عَلَيْهِمْ ؛ فَفِي التَّقْوَى رِضَا اللَّهِ وَفِي الْبِرِّ رِضَا الْخَلْقِ وَنَاهِيكَ بِجَمْعِهِمَا
مِنْ رُتْبَةِ فَآخِرِهِ ، إِذْ لَا شَكَّ أَنَّ مَنْ حَصَلَ رِضَا اللَّهِ وَرِضَا الْخَلْقِ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى
خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ وَوَرَاءَ ذَلِكَ قَاعِدَةٌ فِي الْوَصَايَا جَامِعَةٌ ، وَتَذَكُّرَةٌ لِلذَّكْرِ
نَافِعَةٌ ؛ وَهِيَ أَنْ يَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ غَيْرِهِ تَأَمُّلًا مِنْ جَعْلِهَا لِنَفْسِهِ مِثَالًا ، وَلِنَسْجِهِ مِثْوَالًا ؛
فَمَا اسْتَحْسَنَهُ مِنْهَا أَتَى مِثْلَهُ ، وَمَا اسْتَقْبَحَهُ تَجَنَّبَ فِعْلَهُ ؛ وَاقْفَا فِي ذَلِكَ عِنْدَ
مَا وَرَدَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ الْمَطْهُرَةَ بِنَصِّ صَرِيحٍ أَوْ تَأْوِيلِ صَحِيحٍ ، مُعْرِضًا عَنِ الْعَقْلِيَّاتِ
الْمُحْضِيَةِ فَلَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِي تَحْسِينٍ وَلَا تَقْذِيرٍ .

وَأَمَّا آدَبُ الْقَضَاءِ الْجَارِي ذِكْرُ مِثْلِهِ فِي الْعَهْودِ ، وَالنَّظَرُ فِي أَمْرِ النَّوَابِ وَكُتَابِ
الْحُكْمِ وَالشُّمُودِ ؛ نَهْوٌ بِهِ أَدْرَبُ وَأَدْرَى ، وَبِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ أَحَقُّ وَأَحْرَى ؛
غَيْرَ أَنَّا نُوصِيهِ بِالنَّبْثِ فِي أَمْرِ الدِّمَاءِ وَعَلَاقَتِهَا ، وَتَحَقُّقِ حُكْمِهَا قَبْلَ الْحُكْمِ بِإِرَاتِيهَا ؛
فَإِنَّ ذَلِكَ لِمَادَّةِ الْقَلْقِ فِيهَا أَحْسَمٌ ، وَمِنْ تَبِعَاتِهَا فِي الدَّارَيْنِ أُسْلَمٌ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ

ولكنها منه تُستفاد، وعنه تُؤخذُ وإليه تُعاد؛ والله تعالى يتولاه، ويحوطه فيما
ولاه، ويُدِيم عليه هذه النعمة فما فوق منصبه منصبٌ يتمناه؛ والأعتادُ^(١) ...
إن شاء الله تعالى .

وكتبُ لستُ إن بقيتُ من شهر رجب الفردِ عامَ أربعٍ وثمانمائة، حسبَ
المرسومِ الشريفِ، بمقتضى الخطِ الشريفِ .



وهذه نسخة توقيع بقضاء القضاة الحنفية بدمشق، من إنشاء القاضي ناصر الدين
آبن النشائي، وهي :

الحمد لله الذى جعل منارَ الشرع الشريف مستمرا على الدوام، وشتملَ منصب
الحكم العزيز للعالم بعد العالم على ممتز الأيام؛ وأجملَ انتخاب من يقوم بأعباء القضايا،
ومن تدوم به مزايا السجايا، فيتخير لذلك الإمام بعد الإمام؛ وأقبل بوجه آجتابائه
على ولى نتأكد بإنصاته وإنصافه إحكام الأحكام، وعدل باعتنائه إلى تعيين من
ترتفع به فى العلوم أعلام الإعلام، ومن يتأيد به الحق فى كل تقضى وإبرام .

نحمده على نعمه الوافرة الأقسام، السافرة [اللسان] عن وجوه الزيادة الوسام،
ونشكره على مننه الحسام، ومواهبه التى لا تبرح نفور إحسانها لذوى الاستحقاق
واضحة الإيتسام .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كفيلاً بالمرام، مئيلة للإكرام،
جميلة التلقظ والإلتنام، جزيلة الكنف والإعتصام؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله
الذى أقام الله به شعائر الإسلام، وأظهر شرائع الدين الحنيف بحسام نصره الحسام،

(١) أى إلى آخر ما يكتب فى مثله، وحذفه من باب الاختصار .

وأورث من أهله من أمته كنوز العلوم التي لا تتفد فوائدها مع كثرة الإنفاق مدى السنين والأعوام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هدوا المؤمنين بإلهام الكلام، وعدوا على المشركين بسهام الكلام، وأبدوا من إرشادهم إلى خفايا القضايا ما يظهر بهذبيهم ظهور بدر النمام، صلاة دائمة باقية تجزّل لقائلها الأجر التام، وترسل إليه صحائب المواهب هاطلة الغمام، وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد، فإن أولى من تذهب به مذهبه، وتحلّى به محلّ الشرح الشريف ومنصبه، وأثار بنور إرشاده ليل الشك وغيبه، وسهل بتقريبه على فهم الطالب مطلبه، وهى به وإبل العلم وصيبه، وأتيح به لاستفيد كثير الفوائد التي يدنو بها أربه، وشيم من برق شيمه بالشام ما وجد في الجود صادقته وفقد خلبه - من علا في العلوم نسبه، وتأكّد في الدين سببه، وشيّد منبى المعالى معربه، وصقل مرآيا الأفهام مهديه، وزاحم منكب الجوزاء في ارتفاع القدر منكبّه، وجمل مواكب المباحث في الأصول والفروع موكبّه، وصحّت بدقائق الحقائق صحبه، وأشتاق إلى قربه موطن الحكم العزيز فما زال يرتقبه، وأرتاح الزمان إلى عفاقه وإنصافه فأرشد حيث نختاره لذلك ونتخبه .

(١) أيد الله أحكامه هو الذى أرشد الطالبين
ولما كان المجلس العالى
في البداية ، وأفاد المنتهين درجات النهايه ، وأفهم المستفدين صواب الهدايه ،
وغدا سابقاً [في] حلبة العلماء إلى أقصى غايه . كم قرب إلى الأذهان غامض المشكل
وأوضح مفهومه ، وكم أشاع فرائد فوائده التي طبقت الأرض بها علومه ، وكم أباح لفظ
الفاظه المشحونه بالحكم فتحلّى الناس بدورها المنثورة والمنظومه ، مع ماله من دين

(١) بياض بالأصل متروك لتكلمة الألقاب المعلومة كالأميرى الكبيرى الخ .

(٢) في المصباح مانصه : "والبداية بالياء مكان الهمز عاى نص عليه ابن برى وجماعة" .

متين ، وأستحقاق للتقدم مبين ، وصلاحي بلغ به درجات المتقين المرتقين ، وأتباع
 لسنن الحق في الحكم بين الخلق عن يقين - أقتضى حسن الرأي الشريف أن يقرن
 منصب القضاء بحاله ، وأن يعوض عن إمامه المفقود بإمامه الموجود ليستمر
 الأمر على حاله .

فلذلك رسيم ... - لا زالت أئمة العلم الشريف في أيامه يخلف بعضهم بعضا ،
 وأقدارهم تدوم رفعتها مدى المدد فلا تجد نقصا ولا نقضا - أن يعوض ...
 فليأشرك ذلك بعلمه المأثور، وحكمه المشهور، وإنصافه الذي يعدل فيه، وأنصافه
 بالحق الذي ما يرح يوفيه ، قاضيا بين الخصوم بما أمر الله عز وجل ، مراقبا
 لخشية الله على عادته ، مديعا لليلة الحنيفة أنواع إفادته ، قاطعا بنصل نصه مشكل
 الإلباس ، جامعا في أحكامه المسددة بمقتضى مذهبه بين الكتاب والسنة والقياس .
 والوصايا كثيرة وملا كما التقوى وهي مادته ، وطريقه المستقيم وجادته ، وما زالت
 عمدته التي يعتمد عليها ، وعدته التي يستند في إسناد أمره إليها ، والله تعالى يجمل
 الأيام بأحكامه ، ويبلغه من خير الدنيا والآخرة غاية مراده ومرامه ، إن شاء الله
 تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية أيضا، أنشأته لقاضي القضاة جمال الدين
 البساطي المذكور عند عودته إلى الوظيفة، لأربع بقين من ذى القعدة سنة
 سبع وثمانمائة . وقد وافق عودته عود شيخ الإسلام جلال الدين عبدالرحمن البلقيني
 إلى قضاء قضاة الشافعية أيضا، وهي :

(١) بياض في الأصل والمراد واضح مما تقدم .

الحمد لله الذى أعاد لرتبة القضاء رونق « جماليها » وأسعد جدّها بأسعد قرآن
 ظهرت آثار يمينه بما أثرته من ظهور « جلالها » ، وأجاب سؤالها بأجل حاكم
 لم تعدل عنه يوما فى سؤالها ، وأسعد طلبتها بكل كفى لم تنفك عن خطبته وإن
 أطال فى مطالها ، وأكرم مآبها بكرم كاف ما فاتها منأل ما مض إلا أدر كفته به
 فى مآلها .

نحمده على أن أعطيت القوس باربها ، وأعيدت مياه الاستحقاق إلى مجاريها ،
 وردت الشاردة إلى مالك ألفت منه بالآخرة ما ألفت من خيره فى مبادئها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يخفى بالإخلاص منأطها ،
 ويزداد مع طول الأمد نساطها ، ولا ينطوى على تمر الأيام - إن شاء الله تعالى -
 بساطها . ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل نبي رقع قواعد الدين وشاد ،
 وقام فى الله حق القيام فحسم بسيف الشرع مادة الفساد ، وأحكم بسد الذرائع
 سداد الأمور فحرت أحكام شريعته المطهرة على السداد ؛ صلى الله عليه وعلى آله
 وصحبه الذين استنشق من معدلتهم أطيب عرف ، وخصوا من صفات الكمال بأحسن
 حلية وأكل وصف ؛ صلاة توهى عمرا الإلحاد ، وتفصمها ، وتبك أعناق أهل
 العناد ، وتفصمها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلاخفاء فى أن الأبصار تشوف لرؤية الهلال مع قرب الغيبة للأخذ منه
 بنصيبها ، والشمس يترقب طلوعها فى كل يوم وإن قرب زمان مغيبها ، والمسافر
 يسر بإبائه وإن تكرر قدومه من بعيد المسافة وقربها ، والسهران يتطلع من ليلته
 الطويلة إلى طلوع فجرها ، والمناصب السنية تارز إلى مستحقها كما تارز الحية
 إلى جحرها .

ولما كان المجلس العالى، القاصوى، (الى آخر القابه) أعز الله تعالى أحكامه هو الذى حُمدت فى القضاء آثاره، وسارت بحسن السيرة فى الآفاق أخباره، وحسن بحسن تأتية فى الورد والصدور إرادته وإصداره؛ وتناقس فى جميل وصفه الطرس والقلم، وظهرت فضائله (ظهور نار القيرى ليلا على علم)؛ ونشرت الأيام من علومه ما نطوى إليه المراحل، وجادت مواطر فكره بما يُحصب به جناب المربع الساحل؛ وعمرت من منصب القضاء بولايته معاهدته، وجرت بقضايا الخير فى البدء والعود عوائده؛ ونفذت بنفاد أوامره فى الوجود أحكامه، ورُقم فى صحائف الأيام على توالى الدهور نقضه وإبرامه؛ وسجل بثبوت أحقيته فانقطعت دون بلوغ شأوه الأطلاع، وحكيم بموجب فضله فانعقد على صحة تقدمه الإجماع؛ ففرائد فوائده المدونة تؤذن بالبيان والتحصيل، ومقدمات تنبيهاته المحققة، تكفى نتائج إفضالها عن الإجمال والتفصيل؛ وجراهر ألفاظه الرائقة، نعم الذخيرة التى تُقنى، ومدارك معانيه الفاتحة، حسبك من ثمرة فكر تُجنى؛ وتهذيب إراداته الواضحة تُعنى فى إدراكها عن الوسائل، وتحقيق مسائله الدقيقة مُحقق فيها أنها عيون المسائل - وكانت وظيفة قضاء أفضاة المالكية بالديار المصرية فى رفيع رتبها، ووافر حرمتها، قد ألفت إليه مقاليدها، ورفعت بالانتماء إلى مجلسه اعلى أسانيدها، وعزّت محله الرفيع فتعلقت منه بأعز منال، وحظيت بجماله اليوسفى المرة بعد الأخرى فقالت: لا براح لى عن هذا الجمال؛ وعجمت بتكرار العود عوده فعرضت عن السوى، وقرت بالإياب إليه عينا «فألفت عصاها وأستقر بها النوى» - أقتضى حسن الراى الشريف أن يُعيد الوظيفة المذكورة إليه، ونمؤل فى استكشاف مشكلات الأحكام على ما لديه، إقرارا للأمر فى نصابه، وردا له بعد الشراء إلى مثابه، وإسعاقا لمنصب بطليته وإن أتعب غيره نفسه فى طلايه.

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُبدى المعروف ويُعيدُه ، ويُوقَر نصيبَ
الأولياء وَيَزِيدُهُ - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه قضاء القضاة بمذهب عالم
المدينة وإمام دار الهجرة «مَالِكِ بْنِ أَنَسِ الْأَصْبَحِيِّ» رضى الله عنه ، على جارى
عادته المتقدمة فى ذلك . وأن يُضاف إليه تدریس قبة الصالح والأنظار الشاهد بها
توقيعه الشريف ، وأن لا يُقرر أحدٌ فى دروس المالكية من مدرّس ومُعيد
إلا بتعيينه ، على أتم العوائد وأجملها ، وأعم القواعد وأكملها .

فلنعد إلى رُتبته السنية برفع قدره وعلى همته ، ويقابل إحساننا بالشكر نُحْفَه
بمزيد الإقبال إذ لا زيادة فى العلو على رُتبته . ثم أول ما نُؤدِّ به به ، ونؤكد القول
عليه بسببه ، تقوى الله التى هى مِلاك الأمور كلها ، وأولى المفترضات فى عقد
الأمور وحلّها ؛ فهى العِصمة التى من لجأ إليها نجأ ، والوقاية التى ليس لمن حاد
عنها من لحاق قوارع الله مُلتجأ . ونُتبع ذلك بالتلويح إلى الاحتياط فى المسائل
التي تفرّد بها مذهب الشريف ضيقا وسعه ، وأختص بها إمامه الأصبحي دون
غيره من الأئمة الأربعة ؛ وهى مسائل قليلة ، آثارها فى الورى كثيرة جليله ؛ منها
سَفْكُ دم المتقِص والساب ، وتَحْمُ قنله على البتّ وإن تاب ؛ فعليه أن يأخذ
فى ذلك بالإهتمام ، ولا يُعطى رُخصة فى حق أحد من الأنبياء والملائكة عليهم السلام ،
ليكون ذلك وسيلة إلى الخلوص عن القذى ، وذريعة إلى سلامة الشرف الرفيع
من الأذى ؛ إلا أنا نُوصيه بالثبوت فى الثبوت ، وأن لا يعجل بالحكم بإراقة الدم
فإنه لا يُمكن تداركه بعد أن يفوت . ومنها : الشهادة على الخط وإحياء مامات
من كُتِب الأوقاف والأملك ، وتقريب ماشطٍ فلا يقبل فيه إلا اليقظ الواقف مع
تحققه دون حدسه ، ولا يطلق عنان الشهود فإن الكاتب ربما أشبّه عليه خطُّ

نفسه - ومنها : ثبوت الولاية للأوصياء، فيجربها على اعتقاده، ولكن إذا ظهرت المصلحة في ذلك على وفق مراده - ومنها : إسقاط غلة الوقف إذا استرد بعد بيعه مدة بقائه في يد المشتري، تحذيرا من الإقدام على بيع الوقف وعقوبة رادعة لبائعه المجترى . إلى غير ذلك من مسائل الأفراد، وما شاركه فيه غيره من المذاهب لموافقة الاعتقاد، فيمضي الحكم فيه بأقوى العزائم، ويلزم فيها بما استبان له من الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وأما غير ذلك من الوصايا الراجعة إلى أدب القضاء فلديه منها الخبر والخبر، ومنه تستملى فوصيته بها كقتل الثمر إلى هجر، والله تعالى يعامله بلطفه الجميل، ويحفه بالعباد [REDACTED] مقام الرحيل، إن شاء الله تعالى، والاعتقاد



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الخنابلة، وهي :

الحمد لله الذي أطلع في أفق الدين القيم شمساً منيرة، ورفع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيره، وقلد أمور الأئمة بمن يعلم أن بين يديه كتابا لا يفادير صغيرة ولا كبيرة، ووفق لفصل القضاء من مشى على قدم إمامه الذي أدخر منه للحكم في أيامنا الشريفة من نفائس العلماء أفضل ذخيره، وقضى بإرجاء أمره لنتخار له من تحلى به بعد العطل وكل قضاء خيره، وأيقظ عنايتنا لمن رقد الدهر عن فضله فبات عين الاستحقاق باستقرار رتبته قريره .

نحمده حمد من توافقت إليه النعم الغزيرة، وتوالت عليه المنن الكثيرة في الممدد اليسيره، وأخصبت في أيامه رياض الفضائل فهي بكل عالم عدم النظير نصيره،

(١) تقدمت في تقليد حتى بأطول من هذا وبعض تغيير .

وأفتح دونه برفع منار العدل فأمال أهل الظلم عن أمانيه قاصرة وأيدى أهل الباطل عن الامتداد إليه قبيره ، وخص المناصب في ممالكه بالأكفاء فإذا تلبست بها همم غيرهم عادت خاسئة أو آمنتت إليها أبصار من دونهم رجعت حسيه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُصلح العَلَن والسريه ، وتُصيح بها القلوب موقنة والألسن ناطقة والأصابع مُشيره . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعث الله به الرسل خيرة وأنزل الكتب ببعثه بشيره ، وأجابه في خير أمة من أكرم أرومة وأشرف عشيره ، وأظهر أنوار مائه إلا لمن أعمى النى بصيرته وهل تنفع العمى شمس الظهيره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تتقرب بدوامها إلى الله فيضاعفها لنا أضعافا كثيرة ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بأن تُشاد قواعده ، وتُعهد معاهده ؛ ويُعل مناره ، وتُفاض بطلوع شمسه أنواره ؛ وتُكَل به قوى الدين تكلة الأجساد بقوى الطباع الأربع ، وتُعمر به ربوع الملة التى ليس بعدها من مصيف لملة ولا صريع ، وتُنبت به قوائم الشرع التى ما للباطل فى إمالة بعضها من مطمع ، أمر النضاء على مذهب الإمام الرئانى « أحمد بن حنبل » رضى الله عنه ، وكان قد خلا بانتقال مباشره إلى الله تعالى ، وتوقف مدة على آرتياد الأكفاء ، والإرشاد إلى من هو أهل الأصطناء ؛ وأختيار من تكمل به رفعة قدره ، ويُعيد لدسته على إساط سلياته بهجة صدره .

ولما كان فلان هو المنتظر لهذه الرتبة أنتظار الشمس بعد الغسق ، والمرتبب لبوغ هذه المنزلة التى تقدمت إليها بؤادر استحقاقه فى السبق ، والمعطوف على الأئمة من أصحاب إمامه - وإن تأخر زمانه - عطف النسق ؛ وهو الذى ما زال

يعدّل دم الشهداء مداد أعلامه ، وتضع الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع من نقل
خطواته في طلب العلم وسعى أقدامه ، ودخل من خشية الله تعالى في زمرة من
حُصر بآئمة ، وهجر المضاجع في طاعة الله لتحصيل العلم فلو تَدَت هجماته لفلما ؛
وهجر في إحراز الفضائل فقيّد أوابدها ، وأحرز شواردها ؛ وبلّج في بحار المعاني
ففاص على جواهرها ، ونظر نظرة في نجوم العلوم ناخوى على زهرها وزار نمايل
الفضائل [فاستوى] على أزايرها ؛ وآتته إلى علم مذهبه فبرز على من سلف ،
وجارى نساء عصره فوفقت أبصارهم عن رؤية غباره وما وقف ؛ وتبين عليه
القضاء وإن كان فرض كفاية لا فرض دين ، وقدمه الترجيح الذى جعل رتبته همزة
استفهام ورتبة غيره بين بين - أقتضى رأينا الشريف اختصاصه بهذا التمييز ،
والثنية على فضله البسيط بهذا اللفظ الوجيز .

فلذلك رُسم أن يفوض إليه كَيْت وكَيْت . فليتول هذه الرتبة التى أصبح فيها
عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نائباً وبتشرعه قائماً ، ويتقلدها تقلد من يعلم
أنه قد أصبح على حكم الله تعالى مقدماً وعلى الله قادماً ، ويتثبت تثبت من يعتمهم
بجبل الله فى حكمه فإن أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته وإن كان ظالمًا ،
ويلبس لهذا المنصب حلة تمنع المبطل من الإقدام عليه ، وتدفع الظالم عن التناول
إلى أمر نزع الشرع الشريف من يديه ، ويُؤمن الحق من امتداد يد الجور والحيف
إليه ؛ وليستوي بين الخصمين فى مجلسه ولحظه ، ويعدّل بينهما فى إنصانه ولقظه :
ليعلم ذو الجاه أنه مساوٍ فى الحق لخصمه ، مكفوف باستماع حجته عن الطمع
فى ظلمه ؛ ولا ينقض حكماً يخالف نصاً ولا سنة ولا إجماعاً ، وليشارك فيما لا يجهله
من القضايا غيره من العلماء ليريد بذلك مع اطلاعه أطلاناً ، وليغتنم فى ذلك الاستمانة

بآرائهم : فإن الله تعالى لا يترع هذا العلم آتزاغا ، وليسد مسالك الهوى عن فكره ،
ويصرف دواعى الغضب لغير الله عن المرور بذكره ، ويجعل العمل لوجه الله
نتيجة علمه ، وليحكم بما أراه الله (والله يحكم لا معقب لحكمه) .



وهذه نسخة وصية أوردتها في "التعريف" تشمل القضاة الأربعة ، قال :
وصية جامعة [لقاض] ^(١) من أى مذهب كان ، وهى :

وهذه الرتبة التى جعل الله إليها منتهى القضايا ، وإنهاء الشكاياء ، ولا يكون
صاحبها إلا من العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ، ومتولى الأحكام الشرعية بها
كما ورث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم علمه ، كذلك ورث حكمه ، وقد أصبح بيده
زمام الأحكام ، وفصل القضاء الذى يعرض [بعضه] ^(١) بعده على غيره من الحكماء ؛
وما منهم إلا من ينقد نقد الصيرفي ، وينفذ حكمه نفاذ المشرفي ؛ فليتروا فى أحكامه
[قبل إضاها ، وفى المحاكمات إليه] ^(١) قبل فصل قضائها ، وليراجع الأمر مرة بعد
مرة حتى يزول عنه الإلتباس ، ويعاود فيه بعد التأمل كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس ؛ وما أشكل عليه بعد ذلك فليجمل ظلمه
بالإستخاره ، وليجمل مشكله بالإستشارة ، ولا يرقصا عليه إذا أستشار فقد أمر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بالشورى ، ومر من أول السلف من جعلها بينه وبين
خطا الاجتهاد سورا ؛ فقد يسنح للره ما أعيأ غيره وقد أكثر فيه الدأب ، ويتفطن
الصغير لما لم يقطن إليه الكبير كما قطن ابن عمر رضى الله عنهما للنخلة [و] مامنه
أن يتكلم إلا صغرسنه ولزوما مع من هو أكبر منه للأدب ؛ ثم إذا وصح له الحق

(١) الزائد من "التعريف" ص ١١٦ .

قضى به لمستحقه ، وسجل له به وأشهد على نفسه بثبوت حقه ؛ وحكم له به حكما يسره يوم القيامة أن يراه ، وإذا كتب له به ، ذكر بخير إذا بلى وبقي الدهر ما كتبت يده . وليس بين الخُصوم حتى في تقسيم النظر ، ويجعل كل عمله على الحق فيما أباح وما حظر ؛ ويُبيد النظر في أمر الشهود حتى لا يدخل عليه زيف ، وليتحرر في استيداء الشهادات فرب قاض ذبح غير سكين وشاهد قتل غير سيف ؛ ولا يقبل منهم إلا من عرف بالعدالة ، وألف منه أن يرى أوامر النفس أشد العدا له - وغير هؤلاء ممن لم تجر له بالشهادة عادة ، ولا تصدئ للارتراق بسحتها ومات وهو حى على الشهادة ، فليقبل منهم من لا يكون في قبول مثله ملامه ، فرب عدل بين منطقتي وسيف وفاسق في فرجية وعمامة - ولينقب على ما يصدر من العقود التي يؤسس أكثرها على شفا جرف هار ، ويوقع في مثل السفاح إلا أن الحدود تدرأ بالشبهات ويبقى العار - وشهود القيمة الذين يقطع بقولهم في حق كل مستحق ومال كل يتيم ، ويُقلد شهاداتهم على كل أمر عظيم ؛ فلا يعول منهم إلا على كل رب مال عاريف لا تخفى عليه القيم ، ولا يخاف معه خطأ الحدس وقد صقل التجريب مرآة فهمه على طول القدم . وليتأن في ذلك كله أناة لا تقضى بإضاعة الحق ، ولا إلى المطاولة التي تقضى إلى ملل من استحق . ولتهدد لرمسه ، ولا يتعلل بأن القاضى أسير الشهود وهو كذلك وإنما يسعى لخلاص نفسه - والوكلاء هم البلاء المبرم ، والشياطين المسؤلون لمن توكؤوا له الباطل ليقضى لهم به وإنما تقطع لهم قطعة من جهنم ، فليكف بمهافته وساوس أفكارهم ، ومساوى بخارهم ؛ ولا يدع لخبثي أحد منهم ثمرة إلا ممنوعه ، ولا يدأ اعتداء تمتد إلا مغلوطة إلى عنقه أو مقطوعه . وليطهر بابه من دنس الرسل الذين يمشون على غير الطريق ، وإذا رأى واحد منهم درهما ودلو حصل في يده ووقع في نار الحريق ؛ وغير هذا مما لا يحتاج به مثله أن يوصى ،

ولا أن يُحصى عليه منه أفراد عمله وهو لا يُحصى، ومنها النظر في أمور أوقف أهل مذهبه نظر العموم، فليعمرها بجميل نظره فربّ نظرة أنفع من مواقع الغيوم؛ وليأخذ بقلوب طائفته الذين حُصّ من بينهم بالقديم، وتفاوت بُعد ما بينه وبينهم حتى صار يُزيل نارض الرجل منهم النظرة [منه] ويأسو جراحه منه التكليم. وهذه الوصايا إنما ذُكرت على سبيل الذّكرى، وفيه - بحمد الله - أضعافها ولهذا وليناه والحمد لله شكراً؛ وقد جعلنا له أن يستنيب من يكون بمثل أوصائه أو قريباً من هذه المتأبه، ومن يرضى له أن يحمل عنه الكلّ ويتأسّمه توابه؛ وتقوى الله تعالى هي جماع الخير ولا سميّاً لصاحب هذه الوظيفة، ولمن وليها أصلاً وفرناً لا يستغنى عنها ربّ حكم مطلق التصرف ولا خليفه.

وزاد الشافعى :

وليعلم أنه صدر المجلس، وأنه أدنى القوم وإن كانوا أشباهه منا حيث تجلس، وأنه ذو الطيلسان^(١) الذى يخضع له ربّ كلّ سيف وبياس؛ وليتحقق أنه إنما رفعه علمه وتفاه، وأن سبب دينه لادّنياه هو الذى رَقاه؛ فليقدر حقّ هذه النعم، وليقف عند حدّ منصبه الذى يودّ لو اشترى سوادّ مداده بجمهر النعم.

ويقال في وصيته : وأمر دناوى بيت المال المعمور، ومحاكاته التى فيها حقّ كل فرد فرد من الجمهور؛ فليحترز في قضاياها غاية الاحتراز، وليعمل بما يقتضيه لها الحقّ من الصيانة والإحراز؛ ولا يقبل فيها كلّ بنية للوكيل عن المسامين فيها مدّفع، ولا يعمل فيها بمسألة ضعيفة يظن أنها ما تضرّ عند الله فإنها ما تنفع؛ وله حقوق فلا يجِد من يسعى في تملك شيء منها بالباطل منه إلا الياس، ولا يلتفت إلى من رخص لنفسه وقال: (هو مال الساطان) فإنه مالا فيه إلا ما لوأيد من الناس.

(١) ذكر في "القاموس" أن لام الطيلسان منته.

وأموال الأيتام الذين حذر الله من أكل مالهم إلا بالمعروف لا بالشبهات، وقد مات
 أبؤهم ومنهم صغار لا يهتدون إلى غير الثدي للرضاع ومنهم حمل في بطون الأمهات،
 فليأمر المتحذرين لهم بالإحسان إليهم، وليعرفهم بأنهم سيجزون في بينهم بمثل
 ما يعملون معهم إذا ماتوا وتركوا ما في أيديهم، وليحذر منهم من لا ولد له :
 ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ﴾ . وليتص عليهم
 في مثل ذلك أبناء من سآف تذكيرا، وابتل عليهم القرآن ويذكرهم بقوله تعالى :
 ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ .
 والصدقات الموكولة إلى تصريف قلمه، الماكولة بمقدم أمانة المباشرين وهي
 في ذممه، يتقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها، والعمل بما
 لا يجيب سواه في أخذها وإنفاقها . والمسائل التي تفرد بها مذهبها وترجح عنده بها
 العمل، وأعد عنها الجواب لله إذا سال، لا يعمل فيها بمرجوح إلا إذا كان نص
 مذهب إمامه أو عليه أكثر الأصحاب، وراه قد حكم به أهل العلم ممن تقدمه لرُجحانه
 عنده وللاستصحاب . وتوابع البر لا يقلد منهم إلا من تحقق استحقاقه، فإنه إنما
 يوليه على مسلمين لا علم لأكثرهم فهم إلى ذى العلم أشد فاقه؛ هذا إلى ما يتعرف
 من ديانتهم ومن عفافهم الذي يتزع المرء منهم به مرارة الصبر من الفاقة وهو به
 يتحلى، ثم لا يزال له عين عليهم فإن الرجال كالصناديق المقلدة لا يعرف الرجل ما هو
 حتى يتولى .

ويزاد الحنفى :

وليعلم أن إمامه أول من دون الفقه وجمعه، وتقدم وأسبق العلماء من تبعه؛
 وفي مذهبه ومذاهب أصحابه أقوال في المذهب، ومسائل مالجه فيها مالك وهو أول

مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ وَمَنْ يُعَدُّ مِنْ سَوَابِقِهِ أَشْهَبُ ؛ وَمِنْ أَهْمِهَا تَرْوِجُ الصَّغَائِرَ ، وَتَحْصِينَهُنَّ بِالْأَكْفَاءِ مِنَ الْأَزْوَاجِ خَوْفًا عَلَيْهِنَ مِنَ الْكِبَائِرِ ؛ وَشُفْعَةُ الْحَوَارِ الثِّى لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ رَأْسِهِمْ لَمَا أَمِنَ جَارُ السُّوءِ عَلَى رَغْمِ الْأُنُوفِ ، وَلَا قَامَ الرَّجُلُ الدَّهْرَ سَاكِنًا فِي دَارِهِ بَيْنَ أَهْلِهِ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَخُوفَ ؛ وَكَذَلِكَ نَفَقَةُ الْمَعْتَدَةِ الَّتِي هِيَ فِي أَسْرٍ مِنْ طَلْقِهَا وَإِنْ بُنَّتْ مِنْ حِبَالِهِ ، وَبَقِيَتْ لَا هُوَ بِالَّذِي يُنْفِقُ عَلَيْهَا وَلَا هِيَ بِالَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَرَوَّجَ مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَيْهَا مِنْ مَالِهِ ؛ وَمَنْ آسْتَدَانَ مَالًا فَآكَلَهُ وَأَدْعَى الْإِعْسَارَ ، وَلَفَّقَ لَهُ بَيْنَةً أَرَادَ أَنْ تُسْمَعَ لَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْحَبْسَ وَلَا أُرْهِقَ مِنْ أَمْرِهِ الْأَعْسَارَ ، وَأَهْلَ مَذْهَبِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسَجَّنُ وَيَمُكَّتُ مُدَّةً ، ثُمَّ إِذَا أَدْعَى أَنْ لَهُ بَيْنَةً أُحْضِرَتْ ثُمَّ هَلْ تُقْبَلُ أَوْ لَا . فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا فِيهِ عَمُومٌ صَالِحٌ ، وَعَظِيمٌ نَفْعٌ مَا فِيهِ جُنَاحٌ ؛ فَلْيَقْضِ فِي هَذَا كَلَّهُ إِذَا رَأَاهُ بِمَقْتَضَى مَذْهَبِهِ ، وَلِيَهْتَدِ فِي هَذِهِ الْآرَاءِ وَسِوَاهَا بِقَمَرِ إِمَامِهِ الطَّالِعِ أَبِي حَنِيفَةَ وَشُئْبَةَ ؛ وَلِيُحْسِنَ إِلَى فُقَهَاءِ أَهْلِ مَذْهَبِهِ الَّذِينَ أَدْنَى إِلَيْهِ أَكْثَرَهُمُ الْإِعْتِرَابَ ، وَحَاقَّ بِهِمْ إِلَيْهِ طَائِرُ النَّهَارِ حَيْثُ لَا يَحْلُقُ الْبَازِيُّ وَجَنَاحُ اللَّيْلِ حَيْثُ لَا يَطِيرُ الْغُرَابُ ؛ وَقَدْ تَرَكَوْا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيعَةِ ، وَالْأَمْدَادِ الْوَاسِعَةِ ؛ مَا يُرَاعَى لَهُمْ حَقُّهُ إِذَا عُدَّتْ الْحَقُوقُ ، وَيَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ بِهِ أَبُوهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَا مِثْلُهُ مِنْ يُنْسَبُ إِلَى الْعُقُوقِ .

ويزاد المالكي :

ومذهبه له السيف المصلت على من كفر ، والمذهب بدم من طل دمه وحصل به الظفر ؛ ومن عدا قدره الوضع ، وتعرض إلى أنبياء الله صلوات الله عليهم بالقول الشنيع ؛ فإنه إنما يقتل بسيفه المجرد ، ويراق دمه تعزيرا بقوله الذى به تفرد ؛ ولم يزل سيف مذهبهم بارز الصفحه ، مسلما لهم إلى مالك خازن النار من مذهب مالك الذى ما فيه فسحة ؛ وفى هذا ما يصرح غدر الدين من القذى ، وما لم تطل دماء

هؤلاء (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى)؛ وإنما نوصيه بالتحري في الثبوت،
 [والبينة التي لا يستدرك بها ما يفوت،^(١)] وإنما هو رجلٌ يحيا أو يموت، فليتمهل
 قبل بتّ القضاء، وليعذر إليهم لأحتمال ثبوت تفسيق الشهود أو بغضاء؛ حتى
 لا يعجل تلافياً، ولا يعجل بما لا يتلافى، فكما أننا نوصيه أن لا ينقض في شدّ الوثاق
 عليهم إرماً، فهكذا نوصيه أن لا يصيب بغير حقه دماً حراماً؛ وكذلك قبول الشهادة
 على الخط، وإحياء مامات من الكتب وإدناء ما شطّ؛ فهذا مما فيه فسحة للناس،
 وراحةٌ ما فيها باس؛ إلا أنه يكون الثبوت بهذه البينة للاتصال، لا لترع يد ولا إزام
 بمجردا بما؛ وهكذا يراه من ولاية الأوصياء وهو مما تفرد به هو دون البقية، وفيه
 مصلحة وإلا فما معنى الوصية؛ وهو زيادة احتراز ما تضرُّ مراعاة مثلها في الأمور
 الشرعية؛ وسوى هذا مثل إسقاط الربيع في وقف أسرتد وقد بيع، وعطل المشتري
 من التكسب بذلك المال مدة لا يشتري ولا يبيع؛ وهذا مما يبتّ قضاءه في مثله،
 ويعمل عقاب من أقدم على بيع الوقف إحرامه مدة البيع من مغلّه؛ وسوى ذلك
 مما عليه العمل، ومما إذا قال فيه قال بحق وإذا حكم عدل. وفقهاء مذهبه في هذه
 البلاد قليل ما هم، وهم غرباء فليحسن مأواهم، وليكرم بكرمه متواهم؛ وليستقر بهم
 النوى في كنفه فقد ملأوا طول الدرب، ومعاناة السفر الذي هو أشدّ الحرب،
 ولينسهم أوطانهم بيرة ولا يدع في مآقيهم دمعاً يفيض على الغرب.

ويُزاد الحنبلي:

والمهمّ المقدم - وهو يعلم ما حدث على أهل مذهبه من الشناعة، وما رموا به
 من الأقوال التي نتركها لما فيها من البشاعة؛ ونكتفي به في تعفية آثارها، وإماطة

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٢١.

أذاها عن طريق مذهبه لتأمن السالكة عليه من عثارها؛ فتعالى الله أن يُعرف
 بكيف، أو يُجاوب السائل عنه بهذا إلا بالسيف؛ والانضمام إلى الجماعة والحدوث من
 الأفراد، وإقرار آيات الصفات على ما جاءت عليه من الاعتقاد، وأن الظاهر غير
 المراد، والخروج بهم إلى النور من الظلماء، وتأويل مالا بُد من تأويله مثل حديث
 الامة التي سُئلت عن ربها: أين هو فقالت في السماء؛ وإلا ففي البليّة بإثبات الجهة
 ما فيها من الكوارث، ويلزم منها الحدوث والله سبحانه وتعالى قديم ليس بحديث
 ولا محلاً للحوادث؛ وكذلك القول في القرآن ونحن نُحَدِّثُ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ بِصَوْتٍ
 أَوْ حَرْفٍ، فما جزاء من قال بالصوت إلا سوط وبالحرف إلا حتف؛ ثم بعد هذا
 الذي يزعم به الجهال، ويردّ دون غايته الفكر الجوّال، ينظر في أمور مذهبه ويعمل
 بكل ما صحّ نقله عن إمامه وأصحابه: من كان منهم في زمانه ومن تخلف عن أيامه؛
 فقد كان رحمه الله إماماً حقّ نهض وقد قعد الناس تلك المدّة، وقام نوبة المحنة مقام
 سيد تيم - رضي الله عنه - نوبة الردّه؛ ولم تهّب به زعازع المريسي وقد هبت
 مريسا، ولا ابن أبي دواد وقد جمع له كلّ ذود وساق إليه من كلّ فطر عيسا؛
 ولا نكث عهدة ما قدم له المأمون في وصية أخيه من المواتق. [ولا روعه سوط
 المعتصم وقد صبّ عليه تذابحه ولا سيف الواتق].

فليقف على أثره، وليقف بمسنده [على مذهبه] كلّه أو أكثره، وليقيض بمفرداته
 وما اختاره أصحابه الأخيار، وإقلدهم إذا لم تختلّف عليه الأخبار؛ وليحتزّ لدينه
 في بيع ما دثر من الأوقاف وصرف ثمنه في مثله، والاستبدال بما فيه المصلحة
 لأهله؛ والفسخ على من غاب مدّة يسوغ في مثلها الفسخ، وترك زوجة لم يترك لها

نفقة وخلّاهَا وهي مع بقائها في زوجيته كالمعلقة ؛ وإطلاق سراحها لتتزوج بعد ثبوت الفسخ بشروطه التي يبقى حكمها به حكم المطلقه ؛ وفيما يمنع مضارة الجار ، وما يتفرع على قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ، وأمر وقف الإنسان على نفسه وإن رآه سوى أهل مذهبه ، وطلعت به أهلة علماء لولاهم لما جلا الزمان جُنح غيبه ؛ وكذلك الجوائح التي يخفف بها عن الضعفاء وإن كان لا يرى بها الإلزام ، ولا تجرى لديه إلا تجرى المصلحة دليل الإلتزام ؛ وكذلك المعاملة التي لولا الرخصة عندهم فيها لما أكل أكثر الناس إلا الحرام المحض ، ولا أخذ قسَم الفلال والمعامل هو الذي يزرع البذور ويحراث الأرض ؛ وغير ذلك مما هو من مفرداته التي هي للرفق جامعته ، وللرأيا في أكثر معاشهم وأسبابهم نافية ؛ فإذا استقرت الفروع كانت الأصول لها جامعته . وفقهاء مذهبه هم الفقراء لقلّة الحصول وضعف الأوقاف ، وهم على الرقة كالرماح المعدّة للثقاف ؛ نخد بخواطيرهم ، ومدّ آمالهم في غائب وقتهم وحاضرهم ؛ وأشتملهم بالإحسان الذي يرغبهم ، ويقل به طلبهم لوجوه الغنى ويكثر طلبهم .

(١) عبارة "التعريف" « وإذا استقرت الأصول كانت الفروع لها تابعه » .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع ، وتشتمل على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما كان يكتب في النصف بـ «المجلس العالى» كما كان يكتب

للقضاة الأربعة أولاً ، وقد تقدم)

المرتبة الثانية

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «السامى» بالياء)

وأعلم أن الأصل فيما يكتب من التواقيع أن يفتح بـ «أما بعد» إلا أن الكُتاب تسامحوا فيه فافتتحوا لمن علت رتبته حيث اقتضى الحال الكتابة له في الثلث بـ «الحمد لله» ، وأبقوا من انحطت رتبته عن ذلك على ما كان عليه من الأفتتاح بـ «أما بعد» وهنا أورد ما سنع من ذلك مما أنشاه الكُتاب في ذلك من الأفتتاحين جميعاً . ويشتمل على وظائف .

الوظيفة الأولى

(قضاء العسكر)

وقد تقدم في المقالة الثانية أن موضوعها التحدث في الأحكام في الأسفار السلطانية وأن له مجلساً يحضره بدار العدل في الحضر . وقد جرت العادة أن يكون قضاء العسكر أربعة : من كل مذهب فاض .

وهذه نسخة توقيع شريف بقضاء العسكر المنصور بالحضرة السلطانية ، وهى :

الحمد الذي رفع للعالم الشريف في أيامنا الزاهرة منارا ، وزاد بإعلاء رتب أهله
دولتنا القاهرة رفعة ونخارا ، وزان أحكامه الشريفة بحكامه الذين طلّغوا في غياهب
مشكلاته بدورا وتدققوا في إفاضته في الأحكام الشرعية بحارا .

نحمده على نعيمه التي حلت فحلت ، ومنه التي أهلت الجود فاستهلت .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لقائلها ذنرا ، وتعلي
للمسك بها في الملأ الأعلى ذكرا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هو أسبق
الأنبياء رتبة وإن كان آخرهم عصرا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أضحوا
للقسدين بهم شمساً منيرة وللمهتدين بعلومهم نجوما زهرا ، صلاة لا تزال الألسن
تقيمها ، والأسماع تستدعيها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من نوهنا بذكره ، وتبنا على رفعة قدره ، وأطلقنا السنة الأعلام
في وصف مفاخره وشكره ، وأثنا قواعد مجده التي لو رام بنان البيان استقصاءها حال
الحصر دون حصره ، ونقدنا كلّم حكمه ورقنا في أندية الفضائل ألوية فنونه وأعلام
نصره ، من لم يزل دم الشهداء يعيدل ممداد أعلامه ، وتقيم منار الهدى أدلة فضائله
وشواهد أحكامه ، وتوضح الحق حتى يكاد المتأمل يلحظ الحكم لوضوحه ويُبصره ،
وينصر الشرع بامداد علمه ولينصرن الله من ينصره ، وشيّد مذهب إمامه الإمام
الفلافي فأصبح فسيح الأرجاء وإن لم يكن فيه فسحة ، وجدّد قواعد العدل في قضايا
عسا كرنا المنصورة فهو مشاهد من كلمه ومن نظره في لّمحه ملحه .

ولما كان فلان هو الذي نعتنا بما تقدم من الخطاب خلّاتقه الحسنى ، وأثنينا
على ما هو عليه من الإقبال على جوهر العلم دون التعرض إلى العرض الأذنى ، مع
ما حواه من مواد فضائل تزكو على كثرة الإتفاق ، وفرائد فوائد تُجلب على أيدى

الطَّلَبَةُ إِلَى الْآفَاقِ ؛ وَقُوَّةٌ فِي الْحَقِّ ، الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ فِيهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَعَدْلٌ أَحْكَامٌ فِي الْخَلْقِ ، الَّذِي مِنْ سِنَةِ الْكَرَمِ فِي جَفْنِ نَائِمٍ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُوَطَّدَ فِي عَسَاكِرِنَا الْمَنْصُورَةِ قَوَاعِدَ أَحْكَامِهِ ، وَنُوَطَّنَ كَلًّا مِنْهُمْ عَلَى أَنَّهُ تَحْتَ مَا يُمَيِّضِيهِ فِي أَقْضِيئِهِ النَّافِذَةِ مِنْ نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ قِضَاءُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الشَّرِيفَةِ : عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ ؛ وَأَنْ تُبَسِّطَ كَلِمَتُهُ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ . فَلْيَحْكُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ عِلْمِهِ ، وَأَنَاهُ مِنْ حِكْمِهِ وَحُكْمِهِ ، وَبَيْنَ لَهُ مِنْ سَبِيلِ الْهُدَى ، وَعَيْنُهُ لِبَصِيرَتِهِ مِنْ سُنَنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي مِنْ حَادٍ عَنْهَا فَقَدْ جَارَ وَأَعْتَدَى ؛ وَلْيَقِفْ مِنَ الْأَحْكَامِ عِنْدَ مَا قَرَّرْتَهُ الشَّرِيعَةُ الْمَطْهُرَةُ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ، وَيَأْمُرُ كَلًّا مِنَ الْمُتَقَاضِينَ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا حُدِّدَ لَهُ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْغَالِمُونَ ﴾ . وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَمِنْ مِثْلِهِ تَفَادٌ ، وَإِنْ جَلَّتْ فَسَمِعُهُ فِي غَنَى عَمَّا يُبْدَأُ لَهَا مِنْهَا وَيُعَادُ ؛ وَمِثْلُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ شِعَارُ أَنْسِيهِ ، وَحِلْيَةُ يَوْمِهِ وَأَمْسِيهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَدِدُّ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَبِوَقْفِهِ لِمَا يَرْضَاهُ وَيُصَوِّنُهُ مِنَ الْخَطِيئِ وَالْخَطَلِ .



وهذه وصية لنفاضى العسكر، أوردتها في "التعريف" وهي أن يُقال :

وَهِيَ الْحَاكِمُ حَيْثُ لَا تَتَفَنَّذُ إِلَّا أَقْضِيَةَ السُّيُوفِ ، وَلَا تَزْدِحِمُ الْغُرَمَاءَ إِلَّا فِي مَوَاقِفِ السُّيُوفِ ؛ وَالْمَاضِي قَلْبُهُ وَكُلُّ خَطِيئَةٍ يُمَسَّدُ بِالدَّمَاءِ ، وَالْمَضَى سَجِيئُهُ وَقَدْ طَوَى الْعَجَاجُ كَالْكِتَابِ سَجَلِ السَّمَاءِ ؛ وَأَكْثَرُ مَا يُتَّخَذُكُمْ إِلَيْهِ فِي الْغَنَائِمِ الَّتِي لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَفِي الشَّرَكَةِ وَمَا تُطَلَّبُ فِيهِ الْقِسْمَةُ ؛ وَفِي الْمَيْبَعَاتِ وَمَا يُرَدُّ مِنْهَا بِعَيْبٍ ،

وفي الديون المؤجلة وما يُحكّم فيها بغيّب ؛ وكلّ هذا مما لا يحتمل طول الأناة في القضاء ،
 وأستغال الجند المنصور عن مواقف الجهاد بالتردد إليه بالإمضاء ؛ فليكن مستحضرا
 لهذه المسائل ليبتّ الحكم في وقته ، ويُسارع السيف المُصلّت في ذلك الموقف بته ؛
 وليعلم أن العسكر المنصور هم في ذلك الموطن أهل الشهادة ، وفيهم من يكون جرحه
 تعديلا له وزيادة ؛ فليقبل منهم من لا تخفى عليه سيما القبول ، ولا يردّ منهم من
 لا يضره أن يردّه هو وهو عند الله مقبول ؛ وليجعل له مستقرا معروفا في المعسكر يقصد
 فيه إذا نصبت الخيام ، وموضعا يمشى فيه ليقضى فيه وهو سائر وأشهر ما كان
 على يمين الأعلام ؛ وليلزم ذلك طول سفره وفي مدد المقام ، ولا يخالفه ليبيهم على
 ذوى الخوانج فما هو بالصالحية بمصر ولا بالعادية بالشام ، وليأخذ معه كتابا تكتب
 للناس وإلا فمن أين يوجد مركز الشهود ، ولوسبيل لذي الحق بحقه وإلا فما آسدة
 باب الجحود ؛ وتقوى الله هي التي بها تُنصر الجنود ، وما لم تكن أعلى ما يكون على
 أعلام الحرب وإلا فما الحاجة إلى نشر البُتود .

الوظيفة الثانية

(إئتاء دار العدل)

وموضوعها الجلوس بدار العدل حيث يجاس السلطان لفصل الحكومات ،
 والإئتاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل . وهي وظيفة جليّة ، لصاحبها
 مجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة ومن في معانهم .

وهذه نسخة توقيع لمن لقبه « جمال الدين » يُنسخ على منوالها ، وهي :

الحمد لله جادل اليم للدين جمالا ، وللدنيا عصمة ومثالا ، ولأسباب النجاة
 والنجاح شارة إذا تحلى بها ذو التمييز كان أحسن ذوى المراتب حالا ، وأجلهم

في الدارين مبدءاً ومآلاً ، وأحقهم برتبة التفضيل التي ضربت لها السنة المطهرة
فضل البدر على الكواكب مثالا .

نحمده على نعمه التي خصت دار عدلنا الشريف من العلماء بأكفائها ، وأصطفت
لها قرب من مجلسنا المعظم من دل على أن التأييد قرين اصطفاؤها .

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة يفتقر عن شذب الصواب ،
تغرؤها ، ويتفتح عن فصل الخطاب ، زهرها ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
المختص بمحكم التنزيل ، المنصوص في الصحف المنزلة على ذكر أمته الذين
علمواهم كأنبيا بنى إسرائيل ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم كالنجوم
المشرقة ، من اقتدى بهم آتدى ، وكالنجوم المحرقة ، من آتدى وجد منها شهابا
رصدا ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما أردنا له من رياض العلم من سما فيه قرعه ، ورحب بتلقى أنواع
العلوم ذرعه ؛ وبسقت في فنون الفضائل أفنائه ، ونسقت فرائد الفوائد في سلك
الطروس بنائه - فنيا دار عدلنا الشريف التي أحكامنا لها تابعه ، وأغصان العدل
بئار فتاويها مورقة بانه ، وأعيننا إلى أفواه مفتيها رامقة وأذاننا لمقالاتهم سامعه .

ولما كان فلان هو ثمره هذا الارتباد ، ومخبة هذا الانتقاد ؛ المعقود عليه في اختيار
العلماء بالحناصر ، والعريق في أصالة العلوم بأصالة نابتة الأواصر ؛ والذي إذا أجب
تدفقت أنواء الفوائد ، وتألقت أضواء الفرائد ، وأتخذت مسائل فقهاء قواعد
ترتب الأحكام الشرعية عليها ومصادر وحيه موارد - اقتضت آراؤنا الشريفة
أن نزين بهجة هذه الوظيفة بجماله ، وننزه إشراقها بنور فضائله التي لو قابلها بدر الأفتق
نازعت حلة كاله .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت أحكامه مع أوامر الشرع الشريف واقفه ، ومعديته الشريفة باقتفاء آثار الحق لمُشْتَكَاكَاتِ الظلم كاشفه - أن يفوض إليه كذا : فليباشِرْ هذه الوظيفة السنية مَفَجْرًا يَنَابِعَ العلوم في أرجائها ، محققًا للفتاوى بتسهيل مواردها وتقريب أحوالها ؛ موضحًا طُرُقَهَا بإقامة براهينه وأدلتها ، مُبَدِّيًا دَقَائِقَهَا التي يُشْرِقُ بها أفقُ الفكر إشراقَ السماء بنجومها والأفق بأهلتها ؛ مُظهِرًا من غوامضها ما يُقَرِّبُ على الأفهام منالَهُ ، ويُفَسِّحُ لحياد القرائح مجالَهُ ، وينقح لكل ذى ترو ورويته ولكل مرتجل بديته وأرتجاله ؛ فإنه الكامل الذى قطع إلى بلوغ الغاية مسالك اللبالي ، والإمام الذى غاص فكره من كل بحر بحجج المعاني فاستخرج منها مكنون الآلى ؛ مع أن علمه المهذب غنى عن تبييه الوصايا ، ملى بما يلزم هذه الوظيفة من الخصاص والمزايا ؛ فإن البحر يابى إلا تدققا ، والبدر إلا تألقا ؛ والله تعالى يزيد من فضله ، ويُزِينُ به أفق العلم ويزيد من أدتوا قُرب محله .

الوظيفة الثالثة

(الحسبة)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث على أرباب المعاش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته . وحاضرة الديار المصرية تستعمل على حسبتين :

الأولى - حسبة القاهرة :^(١) وهى أعلاهما قدرا ، وأخفهما رتبة ؛ ولصاحبها مجلس بدار العدل مع القضاة الأربعة وقضاة العسكر ومفتي دار العدل وغيرهم . وهو يتحدث في الوجه البحرى من الديار المصرية فى ولاية التواب وعزلهم .

(١) أى والثانية حسبة النسطاط التى سياتى لها توقيع بعد صفحات .

قلت : ولم تزل الحِسْبَةُ تُوثَى للتعَمِّين وأرباب الأَقلام إلى الدولة المؤيَّدية شيخ ،
فولَّاهَا للأَمير سيف الدِّين منكلَى بغا الفقيه أمير حاجب مضافة إلى الجُوبِيَّة . على
أنَّ في سِجِّلاتِ الفاطمِيِّين ما يشهد لها في الزمن المتقدم . وربَّما أُسِنِدَتْ حِسْبَةُ
القاهرة إلى والى القاهرة ، وحِسْبَةُ مصر إلى والى مصر .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله مجدد عوائد الإحسان ، ومجربى أولياء دولتنا القاهرة ، فى أيامنا الزاهرة ،
على ما ألقوه من الرِّتبِ الحِسان ، ومضاعفِ نعمنا على من آجتى لنا بحسن سيرته
الدعاء الصالح من كل لسان .

نحمده على نعمه التى لا تُحصى بعدها ، ولا تُحصَرُ بِحَدِّها ، ولا تُستَرادُّ بِغيرِ شُكْرِ الآءِ
المنعمِ وَحَمْدِها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُقيمها فى كُلِّ حُكْم ، وتحاولُ
سيوفنا جاحديها فنَهَضَ فنَظِقُ بالجمعة عليهم وهم بكم ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
أشرف من أئمة العدل والإحسان ، وأعدل أمم أمته بالوزن بالقسط وأن لا يُخسروا
الميزان ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أحسنوا فى سبيل الله جلَّ عَآدِهم ،
وأحَبُّسُوا أَنفُسَهم فى مقاطعة أهل الكُفْر وجِهَادِهم ؛ فلا تُنتَهَبُ جَنَائِبُها فى الوجود ،
وتسرى نَجَائِبُها فى التَّهائم والنُّجود ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أولى مَنْ دعاه إحساننا لرفع قدره ، وإنارة بَدْرِهِ ؛ وإعلاء رُتبته ،
وإدناء منزلته ؛ وإعلام مَخْلِصِ الأولياء بمضاعفة الإحسان إليه أن الله لا يُضِيعُ أُجْرَ
مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، وأنَّ كرمنا لا يُجَيِّبُ لِمَنْ أسلف سَوابِقَ طاعته فى أيامنا الشريفة
أَمَلًا ؛ مَنْ لم تزلْ خَدَمُهُ السابِقةُ إلى الله مَقَرَّبَهُ ، وعن طُرُقِ الهوى مُنكَبَهُ ، وبالله

مَدَّكَرَهُ، وَعَلَى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ مَوْفَرَهُ؛ مَعَ مَا أَضَافَهُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرٍ
بِمَعْرُوفٍ، وَإِغَاثَةِ الْمُهْرُوفِ؛ وَنَهْيٍ عَنِ مَنَكِرٍ، وَأَحْتِسَابٍ فِي الْحَقِّ أَيْ فِيهِ بِكُلِّ مَا تُنْمَدُ
خِلَافَتُهُ وَتُشْكِرُ؛ وَأَجْتِنَابٍ لِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا الدُّنْيِيَّةِ، وَأَجْتِهَادٍ لِمَا يُرِضِي اللَّهَ وَيَرْضِينَا
مِنْ أَتْبَاعِ سِيرَتِنَا السَّرِيَّةِ؛ وَشِدَّةٍ فِي الْحَقِّ حَتَّى يُقَالَ بِهِ وَيُقَامَ، وَرِفْقٍ بِالْخَلْقِ
إِلَّا فِي يَدِّعٍ تُنْتَهَكُ بِهَا حَرَمَةُ الْإِسْلَامِ، أَوْ غِشٍّ إِنْ لَمْ يُحْصَ ضَرَرُهُ الْخَاصَّ فَإِنَّ ذَلِكَ
يَعْمُ الْعَامَ.

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَخْتَصَّ مِنْ خِدْمَتِنَا، بِمَا رَفَعَهُ لَدَيْنَا، وَأَسْلَفَ مِنْ
طَاعَتِنَا، مَا اقْتَضَى تَقْرِيْبَهُ مِنَّا وَاسْتِدْعَاؤَهُ إِلَيْنَا، وَنَهَضَ فِيهَا عَدَقْنَاهُ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ
الرَّيَايَا وَكَانَ مَشْكُورَ الْمَسَاعِي فِي كُلِّ مَا عَرِضَ مِنْ أَعْمَالِهِ فِي ذَلِكَ عَلَيْنَا - اقْتَضَى رَأْيُنَا
الشَّرِيفِ أَنْ يَفْوُضَ إِلَيْهِ كَذَا، فَلَيْسَتْ تَقَرُّ فِي ذَلِكَ بِجَهْدِهَا فِي كُلِّ مَا يَعْمُ الْبَرَايَا نَفْعُهُ،
وَيَجْمَلُ لَدَيْهِمْ وَقَعُهُ؛ وَيَمْنَعُ مِنْ يَتَعَرَّضُ بِالْيَسَارِ، إِلَى مَا لَمْ يَغْيُرْ حَقَّ، أَوْ يَضِيقَ
بِالْإِحْتِكَارِ، عَلَى ضَعْفَانِهِمْ مَا بَسَطَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ رِزْقٍ؛ وَيَذُبُّ عَنْهُمْ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ شُبُهَ
تَعْطِيلِهَا، وَيَعْرِفُهُمْ بِالمَحَافِظَةِ عَلَى الْحَقِّ فِي الْمَعَامِلَاتِ قَوَاعِدَ تَحْرِيْمِهَا وَتَحْلِيلِهَا؛ وَيُرِيهِمْ
بِالْإِنْصَافِ مَنَارَ الْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ، وَيُؤَدَّبُ مِنْ يَجِدُ فِيهِمْ مِنْ
الْمُطَفِّفِينَ: (الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)
وَيَأْمُرُ أَهْلَ الْأَسْوَاقِ بِإِقَامَةِ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ، وَيَقَابِلُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ بِالتَّأْدِيبِ
الَّذِي يَرْدَعُ مِنْ أَصْرَفِهِ عَلَى الْخَالِفَةِ وَيَزَعُ؛ وَيُلْزِمُ ذَوِي الْهَيْئَاتِ بِالصِّيَانَةِ الَّتِي تُنَاسِبُ
مَنَاصِبَهُمْ، وَتُؤَافِقُ مَرَائِبَهُمْ، وَتَمْتَنُّ عَنِ الْأَذْنَانِ مَكَاسِبَهُمْ، وَتَصُونُ عَنِ الشَّوَابِ
شَاهِدَهُمْ وَغَائِبَهُمْ؛ وَلَا يَمَكِّنُ ذَوِي الْبِيْعِ أَنْ يَغْيَبُوا ضَعْفَاءَ الرَّيَايَا وَأَغْيَابَهُمْ،
وَلَا يُفْسِحَ لَهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا عَلَى الْحَقِّ أَسْعَارَهُمْ وَيَخْتَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.

وليحتمل كلاً منهم على المعاملات الصحيحة ، والعقود التي غدت لها الشريعة
 الشريفة مبيحة ؛ ويحتملهم العقود الفاسدة ، والحيل التي تُغز بتدليس السلع الكاسده ؛
 وهو أخبر بالبيوع المنصوص على فسادها في الشرع الشريف ، وأدري بما في عدم
 تحريرهم المكاييل والموازين من الإخسار والتعطيف ؛ فليفعل ذلك في كل
 ما يجب ، ويحتسب فيه ما يدخره عند الله ويحتسب ؛ ولتكن كلمته في ذلك مبسوطه ،
 ويد تصرفه في جميع ذلك محيطه وبما يستند إليه من أوامره محوطه ؛ ولئوص ثوابه
 بمثل ذلك ، ويوضح لهم بإشارة طريقته كل حال حالك ؛ ويقدم تقوى الله على كل
 أمر ، ويتبع فيه رضا الله تعالى لارضاه زيد وعمرو ؛ وانلخط الشريف أعلاه .



وهذه نسخة توقيع من ذلك بحسبة الفسطاط المعبر عنه الآن بمصر عوداً
 إليها ، وهي :

الحمد لله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشاهد بالعدل الذي تقوى به كلمة
 الإيمان وتُصّر ؛ والغامر بالجوود الذي لا يُحصى والفضل الذي لا يُحصّر، العاير
 ربوع ذوى البيوت بتقديم من أعتقدت الخناصر على فضله الذي لا يُجحد ولا ينكر .

نحمده على نعمه التي لا تزال السنة الأقسام ترقم لها في صحف الإنعام ذكراً،
 وتجند لها بإصابة مواقع الإحسان العام شكراً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع بنورها ليل الشرك
 فيقول بقرأ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي قمع الله به من أغتر بالمعاصي
 وغتر ، وأقام بشريعته لواء الحق الأظهر ومنازل العدل الأظهر ، وعلى آله وصحبه

الذين سلكوا من الهداية بإرشاده مَنهَجَ الحق الأتور ، وأَحَبَّسُوا نفوسهم في نُصرتِه
فَفَازُوا من رضاه بالحظ الأوفى والنصيب الأوفر .

وبعدُ، فإن الله تعالى لما جعل كلمتنا المبسوطة على العدل والإحسان مقصُوره،
وأوامرنا الشريفة بإقامة منار المعروف مؤيِّدةً منصُوره ، وأحكامنا المشهورة
بالإنصاف في صحائف الدهر بالمحاسن مسطُوره، وأهمننا من أتباع الشرع الشريف
ما غَدَّتْ به قلوبُ الرعايا آمنَةً مسرُوره - قصدنا أن نختارَ لمراتب الديانة والعفاف
من لم يزل بيته بالصدارة علياً، ووصفه بأنواع المحامد والممادح ملياً .

ولما كان فلان هو الذي ورث السيادة ، عن سلفٍ طاهر، وتلقَّى السعادة،
عن بيتٍ فروعه التقوى فأزرت بالروض الزاهي الزاهر؛ وسرت سريره بحسن سيرته
وسيره، وأبطن من الديانة ما أظهرته أدلة خيره، ونقل في المراتب الدينية فأزرى
في حُسن السلوك على غيره ؛ وسلك من الأمانة الطريق المثلى، وأعتمد ماعدم به
مضاهياً ومثلاً ؛ وجنى ما نطق بإنصافه فضل الكيل والميزان ، ورجاه من أهل
الخير كل ذي إحسان وخشية أهل الزينع والبهتان ؛ وكانت الحسبة المباركة بمصر
المحروسة قد ألفت قضاياه وأحكامه، وعرفت بالخبر معروفه وشكرت نقضه
وإبرامه ؛ وفارقها على رعمها منه اختياراً ، وعادت له خاطبة عقيلة تزاهته التي
لا تُجاري .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالی أن يفوض إليه كذا . فليقدم خيرة الله
في مباشرة هذه الوظيفة ، وليقيم منارها بإقامة حدودها الشريفه ؛ ولينظر في الكيل
والميزان اللذين هما لسان الحق الناطق ، ولينشر لواء العدل الذي طالما خفقت
بنوده في أيامنا حتى غدا قلبُ المجرم وهو خائف ؛ وليحسين النظر في المطاع

والمشارب ، وليردع أهل البدع ممن هو مستخف بالليل وسارب ؛ وفيه - بحمد الله تعالى - من حُسن الألفية ما يُفنى عن الإسهاب فى الوصايا ، ويُعين على السداد فى نفاذ الأحكام وفصل القضايا ؛ وكيف لا وهو الخبير بما يأتى ويذر ، والصدر الذى لا يعدو الصواب إن ورد أو صدر ؛ والله تعالى يعمر به للعدل معلما ، ويكسوه بالإقبال فى أيامنا الشريفة نوبا بالثواب معلما ، وانلطف الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه .



وهذه وصية محتسب أوردتها فى "التعريف" وهى :

وقد ولى أمر هذه الرتبة ، ووكل بعينه النظر فى مصالح المسلمين لله حسبه ؛ فلينظر فى الدقيق والجليل ، والكثير والقليل ؛ وما يُحصَر بالمقادير وما لا يُحصَر ، وما يؤمر فيه بمعروف أو يُنهى عن منكر ؛ وما يُسترى ويُبَاع ، وما يُقرب بتجريره إلى الجنة ويُبعد من النار ولو لم يكن قد بقي بينه وبينها إلا قدر باع أو ذراع ؛ وكل ما يُعمل من المعاش فى نهار أو ليل ، وما لا يُعرف قدره إلا إذا نطق لسان الميزان أو تكلم فم الكيل . وليعمل لديه معدلا لكل عمل ، وعيارا إذا عُرضت عليه المعايير يُعرف من جار ومن عدل ؛ ولينفق أكثر هذه الأسباب ، ويحذر من الغش فإن الداء أكثره من الطعام أو الشراب ؛ ولتعرف الأسعار ويستعلم الأخبار ، فى كل سوق من غير إعلام لأهله ولا إشعار ، ولقيم عليهم من الأمانة من ينوب عنه فى النظر ، ويطمئن به وإن غاب إذا حضر ؛ ويأمره بإعلامه بما أعضل ، ومراجعتيه مهما أمكن فإن رأى مثله أفضل . ودار الضرب والثقود التى منها تنبت ، وقد يكون فيها من الزيف ما لا يظهر إلا بعد طول اللبث ؛ فليتصد لمهماتهما بصدره الذى لا يخرج ،

وليعرض منها على المحك من رأيه مالا يجوز عليه بهرج ؛ وما يعلق من الذهب
المكسور ويروى من الفضة ويخرج ، وما أكلت النار كل لحامه أو بعضه فليقيم
عليه من جهته الرقباء ، وليقيم على شميس ذهبه من يرقب منه ما ترقب من الشمس
الحرباء ؛ وليقيم الضمان على العطارين والطرقية من يبيع غرائب العقاقير إلا ممن
لا يستراب فيه وهو معروف ، ويحط متطبب ماهر لمريض معين في دواء موصوف .
والطرقية وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى ساسان ، ومن يأخذ أموال
الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكل إنسان سوء من هذا القبيل هو في الحقيقة
شيطان لا إنسان ؛ امنعهم كل المنع ، وأصدعهم مثل الزجاج حتى لا يتجبر لهم
صدع ، وضب عليهم النكال وإلا فما يجدي في تاديبهم ذات التأديب والصفع ؛
وأحسم كل هذه المواد الخبيثة ، واقطع ما يحدد ضعفاء الناس من هذه الأسباب
الرئيسية ؛ ومن وجدته قد غش مسلما ، أو أكل بباطل درهما ؛ أو أخبر مشترايا
بزائد ، أو خرج عن معهود العوائد ؛ أشهره في البلد ، وأركب تلك الآلة ففاه حتى
يضعف منه الجسد ؛ وغير هؤلاء من فقهاء المكاتب وعالمات النساء وغيرهما من
الأنواع ممن يخاف من ذنبه العائث في سرب الطباء والجاذر ، ومن يقدم على ذلك
ومثله وما يحاذر ، أرسقهم بسهامك ، وزلزّل أقدامهم بإفدامك ؛ ولا تدع منهم
إلا من اخترت أمانته ، وأخترت صيانتته . والثواب لا ترص منهم إلا من يحسن
نفاذا ، ويحسب لك أجر استنابته إذا قيل لك من استنبت فقلت هذا ؛ وتقوى
الله هي نعم المسالك ، وما لك في كل ما ذكرناه بل أكثره إلا إذا عملت فيه
بمذهب مالك .

الوظيفة الرابعة

(وكالة بيت المال)

وهى وظيفة عظيمة الشأن رفعة المقدار ، وقد تقدم أن موضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترواته^(١) : من أرض وأدر وغير ذلك مما يجرى هذا التجرى ، وأن متولّيها لا يكون إلا من أهل العلم والديانة ، وأن له مجلساً بدار العدل : تارة يكون دون مجلس المحتسب ، وتارة فوق مجلسه ، بحسب رفعة قدر كل منهما فى نفسه . وقد أضيف إليها فى المباشرة نظركسوة الكعبة الشريفة وصاروا كالوظيفة الواحدة .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال :

الحمد لله جامع المناصب الدينية ، لمن خطبته لها ربتان : العلم والعمل ، ومكّلي الرتب السنية ، لمن وجدت فيه أهبتان : الورع والتقوى وعُدت منه خلتان : الحرص والأمل ؛ جاعل اختصاص الرتب بكفائها حلية الدول ، والنظر فى مصالحها الخاصة والعامّة زينة أيامنا التى نتلقّت إلى محاسنها أجياد الأيام الأول .

نحمده على نعمه التى عصمت آراءنا من اعتراض الخلل ، وأمضت أوامرنا من مصالح الأمة بما تسرى به المحامد سريّ النجوم ويسير به الشكر سير المثل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لم نزل نستنطق بها فى الجهاد ، ألسنة الأسل ، ونوقظ لإقامتها عيون جلاذ ، لها الغمود جفون والسهام أهداب والشيوف مقل ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أظهر الله دينه على الأديان وشرف ملته على الملل ، وأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى سدره

(١) جرى على اللغة العامية والافصواب العربية مشترياته بالياء .

المنتهى وعاد ولم يكمل الليل بين السير والقفل ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا في المهاجر إليه الأحياء والحلل ، وشفوا بأسنة سنته العليل والغلل ، وتفرّدوا بكامل المفانر فإذا خلعت الأفلام على أوصافهم حلا غدت منها في أهبى من الحلل ، صلاة تتوالى بالعشى والإبكار وتتواتر في الإشراق والطفل ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الرتب بإنعام النظر في آرتياد أكفائها ، وانتقاد فرائد الأعيان لها وانتقائها ، واستخارة الله تعالى في اختيار من يكون أمر دينه هو المهيم المقدم لديه ، واستنارة التوفيق في اصطفاء من يكون مهيم آخرته هو المرئي المصور بين عينيه ؛ مع ما أتصف به من محاسن تجايا جُبلت عليها طباعه ، وخصّ به من سوابق مزايا رَحَبَ بها في تلقى المصالح الدينية صدره وباعه ، رتبتان يُعم نفعهما ويخصّ ، ويمحسّن وقعهما بما يبديه من أوصافه ويقصّ ؛ ويتعلّق كلّ منهما بجماعة الأمة فردا فردا ، ويستميلان على منافعهم على اختلافها بدأ وإعادة وعكسا وطردا ؛ ويكون المتصدى لها مناقشا على حقوقهم وهم ساهون ، ومفتشا عن مصالحهم وهم عنها لاهون ؛ ومناضلا عنهم وهم غافلون ، ومشمرا للسعي في مصالحهم وهم في جبر الدعة رافلون ، ومتكلفا لاستماع الدعوى عنهم جوب فلوات الجواب ، ومتكفلا بالتحري في المحاورة عنهم وإصابة شاكلة الصواب ، ومؤديا في نصحتهم جهده تقربا إلى مرآضينا وله عندنا الرضا وأبتغاء نواب الله : (والله عنده حسن الثواب) وهما وكالة بيت المال المعمور والحسبة الشريفة بالقاهرة المحروسة : فإن منافع وكالة بيت مال المسلمين عائدة عليهم ، آئلة بأحكام الشريعة المطهرة إليهم ؛ راجعة إلى ما يعمهم مساره ، معدة لما تدفع به عنهم من حيث لا يشعرون مضاره ؛ صائنة حقوقهم من تعدي الأيدي الغاصبه ، حافظة بيوت أموالهم من اعتراض الآمال

العاملية الناصبه ؛ وكذلك نظرُ الحِسْبَةِ : فإنه من أخصّ مصالح الخلق وأعمّها ،
 وأكدِ الوظائف العامّة وأكملها استقصائيةً للصالح الدينيّة والدنيويّة وأتمّمها ، يحفظ
 على ذوى الهيئات أقدارهم ؛ ويبين بتجنبّ الهنّات فى الصّدر مقدّارهم ، ويصون
 بتوقّي الشبهات إيرادهم وإصدارهم ؛ ويتره معاملاتهم عن فسادٍ يعارضها ، أو شبه
 تُنافي كمالِ الصحة وتناقضها ؛ ويحفظ أقاتهم من غشّ مُتلف ، أو غلوّ مُجحف ؛
 إلى غير ذلك من أدوية لا بدّ من الوقوف على صحّة ترتيبها وتركيبتها ، وتتبع الأقوال
 التي تجرى بها الثقة إلى غاية تجريرها ؛ ولذلك لا تُجمعان إلا لمن أوقفه علمه على جادّة
 العمل ، وأقتصر به ورعه على مادّة الحقّ فليس له فى التعرّض إلى غيره أمل ؛
 وسمّت به أوصافه إلى معالم الأمور فوجد الثّقى أفضل ما يُرتقى ، وعرضت عليه
 أدواته جوهر الذخائر فوجد العمل الصالح أكمل ما يُتقدّ منها وما يُنتقى ؛ وتحلّى
 بالأمانة ، فصارت له خلقاً وسميّة ، وأنس بالنزاهة ، فكانت له فى سائر الأحوال للنّجاة
 نجيّة ؛ وأرته فضائله الحقّ حيث هو فتمسكّ بأسبابه ، وتشبّث بأهدائه ، وأنصف
 به فى سائر أحواله فإن أخذ أخذ بحكمه وإن أعطى أعطى به ؛ وأحترز لدينه
 فهو به ضنين ، وأستوثق لأمانته وإن لم يكن فيها بحمد الله منّها ولا عليها بظنين ،
 واجتنى إيمار المحامد الحكوة من كيام الأمانة المره ، وعلم أنّ رضا الله تعالى فى الوقوف
 مع الحقّ فوقّف معه فى كلّ ماساءه للخلق وسره .

ولما كان فلان هو الذى أمسكتِ الفضائل بما كملها من آداب نفسه ونفاسه
 آدابه ، وتجاذبتّه الرتب للتحلّى بمكانته فلم تكن هذه الرتبة بأحقّ به من مجالس العلم
 ولا أولى به ؛ وشهدت له فضائله معنى بما شهدت له به الأئمة الأعلام لفظاً ،
 وتوهّت بذكره العلوم الدينيّة التي أتمقنها بحثاً وأكملها درايةً وأثبتها حفظاً ؛ فأوصائه
 كالأعلام المشتقة من طباعه ، الدالّة بدوامها على انحصار سبب الاستحقاق فيه

وأجتماعه ؛ المنبهة على أنه هو المقصودُ بهذه الإشارات التي وراءها كلُّ ما يجمد من أضطلاحه بقواعد هذه الرتب وأطلاعه ؛ فهو سرُّ ما ذكر من نعوت وأوصاف ، ومعنى ما شهِر من معدلة وإنصاف ، ورُقُومٌ ما حَبَّرَ من حُلل أفيضت منه على أجمل أعطاف - رُسم ^(١) أن يفوض ^(١) تفويضًا يقع به الأمر في أحسن مواقفه ، ونَضَع به الحُكْم في أحمد مواضعه ؛ ويَحُلُّ من أجياد هذه المناصب محلَّ الفرائد من الفلائد ، ويقع من رياض هذه المراتب وقُوع الحيا الذي سَعِد به رأى الرائد .

فليباشرهاتين الوظيفتين مُرْهفًا في مصالحتها همةً غيرِ همة ، مجتهدًا من قواعدهما فيما تبرأ به عند الله مِنَّا ومنه الذمَّة ، محاققا على حقوق بيت المال حيث كانت محافقةً من يعلم أنه مطلوبٌ بذلك من جميع الأمم ؛ متحرِّيا للحق فلا يغدو لما يجب له مُهملا ، ولا لما يجب عليه مُمَاطلا ، واقفاً مع حكم الله تعالى الجلي في الأخذ والعطاء فإنه سيان من ترك حقاً أو أخذ باطلاً ؛ مُجرباً عوائد الحسبة على ما ألفت من تديره ، وعُرف من إتقانه وتحريره ، وشهِر من آتئاده للواجب في سائر أمورهِ ؛ مكتفياً بما أطلع عليه قديما من مصالحتها ، منتهياً إلى ما سبقت معرفته به من أسبابها ومناجحتها ؛ والله تعالى يوقفه في آجتهاده ، ويُعينه على ما يدبِّره لمعاده ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصيةٌ وكل بيت المال أوردتها في "التعريف" :

وهو الوكيل في جميع حقوق المسلمين وماله معهم إلا حق رجل واحد ، والمكفُّ بالخاصة عنهم حتى يُقرَّ الجاحد ؛ وهو القائمُ للدعوى لهم وعليهم ، والمطلوب من الله

(١) بياض في الموضوعين والنقض منه الاختصار والميض له مفهوم ما تقدم مرارا . (٢) أى غير ضعيغه .

ومناً بما يُؤخذ لهم أو يُؤخذ من يديهم ؛ والمعد لتصحیح العقود ، وترجيح جهة بيت المال فى العقار المبيع والتمن المتقود ؛ والمتكلم بكتاب الوكالة الشرعية النابتة ، والنابت القدم والأقدام غير نابتة ؛ والمفسوح المجال فى مجالس الحكام ، والمجادل بلسان الحق فى الأحكام ؛ والموقوفة كل دعوى لم تُسمع فى وجهه أو فى وجه من أذن له فى سماعها ، والمرجوع إليه فى إمامة كل مخصوصة حصل الضجر من طول نزاعها ؛ وإبداء الدوافع ، ما لم يبيد بدا من الإشهاد عليه بعدم الدافع ، والأتها إلى الحق كان له أو عليه ولا يقف عند تثقيل متقل ولا شفاعية شافع ، وبوقوفه تُحدد الحدود [وتمتحن الشهود]^(١) ويمشى على الطرق المستقيمة ، وتُحفظ لأصحابها الحقوق القديمة ؛ وبه يتم عقد كل بيع وإيجار إذا كانت المصلحة فيها لعامة المسلمين ظاهره ، ولم فيما يوكل عنهم فيه الحظ والغبطة بحسب الأوقات الحاضره .

ونحن نوصيه فى ذلك كله بالعمل بما علم ، والأتها فى مقتضى قولنا إلى ما فهم ؛ وتقديم تقوى الله فإنه متى قدمها بين يديه سلم ، والوقوف مع رضا الله تعالى فإنه متى وقف معه غنم ؛ والعمل بالشرع الشريف كيفما توجهت به أحكامه ، والحد من الوقوف فى طريقه إذا نفذت سهامه ؛ ومن مات وله ورثة معروفة تستكمل بحققها ميراثه ، وتحوز بحققها ثرائه ؛ لا يكلفهم ثبوتاً يكون من باب العنت ، والمدافعة بحق لا يحتاج [مستحقه]^(١) إلى زيادة ثبت ؛ وإنما أنت ومن كانت قضيبته منكروه ، والمعروف من مستحق ميراثه نكره ؛ فأولئك شدد فى أمرهم ، وأوط شهادتهم فى الاستفسار منهم على بحرهم ؛ وتبع باطن الحال لعله عنك لا يتستر ، ولا يمشى عليك فيه الباطل ويمشى شاهد الزور بكية ويتبخر ؛ فإن تحققت صحة شهادتهم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٢ .

وإلا فأشهرهم في الدنيا ودعهم في الآخرة لا يُخفف عنهم العذاب ولا يفتّر؛ وكل ما يُباع أو يُجرّ أرجع فيه إلى العوائد، وتقلّد أمر الصغير، وجدّد لك أمراً منّا في الكبير، وذلك بعد مراعاة ما تجب مراعاته، والتأني كلّ التأني حتى يثبت ما ينبغي إثباته؛ وشهود القيمة عليهم المدّار، وبشهادتهم يُقدّر المقدار؛ وما لم يكونوا من ذوى الأقدار، ومن أهل الخبرة بالبرّ والجدار، ومن آسرتى العقار وأسئلته وبني الدار؛ وإلا فاعلم أنّ مثله لا يُرجع إليه، ولا يُعول ولا سبياً في حقّ بيت المال عليه؛ فأفق مع ولاة الأمور من أهل الأحكام، على تعيين من تعين لتقليد مثل هذه الشهادة، وتعرف منهم من له كلّ الخبرة حتى تعرف أنه من أهل الزهاده؛ ولك أن تدعى بحق المسلمين حيث شئت ممن ترى أن حقه عنده يترجّح، وأن بيتهم تكون عنده أوضع؛ فأما الدعوى عليك فمن عادتبا أن لا تُسمع إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي - أجله الله تعالى - ونحن لانغير العوائد، ولا ننقض ما بنيت الدول السائمة عليه القواعد؛ فليكن في ذلك المجلس سماعها إذا تعيّن، وإقامة البيّنات عليها إذا تبيّن؛ والله الله في حقّ بيت المال، ثم الله الله في الوقت الحاضر والمآل؛ ومن تستنيهم عنك بالأعمال لا تقتر منهم إلا من تقرب به عينك، ويوقى به عند الله لا بما تحصّله من الدنيا دينك؛ ومن كان لعمله مصلحاً، ولأمله منججاً، لا تغبر عليه فيما هو فيه، ودعه حتى يتبين لك خافيه؛ ولتستقص في كلّ وقت عنهم الأخبار، ولتستعلم حقائق ما هم عليه بمن تستصحبه من الأخيار، ولا تزال منهم على يقين، وعمل بما فيه خلاص دنيا ودين.

(١) كذا في التعريف أيضاً والمراد أن المقومين يشترط فهم أن يكونوا بتلك الصفات والا فلا يؤخذ

بتقوى بهم ولا يعول على كلامهم .

الوظيفة الخامسة

(الخطابة)

وهى من أجل الوظائف وأعلىها رتبةً فى نفس الأمر . وموضوعها معروف .
وتختص هذه الطبقة من التواقيع بخطابة الجوامع .

وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع بقلعة الجبل المحروسة ، حيث مُصَلَّى السلطان ،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى أنار بالذِّكر قلوب أوليائه ، وكشَفَ بالذِّكرى بصائر أصفِيائه ،
وأنال أهل العلم بالإبلاغ عنه إلى خلقه ورائته أنبيائه ، وأختار لإذكارنا بألاء الله
من فُرسان المنابر من يُجاهد الأعداء بدُعائه ، ويُجاهر الأوداء من مواعظه بما يعلم
كل منهم أن فى مؤلِّم صَوادِعه دواء دائه ، فإذا أفتَحَ بحمد الله أنثى عليه بمواد علمه
حقَّ ثنائه ، ونزَّهه بما ينبغى لسُبُحات وجهه وجلالِ قُدسه وتقدُّس أسمائه ، وأنثى
كما يجبُ على نبيه صلى الله عليه وسلم الذى آدمُ ومن بعده من الرُّسُلِ تحت لوائه ،
وإذا تُليت على خيلِ الله حُطْبته تشوَّقَتْ بقاءِ أعداءِ الله إلى لقائه ، وخطبتِ الحنان
من بذل نفوسها ونفائسها بما أفتته فى سبيلِ الله لآتقائه .

تحمده على أن جعلنا لذكره مستمعين ، ولأمره ونهيه متبعين ، وعلى حمده فى كل
ملا من الأولياء مجتمعين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تختال بذكرها أعطاف
المنابر ، وتتعطر ألسنة الأقلام بما شُقله منها عن أفواه المحابر ، ونشهد أن محمداً
عبده ورسوله الذى هدى الله من تقدم من الأمة بحُبره ومن تأخر بحُبره ، وجعل
روضة من رياض الجنة بين قبره ومبيره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم

أول من عُقِدَتْ بهم من أجمع صلواتها، وأكرم من زُهيت به من الجهاد والمنابر
صهواتها؛ صلاة لا تزال تُقيمها عند كل مسجد، وتُديمها في كل مُنمهم في الآفاق
ومُنجد، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى المنابر أن يُرتاد له من أئمة العلماء علامة عصره، ورحلة مضره؛
وإمام وقته الذي يصدع بالحق وإن صدع، وعالم زمانه الذي يقوم في كل مقام
بما يناسبه مما يأخذ في الموعظة الحسنة وما يدع، منبرٌ نذِّرٌ بالآلاء الله على أعواده
وإن لم تنزل لها من الدَّاكرين، ونُذبة فيه على شكر الله بالرافة على خلقه وإن لم تبرح
لها بذلك وغيره من الشاكرين، وتُسوق عليه إلى الجهاد في سبيل الله بما أعد الله لنا
على ذلك من النصر والأجر وإن كُنَّا على الأبد إليه مُبَادرين، وإلى إقامة دعوة
الحق به مُبَاكرين .

ولما كان فلان هو الذي تعين لرقى هذه الرتبة نخطب لخطابها، وتبين أنه
كفوها الذي تشوق النفوس إلى مواعظه فترغب في إطاعتها لإطاعتها - اقتضت
أراؤنا الشريفة أن نحلى بفضائله أعطاف هذا المنبر الكريم، وأن نختص نحن وأولياؤنا
بسماع مواعظه التي تُرغب فيما عند الله بجهاد أعداء الله (والله عنده أجر عظيم) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُطلِع في أفق المنابر من الأولياء شمساً
مُنيهه، ويُقيم شعائر الدين من الأئمة الأعلام بكل مُشرق العلانية طاهر السريه -
أن يفوض إليه كذا: فليحل هذه الرتبة التي لم تُقرب لغيره جياؤها، ويحل هذه
العقيلة التي لا تُزان بسوى العلم والعمل أجاؤها، ويرقى هذه العصبة التي يطول
إلا على مثله صعودها، ويلق تلك العصبة التي تجتمع للأولياء به (؟) حشودها. وهو
يعلم أنه في موقف الإبلاغ عن الله لعباده، والإعلام بما أعد الله في دار كرامته لمن

جاهد في الله حقَّ جهاده ، والإنذار لمن قَصَرَ في إعداد الأهبسة ليوم معاده ؛ وهو
 بحضرة من حمة الإسلام ، ومشهد من قلدناه أمر أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة
 والسلام ؛ فليَقْصُرْ خُطْبَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِحُضْرٍ عَلَيْهَا ، وَعَزْمَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُسَوِّقُ
 إِلَيْهَا ، وَمَعْدَلَةٌ يَصِفُ مَا عَدَّ اللَّهُ لَوْلَاةِ أَمْرِ قَدَمَتِهَا بَيْنَ يَدَيْهَا ؛ وَتَوْبَةٍ يَبْعَثُ الْهَمَمَ ، عَلَى
 تَعْجِيلِهَا ، وَأَوْقَاتٍ مَكْرَمَةٍ يَنْبَغُ الْأَمَمُ ، عَلَى أَحْتِرَامِهَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَجْبِيلِهَا ؛ وَدُنْيَا يُنْذِرُ مِنْ
 خِدَاعِهَا ، وَيَبَيِّنُ لِمُغْتَرِّبِهَا مَا عَرِفَ مِنْ خِلَاقَتِهَا الْمَذْمُومَةِ وَأَلْفٍ مِنْ طِبَاعِهَا ؛ وَأُخْرَى
 يَوْضَعُ لِلْعُرْضِ عَنْهَا وَشَكِّ قُدُومِهَا ، وَيَحْدَرُ الْمَقْصُرُ فِي طَلَابِهَا مِنْ عَدَائِهَا وَيَبْشُرُ الْمَشْمُرُ
 لَهَا بِنَعِيمِهَا . وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْمَوْعِظَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْأَلْسِنَةِ لَمْ تَعُدْ الْأَسْمَاعَ ، وَلَمْ
 يُحْصَلْ مِنْهَا عَلَى غَيْرِ تَعْقُلِ الْقِرَائِنِ وَالْإِسْتِجَاعِ ؛ وَإِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْقُلُوبِ وَقَعَتْ
 فِي مِثْلِهَا ، وَأَثْمَرَتْ فِي الْحَالِ بِالْمَحَافِظَةِ عَلَى قَرَضِ الطَّاعَةِ وَنَفْلِهَا ؛ وَسَكَنَتْ فِي السَّرَائِرِ
 طِبَاعَ طَاعَةِ نَابِيٍّ عَلَى مُحَاوِبِ تَقْلِيلِهَا ، وَقَدَحَتْ فِي الْبَصَائِرِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعْرِفَةِ مَا لَمْ يُعْهَدِ
 مِنْ قَبْلِهَا . وَلِيَجْعَلَ خُطْبَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَنَاسِبَةً لِأَحْوَالِ مَسْتَمِعِيهَا ، مَنَاسِبَةً
 فِي وَضُوحِ الْمَقَاصِدِ بَيْنَ إِذْرَاكِ مَنْ يَبْعِي غَوَامِضَ الْكَلَامِ وَمَنْ لَا يَبْعِيهَا ؛ نَخِيرُ الْكَلَامِ
 مَا قَلَّ وَدَلَّ ، وَإِذَا كَانَ قِصْرُ خُطْبَةِ الرَّجُلِ وَطُولُ صَلَاتِهِ مُنْبِئِينَ عَنْ فَقْهِهِ فَمَا قِصْرُ
 مَنْ حَافِظَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَخْلَ ؛ وَلِيُؤْتِخَّ خُطْبَهُ مِنَ الدَّعَاءِ لَنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ بِمَا يُرْجَى
 أَنْ يُوَافِقَ سَاعَةَ الْإِجَابَةِ ، وَإِذَا تَوَخَّى الْغُرُضَ بِدَعَائِهِ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ فَقَدْ تَعَيَّنَتْ
 - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - الْإِصَابَةُ ؛ وَهَذِهِ الْوَصَايَا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ،
 وَتَرْفَعُ الْمُحْسِنِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ - وَقَدْ فَعَلَ - مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! ،
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية خطيب أوردتها في "التعريف" :

وليرق هذه الرتبة التي رُفعت له ذُرا أعوادها، وقُدِّمت له من المنابر مُقرباً تُجَاهِها ؛ وليصعد منها على أعلى درجته ، وليسعد منها بصهوة كأنما كانت له من بكرة يومه المُشرق مُسرجه ؛ وليرع حق هذه الرتبة الشريفه ، والذروة التي ما أعدت إلا لإمامٍ فريدٍ مثله أو خليفه ؛ وليقف حيث تُحقق على رأسه الأعلام ، ويتكلم فتخرس الألسنة وتُحِفُّ في فم الذرأ الأعلام ، وليقرع المسامع بالوعد والوعيد ، ويُذكر بأيام الله من (كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد) .
وليكن القلوب القاسية وإن كان منها ما هو أشد قسوة من الحجارة والحديد ؛ وليكن قد قدم لنفسه قبل أن يتقدم ، وليُسبل عليه دِرْعُ التوبة قبل أن يتكلم ، وليجعل لكل مقام مقالاً يقوم به على رؤوس الأشهاد ، ويفوق منه سهما لا يُخطئ موقعه كل فؤاد ؛ وليقم في المحراب مقام من يخشى ربه ، ويخاف أن يُخطف الوجل قلبه ؛ وليعلم أن صدفة ذلك المحراب ما أنفلقت عن مثل دُرته المكنونه ، وصناديق الصدور ما أُطِقت على مثل جوهرته المخزونه ؛ وليؤم بذلك الجَمَّ الغفير ، وليتقدم بين أيديهم فإنه السفير ؛ وليؤد هذه الفريضة التي هي من أعظم الأركان ، وأول الأعمال التي تُوضع في الميزان ، وأقرب القرب التي يجمع إليها داعي كل أذان ؛ وليقم بالصلاة في أوقاتها ، وليروح بها الناس في أول ميقاتها ؛ وليخفف مع الإتمام ، وليتحمل عن وراءه فإنه هو الإمام ؛ وعليه بالتقوى في عقد كل نية ، وأمام كل قضية ؛ والله تعالى يجعله ممن ينقلب إلى أهله وهو مسرور ، ويُنصب له مع الأئمة المُسطين يوم القيامة عن يمين الرحمن مناراً من نور ؛ بمنه وكرمه .

الوظيفة السادسة

(الإمامة بالجوامع ، والمساجد ، والمدارس الجكار التي تصدر التولية

عن السلطان في مثلها)

وهذه نسخة توقيع بالإمامة :

أما بعد حمد الله على نعمه التي جعلت أيماننا الشريفة تزيد أهل الفضائل إكراما ،
وتُخص بالسيادة والتقديم من أنشأه الله تعالى قوة أعين وجعله للتقنين إماما ، وقدمه
على أهل الطاعة الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .

والشهادة له بالوحدانية التي تكسو محلصها جلالا وساما ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الذي أمّ الناس وعلمهم الصلاة وأظهر في إقامة الدين مقالا محمودا
ومقاما ، وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بسنته توثقا واعتصاما - فإن خير الرتب
في هذا العصر وفيما تقدم ، رتبة الإمامة حيث تقدم سيد البشر في محرابها على الأمة
وأم ، فاخترها من أتبع الطريق المحمدية وشرعها ، وعلم سناها ورفعها ، فزاد بذلك
سموا إلى سموه ، وحصل على تضاعف الأجر ومؤوه ، وهو فلان .

رسم - لا زالت أيامه الشريفة تشمل ذوى الأصالة والصدارة بجزيل فضيلها ،
وعوائد إنعامه تجرى بإتمام المعروف فتبقي الرتب الدينية بيد مستحقها وتسارع
إلى تخليد النعم عند أهلها - أن يستمر فلان في كذا جاريا فيه على أوج العادات ،
إعانة له على اكتساب الأجور بما يعتمده من تأهيل معاهد العبادات ، ورعاية
لتكثير المباز ، وترجيحا لما أشتمل عليه من حسن النظر في كل إيراد وإصدار ،
وتوفيرا للنابح التي عرفت من بيته الذي كم ألف منه فعل جميل وعمل باز ، ووثوقا

بأنه يعتمد في عمارة مساجد الله سبحانه وتعالى أنه تشهد به الملائكة المتعاقبون بالليل والنهار، والله تعالى يجعل النعم عنده مؤبدة الأستقرار؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة السابعة

(التدريس ، وموضوعه إلقاء المسائل العلمية للطلبة)

وهذه نسخة توقيع بتدريس كُتِبَ به للقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، عوضاً عن والده ، في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعمائة ، وهي :

الحمد لله مِمَّ فَضَّلَهُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ ، وَمُقَرَّرَ النَّعْمَةَ عَلَى كُلِّ وَالِدٍ وَوَلَدٍ ؛ الَّذِي خَصَّ أَوْلِيَاءَنَا بِبُلُوغِ الْغَايَاتِ فِي أَقْرَبِ الْمُدَدِ ، وَأَسْتَصْحَابِ الْمَعْرُوفِ فَمَا يُتْرَعُ مِنْهُمْ خَاتَمٌ مِنْ يَدٍ إِلَّا لِيَدٍ .

نَحْمَدُهُ بِأَفْضَلِ مَا يَحْمَدُهُ بِهِ مَنْ حَمِدَ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً بَاقِيَةً عَلَى الْأَبَدِ ؛ وَنُصَلِّيْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الَّذِي جَعَلَ شَرِيعَتَهُ وَاضِحَةً الْجَدِّدِ ، قَائِمَةً بِأَعْلَامِ الْعُلَمَاءِ قِيَامَ الْأَمَدِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَبَّهَهُمْ فِي الْهُدَى بِالنُّجُومِ وَهُمْ مِثْلُهَا فِي كَثْرَةِ الْعَدَدِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنَّ نِعْمَنَا الشَّرِيفَةَ لَا تَنَحْوَلُ ، وَمَوَاهِبَنَا الْجَزِيلَةَ (١) تَنَحْوَلُ ، وَكِرْمَانَا يُمَهَّدُ مَنَازِلَ السُّعُودِ لِكُلِّ بَدْرٍ يَتَنَقَّلُ ؛ وَشِمِينَا الشَّرِيفَةَ تَرَعِي الدَّمَّ لِكُلِّ مَنْ أَتَقَّقَ عُمُرَهُ فِي وِلَايَتِهَا ، وَتَحْفَظُ مَالَهَا مِنَ الْمَآثِرِ الْقَدِيمَةِ بِإِبْقَائِهَا فِي نُجَبَاءِ أُنْبَائِهَا ؛ مَعَ مَا نُلَاحِظُهُ فِي أَسْتَحْقَاقِ التَّقْدِيمِ ، وَأَتَخَابُ مَنْ تَرَفَّقُوا مِنْهُمْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ ؛ وَحَصَّلَ

(١) بياض بالأصل ولعله لا تزال لأوليائنا نَحْوَلُ . وفي اللسان "النحول النعهد وحسن الزناية" .

فى الزمن القليل العلم الكبير ، واستمد من نور والده وهو البدر المنير ، وعلم بأنه فى الفضائل سر أبيه الذى شاع ، وخليفته الذى لو لم ينص عليه لما انعقد [إلا] عليه الإجماع ، والواحد الذى ساد فى رتبة أبيه وما خلت من مثله - لا أخلى الله منه البقاع ! .

وكان المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، هو المراد بما قدمنا من صفاته الجميله ، وتوسمنا أنه لمعة البدر وهى لا تخفى لأنها لا ترد العيون كليله ؛ ورأى والده المشار إليه من استحقاقه ما اقتضى أن يتوه بذكره ، ويُنَبِّه على المعرفة بحق قدره ، فأثر التزول له عما باسمه من تدريس الزاوية بجامع مصر المحروسة ليقوم مقامه ؛ ويقتر فوائده وينشر أعلامه ، ويعلم أنه قد حلق فى العلياء حتى لحق البدر وبلغ تمامه ؛ فعلمنا أن البركة فيما أشار ، وأن اليمن بجد الله فيما رجحه من الاختيار .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف - زاد الله فى شرفه ، وجعل أقطار الأرض فى تصرفه - أن يُرتب فى هذا التدريس عوضاً عن والده ، أطال الله بقاءه على عادته وقاعدته إلى آخر وقتٍ لأنه أحق من استحق قدره الرفيع التميز ، وأولى بمصر ممن سواه لما عرفت به مصر من العزيز ثم من عبد العزيز .

ونحن نوصيك أيها العالم - وفقك الله - بالمداومة على ما أنت بصدده ، والمذاكرة للعلم فإنك لا تكثر العلماء إلا بمدده ؛ والعمل بتقوى الله تعالى فى كل قصد وتصدير ، وتقريب وتقرير ، وتأثيل وتأثير ، وتقليل وتكثير ، ونص وتأويل ، وترتيب وترتيب ؛ وفى كل ما تزداد به رفعتك ، وتطير به سمعتك ؛ ويحسن به الثناء على دينك المين ، ويقوم به الدليل على ما وضع من فضلك المين .

وأعلم بأنك قد أدركت بحمد الله تعالى وبكرمنا وبإيبيك وباستحقاقك ما أرتدَّ به كثيرٌ عن مقامك ، ووصلت في البداية إلى المشيخة في زاوية إمامك ؛ فاعمل في إفادة الطلبة بما يرفع الرافعيُّ لك به الراية ، ويأتمُّ بك إمام الحرمين في النهاية ؛ فقد أمسيت جارا البحر فاستخرج جمانه ، وأجتهد لتُصيب في فتاويك فإن أوليك سبهم رميها من مكانه ؛ وسبيل كل واقف عليه العمل بمقتضاه والاعتدال^(١) .



وهذه نسخة توقيع بتدريس زاوية الشافعيّ بالجامع العتيق أيضا ، من إنشاء المولى زين الدين بن الخضر موقَّع الدست ، كُتِب به لتاج الدين محمد الإخنائي شاهد نحرانته الخالص ، بالنيابة عن عمه قاضي القضاة تقي الدين المالكي في أيام حياته ، مستقلاً بعد وفاته ، وهي :

أما بعد حمد الله على أن زان مجالس المدارس في أيامنا الشريفة بتاجها ، وأقرَّبها من ذوى الإنابة من يستحقُّ النيابة عن تقي قوى الأحكام بإحكامها وإنتاجها ، ورفع قدر بيت مبارك طالما أشتهر علمُ علمه وصدر عن صدره فكان مادة مسرة النفس وأبتهاجها ، وجعل عوارفنا ترعى الدرّية الصالحة في عقبها وتولى كل رتبة من أضحى لأهلها بوجاهته مواجها ؛ والشهادة له بالوحدانية التي تنفي شرك الطائفة الكافرة ومعلول احتجاجها ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي استقامت به أمور هذه الأمة بعد أعوجاجها ، وتشرفت به علمائها حتى صارت كأنبيا بني إسرائيل بحسن استنباطها للعلم وجميل استخراجها ؛ وعلى آله وصحبه الذين علموا وعمِلوا وأوضحوا لهذه الملة قويم منهاجها - فإن أولى الأولياء ببلوغ الأمل ، وتعاهد

(١) أى الر آخر ما يقال في مثله .

مدارس العلم بصالح العمل ؛ وإظهار سرّ الفوائد للطالبيين ، وحلّ عقود مشكلها
بجميل الأطلاع وحسن اليقين ، من حوى معرفة الفروع والأصول ، وحاز من
مذهبه المذهب خير محصول ؛ ونشأ في حجب الفضائل ، وأقتدى بحكام بيته الذين لهم
في العلوم بمصر والشام أوضح البراهين وأقوى الدلائل ؛ وله في الآباء والأبوة ،
الديانة التي بلغ بها من الإقبال مرجوه ؛ طالما سارت أحكام عمه - أجله الله -
في الأقطار، وحكم فابدئ الحكم بين أيدينا أوفى الأمصار، وله العفاف والثقى والمآثر
الجيلة وجميل الآثار ؛ والفتاوى التي أوضح بها مشكلا ، وفتح مقفلا ، والفصل بين
الخصوم بالحق المجتبى ؛ والبركة التي لدولتنا الشريفة منها نصيب وافر ، والتصميم
الذي أقرن بغزارة العلم والوقار الظاهر ؛ فهو - أعز الله أحكامه - من العلماء
العاملين ، وله البشري بما قاله أصدق القائلين ؛ في النبأ الذي يتم به الزيادة والنماء :
(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .

ولما كان المجلس السامى هو الذى أستوجب التصدير لإلقاء الدروس ، وأضحى
مالكا مالكا أزمة الفضائل حائرا من أنوابها أغر ملبوس ؛ وله بجزارة خاصنا
الشريف وإضطبلاته السعيدة الشهادة البيّنة ، والكأبة التي هي العز الحاضر
فلا يحتاج معها إلى إقامة بيّنه ، والكفالة التي نطقت بها الأفواه مسرة ومعلّنه ،
والأمانة التي حدّا فيها حدوا أبيه وأتبع سننه .

فلذلك رسم - لا زال يُديم النعم لأهلها ، ويُبيى المراتب الدينية لمن أضحى محلّه
مناسبا محلّها ، أن يستقر فلينب عن عمه في هذا التدريس ،
وليقف ما يسر النفوس من أثره النفيس ؛ وليغد الطلبة على عادته ، وليسد لهم من

(١) بياض بالأصل ومراده في تدريس زاوية الشافعى الخ .

التقول ما يُظهر غزير مادته ؛ وليستنبط المسائل ، وليُجِبْ بالأدلة المسائل ؛ وليبرِّح المباحث ، وليكن لوالده - رحمه الله - أحق وارث ؛ وليستقل بهذه الوظيفة المباركة بعد وفاة عمه أبقاه الله تعالى ، وليتريد من العلوم ليبلغ من صدقاتنا الشريفة آمالاً ، والله تعالى يسدّد له بالتقوى أقوالاً وأفعالاً ؛ بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية المجاورة لثربة الإمام الشافعي - رضي الله عنه ، كُتِبَ به لقاضي القضاة تقي الدين ، ابن قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز . من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله شافعي عي - البحث بخير إمام شافعي ، والآتي منه في الزمن الأخير بمن لو كان في الصدر الأول لأثنى على ورعه ودينه كل صحابي وتابعي ، ومفيد الأسماع من وجيز قوله المحرر ما لولا السبق ما عدل إلى شرح وجيز سواه الرافي .

نحمده على نعم أهمت وضع الأشياء في محلها ، وأسبغها عند أهلها ، وتأتتها بما يزيل الإشكال بانجذاب من شكله مناسب لشكلها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يترين بها المقال ، ويتبين بها الحق من الضلال ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيّه موصح الطرق إلى الحق المبين ، وناهجها إلى حيث مجتمع الهدى ومرتبّع الدين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تهدي إلى صراط الذين ، ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من جاء بالصدق وصدق به قوي سبب الدين المتين ، ومنهم من فرق بين الحق والباطل وكان إمام المتقين وسمى أمير المؤمنين ، ومنهم من جهز جيش العسرة فنبت جأش المسلمين ،

ومنهم من أعطاه صلى الله عليه وسلم الراية فأخذها منه باليمين ، ورضى الله عن بقية الصحابة أجمعين .

وبعد ، فلما كان مذهب الإمام الشافعى «محمد بن إدريس» رضى الله عنه هو شهدة المتلفظ ، وكفاية المتحفظ ، وبهجة المتلحظ ؛ وطرارز ملبس الهدى ، وميدان الاجتهاد الذى لا تقف أعنة جواده عن إدراك المدى ؛ وقد تجملت ديار مصر من بركة صاحبه بمن تُسَدَّ إليه الرحال ، وتفخر جبانة هو فيها حال ، وجيد هو بجواهر علومه حال ؛ ومن يحسن إلى ضريحه المنيف الاستناد ، وإذا قرئت كتبه لديه قيل ما أبعد هذا المرعى الأسنى ! وما أقرب هذا الإسناد ! ؛ وما أسعد حلقة تجمع بين يدى جدته يتصدر فيها أجل خبر ، ويتصدى لنشر العلوم بها من عرف بحسن السيرة عند السبر ، ومن لولا خرق العوائد لأجاب بالشكر والثناء عليه صاحب ذلك القبر كما قال : «قال صاحب هذا القبر» - حسن بهذه المناسبة أن لا ينتصب فى هذا المنصب إلا من يحمّد هذا السيد الإمام جواره ، ومن يرضيه منه - رضى الله عنه - حسن العبارة ، ومن يستحق أن يتصدر بين نجوم العلماء بدارة تلك الخطّة فيقال قد جعل الله به دارة هذا البدر وعمر به من هذا المدرس داره ؛ الذى يفتقر إلى تويل نعمه ، وتويه قلمه ، من الأئمة كل غنى ؛ ويعجب ببلاغة خطبه ، وصياغة كتبه ، من يحتلى ومن يحتنى ؛ ومن يهنا المستفيدون من عدو به ألفاظه وصفاء معانيه بالمورد الهني ، ومن إذا سمح سخابه الهطال أعترف له بالهمو والهمول المزنى ؛ والذى لسعد جده من أبيه ليث أكرم به من ليث وأكرم بيته من أشبال ! ، وأعزز به من فاتح أبواب إشكالات تجز عن فتحها القفال ! ؛ ومن إذا قال سكت الناس ، ومن إذا قام قعد كل ذى شماس ، وإذا أخذ بالنص ذهب الأفتياس ، وإذا قاس قيل هذا بحر المذهب المشار إليه بالأصابع فى مضره جلالة ولا ينكر لبحر المضر الإشارة

بالأصابع ولا القياس؛ ومن يزهو بتقّ قلبه ورقّ جوابه لسان التعويل ولسان التعويد، كما يميس بإحاطته وحياطته قلم الفتوى وقلم التنفيد، ومن يفخر [به] كلُّ عالم مفيد إذا قال: أنا بين يديه طالب وأنا له تلميذ؛ ومن حيناً أنفتت وجدت له سُودداً جماً، وكيفما نظرت رأيت له من هنا وزارة، ومن هنا خطابه، ومن هنا مشيخة، ومن هنا تدريساً، ومن هنا حُكماً!!!!؛ فهو الأصل ومن سواه فروع، وهم الأئماد وهو الينبوع؛ وهو مجموع السيادة، المختار منه الإفاده، فما أحسنه من اختيار وما أتمه من مجموع، وكان قاضي القضاة، سيد العلماء، رئيس الأصحاب، مقتدى الفرق، قُدوة الطوائف، الصاحب تقي الدين «عبد الرحمن» ولد الصاحب قاضي القضاة تاج الدين بن [بنت] الأعزّ أدام الله شرفه، ورحم سلفه، هو منتهى رغبة الراغب، ومُشْتَهَى مُنية الطالب؛ ومن إذا أضاعت ليالي القوس بأقمار قناويه قيل (بياض العطايا في سواد المطالب)، ومن تتفق الآراء على أنه ليس الكهولة شيخ المذاهب؛ ومن عليه يحسن الاتفاق، وبه يجمل الوفاق، وإذا ولي هذا المنصب أبتهج بولايته إياه مالك في المدينة وأبو حنيفة وأحمد رضي الله عنهم في العراق؛ وأهترت به وبجواره فوائده من ضريح إمامه جوانب ذلك القبر طرباً، وقالت «الأم» لقد أبهجت - رحم الله سلفك - بجدك وإبائك جدّاً وأباً، ولقد استحققت أن يقول لك منصب سلفك رضي الله عنهم: أهلاً وسهلاً ومرحباً، وهذه نسمات صبا، كانت الإفاده هنالك تعرفها منك من الصبا.

فالحمد لله على أن أعطى قوس ذلك المحراب بارئها، وخص بشق سهامها من لا يزال سعده مبارئها، وجمل مطلع تلك السماء بيدركم باتت [عليه] الدرر تحسد دَرارِها، وألم حسن الاختيار أن يجري القلم بما يحسن بالتوقيع الشريف موقعه، ويجمل في أثناء الطروس وضعه وموضعه.

فُرِسِمَ بالأمر الشريف العالى المُولَوَى ، السلطانى : - أجزاه الله بالصواب ، وكشف بارتبائه كلَّ آرتياب ، ولا زال يختارُ وينتقى للنصاب الدِّينِيَّةَ كُلَّ عالم بأحكام السُّنَّةِ والكتاب - أن يفوض إليه تدریسُ المدرسة الصلاحية الناصرية المجاورة لضريح الإمام الشافعى بالقرافة رضى الله عنه . فليُخَوَّلَ وليُنَوَّلَ كُلَّ ذى استفاده ، وليجَمَلْ منه بذلك العِقد الثمين من علماء الدين بأنعم واسطة تفخرُ بها تلك القلادة ؛ وليدُكُرْ من الدروس ما يُبهِجُ الأسماع ، ويُرِضِي الإِتِّجاع ، ويُجَادُ به الإِنْفَاع ، وَيَحْتَلِبُهُ من أخلاف الفوائد آرتضاء الإِرْتِضَاع ، ويتناقل الرواة فوائده إلى علماء كلِّ أَفُق من البقاع ؛ وليُنْقَلْ فإنَّ الأسماع لفوائده مُنْصِتة ، والأصوات لمباحته خاشعةٌ والقلوب لمهابته مُحَيِّتة ؛ وليُنْهَضْ قوى المسائل بما يحصل لها أعظم انبعاش ، وليُتِمَّتْ ما أماته إمامه من البدع فيقال به له : هذا محمدُ ابنُ إدريسٍ مُدْتُمَّتْ أنتَ عاش ؛ وليُسْمِعْ بعلومه مَنْ به من الجهل صَمَمَ ، وليَسْتَنْطِقْ مَنْ به من الفهاهة بَكَمَ ، وليُحَقِّقْ عند الناس بتعبه لهذا الإمام أنه قد قام بالتنويه به الآن الحاكمُ ابنُ الحاكمِ أخو الحاكمِ كما قام به فيما سلف بنو عبد الحكيم .

وأما غيرُ ذلك من الوصايا فهو بحمد الله صاحبُ إلهامها ، وجالبُ أقسامها ؛ وجهينة أخبارها ، ومطلعُ أنوارها ؛ فلا يُعاد ، عليه ما منه يُستفاد ، ولا يُنثر عليه دُرٌّ هو منظَّمه في الأجياد ؛ والله تعالى يُعَمِّرُ بسيادته معالمَ الدين وأكافه ، ويزينُ بفضله المتينِ أوساطَ كُلِّ مصر وأطرافه ، ويضيفُ إليه من المستفيدين مَنْ يرافقه وإشفاقه يكون عيشه خَفْضًا بتلك الإضافة ، ويجعله لا يُحْصَى حُنُوهُ بِمَعَهْدِ دُونَ مَعَهْدٍ ولا بِمَسَافَةِ دُونَ مَسَافَةٍ ، ويُثَبِّتُهُ ومنفعتَهُ إلى ساريةٍ ساريةٍ الإِطَافَةِ وَاللِّطَافَةِ ، وألطفاه بهذه الولاية تقول لكلِّ طالبٍ في القَرافة القى رَافَهُ .

قلت : ولما تُوفِّي قاضي القضاة بدرُ الدين بن أبي البقاء - تغمده الله تعالى برحمته - وكان من جملة وظائفه تدريس هذه المدرسة ، كان السلطان قد سافر إلى الشام في بعض الحركات ، فسافر أبْنُه أفضى القضاة جلالُ الدين حتى أدرك السلطان بالطريق ، على القُرب من غزّة ، فولّاه الوظيفة المذكورة مكانَ أبيه ، وكان القاضي نورُ الدين بن هلال الدولة الدمشقيّ حاضرًا هناك ، فأشار إليه القاضي فتحُ الدين فتحُ الله كاتبُ السر الشريف - عامله الله بلطفه الخفيّ - بإنشاء صدر لتوقيعه ، يسطر به للعلامة الشريفة السلطانية ، فأنشأ له سَجْعَتَيْن ، هما :

الحمدُ لله الذي أظهر جلالَ العلماء الشافعية بحضرة إمامهم ، وأقام ساداتِ الأبناء مقامَ آبائهم في بثِّ علومهم وصلاتهم وصيامهم . ولم يجاوز ذلك إلى غيره ، فسَطَّر التوقيع بهاتين السجعتين ، وعُلمَ عليه العلامة السلطانية .

وكان من قول نور الدين بن هلال الدولة للقاضي جلال الدين المذكور : إنَّ هذا التوقيع يبقَى أبيض : فإنه ليس بالديار المصرية من ينهض بتكليفه على هذا الأسلوب . فسمع القاضي كاتبُ السر كلامه ، فكتب لي بتكليفه على ظُهره ، وعاد به القاضي جلال الدين فأعطانيه ، وأخبرني بكلام ابن هلال الدولة وما كان من قوله ، فتلكأت عن ذلك ، ثم لم أجِدْ بُدًا من إكمالهِ وإن لم أكن من قُربان هذا الميدان ، فأنشأت له على تينك السجعتين ما أكلته به ، بغاء منه تِلَو السجعتين السابقتين اللتين أنشأهما ابن هلال الدولة :

وخصَّ برياسة العلم أهل بيتِ رأت كهُولهم في اليمتظة ما يمتنئ شيوخُ العلماء أن لو رأوه في منامهم .

وجاء من وسطه :

أَقْنَضِي حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُتَوَّهَ بِذِكْرِهِ، وَتَقَدِّمَهُ عَلَيَّ غَيْرِهِ مِمَّنْ رَامَ هَذَا
الْمَقَامَ فَحُجِّبْ دُونَهُ (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) .

وجاء في آخره :

وَاللَّهُ تَعَالَى يَرْقِيهِ إِلَى أَرْفَعِ الدُّرَى، وَهَذِهِ الرَّبِّيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ بِدَايَتِهِ فَهِيَ نِهَائِهِ ضِرِّه
(وَأَنَا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا) .

وقد أعوزني وجدانُ النسخة عند إرادة إثباتها في هذا التأليف لضَيَاعُ مُسَوِّدَتِهَا
ولم يحضرنى منها غيرُ ما ذكرته . وفيما تتقدم من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر
من توقيع القاضى تقي الدين ابن بنت الأعمى مالا ينظر مع وجوده إلى غيره .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية بمصر، المختصة بالمالكية،
المعروفة بالقمحية، بمصر المحروسة، أنشأته لقاضى القضاة جمال الدين الأفهسي، وهى :

الحمد لله الذى زين معالم المدارس من أعلام العلماء بجبالها، وميز مراتب الكمال
بإجراء سوايق الأفكار فى ميادين الدروس وفسيح مجالها، وعمّر معاهد العلم بأجل
عالم إذا ذكرت وقائع المناظرة كان رأس قوسانها ورئيس رجالها، وناط مقاصد
صلاح الدين باكل حبر إذا أوردت مناقبه الماثورة تمسك أهل الديانة منها بوثيق
جبالها .

نحمدُه على اختيار الجوهر والإعراض عن العَرَضِ ، والتوفيق لإدراك المرآى
وإصابة الغرض .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي خص أهل العلم بكريم حياته ،
وشرف مقامهم في الخليقة بجعلهم في حمل الشريعة ورثة أنبيائه ؛ شهادة تُعذب
لقائلها بحسن الإيراد وردا ، وتُجدد لمتحليها بمواطن الذكر عهدا فيتخذها عند
الرحمن عهدا ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل نبي علم وعلم ، وأكرم
رسول فصل الأحكام إذ شرع وتذب وأوجب وحلل وحرم ؛ صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الذين عُنوا بتفسير كتاب الله تعالى فأدرُّكوا دقيق معانيه ، وأهتموا
بالحديث روايةً ودرايةً ففازوا بتأسيس فقه الدين وإقامة مبانيه ؛ صلاة تُحيط من
بحار العلم بزائريها ، وتأخذ من الدروس بطرقها فتقارن الحمد في أولها وتصحب
الدعاء في آخرها ؛ ما تُتبع بالمتقول مواقع الأثر ، وعُوقل في المعقول على إجابة الفكر
وإجادة النظر ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما صرفت النفوس إليه هممها ، وأخلصت فيه نيتهَا وخلصت
من تبعات ذمها ؛ وتبعت في آثار من سلف من الملوك الكرام ، وأعارته كُلى نظريها
وقامت بواجبه حق القيام - أمر المدارس التي هي مسقط حجر الاشتغال بالعلم
ومستقر قاعدته ، وقطب فلك تطلابه ومحيط دائرته ؛ وميدان فرسان المشايخ ومدار
رجالها ، ومورد ظمأ الطلبة ومحط رحالها ؛ لاسيما المدارس الأيوبية التي أسس
على الخير بناؤها ، وكان عن صلاح الدين منشؤها فتألق برقها وأستطار ضياؤها .

ومن أثبتها وثيقه ، وأمثلها في الترتيب طريقه ؛ المدرسة القمحية بالفسطاط
الآخذة من وجوه الخير بنطاقها ، والمخصوص بالسادة المالكية امتداد رواقها ؛
إن اعتبرت رعاية المذاهب قالت : مالك وما مالك ، وإن حملت حِسبة المدارس
في البر ، كانت لها فذالك ؛ قد رتب بها أربعة دُروس فكانت لها كالأركان الأربعة ،
وجعلت صدقتها الجارية بُرا فكانت أعظم بُرا وأعم منفعة .

ولما كان المجلس العالى، القاضى، الشيخى، الكبيرى، العالى، العالمى، الأفضلى، الاكلى، الأوحدى، البلىغى، الفرىدى، المفيدى، النجيدى، القدوى، الحجى، المحققى، الإمامى، الجمالى: جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العاملين، أوجد الفضلاء المفيدين؛ قدوة البلغاء زين الأمة، أوجد الأئمة؛ رُحلة الطالبين، نحر المدرسين؛ مفتى الفرق لسان المتكلمين، حجة المناظرين؛ خالصة الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين؛ أبو محمد «عبد الله الأقفهسى» المالكى - ضاعف الله تعالى نعمته - هو عين أعيان الزمان، والمحدث بفضلته فى الآفاق وليس الخبر كالعيان؛ ماولى مناصب إلا كان له أهلاً، ولا أراد الانصراف من مجلس علم إلا قال له مهلاً؛ ولا رمى إلى غاية إلا أذكرها، ولا أحاط به منطقة طلبة إلا هزها بدقيق نظره للبحث وحركها؛ إن أطال فى مجلسه أظاب، وإن أوجز قصر محاوره عن الإطالة وأتاب؛ وإن أورد سؤالاً تجز مناؤته عن جوابه، أفتح باباً فى المناظرة أحجم مناظرة عن سد بابيه؛ وإن ألم يبعث أربى فيه وأتاب، وإن أفتى بحكم أندفع عنه المعارض وأرتفع فيه الخلاف؛ فتوادره المدونة فيها البيان والتحصيل؛ ومقدماته المبسوطة لإجمالها يغنى عن التفصيل؛ ومشاركته النيرة لا يافل طالعها، ومداركه الحسنة لا يسأم سامعها؛ وتهذيبه المهذب جامع الأمهات، وجواهره الثمينة لا تقاوم فى القيمة ولا تضاهى فى الصفات - أقتضى حسن رأى الشريف أن ننوه بذكره، ونقدمه على غيره، ممن حاول ذلك فامتنع عليه (والله غالب على أمره) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الناصرى، الزينى - لا زالت مقاصده الشريفة فى مذاهب السداد ذاهبه، ولاغراض الحق والاستحقاق صائبه - أن يستقر المجلس العالى المشار إليه فى تدريس المدرسة

الصَّلاحِيَّةُ بِمِصْرَ المَحْرُوسَةِ المَعْرُوفَةِ بِالقَمَحِيَّةِ عِوَضًا عَنِ فِلانِ الفِلانِي، عَلى عادَةِ مَنْ تَقَدَّمَ .

فَلِيتَقَ ذَلِكَ بِالقُبُولِ ، وَيَسُطُّ فِي مَجَالِسِ العِلْمِ لسانَهُ فَمَنْ كانَ بِمَثابَتِهِ فِي النِّفْضِ حَقًّا لَهُ أَنْ يَقُولَ وَيَطُولَ ؛ وَمِلاكُ الأَمْرِ تَقْوَى اللهُ تَعالَى فَهِيَ خَيْرُ زادَ ، وَالوَصاياَ كَثيرةٌ وَعَنهُ تُؤخَذُ وَمِنهُ تُسْتَفادُ ؛ وَاللهُ تَعالَى يَبْلُغُهُ مِنْ مَقاصِدِهِ الجَمِيلَةِ غايَةَ الأَمَلِ ، وَيَرْقِيهِ مِنْ هِضابِ المَعالى إلی أَعلى مَرابِئِ الكِمالِ وَقَد فَعَلَ ؛ وَالاعْتِدادَ عَلى الخِطِّ الشَّرِيفِ أَعلاهَ اللهُ تَعالَى أَعلاهَ ، حِجَّةً بِمَقْتَضاهُ ؛ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى .



وهذه نسخة توقيع أيضا بتدريس المدرسة الصلاحية المذكورة، أنشأته للقاضي شمس الدين محمد بن المرحوم شهاب الدين أحمد الدفري المالكي، في شعبان سنة خمس وثمانمائة، وهو :

الحمد لله مُطَّلِعِ شَمْسِ الفِضائِلِ فِي سَماءِ مَعاليها ، وَمَبْلَغِ دَرارِي-الذَّرارِي النِّبِيَةِ الذِّكْرِ بِسَعادَةِ الجَدِّ غايَةَ غَيرِها فِي مَبادِيها ؛ وَجاعِلِ صَلاحِ الدِّينِ أَفضَلَ قَصيدِ فَوْقَتِ العِنايَةِ سِهامِها بِإِصابَةِ غَرَضِهِ فِي مَرامِيها ، وَمَجتَدِ مَعالِمِ المِدارِسِ الدارِسيَةِ بِخَيْرِ نَظَرٍ يَقضِي بِتَشْييدِ قِواعِدِها وإِحكامِ مَبانِيها .

نَحْمَدُهُ عَلى أَنْ صَرَفَ إلی القِيامِ بِنَشْرِ العِلْمِ الشَّرِيفِ أَهتامًا ، وَجَعَلَ بِخِيارِهِ العائِدَةَ إلی التَّوفيقِ فِي حُسنِ الأِختِيارِ اِعْتِصامًا .

وَنَسْتَمِدُّ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَحَدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ مُفِيضُ نَتائِجِ الأَفكارِ مِنْ وافرِ إِمدادِهِ ، وَمُخَصَّصُ أَهْلِ التَّحقيقِ بِدَقِيقِ النَّظَرِ تَخْصِيفِ العِلمِ بِقَصرِهِ عَلى بَعْضِ أَرادِهِ ؛ وَنَشهَدُ أَنَّ سَيِّدنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرِسالُهُ أَوْفَرُ البَرِيَّةِ فِي الفِضْلِ سَهما ، وَالقائِلُ

توحيها بفضيلة العلم : « لا بُورِكَ لِي فِي صَيْحَةِ يَوْمٍ لَا أزدَادُ فِيهِ عِلْمًا » صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حلوا من الفضل جواهره الثمينه ، والتابعين وتابعى التابعين الذين ضربت أباط الإبل منهم إلى عالم المدينه .

وبعد ، فإن أولى ما صُرفت إليه الهمم ، وبررت بتأدية حقه الذمم ، وضدت النفوس بالنظر في مصالحه مشتغله ، والفكر لشرف محله منه إلى غيره منتقله ، النظر في أمر المدارس التي جعلت للاشتغال بالعلم سببا موصولا ، ولطأته ربعا لا يزال يجالس الذكر مأهولا ، لاسيما المدارس التي قد قدم في الإسلام عهدا ، وعدب باستمرار المعروف على توالى الأيام وردها .

ولما كانت المدرسة الصلاحية بفسطاط مصر المحروسة قد أسس على التقوى بُنيانها ، ومهدت على الخير قواعدها وأركانها ، واختصت طائفة المالكية منها بالخصيصة التي أغنى عن باطن الأمر عنونها ، وكان المجلس السامى هو الذى خطبته الرتب الجليلة لنفسها ، وعيته لهذه الوظيفة فضائله التي قد آن والله الحمد بزوغ شمسها ، وعهدت منه المعاهد الجليلة حسن النظر فتأقت في يومها إلى ما ألفت منه في أمسيها - أقتضى حُسن رأى الشريف أن تُفرد به هذه الوظيفة التي يقوم إفرادها فيها مقام الجمع ، ويجمع له من طرفيها ما يتفق على حسنه البصر ويقضى بطيب خبره السمع .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزينجى : - لا زال يُقيم للدين شعارا ، ويرفع لأهل العلم الشريف مقدارا - أن يستقر في الوظيفة المذكورة لما أشتهر من علمه وديانته ، وبأن من عفته المشهورة وزاهيته ، واتصف به من الإفاده ، وعرف [عنه] من نشر العلوم في الإبداء

والإعاده ؛ وشاع من طريقته المعروفة في إيضاحه وبيانه ، وذاع من فوائده التي قدمته على أبناء زمانه ، ورفعت إلى هذه المرتبة باستحقاقه على أقرانه .

فليباشر تدريسها مظهرها من فوائده الجليلة ما هو في طي ضميره ، مضمرا من حسن بيانه ما يستغنى بقليله عن كثيره ؛ مقربا إلى أذهان الطلبة بتهديب الفاظه الرائقة ما يفيد ، موردا من علومه المدونة ما يجمع له بين نواذر المقدمات ومدارك التمهيد ؛ موقيا نظرها بحسن التدبير حق النظر ، موقرا رزقها بما يصدق الخبر فيه الخبر ؛ فاصدا بذلك وجه الله الذي لا يُحِبُّ لرايح أملا ، معاملا فيه الله معاملة من يعلم أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا . وملاك الوصايا تحوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويخيلها في كل الأحوال أمامه ؛ والله تعالى يستده في قوله وعمله ، ويبلغه من رضاه نهاية سؤله و غاية أمليه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بالتدريس بقبة الصالح ، أنشأته لفاضل القضاة جمال الدين «يوسف البساطي» بعد أن كتبت له بها مع قضاء القضاة المالكية ، في العشر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل للعلم جمالا تنهقت على دركه محاسن الفضائل ، وتوارد على ثبوت محامده المتواردة قواطع الدلائل ، وتحقق شواهد الحال من فضله ما يتلمح فيه من لواحق الخايل .

نحمده على نعمه التي ما استهلكت على ولى فأقلع عنه عمامها ، ولا استقرت بيد صغى فانتزعت من يده حيث تصرف زمامها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزهو بعالم الدين غروبها ، وتبئع بثمار الفوائد المتتالية دروسها ؛

وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً ، وأوطم في تلو المرتبة مكاناً وإن كان آحرهم في الوجود عَصراً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الحائزين بقربه أغر المناقب ، والفائزين من درجة الفضل بأرفع المراتب ؛ صلاة تكون لخلق الذكر نظاماً ، ولأولها أفتاحاً ولآخرها ختاماً ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن من شيمنا الشريفه ، وسجايانا الزاكية المنيفه ؛ أنا إذا منحنا منحا لا نستعيده ، وإذا أعطينا عطاءً لا ننقصه بل نزيده ؛ وإذا قربنا ولياً لا نُقصيه ، وإذا أنعمنا على صفيّ إنعاماً لا نعدّه عليه ولا نُحصيه .

ولما كان تدريس المدرسة المالكية بقبة الصالح من أعلى دروسهم قدراً ، وأرفعها لدى التحقيق ذكراً ، وأعظمها إذا ذكرت الدروس فخراً ؛ إذ مجال جداله تنفطر المرائر ، ويميدان مباحثه تشتمر البلق من مضمّرات الضمائر ؛ ويسوق مناظرته يميز النضار عن الشبه ، ويحكك مطارحته تبيين الحقائق من الشبه ؛ وبمظان مجلسه يُعرف العالى والسافل ، وبمعرفة فُرسانه يُعرف من المفضول والفاضل ؛ ومن ثم لا يليه من علمائهم إلا الفحول ، ولا يتصدى لتدريسه إلا من أمسى بجسام لسانه على الأقران بصول ؛ ولم يزل في جملة الوظائف المضافة لقضاء القضاة في الأول والآخر ، تابعاً لمنصب الحكم في الولاية كل زمن إلا في القليل النادر ؛ وكان المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى (إلى آخر الغابه) أدام الله تعالى نعمته قد أشتملت ولايته عليه لابتداء الأمر استحقاقاً ، وحفظه كرمنا عليه فلم يجد الغير إليه استطرافاً - أقتضى حُسنُ الرأى الشريف أن تُتبع ذلك بولاية ثانية تُؤكد حُكم الولاية الأولى ، وتُردفه بتوقيع يجمع له شرف القدمة والجمع ولو بوجه أولى .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزينى - لا زال يعتمد فى مشاهد الملوك أتم المصالح ، ويخص الصالح منهم بمزيد النظر حتى يقال ما أحسن نظر الناصر فى مصالح الصالح ! - أن يستمر المجلس العالى المشار إليه على ما بيده من الولاية الشريفة بالتدريس بقبة الصالح المذكورة ، ومنع المعارض وإبطال ما كُتب به وما سُيكتب مادام ذلك فى يده ، على أتم العوائد وأكملها ، وأحسن القواعد وأجملها .

فلتلق ما فُوض إليه بكتنا يديه ، ويشكر إحساننا الشريف على هذه المنحة فإنها نعمة جديدة توجب مزيد الشكر عليه ، ولتصدر بهذا الدرس الذى لم تزل القلوب تنقطع على إدراكه حشرات ، ويتصد لإلقاء فوائده التى إذا سمعها السامع قال : هنا تُسكب العبرات ، ويبرز لفرسان الطلبة من صدره من كينته ، ويغض على جد أولم الحفاة ما صح به فكره من ينابيع معينته ؛ مستخرجاً لهم من قاهوس قريحته دُرر ذلك البحر الزاخر ، مظهرها من مكنون علمه ما لا يعلم لمدته أول ولا يدرك لمداه آخر ؛ ويفق من ذخائر فضله ما هو بانفاقه ملى ، متفقداً بفضل غنايه من هو عن فوائده المربحة غير غنى ، مقرراً للبحث تقريراً يزول معه الإلتباس ، مسنداً فروعه النامية إلى أثبت الأصول من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ؛ معتمداً لما عليه جادة مذهبه فى الترجيح ، جارياً على ما ذهب إليه جهابذة محققيه من التصحيح ؛ مقبلاً بطلاقة وجهه فى درسه على جماعته ، باذلاً فى استمالتهم طاقة جهده محسناً إليهم جهد طاقته ؛ مربياً لهم كما يربى الوالد الولد ، موفياً من حقوقهم [فى] التعليم ما سبق له ذكره على الأبد ؛ ممتياً ناشئتهم بالتدريب الحسن تنمية الغروس ، جاهداً فى ترفيعهم بالتدريج حتى يؤهل من لم يكن تُظن فيه أهلية الطلب لأن يتصدى

لِلْفَتَاوَى وَإِقَاءِ الدَّرُوسِ ؛ سَالِكًا مِنْ مَنَاجِحِ التَّقْوَى أَحْسَنَ الْمَسَالِكِ ، مُورِدًا مِنْ تَحْقِيقَاتِ مَذْهَبِهِ مَا إِذَا لَحَّه اللَّاحِجُ لَمْ يَشُكَّ أَنَّهُ لِرِزَامِ الْمَذْهَبِ مَالِكٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجْرِيهِ عَلَى مَا أَلْفَهُ مِنْ مَوَارِدِ إِنْعَامِهِ ، وَيَمْتَعُّ [هَذِهِ الرِّتْبَةَ] السَّنِيَّةَ : تَارَةً بِمَجَالِسِ دُرُوسِهِ وَتَارَةً بِمَجَالِسِ أَحْكَامِهِ ؛ وَالْإِعْتَادَ



وهذه نسخة توقيع بتدريس الحديث بالجامع الحاكيمى ، من إنشاء الشهاب «محمود الحلبي» للشيخ قطب الدين «عبد الكريم» وهى :

الحمد لله الذى أطلع فى أفق السنّة الشريفة من أعلام علمائها قطباً ، وأظهر فى مطالعها من أعيان أئمتها نجومًا أضاء بهم الوجود شرقاً وغرباً ، وأقام لحفظها من أئمة أعلامها أعلاماً أحسنوا عن سندها دفاعاً وأجملوا عن متونها ذباً ، وشرف بها أهلها فكلمًا بعدت راحلتهم فى طلبها آزدادوا من الله قرباً ، وآختر لحمّلها أمناء شغفت محاسنهم قلوب أهل الفرق على اختلافها حباً ، وسلّكوا باتباعها سنن السنن فأمِنُوا أن تُروّع لهم الشبه سرباً ، وألمننا من تعظيم هذه الطائفة ما مهد لهم فى ظل تقربنا إليه مقاماً كريماً ومنزلاً رحباً ، وعصم آراءنا فى الارتياح له من الخلل فلا نتخار له إلا من نُسرُّ باختياره طلبه وتغبط بتعيينه أئمةً ورُضى بآرتياده رباً .

نحمده على نعمه التى صانت هذه الرتبة السنية بكفائها ، وزانت هذه المرتبة الشريفة بمن لم يميل عينه فى تأثيل قواعدها إلى إغفائها ، وجعلت هذه الدرجة العلية فلنكا تُشْرِقَ فيه لأئمة الحديث أنوار علوم تفتى الدهور دون إطفائها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مجادل عن سُنته الشريفة باليسنة أسنته ، مجاليد عن كلمتها العالية بقبض معاقد سيوفه وإطلاق أعتته ، باعث

بالجهاد دعوتها إلى كل قلوب كان عن قبولها في حجب أكتنه . ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذي أوتي جوامع الكلم ، ولوامع السنة التي من اعتصم بها عصم ومن سلم
بها سلم ؛ فهي مع كتاب الله أصل شرعه التويم ، وحبل حكيه الذي لا يتمكن يد
الباطل من [حل] عقده النظيم ، وكنوز دينه التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عَضُوا على سننه بالنواجذ ، وذَبُّوا عن شريعته بسيف
الجلاد القواطع وسهام الحدال النوافذ ؛ صلاة لا يزال يُقام فرضها ، ويملاؤها طول
البيسطة وعرضها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما توجهت إليه إلى آرتياد أئمتيه ، وتوفرت الدواعي على
التقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض مناصبه إلى البررة الكرام من
أئمه - علم الحديث النبوي صلوات الله وسلامه على قائله ، وحفظه بدروسه التي
جعلت أواخر زمنه في صحته نقله ومعرفة أسرارها كأوائله ؛ وأن نختار لذلك من نشأ
في طلبه حتى آكتهل ، وسرى في تحصيله سرى الأهلّة حتى آكتمل ؛ وغدّى بلبان
التبحر فيه حتى آمترج بأديمه ، وجدّد في تحصيله وآجتهد حتى ساوى [في] الطلب بين
حديث عمره وقديمه ؛ وحفظ من متونه ، ما بمثله يستحق أن يدعى حافظا ، وغلب
على فنونه ، حتى قل أن يرى [بغير] علومه والنظر في أحكامه لافظا ؛ فإنه بعد كتاب
الله العزيز مادة هذا الدين الذي يحكم بنصوصه ، وتتفاوت رتب العلماء في حسن
العمل بمطلقه ومقيده وعمومه وخصوصه ؛ وعنهما تفرعت أحكام الملة فلا ت
علومها جميع الآفاق ، وزكت أحكامها الشرعية على كثرة الإنفاق ؛ وسرى الناس منها
على المحجة التي آستوى في الإشراف ليؤها ونهارها ، وعلا على الملل بالبراهين القاطعة
نورها ومنارها ؛ وكفى أهلها شرفا أنهم يدبّون عن سنة نبهم ذبّ اللبوث ، ويجودون

(١) لم يتقدم ما يطف عليه ولعل الأصل «فوجب أن نهتم به أجل اهتمام ، وأن نختار الخ» .

على الأسماع بما ينفع الناس في أمر دينهم ودنياهم منها جود الغيوث ، ويحافظون على ألفاظها محافظة من سمعها منه صلى الله وسلم عليه ، ويعظمون مجالس إيرادها وتقلها حتى كأنهم لحسن الأدب جلوس بين يديه ، ويُغَالُونَ في العُلُوبِ طلباً للقرب منه وذلك من أسنى المطالب ، ويرحلون لضم شوارده من الآفاق فيأقرب المشارق عندهم من المغارب ! .

ولما كان المجلس السامى الفلافى : هو الذى عُني بكل ما ذكر من وصف كريم ، وحديث ورع قديم ، وقدم هجرة في علم الحديث اقتضت له حسن أولوية ووجوب تقديم ، وتلقى هذا العلم كما وُصف عن أئمة حتى صار من أعيانهم ، ولقى منهم علماء أضحى باقتنائهم كما كانوا رحلة زمانهم ؛ ونظر في علومه فأتقنها فكانه ينطق فيها بلسان ابن الصلاح ، وأحرز غايات الكمال ، في أسماء الرجال ، فإلى أطلّعه يرجع في تجريح المجرّح وتعديل الصّحاح ؛ وكان منصبُ تدريس الحديث الشريف النبوى الذى أنشأناه بالجامع الحاكى تكثيراً لنشر أحاديث من لا ينطق عن الهوى ، ونويناه لأرتواء الرواة من بحر هذا العلم الشريف بالإعانة على ذلك وإتقان لكل أمرى ما نوى ، قد استغرقت أوقات مباشرة بتفويضنا الحكم العزيز على مذهبه إليه ، وتوفير زمانه على (١)

قلت : وتختلف أحوال التواقع التى تُكتب بالتدريس باختلاف موضوعاتها : من تدريس التفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، وغير ذلك ، فى براعة الاستهلال والوصايا ، وهو فى الوصايا أكد .

(١) ترك هنا بيانا للبقية وادله لم يكفه انكلا على ما هو معروف ومشهور فى مثله .

وهذه نُسخ وصايا أوردتها في التعريف :

وصية مدرّس — وليطَّلِع في محرابه كالبدْر وحولَه هالدةُ تلك الحلقه^(١) ،
وقد وقت أهداب ذلك السوادِ منه أعظم أسوداداً من الحدقه ؛ وليرقَّ سجَّادته التي
هي لبنة جواده إذا استنَّ الحدال في المضمار ، وليخف [أضواء] أولئك العلماء الذين
هم كالنجوم كما تتضاءل الكواكب في مطالع الأقدار ؛ وليبرز لهم من وراء المحراب
كبينه ، وليفرض على جداولهم الحفاة معينه ؛ وليقدِّف لهم من جنبات ما بين جنبيه
دُرر ذلك البحر العجاج ، وليبرهم من غرر جواده ما يعلم به أن سوابقه لا يهولها قطع
الفعجاج ؛ وليظهِر لهم من مكنون علمه ما كان يُخفيه الوقار ، وليهب من ممنون فضله
ما يهب منه عن ظهر غنى أهل الافتقار ؛ وليقرر تلك البحوث وبين ما يرد عليها ،
وما يرد به من منعهما وتطرَّق بالنقض إليها ؛ حتى لا تنفصل الجماعة إلا بعد ظهور
الترجيح ، والإجماع على كلمة واحدة على الصحيح ؛ وليقبل في الدروس طلق
الوجه على جماعته ، وليستعملهم إليه بجهد استطاعته ؛ وليبرهم كما يربى الوالد الولد ،
وليستحسن ما نجيء به أفكارهم وإلا فكم رجل بالحبسه لينت فكر وأد ؛ هذا
إلى أخذهم بالإشتغال ، وقدح أذهانهم للاشتغال ؛ ولينشئ الطلبة حتى يتمي منهم
الغروس ، ويوهل منهم من كان لا يظنُّ منه أنه يتعلم لأن يعلم ويُلقي الدروس .

وصية مقرئ :

وليُدِّم على ما هو عليه من تلاوة القرآن فإنه مضباح قلبه ، وصلاح قُربه ، وصباح
القبول المؤذن له برضا ربه ؛ وليجعل سُوره له أسواراً ، وآياته تُظهِر بين عينيه

(١) جرى في تحريك لام الحلقة على ما رواه يونس عن أبي عمرو بن العلاء من كونه لغة في السكون

أنظر "المصباح" .

أنواراً ؛ وليتل القرآن بحروفه وإذا قرأ استعاذ ، وجميع طرقه وهى التى عليها الجمهور ويترك الشواذ ؛ ولا يرتد دون غاية لإفصار ، ولا يقف فبعد أن أتم لم يبق بحمد الله إحصار ، ولتوسع فى مذاهيه ولا يخرج عن قراءة القراء السبعة أئمة الأمصار ؛ وليبدل للطلبة الرغاب ، وليشبع فإن ذوى النهمة سغاب ، ولير الناس ما وهبه الله من الإقتدار فإنه آحتضن السبع ودخل الغاب ؛ وليتم مباني ما أتم « ابن عامر » و« أبو عمرو » له التعمير ، ولقته « الكسائى » فى كسائه ولم يقل جدى « ابن كثير » ؛ وحم به « لحمزة » أن يعود ذاهب الزمان ، وعلم أنه لا « عاصم » من أمر الله يلجا معه إليه وهو الطوفان ؛ وطفق يتفجر علما وقد وقفت السيول الدوافع ، وضراً أكثر قراء الزمان لعدم تفهيمهم وهو « نافع » ؛ وليقبل على ذوى الإقبال على الطلب ، وليأخذهم بالتربية فما منهم إلا من هو إليه قد أنقَسب ؛ وهو يعلم ما من الله عليه بحفظ كتابه العزيز من النماء ، ووصل سببه منه بحبل الله الممتد من الأرض إلى السماء ؛ فليقدر حق هذه النعمة بحسن إقباله على التعليم ، والإنصاف إذا سُئل فعلم الله ما يتناهى (وفوق كل ذى علم عليم) .

وصية محدث :

وقد أصبح بالسنة النبوية مضطليعا ، وعلى ما جمعته طرق أهل الحديث مُطَّلِعاً ؛ وصح [فى] الصحيح أن حديثه الحسن ، وأن المرسل منه فى الطلب مقطوع عنه كل ذى لسن ؛ وأن سنده هو الماخوذ عن العوالى ، وسماعه هو المرقص منه طول الليالى ؛ وأن مثله لا يوجد فى نسبه المعرق ، ولا يعرف مثله للحافظين « ابن عبد البر » بالمغرب و « خطيب بغداد » بالمشرق ؛ وهو يعلم مقدار طلب الطالب فإنه طالما شد له النطاق ، وسعى له سعيه وتجشم المشاق ؛ وأرتحل له يشتد به حرصه والمطايا

مُرْزَمَهُ ، وَيَنْبَهُ لَهُ طَلَبُهُ وَالْجُفُونَ مُقْفَلَةٌ وَالْعُيُونَ مُهَوَّمَةٌ ؛ وَوَقَفَ عَلَى الْأَبْوَابِ لَا يُضَجِرُهُ طَوْلُ الْوَقُوفِ حَتَّى يُؤَدِّنَ لَهُ فِي وُلُوجِهَا ، وَقَعَدَ الْقُرْفُصَاءَ فِي الْمَجَالِسِ لَا تَضِيْقُ بِهِ عَلَى قِصْرِ فُرُوجِهَا .

فَلْيُعَامِلِ الطَّلِبَةَ إِذَا أَتَوْهُ لِلْفَائِدَةِ مَعَامَلَةً مِنْ جَرَّبٍ ، وَلْيُنَشِّطِ الْأَقْرِبَاءَ مِنْهُمْ وَيُوَسِّسِ الْغُرَبَاءَ فَمَا هُوَ إِلَّا مَنْ طَلَبَ آوِنَهُ مِنْ قَرِيبٍ وَأَوِنَهُ تَغَرَّبَ ؛ وَلْيُسْفِرْ لَهُمْ صَبَاحُ قِصْدِهِ عَنِ النَّجَاحِ ، وَلْيَنْتَقِ لَهُمْ مِنْ عُقُودِهِ الصَّحَاحَ ؛ وَلْيُوضِّحْ لَهُمُ الْحَدِيثَ ، وَلْيُرِخْ خَوَاطِرَهُمْ بِتَقْرِيْبِهِ مَا كَانَ يُسَارَ إِلَيْهِ السَّيْرَ الْحَيْثُ ؛ وَلْيُؤْتِهِمْ مِمَّا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيهِ الْمَجَالَ ، وَيُعَلِّمَهُمْ مَا يَجِبُ تَعْلِيمُهُ مِنَ الْمُتُونِ وَالرِّجَالِ ؛ وَيَبَصِّرْهُمْ بِمَوَاقِعِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ، وَالتَّوْجِيهِ وَالتَّعْلِيلِ ، وَالصَّحِيحِ وَالمَعْتَلِّ الَّذِي تُنْتَاثِرُ أَعْضَاؤُهُ سُقْمًا كَالْعَلِيلِ ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لِرِجَالِ هَذَا الشَّانِ بِهِ عِنَايَهُ ، وَمَا يُنْقَبُ فِيهِ عَنِ دِرَايَةِ أَوْ يُقَنَّعَ فِيهِ بِجَزْدِ رِوَايِهِ ؛ وَمِثْلُهُ مَا يُزَادُ حَامِلًا ، وَلَا يُعْرَفُ بِمَنْ رَخَّصَ فِي حَدِيثِ مَوْضُوعٍ أَوْ كَتَمَ عِلْمًا .

وصية نحوي :

هُوَ زَيْدُ الزَّمَانِ ، الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ ، وَعَمَرُو الْأَوَانَ ، وَقَدْ كَثُرَ مِنْ سَيَبِيهِ الْمَثَلُ ، وَمَا زَيْفِي الْوَقْتِ وَلَكِنَّهُ الَّذِي لَمْ تُسْتَبِحْ مِنْهُ الْإِبِلُ ؛ وَكَسَائِي الدَّهْرِ الَّذِي لَوْ تَقَدَّمَ لِمَا آخَتَارَ غَيْرَهُ الرَّشِيدُ لِأَمُونِ ، وَذُو السُّؤْدَدِ ، لَا أَبُو الْأَسْوَدِ ، مَعَ أَنَّهُ ذُو السَّابِقَةِ وَالْأَجْرُ الْمُنُونِ ؛ وَهُوَ ذُو الْبَرِّ الْمَسْأُورِ ، وَالْقَدْرُ الْمَرْفُوعِ وَلِوَاوِهِ الْمَنْصُوبُ وَذَيْلُ نَخَارِهِ الْمَجْرُورِ ؛ وَالمَعْرُوفُ بِمَا لَا يُنْكَرُ لِمَثَلِهِ مِنَ الْحَزْمِ ، وَالذَّاهِبُ عَمَلُهُ الصَّالِحُ بِكُلِّ الْعَوَامِلِ الَّتِي لَمْ يُبْقِ مِنْهَا لِحُسُودِهِ إِلَّا الْجَزْمَ ؛ وَهُوَ ذُو الْأَيْبِنَةِ الَّتِي لَا يُفْصِحُ عَنْ مِثْلِهَا الْإِعْرَابُ ، وَلَا يُعْرَفُ أَفْصَحُ مِنْهَا فِيمَا أُخِذَ عَنِ الْأَعْرَابِ ؛

والذى أصبحت أهدأه فوق عمائم الغائم ثلاث ، ولم يزل طول الدهر يُسكّر منه
 أمسه ويومه وغده وإنما الكلمات ثلاث . فليتصد للإفاده ، وليعلمهم مثل
 ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزيادة ؛ وليكن للطلبة تبحراً به يهتدى ، ويرفع
 بتعليمه قدر كل حبر يكون خيراً له وهو المتبدا ؛ وليقدم منهم كل من صلح
 للتبريز ، وأستحق أن ينصب إماماً بالتميز ؛ ولبورذ من موارد أعذب النطاف ،
 وليجز إليه كل مضاف إليه ومُضاف ؛ ولْيوقفهم على حقائق الأسماء ، ويعرفهم
 دقائق البحوث حتى اشتقاق الأسم هل هو من السمو أو من السماء ؛ وليبين لهم
 الأسماء الأعجمية المنقولة والعربية الخالصة ، وليدلم على أحسن الأفعال لا ما يُستنبه
 فيه بصفات كان وأخواتها من الأفعال الناقصة ؛ وليحفظهم المثل وكلمات
 الشعراء ، ولينصب نفسه لحدّ أذهان بعضهم ببعض نصب الإغراء ؛ وليعامل
 جماعة المستفيدين منه بالعطف ، ومع هذا كله فليرفق بهم فما بلغ أحدُ علماً بقوة
 ولا غايةً بعسف .



وهذه وصية لغوى أوردتها في التعريف^(١) .

(١) بياض بأصله ، ولم تذكر هذه الوصية في نسخة "التعريف" التي بيدنا .

الوظيفة الثامنة

(التصدير)

وموضوعه الجلوس بصدر المجلس بجامع أو نحوه . ويجلس متكلم أمامه على كرسى كأنه يقرأ عليه ، يفتح بالتفسير ثم بالرفائق والوعظيات ، فإذا انتهى كلامه وسكت ، أخذ المتصدر في الكلام على ما هو في معنى تفسير الآية التي يقع الكلام عليها ، ويستدرج من ذلك إلى ما سنع له من الكلام . وربما أفرد التصدير عن المتكلم على الكرمي .

وهذه نسخة توقيع بتصدير أنشأه للشيخ شهاب الدين « أحمد الأنصاري » الشهير بـ « الشاب الثائب » بالجامع الأزهر ، وهي :

رسم ... لا زالت صدقاته الشريفة تخص المجالس بمن إذا جلس صدر مجلس^(١) كان لرتبه أجمل صدر يجتبي من علماء التفسير، ومن إذا دقق لم يفهم ... عنه^(٢) وإذا سلك سبيل الإيضاح كان كلامه في الحقيقة تفسير تفسير، وتصطفي من سرة الأمان من دار نعته بين « الشاب الثائب » و « الشيخ الصالح » فكان له أكرم نعت على كل تقدير - أن يستمر المجلس السامي أدام - الله تعالى رفعته - في كذا وكذا ، لأنه الإمام الذي لأسمي علومه ولا تُسام ، والعلامة الذي لأندرك مداركه ولا تُرام ، والخبر الذي تتعقد على فضله الخناصر ، وفارس الحلبة الذي يعترف بالقصور عن مجارة جواده المناظر ، وآية التفسير التي لا تُنسخ ، وعقد حقيقته الذي لا يُفسخ ، والماهر الذي أستحق بمهارته التصدير، والجامع لفنونه المتنوعة

(١) أي بالامر الشريف الخ .

(٢) بياض بالأصل ولعله « لم يفهم شرحه إلا عنه » أو نحو ذلك .

جمع سلامة لا جمع تكسير؛ وترجمان معانيه الآتى من غرائب تأويله بالعجب العجاب، والعارف بهدى طريقه الذى إذا قال قال الذى عنده علم من الكتاب؛ وزاهد الوقت الذى زين بالعلم العمل، وناسك الدهر الذى قصر عن مبلغ مداه الأمل .

فليتلق ما ألقى إليه بالقبول، وليستند إلى صدر مجلس يقول فيه ويطول؛ وليبين من معانى كتاب الله ما أجمل، ويوضح من خفي مقاصده ما أشكل، وليسلك في تفسيره أقوم سنن، ويعلن بأسراره الخفية فسر كتاب الله أجدر أن يكون عن علن، وليجرب فيه على ما ألف من تحقيقاته فإنه إذا لم يحقق المناظرة فمن؟، وليأخذ مشايخ أهل مجلسه بالإحسان، كما أحسن الله إليه فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، ويحض شباههم على التوبة ليحبهم الله فيتصل في المحبة سننهم فإن «الشاب السائب» حبيب الرحمن؛ والله تعالى يرقبه إلى أرفع الذرا، ويرفع مجلسه السامى على محل الثريا (وإنا لنبجو فوق ذلك مظهرا). إن شاء الله تعالى .

الوظيفة التاسعة

(النظر)

وموضوعه التحدث فى أمور خاصة بإباحة ضروراتها، وعمَل مصالحها، وأستخراج متحصّل جهاتها، وصرفه على الوجه المعتبر، وما يجرى مجرى ذلك .

وتشتمل على عدة أنظار :

منها - نظر الأحباس : جمع حبس^(١) وهو الوقف : فقد تقدم فى المقالة الثانية أنه كان أصل وضعه أراضى آشتراها (الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه)

(١) فى المختار «والحبس كالفعل ماوقف» وهو المراد هنا .

ووقفها على جهاتٍ ربِّها ثم تبعه الناس في إضافة الأوقاف إلى ذلك ، إلى أن كانت وزارة الصحاح بهاء الدين ابن حنّا في سلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى ، فأفرد للجوامع والمساجد والرُّبُط والزوايا ونحو ذلك رزقا ، وقصر تحدّث ناظر الأعباس ومباشريه عليها ، وأفردت الأوقاف بناظر ومباشرين كما سيأتى :

وهذه نسخة توقيع بتدريس الطب بالبيمارستان المنصورى^(١) ، كُتِب بها «لمهدب الدين» وهى :

الحمد لله الذى دبر بحكمته الوجود ، وعمّ برحمته كلّ موجود ، وحال ينفع الدواء بين ضرّ الداء كما حالت عطاياه دونّ الوعود ؛ نحمده ونشكره وهو المشكور المحمود ، وننتهى عليه خير الشفاء قياما وقعودا وعلى الجنوب وفى السجود ، ونستريده من فضله فإنه أهل الفضل والجود .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة الله بها والملائكة وأولو العلم شهود ؛ ونشهد أن محمّدا عبده ورسوله المبشّر لأمته بالجنّات والخلود ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة إلى يوم الوعود .

وبعد ، فإنما لما أقام الله بنا شعائر الإيمان ، وأصبح دينه بحمد الله منصورا بنا على سائر الأديان ، وجاهدنا فى الله حقّ الجهاد باليد واللسان ، وشيّدنا لعلومه وشرائعه كلّ بديع الإلتقان ، وربّتنا فيه من العلماء الأعيان كلّ رفيع الشأن ، وآخترنا له الأخيار من أهل العلم بالطب والفقه والحديث والقرآن ؛ ودرأنا كل من تقدّمنا من الملوك ، وإن سلك فى سياسة الرعية أحسن سلوك ، قد آهت بعلم الأديان وأهمل

(١) حقّ هذا التوقيع أن يذكر فى تواريخ الوظيفة السابعة الخاصة بالتدريس .

علم الأبدان؛ وأنشأ كل منهم مدرسة ولم يُخفَل ببيمارستان، وغفل عن قوله صلى الله عليه وسلم: «العِلْمُ علْمَان»؛ ولم يأخذ أحدا من رعيته بالاشتغال بعلم الطب المُضطَّر إليه، ولا وقف وقفا على طلبه هذا العلم المنصوص عليه، ولا أعد له مكاناً يحضُر من يشتغل بهذا الفن فيه، ولا نصب له شخصاً يمثّل هذا المشتغل لديه - علمنا نحن بحمد الله تعالى من ذلك ما جهلوه، وذكرنا من هذه القرية ما أهملوه، ووصلنا من هذه الأسباب الدنيوية والدنيوية ما فصلوه؛ وأنشأنا بيمارستانا بيهر العيون بهجه، ويقوق الأبية بالدليل والنجمة، ويحفظ الصحة والعافية على كل مهجه؛ لو حلّه من أشفى لَعُوَجِل بالشفا، أو جاءه من أئتمده السقم لاشفى، أو أشرف عليه العُمر بلا شفاء لعاد عنه بسقفاً؛ ووقفنا عليه من الأوقاف المبرورة ما يملأ العينين، ويُطَرِف سماع جملته الأذنين، ويعيدُ عنه من أمه مملوء اليدين؛ وأبجنا التداوى فيه لكل شريف ومشروف ومأمور وأمير، وساوينا في الانتفاع به بين كل صغير وكبير، وعلمنا أن لانظير لنا في ملكنا ولا نظير له في إبقائه فلم نجعل لوقفه وشرطه من نظير؛ وجعلنا فيه مكاناً للاشتغال بعلم الطب الذى كاد أن يُجهل، وشرعنا للناس إلى ورد بحره أعدب منهل، وسهلنا عليهم من أمره ما كان الحلم به من اليقظة أسهل؛ وأرتدنا له من علماء الطب من يصلح لإلقاء الدروس، ويتفجع به الرئيس من أهل الصناعة والمرعوس، ويؤمن على صحة الأبدان ويحفظ النفوس؛ فلم نجد غير رئيس هذه الطائفة أهلاً لهذه المرتبة، ولم نرض لها من لم تكن له هذه المنقبة، وعلمنا أنه متى وليها أمسى بها مُعجبا وأضحى به مُعجبه.

ولما كان المجلس السامى «مهدب الدين» هو الرئيس المشار إليه، والوحيد الذى تُعقد الخناصر عليه؛ وكان هو الحكيم «بقراط»، بل الجليل «سقراط»، بل الفاضل «جالينوس»، بل الأفضل «ديسقوريدوس» - اقتضت الآراء

الشريفة أن تُزاد جلالته بتولية هذا المنصب الجليل جلاله ، وأن تُرفَّ إليه تجرُّ أذياله ، وأن يقال : (لم يك يصلح إلا لها ولم تك تصلح إلا له) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال للدين ناصرا ، ولأعلام العلوم ناشرا - أن يفوض إليه تدريس الطب بالبيارستان المبارك المنصوري ، المستجدة الإنشاء بالقاهرة المحروسة ، علما بأنه المتمهر في هذا الفن ، وأنه عند الفراسة فيه والظن ، وأنه سقراط الإقليم إذا كان غيره سقراط الدت ، وثقة بأنا للجوهر قد آتقطنا ، وبالخير قد آغبتنا ، وعلى الخير قد سقطنا .

فلتلق هذه النعمة بالشكر الجليل ، والحمد الجزيل ، والثناء الذي هو بالثناء والزيادة كفيلا ، ولينصب لهذا العلم المبارك انتصاب من يقوم بالقرض منه والسنة ، ويعرف له فيه الفضل ويتقلد له فيه المنه ، ويثني على آثاره الجميلة فيه وثني إليه الأئمة ، وليبطل بتقويمه الصحة ما ألفه ابن « بطلان » ، وليرنا بتديده جملة البر فإنه « جالينوس » الزمان ، وليبذل النجاة من الأمراض والشفاء من الأسقام فإنه « ابن سينا » الأوان ، وليجمع عنده شمل الطلبة ، وليعط كل طالب منهم ما طلبه ، وليبلغ كل ممتد من الاشتغال أربه ، وليشرح لهم صدره ، وليبذل لهم من عمره شطره ، وليكشف لهم من هذا العلم المكتنون سره ، وليرهم ما خفي عنهم منه جهره ، وليجعل منهم جماعة طبائعيه ، وطائفة كحايين وجرانجيه ، وقوما مجبرين ، وبالحديد عاملين ، وأخرى باسماء الحشائش وقوى الأدوية وأوصافها عالمين ، وليأمر كلاً منهم بحفظ ما يجب حفظه ، ومعرفة ما يزيد به حفظه ، وليأخذ بما يصاح به لسانه ولفظه ، ولا يفتر عنهم في الاشتغال لحظه ، وليفرد لكل علم من العلوم طائفة ، ولكل فن من فنونه جماعة بحاسنه عارفة ، وليصرف إليهم من وجوه فضائله كل عارفة ،

وَلْيُكشِفْ لَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ غَوَامِضِهِ فَلَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ إِضْاحِهِ كَاشِفَةٌ ؛
 لِيُنشَرَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الْعُلُومِ قَوْمٌ بَعْدَ قَوْمٍ ، وَيُظَهَّرَ مِنْهُمْ
 فِي الْعَدِّ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أضعافٌ ما هو ظاهرٌ منهم اليومَ ؛ وَلِيُقَالَ لِكُلِّ مَنْ طَلَبْتَهُ
 إِذَا شُرِعَ فِي إِجَازَتِهِ وَتَرْكِيئِهِ : لَقَدْ أَحْسَنَ شَيْخُهُ الَّذِي عَلَيْهِ تَأْدِيبٌ ، وَإِنْ مَنَ نَخَّرَجَ
 هَذَا « الْمُهْتَدِبُ » ؛ عَامِلًا فِي ذَلِكَ بِشُرُوطِ الْوَاقِفِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ ، وَاقْفًا عِنْدَ أَمْرِهِ
 أَمْضَى اللَّهُ أَمْرَهُ ؛ وَالْخَيْرُ يَكُونُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الأعباس مفتتحة بـ «أما بعد» وهي :

أما بعد حمد الله الذي أذن أن تُرفع بيوتُه ويُذكر فيها أسمُه ، وَيُكْتَرَفُ فِيهَا قَسَمُ
 ثَوَابِهِ وَيُجْزَلُ قِسْمُهُ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي عَظُمَ بِهِ قَطْعُ دَابِرِ الْكُفْرِ وَكَثُرَ
 حَسْمُهُ - فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ عُوِّلَ عَلَيْهِ فِي تَأْسِيسِ بِيوتِ اللَّهِ وَعِمَارَةِ رُبُوعِهَا ، وَلَمْ شَعَثْهَا
 وَشَعَبَ صَدُوعِهَا ؛ وَالْقِيَامُ بِوُضَائِفِهَا ، وَتَسْبِيلُ لَطَائِفِهَا ؛ وَتَاهِيلُ نَوَاحِيهَا ، لِهُبُوطِ
 الْمَلَائِكَةِ لِتَلْقَى الْمُصَلِّينَ فِيهَا ، مَنْ كَانَ ذَا عَزْمٍ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَحَزْمٍ لَا يُلِمُّ
 بِأَعْمَالِهِ لَمَمَ الْمَأْتَمِ ؛ وَنَظِيرِ نَاقِبٍ ، وَرَغْبَةٍ فِي اخْتِيَارِ جَمِيلِ الْمَأْتَرِ وَالْمَنَاقِبِ ، وَمُبَاشِرَةٍ
 تُرَعَى قَوَانِينِ الْأُمُورِ وَتَكْتَبُفُهَا آكْتِنَافِ مُرَاقِبٍ .

ولما كان فلانٌ ممن هذه الأوصافِ شِعَارُهُ ، وَإِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ يَدَارُهُ ؛ وَكَمْ كَتَبَ
 اللَّهُ بِهِ لِلدَّوْلَةِ أَجْرًا رَاجِعًا وَسَاجِدًا ، وَكَمْ شَكَرْتَهُ وَذَكَرْتَهُ أَلْسِنَةُ أَعْلَامِ الْجُوعِ وَأَفْوَاهُ
 تَحَارِيْبِ الْمَسَاجِدِ - أَقْتَضَى مُنِيفِ الْمَلَا حِظَةَ وَالْمَحَافِظَةَ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ مِنْ بِيوتِ
 اللَّهِ وَشَاهِدٍ ، أَنْ نَخْرِجَ الْأَمْرَ الشَّرِيفُ - لَا يَبْرَحُ يَكشِفُ الْأَوْجَالَ ، وَيَدْعُو لَهُ
 فِي الْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ رِجَالَ - أَنْتَ يَفُوضُ لِفَلَانٍ نَظْرُ دِيْوَانِ الْأَعْجَاسِ وَالْجُوعِ
 وَالْمَسَاجِدِ الْمَعْمُورَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

فليباشرها مباشرة من يُراقب الله [إن] وقع أو توقع ، وإن أطاع أو تطوع ؛
 وإن عزل أو ولى ، وإن أدب من نهى عبدا إذا صلى ؛ وليجتهد كلاً الاجتهاد
 في [صرف] ربيع المساجد والجموع في مصارفها الشرعية ، وجهاتها المرعية ؛ وليأخذ
 أهلها بالملازمة في أحيائها وأوقاتها ، وعمارتها بمصايبها وآلاتها ؛ وحفظ ما يحفظون
 به لأجلها ، ومعاملتهم بالكرامة التي ينبغي أن يعامل مثلهم بمثلها ؛ وليحترز في إخراج
 الحالات إذا خرجت وأخرجت ، وفي مستحقات الأجراء إذا استحققت وإذا
 نُجبت ؛ وفي التواقيع إذا أنزلت وإذا نُزلت ، وفي الاستثمارات التي أُهملت وكان
 ينبغي لو أُهلت ؛ وإذا باشر [و] ظهر له بالمباشرة خفايا هذا الديوان ، وفهم
 ما تحتويه جرائد الإحسان ، فليكن إلى مصالحه أول مُبادر ، ويكفيه تدبر قوله
 تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

قلت : وقد كنت أنشأت توقيعاً بنظر الأحياس ، للقاضي « بدر الدين حسن »
 الشهير بابن الداية ، مفتتحاً بالحمد لله ، جاء فرداً في بابه . إلا أن مسودته غيبت
 عني ، فلم أجدها لأثبتها هاهنا كما أثبت غيرها مما أنشأته : من البيعات والعهود
 والتواقيع والرسائل وغير ذلك .

ومنها - نظر الأوقاف بمصر والقاهرة المحروستين ، ويدخل فيه أوقاف الحرمين
 وغيرهما .

وهذه نسخة توقيع بنظرها ، وهي :

الحمد لله الذي حفظ معالم البر من الدثور ، وأحيا آثار المعروف والأجور ، وصان
 الأوقاف المحبسة من تبديل الشروط على توالي الأيام والشهور .

نحمده على فضله الموفور ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لها
في القلوب نور على نور ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيد المنصور ، الطالع
البدور ، المبعوث بالفرقان والنور ، المنعوت في التوراة والإنجيل والزبور ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه ما كرت الدهور ، وطلعت كواكب ثم تغور .

وبعد ، فإن أهل الخير من المؤمنين تقربوا إلى الله سبحانه وتعالى من طيبات
أموالهم بأوقاف وقفوها على وجوه البر وعرفوها ، وجعلوا لها شروطا ووصفوها ؛
فتقبل الله لهم ذلك ، ثم ماتوا فما أنقطع عملهم بها وهم في برزخ المهالك ؛ ووليها
بعدهم الأمانة من النظار ، فقاموا بحقوقها وحفظ الآثار ؛ وأجروا برها الدار
في كل دار ، وصانوا معاملها من الأغيار ، وشاركوا واقفيها في الصدقة لأنهم خزان
أمانة أخيار .

ولما كان فلان هو الذى لا يتدنس عرضه بشائبه ، ولا يئس المصالح وهى عن
فكره غائبه ، ولا تبرح نجوم السعود طالعة عليه غير زائبه ؛ وهو أهل أن يناط به
التحدث في جهات البر الموقوفة ، وأموال الخير المصروفة ، لأنه زه نفسه عما ليس له
فلو كانت أموال غيره غنما ما اختص منها بصوفه ؛ فلذلك ريم ... (١) ...

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنة التأثير ، جميلة التثمير ؛ مأمونة التغيير ،
مخصوصة بالتعبير ؛ ولينظر في هذه الأوقاف على اختلافها من ربوع ومباني ،
ومساكن ومغانى ؛ وخانات مسبله ، وحوانيت مكلمه ؛ ومسقفات معموره ،
وساحات مأجورة غير مهجورة . وليبدأ بالعارة فإنها تحفظ العين وتكفي البناء
دثوره ، ولتبع شروط الواقفين ولا يعدل عنها فإن في ذلك سروره ؛ ويندرج في هذه

(١) بيض له في الاصل لعله من أمثاله السابقة .

الأوقافِ ماهو على المساجد ومواطن الذكر : فليقم شعارها، وليحفظ آثارها، وليرفع منارها، والوصايا كثيرة والتقوى ظلها المخطوب، ومراقبة الله أصلها المطلوب ووصلها المحبوب، والله تعالى يجمع على محبته القلوب؛ بمنه وكرمه ! .

ومنها - نظر البيارستان المنصوري بين القصرين لأرباب الأقسام، وهو من أجل الأنظار وأرفعها قدرا، ما زال يتولاه الوزراء وكُتب السرّ ومن في معناهم .
[وهذه نسخة توقيع] من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :

الحمد لله رافع قدر من كان في خدمتنا الشريفة كريم الخلال، ومُعلي درجة من أضحى عليه الإخلاص في طاعتنا العلية مديد الظلال، ومجدد نعيم من لم يُخصه أعتناؤنا بغاية إلا ورقته همته فيها إلى أسنى رتب الكمال، ومفوض النظر في قرب سلفنا الطاهر إلى من لم يلاحظ من خواصنا امرا إلا سرنا ما نُساهد فيه من الأحوال الحوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها، ومنته التي لا تبرح تشمل الأصفياء عواطفها، وآلائه التي تُسد آراءنا في تفويض قربنا إلى من إذا باشرها [سر] بسيرته السرية مستحقتها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها، ووالى الإيقان إعادة أدائها بمواقف الحق وإبداءها؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى، المقصوص في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يطما، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبشّرت به الهوائف نثرا ونظما؛ صلى الله

(١) تقدمت في وظائف الطبقة الثانية من ذوات التواضع ببعض تغيير واختصار .

عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرَّتب الفاعره ، وحازوا بالإخلاص في محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظهم من رضا الله ورضاه فلم يُلوا على خدع الدنيا الساحره ؛ صلاة دائمة الاتصال ، أمانة شمس دولتها من الغروب والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بإنعام النظر في مصالحتها ، وأحقها بتوفير الفكر على اعتبار مناهجها وأعتاد مناجها - أمر جهات البر التي تقرب والدنا السلطان الشهيد - قدس الله روحه - بها إلى من أفاض نعمه عليه ، وتنوع في إنشائها فأحسن فيها كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله لعلمه أن ذلك من أنفس الذخائر التي أعدّها بين يديه ؛ وحلّ منها في أكرم بقعة تقله الله بها عن سريره إلى مقعد صدق عند ربه ، وعمر بها مواطن العبادة في يوم سلمه بعد أن عفى على معاقل الكفر في يوم حربه ؛ وأقام بها منار العلوم فعلا مناهها ، وأعد للضعفاء بها من مواد البر والإلطف مالو تعاطته الأغنياء قُصرت عن التطاول إليه أموالها ؛ وأن نرتاد لها من إذا فوضنا إليه أمرا تحققنا صلاحه ، وتيقنا نجاحه ؛ واعتقدنا تمية أمواله ، وأعتمدنا في مضاعفة ارتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله ؛ وعلمنا من ذلك ما لا يحتاج فيه إلى إخبار ولا اختبار ، ولا يحتاج في بيان الخيرة فيه إلى دليل إلا إذا احتاج إليه النهار ؛ لتكون في هذا بمثابة من ضاعف لهذه القرب أسباب ثوابها ، أو جدّد لها وقفا لكونه أتى بيوت الإحسان في آرتياد الأكفاء لها من أبوابها .

ولذلك لما كان فلان هو الذي صان أموال خواصنا ، وأبان عن يمين الآراء في استئثارنا به لمصالحنا الخاصة واختصاصنا ؛ واعتدنا بحميل نظره في أسباب التدبير التي نملأ الخزان ، وتدل على أن من الأولياء من هو أوقع على المقاصد من سهام

الكائن ، وتُحَقِّق أنه كما في العناصر الأربعة معادن فكذلك في الرجال معادن ؛
 ونَبَّهت أوصافه على أنه ما ولى أمراً إلا وكان فوق ذلك قدراً ، ولا أَعْتَمِد عليه فيما
 تَضِيْق عنه همُّ الأولياء إلا رَحِب به صَدْرًا ، ولا طَلَع في أُنْف رتبةً هلالاً إلا وتَأَمَّلته
 العيون في أَجَلٍ دَرَج الكمال بَدْرًا ؛ يُدْرِك ما نَأَى من مَصَالِح ما يليه بأدنى نظر ،
 وَيَسْبِق في سَدَاد ما يباشره على ما يجب سَدَاد الآراء ومواقف الفكر ؛ فنحن نَزْدَاد
 كل يوم غبطةً بتدبيره ، ونَتَحَقَّق أن كل ما عدقنا به إليه : من أمرٍ جليل فقد أسندناه
 إلى عارفه وفوضناه إلى خبيره - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نُعَدِّق بجميل نظره أمر
 هذا المهِّمَّ المقدم لدينا ، وأن نفوض إليه نظر هذه الأوقاف التي النظرُ في مَصَالِحِهَا
 من آكد الأمور المتعينة علينا .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال فضله عميماً ، وِرّه يقدِّم في الرتب من كان من
 الأولياء كريماً - أن يفوض إليه كَيْت وكَيْت .

فليل هذه الرتبة التي أريد بها وجه الله وما كان لله فهو أهم ، وقُصِدَ بها النفعُ
 المتعدى إلى العلماء ، والفقراء ، والضعفاء ومراعاة ذلك من أخص المصالح وأعم ؛
 ولينظر في عموم مصلحتها وخصوصها نظراً يسدَّ خَلَّهَا ، ويزيح عِلَّهَا ، ويُعَمِّر أصولها ؛
 ويَتَمَرَّ بمحصولها ، ويحفظ في أماكنها أموالها ؛ ويُقيم معالم العلوم في أرجائها ، ويستترل
 بها مواد الرحمة لساكنتها بالسنة قرائتها ؛ ويستعيد صحَّة من بها من الضعفاء بإعداد
 الذخائر للملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ؛ ويحافظ على شروط الواقف - قدس
 الله رُوحه - في إقامة وظائفها ، وأعتبار مَصَارِفِهَا ؛ وتقديم ما قدمه مع ملاءة تدبيره
 باستكمال ذلك على أكمل ما يجب ، وتمييز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف
 التي يعزُّ وجودها ويحتلِب ؛ وضبط تلك الحواصل التي لا خزان لها أوثق من أيدي

أمنائه وثقاته، ولا مودع لها أوفق من أمانة من يتقى الله حق ثقافته؛ وليفعل في ذلك جميعه ما عرفناه من تديره الجميل خُبراً وخبراً، وحمدناه في كل ما يليه ورداً في المصالح وصَدراً؛ فإنه - بحمد الله - الميمونُ نظراً وتصرفاً، المأمونُ نزاهةً وتعقفاً؛ الكريمُ سجيّةً وطباعاً، الرحيبُ في تلقى المهمات الجليّة صَدراً وباعاً؛ فلذلك وكلناه في الوصايا إلى حُسن معرفته وأطلاعه، ويؤمن نهوضه بمصالحنا وأضطراره؛ والله تعالى يُسَدِّده في قوله وعمليه، ويحقق بالوقوف مع مراضى الله تعالى ومراضينا غايةً أمله؛ إن شاء الله تعالى.



ومنها - نظر الجامع الناصرى بقلعة الجبل .

وهذه نسخة توقيع بنظره، كُتِبَ به للقاضى جلال الدين القزوينى وهو يومئذ قاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية، وهى :

الحمد لله الذى زادنا الدين رفعةً وجلالاً، وجعل لنا على إعلاء منار الإسلام إقبالا، وأحسن لنظرنا الشريف فى كلِّ اختيارٍ مآلاً، ووفق مرامى مرامنا لمن أخلصنا عليه أنكالا .

نحمده حمدا يتواتر ويتوالى، ويُقرب من المنى مآلاً، وتثير به معاهد نعمة عندنا وتسللاً، ونُدِّيمه إدامةً لا تنبى عنها حولا ولا انتقالا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نصدقها نيةً ومقالاً، ونرجو بالتعالى فيها القبول منه تعالى، ويتراسل عليها القلب واللسان فلا يعترى ذلك سهو ولا يخاف هذا كلالاً؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى كرم صحابةً وآلاً، ودلّم على الرشد فورثوه من علماء الأمة رجالاً، صلى الله عليه وعليهم صلاةً تسترعى عليها

من الحَفْظَةِ أَكْفَاءَ أَكْفَالًا ، وَنَسْتَمَدُّ لِرُقْمِهَا الْمُدْهَبَاتِ بُكْرًا وَأَصَالًا ، وَتَسْمُو إِلَيْهِ الْأَنْفَاسُ سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا لِحَالًا ، مَا مَدَّتِ اللَّيَالِي عَلَى أَيَّامِهَا ظِلَالًا ، وَمَا بَلَغَ سَوَادُ شَبَابِهَا مِنْ بِيَاضِ صُبْحِ أَكْثِهَالَا ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ بَنَى حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يُشِيدَ ، وَمَنْ أَرَادَ [أَنْ] سَتَّهُ الْحُسْنَى تَبْقَى فليَتَّخِذْ مُعِينًا عَلَى مَا يُرِيدُ ، وَمَنْ أَنْشَأَ رَأً فَلَا بُدَّ مِنْ مَبَاشِيرٍ عَنْهُ يَضْمَنُ لَهُ التَّجْدِيدَ ، وَيُظَنُّ بِهِ مَعَ تَأْيِيرِهِ التَّخْلِيدَ ، وَمَنْ تَابَرَ اللَّهُ بِمَعْرُوفٍ فَمَا يَسْخُو بِالْمُشَارَكَةِ فِيهِ إِلَّا مَنْ يَقُومُ مَقَامَ نَفْسِهِ أَوْ يَزِيدُ ، وَمَنْ بَدَأَ جَمِيلًا فَشَرَطَ صَلَاحَهُ أَنْ يُسَيِّدَهُ إِلَى مَنْ لَهُ بِالْمُرَاقَبَةِ تَقْيِيدٌ ، فِيمَا يُبْدَى وَيُعِيدُ ، وَأَيُّ إِشَادَةٍ أَقْوَى ، مِنْ التَّاسِيسِ عَلَى التَّقْوَى ، أَوْ مَعِينِ أَجَلٍ مِنْ حَاكِمِ اسْتِخْلَاصِنَاهُ لَنَا وَإِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ مَبَاشِيرِ أَنْفَعٍ ، مِنْ سَيِّدِ آرْتَدَى بِالْمَجْدِ وَتَلَفَّعَ ، وَتَرَوَى بِالْعُلُومِ وَتَضَلَّعَ ، أَوْ مَشَارِكِ فِي الْخَيْرِ أَوْلَى مِنْ وَلِيِّ قَلْدِنَاهُ دِينَنَا قَبْلَ الدُّنْيَا ، وَأَعْلَيْنَاهُ بِالْمُنْصِيَيْنِ : الْحُكْمِ وَالْخَطَابَةِ فَتَصَرَّفَ مِنْهُمَا بَيْنَ الْكَلِمَةِ الْعَالِيَةِ وَالدَّرَجَةِ الْعُلْيَا ، أَوْ أَحْسَنُ مِرَاقَبَةٍ مِنْ حَبْرٍ يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ ، وَإِمَامٍ يَدْعُو إِلَيْهِ دُعَاءَ أَزَابِ أَوْاهُ ، قَدْ أَنْفَرَدَ بِمَجْمُوعِ الْحَمَّاسِ يَقِينًا ، وَأَصْبَحَ قُدْرُهُ الْجَلِيَّ الْجَلِيلَ يَعْنِينَا وَعَنْ الْمَسَدِّحِ يُعْنِينَا ، فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبْيِينًا ، وَلَكِنْ نَصَّرَحَ بِاسْمِهِ تَتَوَهَّأُ وَتَعِينُنَا ، وَتَحْسِينَا لِسِيرَةِ أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ بِعَالِمِ زَمَانِهَا وَتَرْبِينَا ، لَا عُدْرَ لِفِكْرٍ لَمْ يُنْضِدْ مَنَاقِبَهُ وَقَدِّمْتُمْ مَعَالِيَهُ جَوَاهِرَ ، وَقَلِيمٌ لَمْ يُوَشَّ الطُّرُوسَ بِعَمَانِيهِ بَعْدَ مَا زَانَ مِنْ فُنُونِهَا أَنْوَاعِ الْأَزَاهِرِ ، هُوَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْقَضَائِي ، الْإِمَامِي ، الْعَالِمِي ، الْعَامِلِي ، الْعَلَامِي ، الْبِكَامِلِي ، الْفَاضِلِي ، الْقُدْوِي ، الْمُفِيدِي ، الْخَاشِعِي ، النَّاسِكِي ، الْوَرَعِي ، الْحَاكِمِي ، الْجَلَالِي : حِجَّةُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ فِي الْعَالَمِينَ ، بَرَكَةُ الْأُمَمِ ،

(١) مأخوذ من أشاد بنيانه إذا ملأه . أنظر اللسان في مادة ش و د — ج ٤ — .

عَلَّامَةُ الْأَيْمَةِ ، عِزُّ السَّنَةِ ، مَوْيِدُ الدَّوْلَةِ ، سَيْفُ الشَّرِيعَةِ ، شَمْسُ النُّظَرِ ، مُفْتَى
 الْغُرَرِ ، خَطِيبُ الْخُطَبَاءِ ، إِمَامُ الْبُلْغَاءِ ، لِسَانُ الْمُنْكَرِينَ ، حَكْمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ،
 وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو الْمَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ قَاضِي الْقَضَاةِ سَعِيدِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْقَزْوِينِي قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ : أَدَامَ اللَّهُ عِزَّةَ الشَّرْعِ
 الشَّرِيفِ بِأَحْكَامِهِ ، وَتَرْفِيهِ سَيْوْفِ الْجِلَادِ وَأَسْلِهِ بِلِسَانِ جِدَالِهِ وَأَقْلَامِهِ ؛ قَاضٍ
 يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُهْتَرَجِينَ بِرَأْيٍ لَا يَطِيشُ حَلْمَهُ وَلَا يَزِلُّ حُكْمَهُ ، وَيَتَّقِي الشُّبُهَاتِ بَوْرَعِ
 يَتَّبِعُهُ عَمَلُهُ وَيَهْدِيهِ عِلْمُهُ ؛ مَا لَحَظَ جِهَةً إِلَّا حَظَّيْتُ بِبِرْكَةِ دَاةِ مُزْنِهَا ، سَارِيَةً
 مَنَاجِحُهَا سَارٍ يُمْنُهَا ؛ وَلَا أَقْبَلَ عَلَى بَيْتٍ مِنْ بِيوتِ اللَّهِ إِلَّا حَنَنْ مِنْهُ إِلَى سُبُحَاتِ
 الْجِلَالِ ، وَلَا تَكَلَّمَ فِي وَقْفٍ إِلَّا أَجْرَاهُ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَلَى أَقْوَمِ مِثَالٍ ؛ وَنَحْنُ لِهَذِهِ
 الْمَزَايَا نُرَدُّ إِلَى نَظَرِهِ الْكَرِيمِ مَا أَهَمَّنَا مِنْ عِمَارَةِ مَسْجِدٍ وَجَامِعٍ ، وَتَقَلَّدَهُ مِنْ أَوْقَافِنَا
 مَا يَخْتَلِفُنَا فِيهِ خَيْرًا فَإِنَّ الْأَوْقَافَ وَدَائِعَ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِي -
 لَا زَالَ يُصِيبُ الصَّوَابَ ، وَلَا يَعْدُو أَوْلِي الْأَلْبَابِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرُ الْجَامِعِ
 النَّاصِرِي الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَوْقَافِهِ ، وَالنَّظْرُ عَلَى التَّرْبَةِ
 وَالْمَدْرَسَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ وَأَوْقَافِهِمَا .



ومنها - نظر مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه بالقاهرة المحروسة .

وقد تقدم في الكلام على خطط القاهرة في المقالة الثانية أن الصالح طلائع
 ابن رزيك حين قصد نقل رأس الإمام الحسين إلى القاهرة، بنى لذلك جامعاً

(١) يريد المتخاصمين ولكن لم نثر على هذا البناء فيما بأيدينا من كتب اللغة .

خارج بابي زويلة^(١)، فبلغ ذلك الخليفة فأفرد لها هذه القاعة من قاعات القصر وأمر بنقلها إليها .

وهذه نسخة توقيع بنظره، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :
الحمد لله الذي جعل مواطن الشرف في أيامنا الزاهرة، محصورة في أكفائها،
ومشاهد السيادة في دولتنا القاهرة، مقصورة على من حبته أوامرنا باعتمادها،
وخصته الآؤنا بأصطفائها؛ الذي أجرى حسن النظر في مظان الآباء الطاهرة على يد
من طلع في أفق العلياء من أبنائها، وعمر معاهد القربات بتدبير من بدأ بقواعد دينه
وأجاد إحكام تشييدها وإتقان بنائها .

نحمده على ما خصت به أيامنا من رفع أقدار ذوى السيادة والشرف، وأتصف به
إنعامنا من مزيد بر علم بحسن ظهوره على الأولياء أن الخير في الشرف .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يعرف بها من اعترف،
ويشرف قدر من له بالمحافظة عليها شغف؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي طهر
الله بضعته الزهراء وبينها، وخصهم بمزية القربى التي نزهه أن يسأل على الهداية
أجرا إلا المودة فيها؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين هم أجدر بالكرم، وأحق بحاسن
الشيم، ومامنهم إلا من (تعريف البطحاء وطائفة * والبيت يعرفه والحل والحرم)؛
وعلى آله وأصحابه الذين أنعم الله به عليهم، وآتبعوه في ساعة العسرة فمنهم الذين
أخرجوا من ديارهم والذين يحبون من هاجر إليهم؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من زينت به مواطن الشرف، وعدقت به العناية بخدمة من درج
من بيت النبوة وسلف، وعمرت به مشاهد آثارهم التي هي في الحقيقة لهم عُرف،

(١) بكهينة وسفينة . انظر شرح القاموس في مادة زول .

[وناَلت الدولة] من تديره الجميل بعض حظها ، وخصت بقعته المباركة من نظره بما ينوب في خدمة محله الشريف عن مواقع لحظها ؛ وجعلت به لابن رسول الله من خدمة أبيه معها نصيبا ، وفعلت ذلك إذ خبرت خدمته أجنبيًا علمًا أنها لتضاعف له إذا كان نسيبًا ، وحكمت بما قام عندها مقام الثبوت ، وأمرته أن يبدأ بخدمة أهل البيت [فإن] لازمها لديها مقدم على البيوت - من طلع شهاب فضله من الشرف السنّي في أكرم أفق ، وأحاطت به أسباب السؤدد من سائر الوجوه إحاطة الطوق بالعنق ؛ وزان الشرف بالسؤدد والعلم بالعمل ، والرياسة باللطف فاخترته المناصب واختالت به الدول ، وتقدم بنفسه ونقاسة أصله فكان شوط من تقدمه وراء خطوه وهو يمشي على مهل ؛ وأصطفته الدولة القاهرة لنفسها فتمسك من الموالاة بأوثق أسبابها ؛ واعتمدت عليه في بث نعمها ، وبعث كرمها ، فعزف في ذلك الأمور من وجهها وأتى البيوت من أبوابها ؛ وحمدت وفود أبوابنا العالية لحسن سيرته في إكرامهم السرى ، وأكتفت [حتى] مع ترك الكرامة إليهم بشاشة وجهه التي هي خير من القري ؛ وصان البيوت عن الإقواء بتديره الذي هو من مواد الأرزاق ، وزاد الحواصل بتميره مع كثرة الكلف التي لو حاكها الغنم لأمسكت خشية الإنفاق .

ولما كان فلان هو الذي ثلث مناقب بيته الطاهر ، وجليت مفائده أصله الزاهر ، وتجلت بشرف خلاله خلال الشرف التي تركها الأول للآخر ؛ وكان مشهد الإمام السيد الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام بالقاهرة المحروسة بقعة هي متجع الرحمة ، ومظنة إجابة الأمه ، وروضة من شرفت بانتقاله إليها ، وتربه شهيد الزهراء صلوات الله على أيها وعليها ؛ وبه الآن [من] رواتب القربات ووظائف العلوم وجهات الخير ما يحتاج إلى اختيار من يجبل النظر فيه ،

ويسلك نهج سلفه في الإعراض عن عرض الدنيا ويقتفيه - رأينا أن نختار لذلك من اخترناه لأنفسنا فكان الكفء الكريم ، وأختبرناه لمصالحنا فخبّرنا منه الحفيظ العليم ، وأن تقدم مهم ذلك البيت على مهم بيوتنا فإن حقوق آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالتعظيم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت مكارمه بتقريب ذوى القربى جديره ، ومراسميه على إقدار ذوى الرتب على ما يجب قديره ، - أن يفوض إليه النظر على مشهد الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام بالقاهرة المحروسة ، على قاعدة من تقدمه في ذلك ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف : لما قدمناه من أسباب رجحته لذلك ، وبيناه من أمور أوضحت في اختيارنا له المسالك ، ومن أولى منه بهذه الرتبة التي شهدت له باستحقاقها مناصبه ومناسبه ، أو أقدّر منه على أمثال هذه الوظيفة وقد أقرت بكاله وكرم خلاله مراتب الباب الشريف ورواتبه .

فليمنع النظر في مباشرة أوقاف هذه البقعة المباركة مظهرًا ثمرة تفويضها إليه ، مبيّنًا نتيجة تعرضها له وعرضها عليه ، منبها على سرّ التوفيق فيما وضع أمرنا من مقاليد أمرها في يديه ، مجتهدًا في تمييز أموال الوقف من كل كاتب [حديث] ، موضحًا من شفقة الولد [على] ما أنسب إلى الوالد ما شهدت به في حقها الأحاديث ، سالكا من خدمة ذلك الشهيد ما يشهد له به غدا عند جدّه ، ناشرا من ... (١) ... لواء فضيل رفعة في الحقيقة رفع لمجده ، وليلاحظ تلك المصالح بنظره الذي يزيد أموالها تميرا ، ورباعها تعميرا ، وحواصلها تميزا وتوفيرا ، وأرج أيها السيد الشريف

(١) بياض بالأصل ولعله "من عتابه به لواء الخ" .

عند الله تعالى بذلك عن كل حسنة عشرًا إن ذلك [كان] على الله يسيرًا . وصُنَّ ما بيده عن شوايب الأذناس : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) . وقد خبرنا من سيرتك وسريرتك ما لا تحتاج أن نزيد به خبرًا ، ولا أن نبلوه بعد ما سلف مرة أخرى ؛ ولكن نذكرك بتقوى الله التي أنت بها متّصف ، وبوجودها فيك معروف وبوجودها عليك تعترف ؛ فقدّمها بين يديك ، وأجعلها العمدة فيما أعتدنا فيه عليك ؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(من الوظائف الدينية ما يكتب في قطع العادة الصغير ، مفتتحا

بـ «رُسم بالأمر الشريف»)

وهو لمن كانت رتبته مجلس القاضى ، ورُبما كُتِبَ فيه بالسامى بغير ياء لمن قُصِدَ تعظيمه وهو قليل ، وبه يُكْتَبُ لأرباب الوظائف الصغار من الخُطبَاء ، والمدرسين ، ونظار الأوقاف ، وغيرهم ممن لا ينحصر كثرة .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيارستان العتيق الذى رتبته السلطات صلاح الدين

«يوسف بن أيوب» فى بعض قاعات قصر الفاطميين ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه تُفيد علاء ، وتستخدم أكفاء ، وتُضفى ملايس النماء على كل على فتكسوه بهجة وبهاء - أن يستقر فلان فى نظر البيارستان الصلاحى بالقاهرة المحروسة ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، لكفاءته التى أشهر ذكرها ، وأمانته التى صدق خبرها خبرها ؛ ونزاهته التى أضحى بها

على النفس فغدا بكل ثناء ملياً ، ورياسته التي أحلت قدره أسمى رتبة فلا غرو أن يكون «علياً» .

فليباشِرْ نظراً البيارستان المذكور مباشرة يظهر بها انتفاعه ، وتمييزها أوضاعه ؛ ويضحى عامراً الأرجاء والنواحي ، ويقول لسان حاله عند حسن نظره وجميل تصرفه : الآن كما بدأ صلاحى ؛ وليجعل همته مصروفة إلى ضبط مقبوضه ومصروفه ، ويظهر نهضته المعروفة بتمير ريعه حتى نتضاعف مواد معرفه ؛ ويلاحظ أحوال من فيه ملاحظة تذهب عنهم الباس ، ويراع مصالِح حاله في تميته وتركيته حتى لا يزال منه شرابٌ مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ؛ وليتناول المعلوم الشاهد به الديوان المعمور من استقبال تاريخه بعد الخط الشريف أعلاه .

وأعلم أن من توقع أرباب الوظائف الدينية ما يكتب في هيئة أوراق الطريق ، أو على ظهور القمص ، وقد تقدم .

وهذه نسخة توقيع بالتحديث في وقف :

رسم بالأمر الشريف العالى المولى السطانى الملى الفلانى - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرّفه - أن يستقر القاضى فلان الدين فلان فى التحديث فى الوقف الفلانى ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف . فليتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه وبمقتضاه ، بعد الخط الشريف ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثالث

(من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية - الوظائف الديوانية)

وهى على طبقتين :

الطبقة الأولى

(أربابُ التقاليد، فى قطع الثنتين ممن يكتب له «الجنابُ العالى»

وفىها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الوزارة، إذا كان متولياً من أرباب الأقاليم، كما هو الغالب)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية قسلاً عن "مسالك الأبصار" أن ربها نانى السلطان لو أنصف وعُرف حقه، إلا أنها لما حدثت عليها النيابة، تأخرت وقعد بها مكانها حتى صار المتحدث فيها كناظر المال، لا يتعدى الحديث فيه ولا يتسع له فى التصرف بحال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل لتطلع السلطان إلى الإحاطة بجزئان الأحوال فى الولاية والعزل. وقد تقدم ذكر ألقابه مستوفاةً فى الكلام على مقدمة الولايات فى الطرف الأول من هذا الفصل، والكلام على طرة تقليده فى الكلام على التقاليد.

وهذه نسخة تقليد بالوزارة، كُتِب بها للصاحب «بهاء الدين بن حنّا». من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وهى :

الحمد لله الذى وهب لهذه الدولة القاهرة من لدنه ولياً، وجعل مكان سرها
وشد أزرها علياً، ورضى لها من لم يزل عند ربه مرضياً.

نحمده على لطفه الذي أمسى بنا حفيًا، ونشكره على أن جعل دولتنا جنة أورث تديرها من عبادته من كان تقيًا؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُسبِّح بها بكرة وعشيا، ونصلي على سيدنا محمد الذي آناه الله الكتاب وجعله نبيا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تبيح بها صراطا سويًا.

وبعد، فإن أولى ما تتعمت السنة الأعلام بتلاوة سورة، وتعمت أفواه المخابر بالاستمداد لتسطير سيره؛ وتناجت الكرام الكاتبون بشكر مجمله ومفصله، وتناشدت الرواة بحسن لسنه وترتمت الحداة بطيب غزله؛ وتهادت الأقاليم تخف معجلاه ومؤجله، وعنت وجوه المهاريق لصعود كلبه الطيب ورثع صالح عماله - ما كان فيه شكر لنعمة تمنها على الدولة سعادة جدودها وحظوظها، وإفادة مضمونها ومحفوظها، وإرادة مرموقها بحسن الاستيداع وملحوظها؛ وحمد لمنحة آفاتها بركات أحسنت للمملكة الشريفة مالا، وقربت لها مالا، وأصلحت لها أحوالا، وكازرت مدد البحر فكلما أجرى ذلك ماء أجزت هي مالا؛ وإن ضنت السحب أنشأت هي شجبا، وإن قيل - بشح سبخنا - : روثق الأرض ذهب، عوضت عنه ذهبًا، كم لها في الوجود من كرم وكرامه، وفي الوجوه من وموم ووسامة؛ كم أحييت مهجا، وكم جعلت للدولة من أمرها محرجا؛ وكم وسعت أملا، وكم تركت صدر الحزن سهلا، وكم تركت صدر الخزائن ضيقا حرجا؛ كم استخدمت جيش تهجد في بطن الليل، وجيش جهاد على ظهور الخيل؛ وكم أنفقت في واقف في قلب بين صفوف الحروب، وفي واقف في صفوف المساجد من أصحاب القلوب؛ كم سبيل يسرت، وسعود كثرت؛ وكم مخاوف أدبرت حين دزت، وكم آثار في البلاد والعباد آثرت، وأثرت، وكم وافت ووفت؛ وكم كفت وكفت، وكم أعفت وعفت، وكم وافت ووافت، وكم موازين للا ولياء ثقلت وموازن للا عداء خفت؛ كم أجزت من وقوف،

وكم عرفت بمعروف؛ كم بيوت عبادة صاحب هذه البركات هو محرابها، وسماء جود
هو سخاها ومدينة علم هو بابها؛ تثنى الليالى على تغليسه إلى المساجد فى الحنادس،
والأيام على تهجير عبادة الفقراء وحضور الجنائز وزيارة القبور والدواري؛ يكتن
تحت جناح عدله الظاعن والمقيم، وتشكر مباره يثرب وزمزم ومكة والحطيم؛ كم
عمت سنن تفقداته ونوافله، وكم مررت صدقاته بالوادي - فسح الله فى مدته -
فأثنت عليه رماله وبالنادى فاثنت عليه أرامله؛ ما زار الشام إلا أغناه عن منة
المطر، ولا صحب سلطانه فى سفر إلا قال: نعم الصاحب فى السفر والحضر.

ولما كان المنفرد بهذه البركات هو واحد الوجود، ومن لا يشاركه فى المزايا
شريك وإن الليالى بإيجاد مثله غير ولود؛ وهو الذى لو لم نسمه قال سامع هذه
المناقب: هذا الموصوف، عند الله وعند خلقه معروف؛ وهذا الممدوح، بأكثر من
هذه الممدوح والمحمد من ربه ممدوح وممنوح؛ وهذا المنعوت بذلك، قد نعتته بأكثر
من هذه الثعوت الملائك؛ وإنما نذكر نعوته آتيا إذا، فلا يعتد خاطب ولا كاتب
أنه وفى جلالته بعض حقها فإنه أشرف من هذا؛ وإذا كان ولا بد للممدوح أن تجول،
وللقلم أن يقول؛ فتلك بركات المجلس العالى، الصاحبى، السيدى، الورعى،
الزاهدى، العائدى، الوالدى، الذخرى، الكفيلى، الممهدى، المشيدى،
العوفى، القوامى، النظامى، الأفضلى، الأشرفى، العالمى، العادلى، البهائى؛ سيد
الوزراء فى العالمين، كهف العابدين، ماجا الصالحين؛ شرف الأولياء المتقين؛ مدبر
الدول، سيد الثغور، صلاح الممالك؛ قدوة الملوك والسلاطين، يمين أمير المؤمنين؛
على بن محمد: أدام الله جلاله. من تشرف الأقاليم بجياطة قلمه المبارك، والتقاليد
بتجديد تنفيذه الذى لا يساهم فيه ولا يشارك؛ فما جدد منها إنما هو بمثابة آيات

فتردد، أو بمنزلة سجلات في كل حين بها يُحكّم وفيها يُشهد ؛ حتى نتناقل ثبوته الأيام والليالي، ولا يخلو جيد دولة من أنه يكون الحالى بما له من فاخر الآلى .

فلذلك نرجح الأمر العالى - لا بريح يُكسب بهاء الدين المحمدى أتم الأنوار، ولا بريح مراسمه ترهّو من قلم منقذه يذى الفقير وذى الفقار - أن يضمّن هذا التقليد الشريف بالوزارة التامة، العامة؛ الشاملة، الكاملة : من المآثر الشريفة الصحابية، البهائية؛ أحسن التضمين، وأن يُنشر منها ما يتلقّى رايته كل رب سيف وقلم باليمين؛ وأن يُعلم كافة الناس ومن تضمه طاعة هذه الدولة وملئها وسلئها من ملك وأمير، وكل مدينة ذات منبر وسرير؛ وكل من جمعته الأقاليم من تواب سلطنه، وذى طاعة مدعنه؛ وأصحاب عقد وحلّ، وطعن وحلّ؛ وذى جنود وحشود، ورافعي أعلام وبؤود؛ وكل راج ورعيه، وكل من ينظر في الأمور الشرعية؛ وكل صاحب علم وتدريس، وتهليل وتقديس؛ وكل من يدخل في حكم هذه الدولة الغالبة من شمسها المضيئة، وبدورها المنيرة وشهبها الناقبة، في الممالك المصرية، والنوبية، والساحلية، والكركية، والشوبكية، والشامية، والحلبية، وما يتداخل بين ذلك، من ثغور وحصون وممالك - أن القلم المبارك الصحابي البهائي في جميع هذه الممالك مبسوط، وأمر تديرها به منوط، ورعاية شفقتة لها منحوط؛ وله النظر في أحوالها، وأمواها؛ وإليه أمر قوانينها، ودواوينها، وكتابها، وحسابها؛ ومراتبها، ورواتبها؛ وتصريفها، ومصرفها؛ وإليه التولية والصرف، وإلى تقدمه البدل والنعمة والتوكيد والعطف؛ فهو صاحب الرتبة التي لا يحلها سواه وسوى من هو مرتضيه، من السادة الوزراء بنيه، وما سمينا غيره وغيرهم

بالصَّحُوبِيَّة^(١) فليحذر من يُحَاطِبُ غَيْرَهُ [و] غيرهم بها أو يُسَمِّيهِ ؛ فكما كان والدنا
 الشهيد رحمه الله يحاطبه بالوالد قد خاطبناه بذلك وخطبناه ، وما عدلنا عن
 ذلك بل عدلنا لأنه ما ظلم من أشبه أباه ؛ فترثته لأُسمي ولا أُسام ، ومكاتبته
 لا تُرامى ولا تُرام ؛ فمن قدح في سيادته من حساده زناد قدح أُحرق بشرر شره ،
 ومن ركب إلى جلالته ، تبيح سوء أُغرق في بحره ، ومن قتل لسعادته ، حبلى كيد فإتما
 قتله مُبرمه لتخره ؛ فلتلزم الألسنة والأقلام والأقدام في خدمته أحسن الآداب ،
 وليقل المترددون : حِطَّةٌ إذا دخلوا الباب ؛ ولا يغزهم فرط تواضعه لدينه وتقواه ،
 فمن تاذب معه تاذب معنا ومن تاذب معنا تاذب مع الله . وليتل هذا التقليد على
 رؤوس الأَشْهاد ، وتُنسخ نُسخته حتى تناقلها الأمصار والبلاد ؛ فهو حجتنا على من
 سميناه خصوصا ومن يدخل في ذلك بطريق العموم ، فليعملوا فيه بالنص والقياس
 والاستنباط والمفهوم ؛ والله يزيد المجلس الصاحبى الوزيرى البهائى سيد الوزراء
 من فضله ، ويبيقيه لغاب هذه الدولة يصونه لشبله كما صانه لأسده من قبله ،
 ويمتدح بنيته الصالحة التى يحسن بها - إن شاء الله - نماء الفرع كما حسن نماء
 أصله ، بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتِبَ به للصاحب تاج الدين محمد بن نجر الدين
 ابن الصاحب بهاء الدين على بن حنا ، فى ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ،
 من إنشاء المولى شهاب الدين محمود الحلبي ، تغمده الله برحمته ، وهى :

(١) فى التعبير بالصحوبية تسامح فى العربية .

الحمد لله مَكَّلَ شرف الوزارة بطلعة نأجها ، ومشرف قدرها بمن نُشرق عليها
 أشعة سعده إشراق الكواكب على أبراجها ، ورافع لواء مجدها بمن تَلَقَّته بعد الحفاء
 في حُلل سُورِها وحُلِيَّ آيهاجها ؛ وتَحَلَّتْ بعد العطل من جواهر مفاخره بما تَتَرَّينُ
 عقود السُّعود بأزديواجها ، وترفل من آتسأبها إلى أهبه بهانه بما يودُ ذهب الأصيل
 لو أمترج بسُلوِك آتسأجها ؛ الذي شيد قواعد هذه المرتبة السنية في أيامنا وجددها ،
 وبعث لها على فترة من الأكفاء من حسم الأذواء فكان مسيحها وشرع المعدلة
 فكان مَجدها ؛ وردّها بحكم الاستحقاق إلى من لا يُختلف في أنه صاحبها ، ورجعها
 إلى من خطبته لنفسها بعد أن أحجم لشرف قدرها خاطبها .

نمَّده على أن شدَّ أزر مُلكنا باكرم وزير ، وأمين مشير ؛ وأجلَّ من يتهى إلى
 بيت كريم ، وحسب صميم ، ومن إذا قال لسان مُلكنا : ((أَتُونِي به أستخلصه
 لنفسي)) قالت كفايته : ((أَجْعَلْنِي عَلَى نَخَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)) .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُقرِّبها سراً وعلناً ، وتُقربها
 هذه العقيلة الجليلة عند من يكسوها بجمده رفعة وسنا ، ويُلْبِسُ جفن الدهر عنها
 وسناً ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المخصوص بكل صاحب شهد الكتاب والسنة
 بفضله ، وقام بعضهم بحسن مؤازرته مقام من شدَّ الله [به] عضد من سألَه وزيراً من
 أهله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تغرب شمسها ، ولا يعزب أنسها ،
 ولا يتفاوت في المحافظة عليها غدُّها وأمسها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإنَّ أَوْلَى من حَظَّتْ بجمده الأقلام ، وأفتتحت به الدولة التي آبتسمت
 بنسيمها تُغور الأيام ؛ وودَّت مسكة الليل لو مازجت أنفاسه ، وأمل بياض النهار
 لوأخذ من غير سمة عوض ورق الورق قرطاسه ؛ وتحاشدت النجوم لتنتسق في سلك

معانيه وطارت بذكره فى الآفاق أنباء السُّعود، وحكمت الجُدود بأنه فى آفتاب
 إقباله نهاية الآباء وغاية الجُدود، وأقترت به تُغور المالك عن أحسن الدرِّ النُّصيد،
 وسرت بذكره رفاق الآفاق فى كلِّ نادٍ مُنادٍ وفى كلِّ برِّ بريء، وأختالت به أعطاف
 الدولة القاهرة فأوتت من الرأى السَّديد إلى كلِّ ركنٍ شديد، ونطق به العدل والحقُّ
 نخرس الظلم وما يُبدئ الباطل وما يُعيد، وجرت به أقدارُ ذوى الرتب على أجمال
 مناهجها فأما أهل العدل فيُقرَّبون نجيًّا وأما أهل الظلم فأولئك يُنادون من مكانٍ
 بعيد، وبدت به وجوه المصالح سافرة بعد الحجاب، بارزة بعد طول الأنتقال إلى
 الإنتقاب، داخله بوفود المحامد من كلِّ باب، إلا الظلم فإنه بحمد الله قد سدَّ ذلك
 الباب. وأقرَّ منصبُ الوزارة الشريفة أنا أعدنا به الحقُّ إلى نصابه، ورددناه إلى من
 هو أولى به بعد اغتصابه، والبسناه من بهجة أيامنا تاجاً ردَّ عليه عزراً لا تطمع
 يدُ الذهب فى آتراعه عنه ولا أستلابه؛ وتقليده لمن يودُّ الفرقُ لو عُقد به إكليبه،
 ويمتئى الطرف لو أدرك غاية تجديده وإن رجع وهو حسيرُ البصر كليله؛ وتفويض
 ذلك إلى من كان له وهو فى يدٍ غيره، ومن به وببيته تمهدت قواعدُه فما كان فيه
 من خير فهو من سيرتهم وما كان من شرٍّ فن قِبَل المُقصر من عثارهم فى سيره؛
 وما أُحدث فيه من ظلم فهو منه بُراء، إذ إثم ذلك على من أجتراً عليه، وما أُجرى
 به من معروف فإلى طريقهم منسوبٌ وإن تلبَّس منه بما لم يُعط من نُسب إليه؛
 وما خلا منهم هذا الدسُّ الكريم إلا وهم بالأولوية فى صدره الجلوس، ولا تصدئ
 غيرهم لتعاطيه إلا وأقبلت عليه فى أيامه الجُسوم وعِلية النفوس.

ولذلك لما كانت هذه الدولة القاهرة مفتحة بالبركات أيامها، ماضية بكفِّ
 الظلم ونشر العدل سُيوفها وأقلامها، مستهلةً بالارزاق مُحبُّ فضلها التى لا يُقلع

غمأمها - أقتضت الآراء الشريفة اختيار خير صاحب يُعين على الحق بآرائه، ويحمل
الدست بهجته وروائه، ويحجى الأرزاق بوجه لو تأمله أمرؤ ظاهي الجوانح
لأرتوى من مائه؛ وكان المجلس العالى، الصاحي، الوزيرى، التاحى: أدام الله
تعالى نعمته، ورحم سلفه، هو المخطوب لفضله، والمطلوب لهذا الدست الذى
تعين له دون الأكفاء وإن لم يكن غير أهله من أهله؛ وما زال يتشوف إليه تشوف
البروج إلى نجوم السعود، ويتطلع إلى محياه الذى هو كنور الشمس فى الدنو وكحلها
فى الصعود؛ وما زالت الأدعية الصالحة ترتفع فى أيامه لمالك عصره، والآراء تُقام
منها جنود لتأبيده وحشود لتصره، والأموال تُحمل منها إلى خزائنه بأشبه بموج البحر
فى الحضر دون حضره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - ضاعف الله مواهبه العميمة، وكل جلال دولته
بتفويض أمورها إلى ذوى الأصول العريقة والبيوت القديمة - أن تُحلى منه هذه
الرتبة العلية بما حلى به الدين، وتُعد له رايه فضلها المتين؛ ليتلقاها شرقاً وغرباً،
وبعداً وقرباً؛ وبراً وبحراً، وشاماً وميضراً، ويحلى حلاه علم وعلم، وسيف وقلم؛
ومنبر وسرير، ومأمور وأمير .

فلتلق أمره بالطاعة كل مؤتمر بأمرنا الشريف، جارٍ فى طاعتنا المفروضة بين
بينان التقليد وعنان التصريف؛ وليبادر إلى تدير أمور الأقاليم بأقلامه المباركة،
ويمض القواعد على ما تراه آراؤه المتزهة عن المنازعة فى الأمر والمشاركة؛ وليشرك كلمة
العدل التى أمر الله بإضافة الإحسان إليها، ويميت يدع الظلم فإن الله يشكره على تلك
الإماتة ويمجده عليها؛ ويسهل رزق الصدقات، ووظائف القربان، فإن ذلك من
أجل ما قدمته [الطائفة] الصالحة بين يديها؛ وليكثر بذلك جنود الليل فإنها لا تطيش
سهاؤها، ويتوق من محاربتها بظلم فإنه لا يداوى بالرقى سهاؤها، وليعود بتائم التيسير

مواهبنا فإن تمام النعمة تمامها ؛ وليطلق قلمه فى البسط والقبض وليعد بتديره على هذا المنصب الشريف بهجته ، ويتدارك بأرائه ذمائه وبدوانه مهجته ؛ ويصن عن شوائب الظلم حرمته ، ويخلص ذمتنا من المآثم وذمته ؛ وليعلم أن أمور المملكة الشريفة منوطة بأرائه وأحكامه ، مضبوطة بأقواله وأقلامه ؛ فليجعل فكره مرآة تجلو عليه صورها ، ويقيم آراءه صحفا تتلو لديه سورها ؛ ويأمر النواب بما يراه من مصالحنا ليلبوه سامعين ، ويسهر جفنه فى مصالح البلاد والعباد لترقد الرعايا فى مهاد الأمن وادعين ؛ ويعضد الشريعة المطهرة بتنفيذ أحكامها ، وإعلاء أعلامها ؛ وإظهار أنوارها ، وإقامة مرفعه الله من منارها ؛ ولا يعدل فى أمور مباشرتها بالممالك الشريفة عن آرائه ، ولا يمضى فيها عزلا ولا ولاية إلا بعد تتبعه الواجب فى ذلك وأستقرائه ، وهو أعلم بما يجب لهذه الرتبة من قواعد إليه يرجع فى أوضاعها ، وعليه يعول فى اصطلاحها لأضرارها فيه وأجتماعها ؛ فليفعل فى ذلك ما هو عليه بحسن الثناء جدير ، وليعتصم بالله فى أموره فإنه نعم المولى ونعم النصير ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتِبَ به للصاحب ضياء الدين بالاستمرار على الوزارة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى شدَّ أزر ملكنا الشريف ، بن أضاء فى أفق الدين علمه ، وشيد قواعد عدلنا المنيف ، بن أعلت منار الحق آياته فى أحكام الممالك وحلمه ، ووطد أركان دولتنا الفاهرة بن يفعل فى نكايه أعداء الله فعل الحرب العوان سلته ،

وأجرى الأرزاق في أيامنا الزاهرة على يد من كفت أعلامه كفت الحوادث
فلا عدوان تغشى ظلمه ولا عاد يحشى ظلمه ، وصان ممالكا المحروسة بأراء من إن
صرف إلى نكايه أعداء الله حد يراعه لم ينب موقعه ولم يعف كلمه ، وإن صرفه
في حماية نعر لم ينم برقه ولم يدق بالوهم ظلمه ، وإن حمى جانب إقليم عز على
الأيام ثل عرويش ما حماه وشمه ، وإن أرفقه لذب عن دين الله راعت عدو الدين
منه يقظته وسله عليه حلمه .

نحمده على نعمه التي زانت أسنى مناصب الدنيا في أيامنا الزاهرة بضياء الدين ،
وأعلت أقدار الرتب العليا بتصرفها بأراء من أصبح علمه علما للتقنين وعمله سنا
للقندين ، وبخرت بنايع الأرزاق في دولتنا القاهرة بيد من أغنى بيدنا المعتفين
وقمع بمهايقنا المعتدين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعاد يمينها على سمع المنابر من
نعوتها ما فقد ، وأطلق إعلانها عن حملتها لهب العناد وقد وقد ، وفوض أعتناؤنا
بمصالح أهلها أمورهم إلى أكل من أتقى لنا التأييد من ذخائر العلماء وأفضل
من أنتقد ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقامنا الله للذب عن أمته ، وجلا
بنور جهادنا لأعدائه عن قلب كل مؤمن ما أظلمه من غمه وران عليه من غمته ،
وعضدنا من أئمة ملته بن أردنا مصالح العباد والبلاد في إلقاء كل أمر إليه
بأزمته ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فاز بسبقه ، وحاز بتصديقه
قدم صدقه ، وأختصه الله بمؤازرة نبيه دون من آجته من خلقه ؛ ومنهم من
كان الشيطان ينكب عن طرقه ، ونطق من الصواب بما نزل الذكر الحكيم على
وقفه ، وسمى الفاروق لتمييزه بين الحق والباطل وفرقه ؛ ومنهم من قابل المعتدين

بِرَفْقِهِ وَقُتِلَ شَهِيدًا عَلَى حَقِّهِ ، وَكَانَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ تَسْتَحْيِيهِ مِنْ خُلُقِهِ الْكَرِيمِ
وَكَرَمِ خُلُقِهِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ طَلَعَ [لَا] مَعَ نُورِ الْإِيمَانِ مِنْ أَفْقِهِ ، وَكَانَ سَيْفُهُ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ
فِي دِينِ اللَّهِ بِمِثَابَةِ قِلَادَةِ عُنُقِهِ ، وَطَلَّقَ الدُّنْيَا تَوْرَعًا عَنْهَا وَبِيَدِهِ مِفْتَاحُ مَا بَسَطَ
اللَّهُ لِلْأُمَّةِ مِنْ رِزْقِهِ ؛ صَلَاةٌ يُقِيمُ الْإِيمَانَ ، فَرَضَهَا ، وَيَمْلَأُهَا الْإِيقَانَ ، طَوَّلَ الْبَسِيطَةَ
وَعَرَضَهَا ، وَتَزَيَّنَ كَوَاكِبُ ذِكْرِهَا وَمَوَاكِبُ نَصْرِهَا سَمَاءَ الدُّنْيَا وَأَرْضَهَا ؛ وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَىَّ مِنْ رُقِيَتْ لِأَعْطَافِ فَضْلِهِ حُلَّ الْكَلَامِ ، وَنُظِمَتْ لِأَجْيَادِ
ذِكْرِهِ فِرَائِدُ الْمَعَانِي الْمَسْتَخْرَجَةُ مِنْ بَحَارِ الْفِكْرِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَقْلَامِ ؛ وَوَسَّحَتْ التَّقَالِيدُ
مِنْ مَنَاقِبِهِ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ آتْسَاقِ الدَّرَارِيِّ عَلَى هَالَاتِ الْبُدُورِ ، وَجُلَّى عَلَى الْمَسَامِعِ
مِفَاحِرُهُ بِمَا هُوَ أَيْبَى مِنَ الثُّورِ فِي الْعَيُونِ ! وَأَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ فِي الْقُلُوبِ ! وَأَوْقَعَ مِنَ
الشِّقَاءِ فِي الصُّدُورِ ، وَأَطْلَعَ فِي أَفْقِ الطُّرُوسِ مِنْ أَوْصَافِهِ شَمْسٌ أَسْفَرَ بِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ
ضِيَاؤُهَا ، وَأُنْثِيَتْ فِي أَثْنَاءِ السُّطُورِ مِنْ نَعْتِ مَا ثَرَهُ سُحْبٌ إِذَا قَابَلَتْهَا وَجُوهَ الْحَيَا
سَتْرَهَا بِجُمْرَةِ الْبَرْقِ حَيَاؤُهَا ؛ وَأَوْدَعَتْ الْمَهَارِقُ مِنْ ذِكْرِ خِلَالِهِ لُطْفًا يَوَدُّ ذَهَبُ الْأَصِيلِ
لَوْ نَابَ عَنْ أَنْفَاسِهَا ، وَمُنِحَتْ صُدُورُ الْمَعَانِي مِنْ مَعَالِيهِ طَرَقًا نَتَقَى الرِّيَاضُ الْعَوَاطِرُ
لَوْ تَلَقَّتْ عَنْ أَنْفَاسِهَا - مِنْ سَمْتِ الْوِزَارَةِ بِأَسْتِقْرَارِهَا مِنْهُ فِي مَعْدِنِ الْقَضَائِلِ ،
وَأَسْمَتِ مِنْهُ بِالصَّاحِبِ الَّذِي أَعَادَتْ أَيَّامُهُ مَا قَعِدَ مِنْ مَحَاسِنِ السَّيْرِ الْأَوَائِلِ ؛
وَأَبْتَسَمَتْ مِنْ عُلُومِهِ بِالْعَلَّامَةِ الَّذِي تَنْفَرَعُ مِنْ أَحْكَامِهِ أَحْكَامُ الْفُرُوعِ وَتَنْتَجِرُ مِنْ
تَوَاقِعِهِ عُيُونُ الْمَسَائِلِ ، وَأَنْصَفَتْ مِنْ مَعْدَلْتِهِ بِالْمُنْصِفِ الَّذِي هَجَرَ فِي أَيَّامِهِ هَجِيرَ
الْحَيْفِ وَالظُّلْمِ فَالْأَوْقَاتُ فِي أَيَّامِهِ الْمُبَارَكَةِ كُلُّهَا أَسْحَارٌ وَأَصَائِلُ ؛ وَأَبْتَهَجَتْ مِنْ إِنْصَافِهِ
بِالْعَادِلِ الَّذِي سَهَّلَ عَلَى ذَوِي الْمَطَالِبِ حِجَابَ بَابِهِ فَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يُطْرَقَ بِالشِّفَاعَاتِ
وَلَا أَنْ يُسْتَفْتَحَ بِالْوَسَائِلِ ، وَأَشْرَقَتْ مِنْ مِفَاحِرِهِ بِالْكَامِلِ الَّذِي حَسُنَتْ بِهِ حُلَّ

الثناء فكانتها آبتسامُ تُغور النور في أثناء الخمائل ؛ فالعدل في أيامه كالإحسان شامل ،
 والمعروف بأقلامه كالسُحْب المتكفلة برى الأرض الهامل ، والظلم والإنصاف
 مفترقان منه بين العدم والوجود فلا يرى بهذا أمرا ولا يُردُّ عن هذا أمل ؛ قد أعطى
 دَسْت الوزارة الشريفة حَقّه : فالأقدار بآياته مَرْقُوعه ، والمضائر بمعذته مَدْقُوعه ،
 وكلمة المظلوم بإنصاف إنصاته مسمُوعه ، وأسباب الخيرات بِحُسْن نيته لنتيته الحسنة
 بِمُجُوعه ؛ والأقاليم بِكَلَاءة أقلامه مَحُوطه ، وأحوال المملكة بآرائه المشتملة على
 مصالحها مَنُوطه ؛ والثغور بِحُسْن تفقده مَفْتَرَة المَبَاسِم ، مَصُونَة بإزاحة الأعدار
 عن مَرِّ الرياح النواسم ، أهلة النواحي بموالاة الحمول التي لا تَرَال عيشها بإدامية
 السرى دامية المناسم ؛ والبلاد بما نَشَرَتْ أقلامه من العدل معموره ، والرعايا
 بما بسطت [بِد] إحسانه من الإحسان مغموره ، وأرباب التصرف بما تقتضيه
 أقلامه عن الحيف منهيّة وبالرفق مأموره ، والأيدى بالأذعية الصالحة لأيامنا
 الزاهرة مرتفعه ، والرعية لتقلبها في مهاد الأمن والدعة بالعيش متفعه ؛ وبيوت
 الأموال أهلة ، على كثرة الإنفاق ، والغلال متواصلة ، مع التوفر على عمارة البلاد ،
 والحمول متواليّة مع أمن من صدرت عنهم على ما في أيديهم من الطواريف والتلاد ؛
 والأمور بالتيقظ لها على سعة الممالك مضبوطة ، والثغوس بالأمن على ما هي عليه
 من التملّى بالنعم مغبُوطه ؛ والمناصب مَصُونَة باكفائها ، والمراتب أهلة بالأعيان
 الذين تنبّهت لهم في أيامه عيون الحظ بعد إغفائها ؛ وبجالس المعدلة حاليّة ، بأحكام
 سيرته المنصفه ، ومواطن العلم عاليّة ، بما يملئ فيها من فوائده التي أتعب السنة
 الأقلام ما فيها من صفه .

ولما كان الجناّب العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الضيائى ، وزير الممالك
 الشريفة ، هو الذى كُرِّمت به مناسبتها ، وعظمت بالانتماء إليه مناصبها ، وتحلّت

بعلمه معاطفها ، ونزلت على حكم حلمه عوارف رها العميمة وعواطفها ؛ وزهت
 بجواهر فضائله أجيادها ، وأستوت في ملبس حل المسرة به أيامها الزاهية
 وأعيادها ؛ وأنارت بمعدننه لباليها ، وأشرقته بالانتظام في سخاب^(١) لبالته لآليها ؛
 فكّم من أقاليم صان قلبه أموالها ، وممالك حلى عدله أحوالها ، وبلاد أعان تدبيره
 السحب على ربها ، وأعمال أبان عن استغنائها بتأثيره عن منة الحيا حسن مسوعها
 ومرئيتها ؛ وأرزاق أدزها ، ورزق أجزها على قواعد الإحسان وأقرها ؛ وجهات بر
 أعان واقفيها عليها ، وأسباب خير جعل أيامنا بإدامة فتحها السابقة إليها ؛ وقدم
 سعاية أزالها وأزتها ، وكلمة حادثة أذالها وأذتها ؛ ووجوه مضرّة ردها بسيد المعدلة
 وصدّها ، وأبواب ظلم لا طاقة للرعية بسلو كها أغلقها بيمنى يمنه وسدّها ؛ فدأبه أن
 يسدّد إلى مقاتل العدا باتخاذ اليد عند الفقراء سهام الليل التي لا تصدّها الدروع ،
 وأن يجدد لأوليائنا من عوارف آلائنا أخلاف بر تروى الآمال وهى حافلة الضروع -
 أقتضت آراؤنا الشريفة أن تُزىن بحجده غرر التقاليد ، ونجدد إليه فى أمور وزارتنا
 الشريفة إلقاء المقاليد ؛ وأن نوثى الطروس من أوصافه بما يجدد على أعطافها
 الخبر ، ونزدد على السنة الأقاليم من نعوته مالا تملّ المسامح إيراد الخبر منه بعد الخبر .
 فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى ، المولى ، السلطانى ، الملكى ، الفلافى -
 لزال الدين فى أيامه الشريفة مشرقا ضياؤه ، أهلة باعتلائه مرايع الوجود وأحيائه ،
 ممدودة على الأئمة ظلالة الوارفة وأفياؤه - أن يجدد هذا التقليد باستقراره تجديدا
 لا يبلى الدهر حله ، ولا تقوض الأيام حله ؛ بل يُشرق فى أفق الممالك إشراق

(١) السخاب بكسر السين المهملة وبالضاء المعجمة قلادة من مسك وفرقل ومحب بلا جوهر

جمه ككتب .

(٢) جمع حلة بالكسر بمعنى البيوت وهى مائة فسا فوقها انظر المصباح .

النجوم الثوابت ، ويتفرع في مصالح الملك تفرع الأفتان الناشئة في الأصول الثوابت ؛
وتختال به مناصب الدولة القاهرة في أسنى ملبسها ، وتضيء به مواطن العلوم إضاءة
صباحة المصباح في يد قابسها ؛ وتسترع لنا به الأدعية الصالحة من كل لسان ،
وتجتلي به لأيامنا الزاهرة من كل أفق وجوه الشكر الحسان .

فلتجر أفلامه في مصالح دولتنا الشريفة على أفضل عاداتها ، ويرسلها في نشر العدل
على سجيئتها وفي إجراء الجود على جادتها ، ويكف بها أكتف الحوادث فإنما تزال
أسباب الظلم بحسب مادتها ؛ ولينطقها في مصالح الأموال بما تظلل له مسامع الجمول
مضغيه ، ويطلقها في عمارة البلاد بما تغدوله ألسنة الخصب حافظه ولما عده
ملغيه ؛ وكذلك الخزائن التي هي معقل الإسلام وحصونه ، وجماه الذي لا يتبدل
بغير أمرنا الشريف في مصالح الملك والملة مضمونه ؛ فليجعلها بتدييره كالبحار
التي لا تنقص بكثرة الورد حامها ، ولا تترجحها السحب لكثرة ما تحمل إلى الآفاق
عمامها ؛ ولتكن كلمة العدل من أهم ما تفتح به مجالسه ، وآكد ما يؤمر به محاضره
من الأولياء ومجالسه ؛ وأزكى ما يستجيد [به] لاستثمار الدعاء الصالح مغارسه ،
وأوثق ما يحوط به حمى الملك الذي إذ اغفا جفن عينه كان حارسه . وأول ما ينبى
أن ينافس عليه حاضر دسه وغائبه ، وأولى ما يعبد على إهماله نكاله ويعتد على
إقامته رغبته .

ولياحظ من مصالح كل إقليم ما كأنه ينظر إليه بعين قلبه ، ويمثل صورته
في مرآة لبه ؛ فيقتل كل أمر على ما يراه من سداده ، ويقرر حال كل نعر على
ما يحصل به المراد في سداده ؛ فيغدو لأعداره بموالاته الجمول إليه مزيحاً ، وبمسي
بسد خاله لخواطر أهل الكفر متعباً ولخواطرنا الشريفة مزيحاً ؛ وينظر في أحوال

من به من الجُند والرجال بما يؤكّد الطاعة عليهم ، ويجتدّد الاستطاعة لديهم ؛
 ويُزيل أعدّارهم وأعدّارهم [بوصول حقوقهم اليهم ، ويوفّرهم على إعداد الأهبة
 للأعداء] إذا أتوهم من قورهم ، ويكفّهم بإدراك الأرزاق عليهم عن أعدائهم
 على الرعايا وجورهم ؛ ويتفقّد من أحوال مباشريها وولاية الحكم والتحكّم فيها
 ما يعلمون به أنه مناقشهم على الأمور اليسيره ، والحقوات التي يرونها قليلة وهي
 بالنسبة إلى كثرة الرعايا كثيره ؛ ويتعهّد أمور الرتب الدينيّة فلا تؤخّد مناصبها
 بالمناسب ، ولا تغدو أوقافها المعدّة لاكتساب العلوم في المكاسب ؛ بل يتعين أن
 يرتاد لها العلماء الأعيان حيث حلّوا ، ويُقرّر في رتبها الأئمة الأكفاء وإلا آتخذ
 الناس رؤوساً جهّلاً فضّلوا وأضلّوا . ولكن أعلامه على كلّ ما جرت به العوائد
 في ذلك محتويه ، وأيامه على أكمل القواعد في ذلك وغيره منظويه ، فما تمّ شيء من
 قواعد الوزارة الشريفة خارج عن حكمه فليكتب يمثّل ، وليقل في مصالح دولتنا
 القاهرة يَكُن قوله أمضى من الطبّ وأسرى من الصّبا وأسير من المثل ؛ فلا تُمضى
 في ذلك ولاية ولا عزّل ، ولا منع ولا بدّل ، ولا عقد [ولا] حل ؛ إلا وهو معدوق
 بأرائه ، متوقّف على تنفيذ وإمضائه ؛ متلقّ ما يقتر فيه من تلقائه ، وفي الاكتفاء
 بسيره ما يُفنى عن إطرانه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة :

الحمد لله الذي شدّد لدولتنا القاهرة باصطفاء أشرف الوزراء أزراراً ، وخصّ أيامنا
 الزاهرة باجتماع من حماها عدله أن تَضَع أو تَحْمِل وزراً ، وأفاض إنعامنا على من طلع

(١) الزيادة من التقليد الآتي بعد .

في أفق خدمتنا هلالاً وأستقل بحسن السير والسيرة بديراً، وضاعف إحساننا لمن [لا] نرفعه إلى رتبة شرف إلا وكان أجل الأكفاء على ذلك قدرة وقدرًا، وجمل ملكنا من إذا افتخرت الدول ببعض مناقبه كفاها ذلك جلالاً ونخراً، وإذا أدخرت تديره وبذلت ما عداه فحسبها ما أبقته وقايةً لللك وذخراً، وبسط عدلنا في الأقاليم بيد من حين أمرنا القلم بتقليده ذلك سجد في الطرس شكراً، وأفتتح بحمد الله يذكر النعمة به على آلائه إن في ذلك لذكرى، وأخذ في وصف درر مفاخره التي تمثلت له فنصدها دون أن يستدعي رويته أو يعمل فكرًا.

نحمده حمد من والى إلى أوليائه، مواد النعم، وأضفى على اصفياه، ملايس الكرم، وحفظ لمن أخلص في طاعته معارف معروفة التي هي في أهل النهى ذم، ونبه لمصالح رعاياه من عم عدله وإن لم يقف عن ملاحظة أمورهم ولم يتم.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نعلنها ونعلينا، ونرخص أرواح جاحديها ونعلينا، ونوالى النعم على المتمسك بها ونولينا، وتقرب بيمينها رتب الأولياء من إحساننا وندينها، ونجدد لهم بتأييدها ملايس المنن نظهر عليهم آثار النعم السنية فيها، ونرفعهم بحسن عنايتنا إلى أشرف غاية كانوا يسرون أهليتهم لها والله يبيدها؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أقامنا لنصر دينه فقمنا به كما أمر، وأبقى على أيامنا حكم أيامه فاستمر الحال على ما سبق به دعوته من تأييد الدين بعمر، وخصنا ممن ينتمى إلى أصحابه بأجل صاحب ينوب عن شمس عدلنا في محور ظلمة الظلم مناب القمر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الزهر الغرر، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن أولى من اختيرت جواهر الكلام لرصف مفاخره، واختيبت غرر المعاني لوصف آثاره في مصالح الإسلام وما أثره؛ وقامت خطباء الأقلام على منابر

الأنامل بشيرة بُين أيامه ، وتطلعت مُقل الكواكب مشيرة إلى ما أقبل على الأقاليم
 من إقباله وتحت نُحُب أعلامه ؛ وتبرجت زُهر النجوم ليتنظم في عقود مناقبه
 سعودها ، وتأرجحت أرجاء المَهَارِق إذ تبَّج من ليلٍ عن بخر عمودها ؛ وسارت به
 أنباء السُعود والقلم الناطق بذكره وهو الخلق الميمون طائرُه ، والطرس الموشع بشكره
 وهو الخلق الذى تملأ الدنيا بشائره - من استخلصته الدولة الفاهرة لنفسها فتملاها
 عينا وسريرها قلبا ، وأختصته بخواصها الشريفة فرحب بها صدرا ولبأها لبأ ، وكلف
 بمؤازرتها لذاتها حتى قيل : هذه (تراود فتأها عن نفسه قد شغفها حبا) ؛ وأحلته
 من وزارتها الشريفة بالمكان الأسمى والحرم الحريرى ، وأثنت على فضله الأسمى بلسان
 الكرم البسيط الوجيز ، وأعمدت في أمور رعاياها على ما فيه من عدل وورع لا يُنكر
 وجودها من مثله وهو فى الحقيقة عمر بن عبد العزيز ؛ وأدنته عنايتنا منا لما فيه
 من فضل عظيم ، وحسب صميم ، ونسب حديث مجده قديم ، وأصالة إذا أفتخرت
 يوما تميم بقومها قالت أين تيممك من جدّه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تميم ؛ وغرسته لنفسها وطال ذلك الغرس وطاب الثمر ، واعتضدت بتدييره
 فكان له عند أطراف العوالى فى مكانه الأعزّ أطرف سمر ، ووثقت بما فيه من
 عدل ومعرفة لا يُنكر من نحا الصواب اجتماعهما فى عمر ؛ وأشتقت له بإحساننا من
 نسبه ووصفا جميلا ونعا جليلا ، وخصته لمزية ذلك الاشتقاق بمزيد قُرْبنا فامسى
 فى خدمتنا جليلا وأصبح خليلا ؛ ورعت له ما قد تم من تدير أتي عليه بنفسه ،
 وسدادٍ ظهرت مزية كل يوم منه على أمسه ؛ وسعي جميل ما برح فى مصالح
 الإسلام رائحا وغاديا ، واجتهاد فى أمور أهل الجهاد ما برح يدأب فيه علما بما أعد
 الله لمن جهز ظاريا ؛ ودان له من حُسن ملاحظته الأمور ما ليس للوصف به من

قَبْلَ ، وَتَأَمَّلَتْ مَا يَكْشِفُ لَهُ عَلَى الْبُعْدِ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي يَأْمُرُ بِالصَّوَابِ فِيهَا وَكَيْفَ
لَا وَعُمَرُ الَّذِي شَاهَدَ السَّرِيَّةَ عَلَى الْبُعْدِ مِنْ سَارِيَةِ الْجَبَلِ ، وَأَيَقَنْتُ بِتَسْطِطِ الْعَدْلِ
فِي الرِّعَايَا إِذْ هُوَ مُؤْتَمِرٌ وَالْعَادِلُ أَمْرٌ ، وَتَحَقَّقْتُ عِمَارَةَ الْبِلَادِ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّ عُمَرَ بِحُكْمِ
الْعَدْلِ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ طَامِرٌ .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ الْمَجْلِسَ الْعَالِيَّ الْفَخْرِيَّ - ضَاعَفَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي قَرَّبَتْهُ
طَاعَتُنَا نَجِيًّا ، وَرَفَعَتْهُ وَوَلَّيْنَا مَكَانًا عَلِيًّا ، وَحَقَّقَ لَهُ أَجْتِهَادَهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ الْأَمَلِ
مِنْ رِضَانَا وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ، وَأَخْلَصَ فِي خِدْمَةِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ فَاتَّخَذَتْهُ
لِخَاصِّ الْأُمُورِ وَعَامَّتِهَا صَفِيًّا ، وَأَظْهَرَ مَا بَطَّنَ مِنْ جَمِيلِ أَجْتِهَادِهِ بِفِعْلَتِهِ لِمَصَالِحِ الْمُلْكَ
وَزِيرَا وَصَاحِبِيًّا وَوَلِيًّا ، وَأَنْجَزَتْ مِنْهُ لِنَتْدِيرِ أُمُورِ الْمَمَالِكِ مَا كَانَ الزَّمَنُ بِهِ مَا طَلَا ،
وَأَجْرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الَّتِي هِيَ مَلِيَّةٌ بِتَصْرِيفِ الْأَرْزَاقِ مَا لَا يَبْرَحُ غِمَامُهُ هَاطِلًا ، وَقَلَّدَتْهُ
رِعَايَةَ الْأُمُورِ وَأُمُورَ الرِّعَايَا عَلِيمًا أَنَّهُ لَا يَتْرِكُ لِلَّهِ حَقًّا وَلَا يَأْخُذُ بِاطِلَا ، وَقَلَّدَتْ جَيْدَهُ
بِأَسْنَى حِلِّيْ هَذِهِ الرَّتْبَةِ الْجَلِيلَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا بِحُكْمِ قُرْبِهِ مِنْهَا عَاطِلًا ، وَرَفَعَتْ لَهُ
لِوَاءَ عَدْلِ مَا زَالَ لَهُ بِالْمُنَى فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ حَامِلًا ، وَكَلَّمَتْ لَهُ بِبَلُوغِ الْغَايَةِ مِنْ أَفْقِ
الْعُلُوفَةِ قَدْرَهُ وَمَا زَالَ الْمُؤَهَّلُ لِلْكَالِ بِاعْتِبَارِ مَا يَتَّوَلُّوهُ إِلَيْهِ كَامِلًا ، وَتَوَهَّتْ بِذِكْرِ
وَمَا كَانَ لظُهُورِ مَحَامِلِ هَذَا الْمَنْصِبِ الْجَلِيلِ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ خَامِلًا ، وَنَظَرَتْ الرِّعَايَا
فَمَا عَدَلَتْ بِهِمْ عَنْ بَرِّ رَفِيقٍ ، وَصَاحِبِ شَفِيقٍ ، وَوَزِيرِ عُمَرَى السَّيْرَةِ مَسَلِّكَ طَرِيقَا
إِلَّا وَعَدَلَ شَيْطَانُ الظُّلْمِ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ هَذَا الْمَنْصِبُ الْجَلِيلُ غَايَةَ مَدَارِ
الْمَمَالِكِ عَلَيْهَا ، وَقِبْلَةَ تَوَجُّهِ وَجْهِ أَهْلِ الطَّاعَةِ فِيمَا يُفَاضُ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَتِنَا إِلَيْهَا ،
وَهُوَ الَّذِي يَتَدَرَّعُ صَاحِبُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ لَبُوسًا ، وَيَعَالِجُ مِنْ أَدْوَاءِ الْمَهَامِّ مَا بَغِيرَ
عِزَائِمِهِ لِأَيُّوسَى ، وَيَتَرَدَّدُ فِي الْمَخَالِصَةِ وَالْمُنَاصِحَةِ مِنْ مَالِكِ أَمْرِهِ بِمَسْتَزَلَّةِ هَارُونَ
مِنْ مُوسَى - أَقْتَضَتْ آرَائُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تُفَوَّضَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ نَهَضَ فِي طَاعَتِنَا

الشريفة بما يوجب ، وعلمنا تحرزه لدينه ولنا فيما ياتي ويختبئ ؛ ومن تزد به مع نغره أيامنا الشريفة نغرا ، ويصبح له مع ماله من الجلالة في نفسه رتب جلالة أخرى .

ولهذا رسم بالأمر الشريف العالى المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى : -
لا زال يصرف الأقدار بيمين أيامه ، ويصرف الأقدار بيره وإنعامه ، ويدر على الأولياء وأهل جوده الذى تحجل الديم من دوامه - أن تفوض إليه الوزارة الشريفة الكاملة على جميع الممالك الإسلامية : شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ؛ وبرأ وبخرا ، وشاما ومضرا ؛ على أجهل القواعد فى ذلك وأكملها ، وأسنى الفوائد وأفضلها ، وأتم الأحوال التى يستغنى بجمعها عن مفصلها .

فليعط هذه الرتبة من جلالة حقا كانت من إبطائه على وجل ، ويجار النعمان بوابل إنعامنا الذى يعلم به ان حمرة البرق فى أثنائه نجمل ؛ ويطلق قلمه فى مصالح الدولة القاهرة بسطا وقبضا ، وإراما وتقضا ، وتديرا يعين النيل والنعمان على تتبع المحل ما وجد كل منهما أرضا ؛ ويعمل آراءه المباركة تديرا للناجح وتديريا ، وتقريرا للقواعد وتقريبا ، ونظرا يجعل لكل عمل من ملاحظته نصيبا ، وفكرا يحاسب به على حقوق الله وحقوق خلقه فإن الله هو المناقش على ذلك (وكفى بالله حسيبا) .

ويبدأ بالعدل الذى رسم الله به وبالإحسان فى ملكنا الشريف ، ويخفف - مع الجمع بين المصالح - عن خلق الله الوطأة فإن الإنسان ضعيف ، ويحجز لأولياء دولتنا مواد الارزاق فإن سيف المنع الذى نحاشى أيامنا عن تجريده أقل نكايه من التسويف ، ويمنع الولاة من ظلم الرعايا باعتبار أحوالهم دون أقوالهم فإن منهم من يدعى العدل ويؤور ويظهر الرفق ويحيف ؛ ولتتبع أدواء المحل تتبع طبيب خبير ،

وَيُصْرَفُ الْأُمُورَ بِجَمِيلِ تَدْبِيرِهِ فَإِنَّ الْبَرَكَتَةَ مَعْدُوقَةٌ بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ ؛ وَيَسْتَقْبَلُ رَىَّ
 الْبِلَادِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بِسَدَادِ حَزْمٍ يُغْتَفَرُ بِهِ هَذَا الْقَلِيلُ لِمَا لَكَ الْكَثِيرُ ،
 وَيَسْتَخْلِفُ بِالرَّفْقِ وَالْعَدْلِ أضعافَ مافاتٍ فِي أَمْسِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . وَلِيَهُمْ
 بُيُوتُ الْأَمْوَالِ فِيُوالى إتيانَ الْحُمُولِ إِلَيْهَا مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَيَضَاعِفُ بِهَا الْحِوَالِ الَّتِي
 لَا يُطَّلَعُ بِغَيْرِ حُسْنِ التَّدْبِيرِ عَلَى أَسْبَابِهَا ، فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الذَّخَائِرِ وَمَوَارِدُ الرِّجَالِ ، وَإِذَا أَعَدَّ
 مِنْهَا جِبَالًا شَوَائِحَ تَلَا إِنْفَاقَنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ .

وكذلك الخزائن التي هي معاقل الإسلام وحصونه ، وحماء الذي لا يُبتذل بغير
 أمرنا الشريف في مصالح الملك والملة مصونه ، فيجعلها بتدبيره الجميل كالبحار التي
 لا تنقص بكثرة الورد جامها ، ولا تترجها السحب على كثرة ما تجمل إلى الآفاق
 غمامها ، وليلاحظ من مصالح كل إقليم بما تمثله له على البعد أفكاره ، ويامر
 في أحوال من به من الجند بما يؤكد الطاعة عليهم ، ويمجد الاستطاعة لديهم ، ويريح
 أعتادهم وأعتادهم بوصول حقوقهم إليهم ؛ ويوفوهم على إعداد الأهبة للأعداء إذا
 أتوهم من قورهم ، ويكفهم بإدراك الأرزاق عليهم عن أعتادهم على الرعايا وجورهم ؛
 ويعمل ثغور كل جانب - بتيسير محصونها ، وتتمير ذخائرها التي هي من موارد رجالها -
 مصفحة بالصفاح ، مشرقة بأسنه الرماح ، مسدودة من جهة العدو عنها مسالك
 الرياح ؛ ويتفقد من أحوال مباشريه ، وولاية الحكم والتحكيم فيه ؛ ما يعلمون به أنه
 مناقشهم على الأمور اليسيرة ، والهفوات التي يرونها قليلة وهي بالنسبة إلى كثرة
 الرعايا كثيرة ، والأحوال التي إذا عددها الكتاب عليهم قالوا : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا
 الْكِتَابِ لَا يُغَايِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ ، ويتعاهد أمور الرتب الدينية فلا تؤخذ مناصبها
 بالمتاسب ، ولا تُعد رزقها المعدة لاكتساب العلم في المكاسب ؛ بل يتعين أن يرتاد

لذلك العلماء الأعلام حيث حلوا ، ويقرر في مراتبها الأكفاء وإلا آتخذ الناس
 رؤوساً جهالاً فضلاً وأصلوا ؛ وقد جعلنا [أمره] فى ذلك جميعه من أمرنا ، فليقل
 يُمتثل ، وينشر كلمة عدلنا التى يسير بطريقها المثلى المثل ؛ ولا تُمضى 'ولاية' ولا عزل ،
 ولا منع ولا بئل ، ولا عقد ولا حل ؛ الا وهو معدوق بأرائه ، متلقى من تلقائه ،
 متوقف على تنفيذ وإمضائه ؛ وقد اختصرنا الوصايا ، آكتفاء بما فيه من حُسن
 الشيم ، واقتصرنا على ذكر بعض المزايا ، إذ مشله لا يُبدل على صواب ولا يُزاد ما فيه
 من كرم ؛ لكن تقوى الله أولى ما دُكر به من لم يزل لربه ذاكراً ، وأحق ما شكر على
 التوفيق من لم يبرح له به شاكراً ؛ والله يزيد قدره اعتلاء ، ويضاعف للدولة الشريفة
 احتفالاً بشكره واعتناء .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة .

الحمد لله الذى شدّ أزر الملك من الوزراء بالمكين الأمين ، وأشرك فى أمر ملكه
 من هو على صلاح الجمهور خير معين ؛ وألقى مقاليد حُسن تديره لمن دلت عليه بركة
 الاستخاره ، وصوب أمر دقيقه وجليله لمن هو بلجمل الثناء المعنى وإليه بنان
 الاجتباء الإشارة ، وناول كتابها لمن هو أحق بحمل أعبائه ، ورقى منصبها لمن
 لأشبهه بأنه الحقيق باستعلائه ؛ وناول قلم إعطائها ومنعها لواضع الإشارة فى محلها ،
 وعدق تثير أموالها بمن لا يأخذها بمقتضى يديه إلا من حلها .

نحمده على حُسن إلهامه ، وشريف إلهامه ؛ ونشهد أن لا إله الا الله وحده
 لا شريك له شهادة عبدٍ مخلص فى أدائها ، محق فى إعادتها وإبدائها ، ونشهد أن محمداً

عبدہ ورسولہ خیر منّ ہو بالحقّ مبعوث وبالصدق منعوت ، صلی اللہ علیہ وعلیٰ آلہ وصحبہ صلاۃ لاتزال مستمرّة فی کلّ وقت موقوت ؛ وسلّم تسلیما کثیرا .

وبعد ، فإنّ ید الوزارۃ ہی الید الباسطۃ فیما قلّ وجلّ ، والمتحکّمة فیما عدق بالملک من کلّ عقّد وحلّ ؛ والموقوف عند إشارة بنانها وإلیها التحکم فی کلّ إعطاء ومنع ، وتفريق وجمع ؛ وعزیز وولایہ ، ونهایۃ کلّ نہی وأمر وما لها من غایہ ، وربّها من الملک کالرّوح الباصرۃ من العین ، واللسان المعبر عن کلّ زین وشین ؛ وحسبہ أنه فی المحلّ من ذات الیمین ، ومن مکانتہ التّمکن فی الحرز الحصین ؛ ولهذا لا یؤهل لها إلا من آنعد علی سؤدده الإجماع ، وأنقطعت دون لحاق شرفه الأطماع ؛ وتاصل فی نخارها وتفرّج ، وقام بفروض کفایۃ کفالتها وتطوع ؛ وسار حدیث مناقبہ فی الآفاق ، وجاء بالاختیار والاختبار بالوفاق ؛ وحسن صورة ومعنی ؛ وتعددت مناقبہ فدلّت علی أنه الفرد إذا أسقت عقوده مثنی مثنی . وكان المجلس العالی الفلانی ربّ حوزتها وسریرها ، وروح بصر مرّیمق هذه الحامد وإلیه [أمر] مصیرها ؛ والذي حکمت له السیادة بمنالها وحکمتہ ، وأوضحت بأصالتها وجه الصواب فی اختیارها وأحکمتہ ؛ وقد حاز من متفرّق لوازمها ما تفرّق فیمن سواه ، وحوی من أدواتها [مادل] علی أن الله خلقه فسوّاه ؛ إن قال فالصواب موکّل بمنطقه ، أو صمت فعظم مهابته قائم بمجیل الخلق لا تخلّقه ؛ قد جمع إلى التواضع فرط المهابه ، وإلى الابتداء بالمعروف حُسن الإجابہ ؛ إن ذکرت الصدارة فهو مالک زمامها ، أو الریاسة فهو غرّة لئامها ؛ أو الکفالة فهو مُصرف عنانها ، أو الوزارۃ فهو عین أعیانها ؛ لم ترل ربّتها متشوّقة لحلولہ ، ممهّدة لشریف تأهیلہ .

ولما تحلّى منها بهذه الخلق ، وسار حديث ملاءمته بتحويلها في الملاء ، وتلا لسان
القلم سور هذه المحاسن وتلا الثاني بالأول منها إذا تلا ؛ رُسم بالأمر العالى - أمتعه
الله بما وهبه من حُسن مؤازرته ، وشدَّ عضد مملكته بالإمتاع بربح حُسن معاملته
لله وله ولتساجرته - أن تُفوض الوزارة المفخّمة ، المكرمة المبعجلة المعظمة ؛ للشار
إليه : تفويضا عاما للقريب من مصالحها والبعيد ، والطارف والتليد ؛ والمقيم
والنازح ، والغادى والرائح ؛ والسايح والبارح ، والباغم والصادح .

فليباشر ما فُوض إليه منها مباشرة مثله لمثلها ، وليعطها من نيئه مناسب نيئها ؛
وليأخذ أمرها بكنة يديه ، وليعبرها جانباً من احتفاله ليظهر عليها آثار سُودده كما ظهر
شريف تحوّلها عليه ؛ وليطلق فيها لسان نهيه وأمره ، وليعمل في مصالحها صالح
فكره ؛ فقد عُدقت به مهامها : جليلها وحقيرها ، وقليلها وكثيرها ؛ وأميرها
ومأمورها ، وخليئها وضريرها ؛ وناعقها وناعبها ، وكاسيها وكاسبها ؛ ودانيتها وقاصيتها ،
وطائعتها وعاصيتها ، ومستقبلتها وحاملها وماضيها ، وواليها وقاصيتها ؛ ثقة بتمام تديره ،
وحيد تائيره ، وأنه إن حكم فصل ، وإن قطع أو وصل كان الخزم فيما قطع ووصل ؛
إذ هو الوزير الذى قد صُرف عن عمل الأوزار وسار ، إلا أنه في كل منهج سار ؛
تقطر السيادة من معاطفه ، وتجنّج ثمر المني من أغصان قلبه يد قاطفه ؛ لاشئ يخرج
عن حُكمه ، ولا مصلحة تعزب عن علمه ؛ فولاية الحكام معدوقة بإشارته ، موقوفة
على ما يشيئه ببلغ عبارته . ومع جلالة قدره لا يحتاج إلى التأكيد في الأموال وأستندار
أخلافها ، والرعايا والأستدامة بالإحسان ودّ أخلافها ؛ وبيوت الأموال وأستيداء
حقوقها ، ومراعاة جانبها إذ هي الأم الحنونة بتجنّب عقوقها . والخزائن فهو أدرى
بما يجب من تضيق صدرها بالمناقيص عن الإئسراح ، والأهتمام بمحوصل تشريفها
المستجلية إفاضة ملابسها قلب من غدا وراح ؛ وتمّ دقائق ، هو أدرى بما لها من

طرائق ؛ وحقائق ، هو أعرف إذ كان فيها الفائق الراجح ؛ فهو - أجله الله - غنى عن تفصيلها ، وذهنه أشرف عن الوصايا المنسوبة لتوصيلها ؛ والله تعالى يقدر له وبه الخير ، ويمتدح بحسن تديره المقرون بجميل السريرة والسير ؛ والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية وزير أوردها في " التعريف " وهي :

يُوصَى بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ رَقِيبٌ ، وَإِلَيْهِ أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ ؛ فليجعلهُ
 أمامه ، وليطلب منه لكل ما شرع فيه تمامه ؛ وليجمل رأيه في كل ما تشد به الدولة
 أزرها ، وتُسند إليه ظهرها ؛ وليجعل العدل أصلا يبني على أسسه ، والعمل في أموره
 كلها لسلطانه لا لنفسه ؛ وليدع منه الغرض جانبا ، وحفظ النفس الذي لا يسدو
 إلا من العدو ليصدق من دعاه صاحبا ؛ وليبصر كيف يتمر الأموال من جهاتها ،
 وكيف يخلص بيوت الأموال بالاقصار على الدرهم الحلال من شبهاتها ؛ وليتزه مطاعم
 العساكر المنصورة عن أكل الحرام فإنه لا يسمن ولا يغني من جوع ، ولا يرى به
 من العين إلا ما يحرم الهجوع ؛ وليحذر من هذا فإن المفاجئ به كالخاتل ، وليتجنب
 إطعام الجند منه فإن [أكل] الدرهم الحرام ما يقاتل ؛ وليحسن كيف يولى ويعزل ،
 ويسمن ويهزل ؛ وعليه بالكفاة الأمانة ، وتجنب الخونة وإن كانوا ذوي غناء ؛ وإياه
 والعاخر ، ومن لورأى المصلحة بين عينيه ألقى بينه وبينها ألف حاجز ؛ وليظهر بابه ،
 ويسهل حجابته ؛ ويفكر فيما بعد أكثر مما قرب : مقدما للأهم فالأهم من المصالح ،
 وينظر إلى ما غاب عنه وحضر نظر المساي والمصايح ؛ ولا يستبدل إلا بمن ظهر
 لديه عجزه أو ثبتت عنده خيائته ، ولا يدع من جميل نظره من صحته لديه كفايته ،

أو تحققت عنده أمانته ؛ وليس لك أqvصد الطرُق فى أمر الرواتب التى هى من صدقاتنا الشريفة وصدقات من تقدم من الملوك ، وهى إما لمن وجب له حق وإن كان غنياً أو عرف صلاحه وهو صعلوك ؛ وكذلك ما هو لأيتام الجند الذين ماتوا على الطاعة ، وأمثالهم من خدم دولتنا القاهرة بما استطاعه ؛ فإن غالب من مات منهم لم يخلف لهم إلا ما نسمح لهم به من معروف ، ونجزيه لهم من جارٍ هو أنفع من كثير مما يخلفه الآباء للأبناء من المال المتملك والوقف الموقوف ؛ وليصرف اهتمامه إلى استخلاص مال الله الذى نحن أمناءه ، وبه يشغل أوقاته وتمنى كالإناء آناؤه ؛ فلا يدع شيئاً يجب لبيت المال المعمور من مستحقه ، ولا يتسمح فى تخليه شيء منه كما أننا نوصيه أنه لا يأخذ شيئاً إلا بحقه ؛ وليثق لأيماننا الزاهرة بتواقيعه ذكرها لا يفتنى ، ويرا لا يزال ثمره الطيب من قلمه يحنى ؛ ليكون من رباح دولتنا التى تغتم ما يبهر من سخاها المطير ، وحسنات أيماننا التى ما ذكرنا وذكر معنا إلا وقيل : نعم الملك ونعم الوزير .

الوظيفة الثانية

(كتابه السر ، ويقال لصاحبها "صاحب دواوين الإنشاء")

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب الوظائف أن موضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان ، وكتابة أجوبتها ، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها ، وتصريف المراسيم ورودا وصدورا ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل ، وأنه صار يوقع فيما كان يوقع فيه بقلم الوزارة .

قلت : وقد كانت فيما تقدم يُكْتَب له توقيعٌ في قطع النصف بلقب «المجلس العالى» ثم استقرَّ أن يُكْتَب له تقليدٌ في قطع الثلثين بلقب «الجناب العالى» . وقد تقدم الكلام على تقليده في الكلام على التقاليد .

وهذه نسخةٌ تقليدٌ بكتابة السرِّ ، كُتِب بها للمقرِّ المحيوى «مُحْيِي الدين بن فضل الله» عند عودته إلى كتابة السرِّ بالديار المصرية ، في جمادى الأولى سنة ثلاث ... من إنشاء السيد الشريف شهاب الدين ، أحد كُتَّاب الدرِّج الشريف ، وهى :

الحمد لله المانِّ بفضله ، المستعان به في الأمر كله ، الذى رفع أول الأولياء من العالياء إلى محله ، ووضع النعم عند من ينصُّ الاستحقاق على تقديمه بمنصبه ويحلُّ ما فوض إليه من أجله ، وأبدع نظام السؤدد بأجل حال ما دام يحْيى جامع شمله ، وأودع سرُّ ملكا الشريف عند الحفيظين منه ومن تجلته ، وأرجع الرياسة إلى من سما نباتا ، ونما نباتا ، وعلا عزما ، ووفى حرما ، فيؤمن آثاره تُضرب الأمثال ولا تجرد في يمين سجاياه كمنله .

نحمده على أن أعاد بنا الحق إلى أهله ، ونشكره على أن جاد روض الآمال بواكيف سخاب كرمنا ووبله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق للصواب في قوله وفعله ، وتحقق منه جميل الإخلاص في جميع مذاهبه وسبله ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤوى يوم الجزاء إلى سابع ظله ، والمروى يوم العطش الأكبر بسائق نهله ، والنبي الذى بعثه خاتم رُسله ، وآتاه من الكرامة ما لم يؤت أحدًا من الأنبياء من قبله ، والمجتبى من علماء صحابته من أهله لإيداع سره وصونه وإبلاغ أمره وحمله ، صلى الله عليه وعلى آله الذين سبقوا إلى غايات الفخار

وُحُصُوا بِحُصُولِهِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الْمَجَاهِدِينَ فِي حُبِّهِ الْمُعْتَصِمِينَ بِحُبِّهِ ،
 خُصُوصًا الصِّدِّيقَ الَّذِي أَحْسَنَ انْتِلَافَةَ مَنْ بَعْدَهُ وَقَاتَلَ مِنْ أَرْتَدَّ بَقْتَلِهِ ، وَمَنْ فَرَّقَ
 بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَمَحُضِّ عَدْلِهِ ؛ وَمَنْ تَلَقَّى عَنْهُ آيَاتِ الْكِتَابِ فَآ... (١)
 فِي تَرْتِيبِهِ وَجَمْعِهِ وَأَدَائِهِ وَتَقْلِهِ ؛ وَمَنْ كَانَ فَارِسَ حَرْبِهِ ، وَحَارِسَ سِرِّهِ ، وَكَاتِبَ
 وَحْيِهِ وَخَاطِبَ كِفْلِهِ ؛ وَعَنْ بَقِيَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَنْفَرُوا بِأَكْلِ الْفَضْلِ
 وَأَجَلِّهِ ، صَلَاةً وَرِضْوَانًا وَصَحَّحَ بِهِمَا نُورَ الْهُدَى لِمُسْتَدَلِّهِ ، مَا شَفَى كَرْمَنَا الصُّدُورَ بِصُدُورِ
 إِقْبَالِهِ إِلَى مَنْ قَامَ بِفِرْضِ وِلَايَتِهِ وَنَتَلَهُ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَنِعْمَنَا لَا تَزَالُ لِلْمُهُودِ حَافِظُهُ ، وَبِالْجُودِ مُتَحَفَّةً وَبِالسُّعُودِ مَلَاحِظُهُ ،
 وَعَلَى الْمُهُودِ مِنْ كَرَمِ شَيْئِهَا مَحَافِظُهُ ؛ وَبِالْخِدْمِ مَكَافِيهِ ، وَبِالْقِسْمِ مُؤَفِيَةٌ وَبِالنِّعَمِ مُؤَافِيَةٌ ،
 وَبِالْأَوْفِ الْكَرَمِ مُلَافِيَةٌ ؛ أَتَّبَاعًا لِسَبِيلِ الصَّوَابِ ، وَإِدَاعًا لِلنِّعْمَةِ عِنْدَ مَنْ لِحَقَّهُ
 فِي اسْتِحْقَاقِهَا إِيجَابٌ ، فَلَمَحَلَّهُ اقْتِرَانُ بِالْاقْتِرَابِ ، وَلِفِعْلِهِ إِجْمَازٌ لَوْعُودِ الصُّعُودِ
 وَإِيجَابٌ ، وَلِقَبِيضِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَبُولِ أَهْبَى جِلْبَابٌ ، وَلَهُ سَبْقٌ وَلِئَامٌ لِمُلْكِنَا
 بَعْدَ جَفَاءِ فِيهِ السِّنِينَ وَالْأَحْقَابِ ، وَصَدَقُ وُدٌّ مَا ضَاعَ لَدَيْنَا وَلَا خَابَ ، وَقَدَّمَ هِجْرَةَ
 كَمِّ لَهَا فِي تَأْيِيدِ الدِّينِ أَنْتِصَارًا وَأَنْتِصَابًا ، وَتَعَدَّدُ مَنَاقِبَ هِيَ فِي الْإِشْرَاقِ وَالرَّفْعَةِ
 كَالنُّجُومِ وَفِي الْكَثْرَةِ عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالْتُّرَابِ ؛ فَمَا دَعَا سُلْطَانُنَا إِلَّا اسْتِجَابَ ،
 وَلَا اسْتَوْعَا سِرَّهُ إِلَّا عَدَا بِهِ يُصَانُ وَلَا يُصَابُ ، وَلَا اسْتَنْطَقْنَا قَلَمَهُ إِلَّا كَفَى الْخَطْبَ
 بِأَمْلَحِ خِطَابِ ، وَلَا اسْتَثَرْنَا رَأْيَهُ إِلَّا حَضَرَ الرُّشْدَ وَمَا غَابَ ؛ فَكَمْ فَرَقَ لِلْأَعْدَاءِ مِنْ
 كِتَابِيَةِ بِيكَابِ ، وَقَرَّبَ مِنْ ظَفَرِ السَّيْفِ فِي الْقِرَابِ ؛ فَبَدَعَوَاتِهِ يُسْتَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ
 أَهْمَرُ سَحَابِ ، وَبِرَكَاتِهِ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَكَانَ كَيْدُ الْكَافِرِينَ فِي تَبَابِ ، وَبِأَقْلَامِهِ
 إِنْعَامُنَا يَهَّبُ وَأَنْتِقَامُنَا يُهَابُ ؛ فَهِيَ عَلَى الْمَمَالِكِ أَمْنٌ سِيَّاحٌ ، وَلَهَا فِي مَسَالِكِ الْخَيْرِ

(١) بياض بالأصل ولعله فأحسن في ترتيبه الخ .

أبدع منهاج، وللدولة به وبولده استغناء وإليهما احتياج، فكم ضمنا دُررَ كلاميهما الأدرج، وأطلعا زهر أفلاميهما من المَهَارِقِ في أبراج، وكم واصلت في ليل النَّقْسِ السَّرى والإدلاج، حتى أبدت صَبَاحَ النِّجَاحِ ذَا أَيْتِلَاجٍ، فلا عَجَبُ أن كان للنعم إليهما معادٌ ومعَاج، ولِضيقِ الخطبِ عند باعِهما الرَّحْبِ فُسْحَةٌ وَأَنْفِرَاجٌ .

ولما كان المجلس العالى المَحْيَوَى هو أسرى من تُلقَى إليه الأسرار، وتَبْقَى منه عند أحرى الأحرار، فكم لها صانَ أَيْنَ صار، وكم لخواطرنا الشريفة من أفعاله ساز حيثُ سار، وكم له من كَرَمنا دارٌ في كل دار، فمنا لُقْرَبه إيثار، ولائبتنا عليه إِنْجَار، ولنا بفضائله إقرار، يُوجب للنعم عنده الإقرار - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن نُعيد إليه مَنْصِبَه، وَزَيْدٌ لَدَيْهِ المَوْجِبَه، وَنَجْعَلُ وَجُودَ تَفْضِيلَه لِدَوْلَتنا أعْظَمَ مَزِيَّةٍ وَمَنْتَبَه، وَنَرَاهُ أَجَلٌ كُفَّ لاسْتِجْلَاءِ عَقَائِلِ الأَسْرارِ المَحْجَبَه، وَإِنْ كان لَتَرَاهِته لَا يَحْطُبْهَا فَهِيَ لَوْجَاهِته تَرْغَبُ أَنْ تُحْطَبَه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولى، السلطانى، الملكى الفلانى - لا بَرَحَ بفضل الله يحيى الدين، وبتأييده بين أنه الحق المبين، وبتسديده يُصِيب عَيْنَ الصواب فى التعيين - أن نفوض للشار إليه صحابه ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب الشريفة شرفها الله وعظمتها: على أجمل عوائده، وأكمل قواعده، وأحسن حالاته فى حُسن مقاصده، ونُفُوذ ما يُبَلِّغُه من رسائل عدلنا فى مصادير كل أمر وموارده؛ وليستقر باسمه من المعلوم كذا وكذا .

فلتلق منصفه المبارك بأمل فى كَرَمنا مبسوط، وربته التى يحيى حياها ويحوط؛ مُضِيًّا لِلهَمَّاتِ وَالْمَرَّاسِمِ، مَبْقِيًّا مِنْ يَمْنِ آتَارِهِ مَا تَضْحَى بِهِ نُفُورُ الثُّغُورِ بِوَأَسْمِ، مُبْدِئًا مِنَ عِنْدِهِ مِنْ كُتَابِنَا أَوْقَاتِ الأُنْسِ فَأَيَّامُهُمْ [به] كُلُّهَا مَوَاسِمَ، وَبِهَا لَهْمٌ مِنَ الخَيْرَاتِ

أجزأ المقاسم ، وقد وفروا دواعيهم إلى الخدمة إذ وفر على نفقتهم دواعيه ، وهو لسان
الدولة وهم أذن صوت لما يلقيه إليهم وإعياه ، حقق لهم إلى وداده أن يحنحوا ،
وبإساعده أن يتبحروا ، وعن ولأته لن يبرحوا : ﴿ قُلْ يَفْضِلِ اللَّهُ وَرِحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ، فليسير الملك به سرور ، وللدولة من أشعة إياه وطلعة شهابه نور على
نور ، وبهما عماد الشرف الأعلى مرفوع وبيت الفضل الأوفى معمور ، وهو وبل
هذا الغيث الغمر وسبل هذا الليث المصور ، طالما هزم الصفوف من كُتبتنا
بالسطور ، وجهز بردا سرها بالصون مكتوم وعلمها بالنصر منشور ، وهو كثر
الفضائل وكتابه الذهب شذور ، ومن هذه الأسرة العمرية بأفق العلياء نجوم وأهله
وبدور ، وللنير الأكبر إشراق وأتلاق وسفور ، وغيره بالوصايا المأمور ، وسواه
نين له قصد السبيل حتى لا يضل ولا يحور ، ولا يحتاج أن نذكره بما هو من عامه
مذكور ، وفي صحائفه مسطور ، ولا نعلمه سدادا إذ هو عليه مجبول ومفطور ،
بل الهدى منه ملتمس ، ومقتنى ومقتبس ، ومأمور . وبحمد الله ماني حزمه قصور ،
ولا في عزمه فتور ، وهو بحر العلم المحيط وتبیر الحلم الموفور ، وليس التقديم له
بمستغرب بل فضله المعروف المشهور ، والله تعالى يرعى له في خدمتنا عهدا قديما ،
ويؤقيه للدعاء مواصلا ومديما ، ويوزعه شكر فضل الله على ذلك ﴿ وكان فضل الله
عليك عظيما ﴾ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكتابة السرى ، كُتبت بها للقاضى شهاب الدين بن فضل الله ، وهى :

الحمد لله على عناية حَفِظَتْ مُلْكَنَا الشَّريفَ بِمَعْقَبَاتِهَا ، وَصَانَتْهُ بِصَاحِبِ تَصْرِيفِ
تَقْوَمِ كُتُبِهِ وَأَرَاؤُهُ مَقَامَ الْكُتَابِ وَرَايَاتِهَا ، وَسَدَّتْ لَنَا الْخَيْرَةَ لِمَنْ نَجْتَنِ بِقَلَمِهِ النَّصْرَ

من ثمراتها ، وبنيت الحسنى في طريقته المثلى حتى أقسم الصبح من قسماتها ،
واقسم النجح من عاداتها ، وأقسم فكره بالنصح وقد ضلت الأفكار عن إصاباتها
فظلت في غفلاتها .

نجمه حمداً يهب مع الأنفاس في هباتها ، ويهب من اللطائف الحسان أفضل
هباتها ، ويبنه القلوب لتقيد شوارد النعم بصدق نياتها ، وينافس الكرام الكاتبين
على نفائس الثناء في تسبيح لغاتها بصفيح سملواتها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تملأ الصحف بحسناتها ،
وتملى الوجوه بالأنوار في توجهاتها ، وتلوح من سماتها سمياء لا تنشق على الأبصار
في توشماتها ، وتفخر برقمها الأعلام بأنه لا طعن في اعتدال حركاتها ، على الرماح
في اعتدال قاماتها ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أدى الرسالة بما
تملحه من أماناتها ، ورعى العهود لمن أخلص في مراعاتها ، ودعا الأمة بإذن الله
إلى سبيل نجاتها ، وأستأمن على الوحي كتاباً سبقوا في السعادة إلى غاياتها ، وبلغوا عنه
السنة بإباناتها والسور وآياتها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه فرسان البلاغة
ورواتها ، وحفظة الأسرار وثقاتها ، وصاغة المعاني في الألفاظ الغربفتاتها ، وأو
الأحلام التي لا تطيشها وقائع الدهر بروعاتها ، ولا تذهلها عن الأوراد في أوقاتها ،
وتلقى الوفود بأقواتها ، والأخلاق التي أوسع نطاقها في تصرفاتها ، وأمتنع حجابها
أن تحتطاه انخدع بهفواتها ، صلاة تزيد الأعمار بزكاتها ، وتزين الأعمال ببركاتها ؛ وسلم
تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن الملك عمود بناؤه بسره ، وأرتفاعه بالناسيس لمستقره ، وأمتناعه
بعد العساكر المنصورة بكاتب يحايل العدو في مكره قبل مكره ، ويقاقل في الحرب

والسلم بنفاد رأيه ونفث سحره ، ويقابل كلَّ حال بما يحسن موقعه من صدمه
بصدده أو صدّه بصبره ، وينظر في العواقب نظر البصير بأمره ، الواعى لاحتيال
عُدته قبل آختيال الباغى في عُده ؛ إذا جادل فبالجُمّة البالغه ، وإذا جابَّ أبطل
الأهوال الزائغه ، وإذا أمرنا بالعدل والإحسان سيرهما عنا كالشمس البازغه ،
وملاّ بهما حباً لنا القلوب الفارغه ؛ وقد جربنا على طول المدى كُتّابا ، وأنخبنا منهم
كثيراً ارتضيناهم أصحابا ، ومارسنا جماعة آزددنا بهم إعجابا ، ورأينا طوائف فيهم
من إن أجاد آجتناء زهرات القول حاد عن الجادة آجتنا ، وإن كلّف نفسه
مذاهب الكُتاب أخل بمقاصد الملوك إن كتب عنهم كُتابا .

ولم نظفر بمن تمت فيه الشروط المشروطة ، ومَتَّ بالدائرة المحيطة إلى الفضائل
المبسوطة ، وأمتاز بقهم لا يُقبَل على الفساد ولا يقبَل الأغلوطه ؛ إن أمليناه إملاءً
ذَكَرَه ، وإن حُنا حول معنى لا تُؤدّى إليه العبارة فسرَه ، وإن سردنا عليه فصلا
مطوّلا خبرَه ، وربما رأى المصلحة في آختصاره فأختصرَه ، وإن أودعناه سرّاً سترَه ،
وصانه بحو غيب أثرَه ، وكنمه إماماً بحظّه عن قلبه فلم يدركه أو بقلبه عن لحظه فلم
يرَه ، وإن خَلينا بينه وبين غرض من أغراضنا الشريفة آستخرجَه كما في خواطرنَا
وأظهرَه - كالمجلس العالى ، القضائى ، الأجلى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ،
العونى ، العلافى ، القوامى ، النظامى ، المدبرى ، المشيرى ، الفاضلى ، الكاملى ،
الأوحدى ، المقوّهى ، الحاشى ، السفيرى ، الشهابى : صلاح الإسلام
والمسلمين ، سيّد الرؤساء فى العالمين ، قُدوة العلماء العاملين ، إمام الفضلاء
والمتكلمين ، رئيس الأصحاب ، ملاذ الكُتاب ؛ سفير الأمة ، عماد الملة ، لسان
السلطنة ، مدبر الدول ، مشيد الممالك ، مُشير الملوك والسلاطين ، وليّ أمير المؤمنين

(١) فى المصباح فسرَه من باب ضرب أوضعه وبيته والتثقيب مبالغة .

«أحمد بن فضيل الله» ضاعف الله نعمته . فإننا خطبناه لهذه الوظيفة ، وأستخلصناه على كثرة المتعينين لأنفسنا الشريفة ، وأمتحنناه في الأمور الجلييلة واللطيفة ، وحملناه الأعباء الثقيلة والخفيفه ، وأوقفناه مرّة وأخرى أطلقنا تصرّفه ، وأنعمنا النظر في حاله حتى تحقّقنا تنقيفه ؛ وكتب وأستكتب عنا سراً وجهراً فملاً قلباً وسمعا ، وباشر مراسمتنا العالية مصرّاً وشاماً وصلّا وقطعا فعزّ رفعة وعمّ نفعاً ؛ وأنشأ التقاليد وقلدها ، ونفّذ المهمّات وسددها ، ووفّق التواقيع وأطلق بها وقد قيدها ، ومثّى المصالح باحتراز ما بددها واحتراس ما عقدها ، وجهز البرد بهمة ما قيدها طلب الراحة ولا أقمدها . وهو كاتبٌ مُلوك ، وصانعٌ سُلوك ، وشارعٌ سُلوك ، وصانعٌ ذهب مسبوك ، وناسجٌ وشى محوك ، وجامعٌ صفات ماسواها هو المتروك ؛ لا يعدّو بالكلمة محلّها ، ولا يؤاخي بالقرينة إلا شكّها ، ولا يسمح بخاطبة إلا لمن تعين لها ، ولا يعامل بالغلظة إلا من استوجبها ولا يخصّ بالحسنى إلا أهلها ؛ تأمره بالتهويل فيزول قواعد العدوّ ، وتشير إليه بالتهوين فيفيد مع بقاء المهابة الهدوّ ؛ وقد رضيناه حقّ الرضا ، وأضربنا به عمّن بقي من أكابر الكُتّاب ونسبنا من مضى ، وتعين علينا أن نحكم له بهذا الاعتبار ونحمله على هذا المقتضى ، وأن نُطلعه في سماء دسّتنا الشريف شهاباً أضاً ؛ وأن نقلده مهمّاً مازال هو القائم بتنفيذ أشغاله ، والساعي بين أيدينا الشريفة في تدبير مقاصده وجملة أحواله ؛ إلى ماله من بيت أنلوا مجده ، وأثروا سعده ، وأرثوا عندنا وده ؛ وبني كما بنوا ، وأجنتى من السؤدد ما آجنتوا ، ورمى في خدمة الدول إلى مارموا ، إلا أنّ مذهبه في البيان أحلى ، وأسلوبه أجلى ، وقيمة كلامه أغلى ، وقدره في الكمال هو المُعلّى ، وأدبه بجد الله قد لحظته سعادة أيّامنا الزاهرة فما فيه لؤ ولا لؤلؤ ؛ سوى أنه أتفق معارضٍ أعترض بين السهم والهدف ، وسفه نفسه فوقف في مواقف التلّف ، ودقّ عنه شأن كاتب السر فسقط من حيث

طَمَعَ فِي السُّقُوطِ وَمَا عَرَفَ ؛ وَرَامَ الدُّخُولَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَبَيْنَ يَدِهِ ، وَبَيْنَ اللِّسَانِ
وَمَا يُحَدِّثُهُ بِهِ الضَّمِيرُ مِنْ حَقِيقَةِ مَعْتَقِدِهِ ، وَالْإِطْلَاعَ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ لِمَا
أَدَارَهُ فِي خَلَدِهِ ؛ وَالتَّعَدَى بِمَا لَيْسَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مَتَوَقَّعٌ ، وَسَرَى فِي مَسَرَّى لَوْ طَمَحَ
إِلَيْهِ طَرَفَ السُّهْمَا لَتَقَطَّعَ ؛ وَمَا عَلِمَ أَنَّ كَاتِبَ السَّرْهِ هُوَ مَسْتَوْدَعُ الْخَبَايَا ، وَمَسْتَطَلَعُ
الْخَفَايَا ، وَقَلَمُهُ (أَبْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ النَّبَايَا) ، وَفِي آسَمِدَادِهِ يُعْرَفُ بِالْمُسْنَى وَيُرْعَفُ
بِالْمَنَايَا ؛ وَهُوَ الْكِتَابَةُ وَالتَّوْقِيعُ ، وَالتَّصَرُّفُ فِيهَا لِلتَّنْفِيزِ مِنَ التَّحْسِينِ وَالتَّنْوِيعِ ،
وغير ذلك من التفریق والتجميع ، والناصيل والتفريع ، والترغيب والترهيب
والتأمين والترويع .

وَمَا دَلَّ ذَلِكَ الْمَعْتَرِضُ بِأَجْرِهِ ، وَأَطَالَ الْمَطَّارَ فِي غَيْرِ مَطَّارِهِ ، وَقَالَ النَّاسُ إِنَّ
أَبَوَانَا الْعَالِيَةَ جَنَّةَ حُفَّتْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ بِالْمَكَارِهِ ، رَمَيْنَا بِهِ مِنْ شَاهِقٍ ، وَأَبْعَدْنَاهُ
لَاخِرَتِهِ أَزْهَدَ مَا هَدَرَ مِنْ تِلْكَ الشَّقَاشِقِ ؛ وَتَقَدَّمْنَا بِإِنْشَاءِ هَذَا التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ
تَقْوِيَةً لِكَاتِبِ سِرِّنَا الشَّرِيفِ فِي تَصْرِيفِهِ ، وَبَيِّنَا أَنَّهُ لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ فَإِنَّهُ لِسَانَ
السُّلْطَانِ وَيَدُهُ وَكُفِيُّ بِذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى تَشْرِيفِهِ .

فَرَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِي ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِي - لِأَزَالِ
إِذَا عَزَمَ صَمِّمٌ ، وَإِذَا بَدَأَ الْمَعْرُوفَ تَمِّمٌ ، وَإِذَا آسْتَخَارَ اللَّهَ فِي شَيْءٍ رَضِيَ بِخَيْرِهِ وَسَلَّمَ -
أَنْ يَسْتَقِيلَ الْمَجْلِسَ الْعَالِي ، الْقَضَائِي ، الشَّهَابِي « أَحْمَدُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ » الْمَشَارُ إِلَيْهِ
بِصَحَابَةِ دَوَاوِينَ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ : رَفِيقًا لِأَبِيهِ الْمَجْلِسِ
الْعَالِي ، الْقَضَائِي ، الْمُحْيَوِيِّ : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ وَبَرَكَتَهُ فِي الْمُبَاشَرَةِ ، وَشَرِيكَهَا
بِلِ مَتَفَرِّدًا لِيَقُومَ مَعَهُ وَدُونَهُ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ كِتَابِيَّةِ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ ؛ أَسْتَقِيلُ كُلَّ مَنْهَا
بِهَا فِيمَا بَعْدَ وَقُرْبٍ مِمَّا يَضُمُّهُ نِطَاقُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ؛ مَعَ مَا هُوَ مُسْتَقَرٌّ فِيهِ مِنْ كِتَابِيَّةِ

السر الشريف ، والتصريف في المهمات الشريفة والتصريف ؛ وهو المنفرد بتقديم البريد وعرضه ، ومباشرة ختمه وفضه ، وقراءته بين أيدينا ؛ واستخراج مراسيمنا الشريفة في كل مناب ، ومشافهة وخطاب ، وأبتداء وجواب ، وملطف ومكبر ، ومقدم ومؤخر ، ومكمل ومشطر ؛ وإليه أمر البريد والقصاد والنجابه ، ومن أشمل من الدجى جلبابه ، أو ألقته إلى ملاءة الصباح المنشورة يد ليله منجابه ؛ وتعيين من يرى تعيينه منهم في المهمات الشريفة السلطانية ، والمصالح المقدسة الإسلامية ؛ وإليه الحام الرسائي وترجيته ، وزجائه ومدرجته ؛ ومن يصل من رسل الملوك إلى أبواننا العالية ، وجميع من يكتب الدولة الشريفة من كل منسب وغريب ، وبعيد وقريب ؛ وقراءة القصص لدينا ، والكتابة على ما يسوغ كتابه مثله ، وأخذ العلامة الشريفة من يده .

وأما من نستكتبهم عنا في ممالكنا الشريفة فهو المقلد لأعبائهم ، والمخلى بينه وبين ما يراه في آجبتائهم ؛ يستكتب كل أحد فيما يراه ، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات منهم مستيقظ ومنهم نائم في غمرات كراه ؛ كل هذا من غير معارضة له فيه ، ولا اعتراض عليه في شيء منه ؛ يبلغنا مهماتنا الشريفة ويتلقى عنا ، ومنه إلينا وإليه منا .

وأما ما يرد عليه من الرسائل عنا بما يكتب به فيمشی منه مالا يمكن وقوفه ، ويراجعنا فيما لا يكون إلا بعد مراجعتنا تصريفه ؛ فليمش على هذه القاعده ، وليستقل بهذه الوظيفة استقلالاً هو كالمخبر محل الفائدة ، ولينشر من إقبالنا الشريف عليه بالصلوات العائده ؛ ونحن نختصر [له] الوصايا لأنه الذي يميلها ، ونقتصر منها على التقوى فإنها الذخيرة النافعة لمن يعاينها ، والباقي الصالحة خير لمن يقتفيا ؛

والله تعالى يقوى أسبابه ، وينير شهابه ، ويزيد من المعالى آكتسابه ، ويغنيننا بقلمه عن سنان يتقدم عامله ، ولسانه عن سيف يقارق قرابه ، والاعتاد على الخط الشريف أعلاه .



وهذه نسخة تقليد يعود القاضى شهاب الدين بن فضل الله إلى كتابة السر .
من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء الشريف ، وهى :

الحمد لله الذى أحمد العقبى بفضله ، وأكّد النعمى بوصله ، وأودع سرّ ملكنا الشريف عند أهله ، وأطلع شهاب الدين من أفق العلياء فى محلّ شرفه وشرف محله ، ورفع قدره فى سيره إلى بروج السعود وحلّوله بدرجات الصعود وتقلبه ، وأرجع الموهبة منه إلى من يشكرها بقوله وفعله ، وأينع الفرع الزاكي الذى يحيا أصله بوا كيف سحاب كرمنا ووبله ، وأتمّ النعمة عليه كما أتمها على أبويه من قبله ، وضمّ له أطراف الرياسة وجمع شملها بشمله ، وعمّ بفضله وفضلنا أهل هذا البيت الذين فطروا على السؤدد وبصروا من رضانا باتّباع سبله .

نحمده على إضفاء ظلّه ، ونشكره على إضفاء نبله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أشرق نور هداها ، بمستدلّه ، وأغدق نوء نداها ، بمستهلّه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله خاتم رسله ، وجعل له الفضل على الخلق كلّهم ، وألهم به سبيل هديه وسنن عدله ، وأرشدّه إلى فرض دينه ونقله ، وأودعه السرّ الذى لم يودعه سواه وحمله من أعباء الرّسالة ما لم ينهض غيره بحمله ، صلى الله عليه وعلى آله أغصان الشجرة الزهراء التى هى يضة منه ونبعة من أصله ، ورضى الله

عن أصحابه الذين أجلهم من أجله ، خصوصا من بادر إلى الإيمان فخص من سبق
 بخصه ، ومن أيد به الدين وقر الشيطان من ظله ، ومن جهز جيش العسرة حتى
 غزا العدا بجيئه ورجله ، ومن كان باب مدينة العلم وما نجزله وفتح قفله ، وعن
 بقية المهاجرين والأنصار الذين ما منهم إلا من جاهد حتى قام الدين بنصره ونصله ،
 صلاة دائمة يجعلها اللسان أهم شغله ، ويتلقى قادمها في مواطن القبول بأكرم نزله ،
 ما رمى قوس العزم بصائب نبله ، وحمى حمى الملك بليته وشيئله ، وفوض أجل
 المناصب إلى فاضل العصر وأجله .

أما بعد ، فإن آراءنا لا تزال لأصالح مُراعِيه ، ولا تبرح بالإسعاد إلى الأولياء
 ساعِيه ، فتدعو إلى مقامها من وقر على الإخلاص دواعِيه ، وتُدني من مُلكها من له
 بالخفايا أعظم بصيرة وفي جميل القضايا أجمَل طواعِيه ، وتلقي أسرارها إلى من له
 لسان حق ناطق وأذن خير واعيّه ، وتقدم من له قدم صدق ثابتة ويد بيضاء طولِي
 في المهمات عاليه ، لتغدو سهام أعلامه إلى الأغراض راميّه ، وصوائب أفكاره
 عن حمى الملك محاميّه ، وتكون عبارته لقصائد موفية وإشارته لموعِد أيمن موافيه ،
 وتضحى ديمُ نعمنا الواكفة لسوابق خدّمه مكافيه ؛ لما يتصل بذلك من المصالح ،
 ويتأجج خواطرنا الشريفة به المناجج ؛ ويقبل عليه وجه الإقبال ، في كل حال ، ويتعدو
 إليه طرف الإجلال ، وهو طامح ؛ فنجمَل به ممالك مضرًا وشامًا ، وتُسدّد به مرمى
 ونصيب مرّامًا ، ونحفظ له ولأبيه في خدمتنا حقًا وذيّامًا ، ونكون له في الحالتين
 ريًا وإكرامًا ، ونُعلَى محلّه إعلانا بعلو مكانه وإعلامًا ؛ فيؤلّف للرياسة نظامًا ،
 ويضعف للرتبة إعظامًا ، ويعمَل يرأفًا بل حُسامًا ، ويحلّو وجه المنى طلقًا ويبدو
 بعد البشر بسامًا ، ويحسن بأعباء المهمات قيامًا ؛ وحيث نقلته أوطانه هضاب
 المجدوقته ، وأين وجهته أعلت قدره وتوهنته ؛ وكما أوفدته أفاضت عليه ملبس

العزَّ وجددته، وأختصته بالتصرف وأفردته؛ وانتصت ماضى أجهاده وجرده، وأجرته من إجراء فضليها على ما عودته؛ وأستقلت له منائحها من كثير المواهب ماخوئته، ومن كبير المناصب ماقلدته .

ولما كان فلان هو الذى أودع الأسرارَ خفيظها، وأطلع على الدقائق فرعاها ببصيرته ولحظها؛ وباشر مهماتنا فأمضاها، وسرَّ خواطرنا وأرضاها، وظهرت منه بين أيدينا كفاية لا تُضاهى؛ وقد أجياد أولياتنا من تقاليد عهودنا، وأدنى من المقاصد بلطف عبارته يعيدا، وأغنى الدولة أن تجهز جيشا وجهاز بريدا، وأبان بمقاله عما فى أنفسنا فلم يبق مريدا، وصان الأسرارَ بفعل لها فى خلد خلودنا، وجمع أشتات المحاسن فاضحى فريدا؛ كم لعمه فى خدمتنا من هجرة قديمه، ولأبيه من موالاة هى للمخالصة مواصلة ومديمه، وكم لها أسباب فى الرياسة قوية وطرائق فى الهداية قويمه، وكم كاتب يسر الله بهداهما تعليمه وتفهمه، وقدَّر على يديهما وصوله إلى ربِّ العلياء وتقديمه، فتنفعتهم عميمه، ونبتعتهم صميمه، ولهما فى الشام ومصر أجمل شيمه، وكم له هو أيضا من تقدمات آقتضت تكريمه، وكفاية عند علومنا الشريفة معلومه، وكاتب حُلِّ المهارق بوشها مرقومه؛ فلو قابله الفاضل «عبد الرحيم» لبادر إلى فضله إقراره وتسليمه، أو «عبد الحميد» لكانت مناهجه الحميدة بالنسبة إلى مذاهبه ذميمه، أو سمع «عبد الرحمن» مقاله لضمَّن ألفاظه معانيه العقيمة، أو أدركه «قدامة» لعرف تقديمه، وأقننى بسبله المستقيم، أو حوى «الجوهري» فرائد ألفاظه لعرف أن صحاحه إذا قرئت بها سقيم، أو رأى «ابن العديم» خطه لاستغنت منه بسلاسل الذهب نفسه العديم، أو «الولي» لاستجدى من صوب إجادته أغزر رديمه، أو نظره «ابن مقالة» لوجدت مقلته نضرة خطه ونعيمه،

أو «أين البواب» لكان خدين بابه وخديمه؛ فهم صدورُ صدورهم سليمان، وأمائل معدودةٌ وأمناهم معدومة .

أقتضى حسنُ رأينا الشريف أن نلقى إليه منصباً هو أولى به، ونُقِرَّ عينه بدونه متأً وأقترابه؛ ونتمتع البصر والسمع بخطه وخطابه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى - لا يرح يُعيد نعمه كما بدأها أول مره، ويسرُّ القلوب يكافٍ أودعه سره؛ ويحمد لأحمد الأولياء عوده ومستقره^(١) .

فلتلق هذه النعمة بشكرها ولترق منسباً ربيعاً يناسب رفعة قدره، وليبسط قلبه فى تنفيذ مهمِّ الممالك من نهيه وأمره، وليحفظ ما أودعه من خفي سره، وليلاحظ المهمات بفكره، وليحافظ على ما يعرفه من رضانا طول دهره؛ ونحن نعلم من صواب أفعاله وتسديدها، ما لا نحتاج معه إلى تكثير الوصايا وتعديدها، ولا إلى تكريرها وترديدها؛ لاسيما وقد سلفت له بها خبرة لا تفتقر إلى استيعاب ذكراها ولا إلى تجديدها، وتقدمت له مباشرة استبشرنا بيمونها وأثينا على حميدها، وأستدثنا سناها وأستغنيا عن سواها بوجودها؛ وله بحمد الله توفّر التوفيق، وهو الحقيق بما فوضنا إليه على التحقيق، وفضله من الشوائن عيرى وفى المجانبين عريق، وقدره بتجديد النعم جدير وبخلال الكرم خليك، والله تعالى يوضح به من الخير أين طريق، ويسر بمقدمه الولى والصديق، ويفرق به بين الحق والباطل بفضده الفاروق وهو من أكرم فريق؛ بحمد وآله ! .

(١) حذف المرسوم به اختصاراً فى النكابة واتكالا على فهمه من فظائره المتقدمة فهو ملحوظ



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذى أظهر لتسيير دولتنا شهبا يعلمو على فرقد القرايد، وكل به عقود
الممالك فسمت جواهر فرائدها على الدرارى إذ كان واسطة تلك الفرائد؛ ومعيد
إحساننا إلى خير ولى أغنى تديره عمن سواه فكان بالألف ذلك الواحد، ومحول
مواد كرمنا لمن هو صدر أسرارنا ويمين مملكتنا فى كل صادر عنها ووارد؛ ومنقل
الأكفاء إلى مراتب سعودهم فتصبح أوية محامدهم فى معاقل العز أنغر معاقد،
ومحلى ملكا الشريف باكل كاف ما أم مصرا إلا نلقته بالهناء ولا فارق شاما إلا أسفت
عليه تلك الربوع والمعاهد .

نحمده على نعم أقرت عيون الأولياء لما أقرتهم من مواد جودنا على أكل القواعد،
ونشكره على ما بلغنا من جميل المآرب وبلوغ المقاصد؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تُجى قائلها من جميع الشدائد، ونشهد أن سيدنا محمدا سيد البشر
عبده ورسوله الذى جاد بهديته فكان أكرم جاند؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
خصوصا على أول الخلفاء أبى بكر الصديق الذى لا نغر كفخاره، وعلى أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب حامل أسرارهم وفتح أمصارهم، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان
مبتدل عسره بيساره، وعلى ابن عمه على بن أبى طالب أعز نسبائه وأخص أصهاره،
وعلى بقية مهاجره وأنصاره، صلاة سهلة المشارع عذبة الموارد .

وبعد فإن من سجيبتنا إذا تيمنا بولى لا تزال نلحظه، ونرعى حقوق خدمه
فى القرب والبعد ونحفظه؛ ونقابل ما أسلفه لدينا بنفائس النعم، ونفيض عليه ملايس
الجود والكرم؛ لا سيما من لم يزل يظهر لنا كل يوم تعبدا جديدا، ومن أصبح

في الفصاحة والبلاغة وحيدا ، ومن جمع أطراف السؤدد والرياسة فلم يبرح بهما فريدا ؛ ومن تحسن النعم بإفاضتها عليه ، وتكلم المثنى بإضافة محاسنها إليه ؛ وترهب فرائد البلاغة بانتظامها في سلك مجده ، وتشرق كواكب البراعة في أنساقها في فلك سعده ؛ وكان للبايئة في الاختصاص بنا اليد الطولى ، وتلا عليه لسان أعتنائنا في الحالين : (وللاخرة خير لك من الأولى) .

ولما كنت أيها الصدر «شهاب الدين» أحق الناس بهذا المنصب لما لوالدك - أبقاه الله تعالى - ولعمرك - رحمه الله تعالى - من الحقوق ، ولما أسلفاه من الخدم التي لا يحسن التناسي لها ولا العقوق ؛ ولأنك جمعت في المجد بين طارف وتالد ، وفقت بأزكى نقر وعم وإخوة ووالد ؛ وجلاله ، ما ورثتها عن كلاله ؛ وخلال ، ما لها في السيادة من إخلال ؛ ومفانح ، تكاثر البحر الزانح ؛ وماثر ، يعجز عن وصفها الناظم والنائر ؛ ولما نعلمه من فضائلك التي لا تجحد ، رعينك في عودك لوظيفتك وعود «أحمد» أحمد .

ولما كان فلان هو الذي تقطر الفصاحة من أعطاف قلبه ، وتخطر البلاغة في أبواب حكمه ؛ وتزول المعاني المنتبعة من معادل القرائح على حكمه ، وتقف جياذ البداة المدسرة حيرى قبل التوسط في علمه ؛ إن وثى الطرس فرياض ، أو أجرى النفس فغياض ؛ أو نظم قفلائد ، أو نثر ففرائد . لا يجاسر المعنى المطروق أن يلم بفكره ، ولا يقدم المعنى المنخيل المسبوق للورور بذكره ؛ ولا يجوز زيف الكلام على ذهنه المتقيد ، ولا يثبت غناء الكلام لدى خاطره المتقيد ؛ «عبد الحميد»

(١) هذه عبارة أخرى تكتب بدل الأولى ولا يجمع بينهما أى فالكتب غير في تصدير مقاله بأحدهما

كـ «مبْد الرحيم» فى العَجْز عن حَاقِ عُلُومِهِ التى يَجِدُ «الراغب» على نُورِها هُدًى ،
والأصمى لو أدركه لَسَلَا عليه : (هَلْ أَتَيْكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا)
«والطُّغْرَانِي» لو عاصره لَزَادَ نَظْمَهُ وَأَزْدَادَ عَلَى نُورِهِ هُدًى ، و«الحريرى» لو رافقه
لَأَمِنَ فى «مقاماته» من التَّجْرِيعِ والرَّدَى ؛ قد قَصَّرَتْ عن غَايَةِ كَمَالِهِ جِيَادُ القَرَائِحِ ،
وَعَجَّزَتْ عن وَصْفِ صِفَاتِهِ جَمِيعُ المَدَائِحِ ؛ وَشَرُفَ مَنِصْبُهُ بِأَنْتِسَابِهِ إِلَيْهِ ، وَرُفِعَ
قَدْرُهُ بِمَنُوكِهِ لَدَيْهِ ؛ مع ما تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ نَزَاهَةِ صَرْفِهَا عَنِ الدُّنْيَا طَرْفَهُ ، وَزَهَادَةِ زَانَتِ
بِالسَّعْدِ صَدْرَهُ وَمَلَأَتْ بِالْعِفَّةِ كَفَّهُ ؛ فَهُوَ وَاحِدُ زَمَانِهِ ، وَأَوْحَدُ أَوَانِهِ ؛ وَالبَحْرُ
الذِّى يُحَدِّثُ عَنِ فَضْلِهِ وَلَا حَرَجَ ، وَالرَّوْضُ الذِّى يُنْقَلُ عَنِ فَضْلِهِ إِلَى الأَشْمَاعِ
أَطْيَبُ الأَرْجِ ؛ وَكَانَ قَدْ مَالَ عَنِ مَنِصْبِهِ وَهُوَ يَذْكُرُهُ ؛ وَفَارَقَهُ وَهُوَ يَشْكُرُهُ ، وَنادى
غِيْرَهُ وَبِقَوْلِهِ يَلْبَى ، وَشُغِلَ بِغِيْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ حَسْبِي « شَهَابُ الدِّينِ » حَسْبِي :
(فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي) . فَلَمَّا حَصَلَ لَهُ الإِسْتِنْسَانُ ،
وَزَالَ عَنهُ القَلَقُ وَالإِلتِبَاسُ ، قَالَ : (ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ) -
أَقْبَضَى حَسَنُ الرَأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ نُحْصِيَهُ بِأَسْتِقْرَارِ رُبُوبَتِهِ لَدَيْهِ ، وَأَنْ نَسْتَمْتِرَ بِهِ عَلَى
وِظِيْفَتِهِ السَّنِيَةِ أَسْتِمْرَارَ السُّعُودِ المُقْبِلِ عَلَيْهِ .

فُرِسِمَ بالأمر الشريف - لا زال شهاب سعيده لاميعا ، وسحاب كرمه هامعا ،
ومطاع أمره لمصالح الدين والدنيا جامعاً ؛ - لِمَنَاقِبِهِ^(١) التى وَفَّرَتْ مِيَامِنَهَا ، وَأَسْقَرَتْ
بِوُضْفِ آثَارِهِ الحُسْنَةَ كَوَامِنُهَا ؛ وَأَنْ يُعَادَ إِلَيْهَا كَمَا يُعَادُ السَّوَارُ إِلَى الرِّئْدِ ، أَوْ كَمَا يُعُودُ
نَسِيمُ الصَّبَا إِلَى الرِّئْدِ . فليؤنس منصباً كان إليه مشتاقاً ، ومجالساً كان متظيراً أن يزُرَّ
من ملابس جلاله على عنقه أطواقاً ؛ وليجمل هالة كانت تشوأة إلى عقود دُرره .
فأحمد الله على ما خصصناك به من مزيد الاعتناء ، وأن السعادة فى أيامنا الشريفة

(١) المراد أن يستقر فى كذا لمناقبه ... وأن يعاد .

متصلة قسَّمَل الآباء والأبناء ؛ ويكفِّيك بهذا التوقيع الشريف إذ بلغت به جميع
الأماني ، وتوجَّناه بيميننا الشريفة لقرب عهدنا بمصاحفة الركن اليماني ؛ وأصطفيناك
بقلم عَظْم شَانَا بتلك السُّتُور ، وغدا معموراً بالهداية ببركة البيت المعمور ، وأزداد
بمشافهة الحرم الشريف نُوراً على نُور . فليُحسِّن نظره المبارك في ذلك كله ،
وليُبد ما يحسن في هذه الوظيفة من مثله ؛ وفي تقدُّم مباشرته في هذه الوظيفة
وعليه ما يُغني عن كثرة الوصايا ، وملاكها تقوى الله تعالى وهي أكل المَزَابَا ؛
وليُحمِّد أفعاله ويصل أسباب اعتاده بسببها ؛ والله تعالى يُجمل له مواهب
تُحوِّله ، ويعمل له الخير في تنقله وتحوِّله ؛ والخطُّ الشريف أعلاه ، حجةً بمقتضاه ،
إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذي جعل خَواطِرَ أوليائنا بإقرار نِعْمنا مستقره ، وموَاطِرَ آلينا على
ذوي الإخلاص في ولائنا دائمة الدِّيم مستمِره ، وبشائرِ رضانا تجدد لكل من ذوى
الاختصاص أبتهاجه وبشره ، وسوافر أوجه إقبالنا لأولى الأصفاء والوفاء مشرقة
الأوضاع متهللة الأسره ، مُودِع أسرار مُلكنا الشريف من آل «فضل الله» عند
أكرم أسرته ، ومتمتع دولتنا بخير كافي دقق في مصالحننا فكره ، وأنفق في مناحننا عمره ،
ومُجِّع آرائنا على أعلى على حل من بهر بيته بمعرفه وبهر خيره ، ومُطَّلِع أنجهم
بأفئ تقرينا مرة بعد مرة ، فنحني نيرهم الأكبر وقد شيدنا بارتقائهم بيته وشدنا
بعلائهم أزره .

نحمده على أن جبَل تَجَابَانَا ، على الإحسان والمبره ، ونشكره على أن أجزل عَطَايَانَا ،
لمن لم يزل يعرف حقه ويألف خيره ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

شهادة تشرح لمؤمنها صدره ، وتُصليح لموقفها أمره ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده
ورسوله الذى أسمى على الخلائق قدره ، وتولى فى المضايق نصره ، وأعلى فى المشارق
والمغارب ذكره ؛ صلى الله عليه وعلى آله أعرز عتره ، ورضى الله عن أصحابه الذين
أسدوا المنة وسدوا الثغره ، صلاة ورضوانا متواصلين فى كل أصيل ومكررين فى كل
بكرة ، ما وهب فضل الله مستحتماً فسر بالعواطف والعوارف سره ، وعقب فى سماء
الإسعاد كوكباً كوكباً فخل محله وقتر مقتره ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فسيمنا ترعى لأولياتها حقوقاً ، ونعمنا الغامرة تُسنى صدقاتها لمن لم يزل
فى ولائها صدوقاً ، وتزيد هباتها توفيراً لمن عهدت منه لمراضياها توفيقاً ، وتجدد
بتعاهدنا معهد الفضل فلا يُسمى خلياً بل يُضحى بأكرامها خليفاً ، وتسيّد بإحسانها
بيتنا أسس على تقوى الله وطاعة سلطانها فعداً بالحفظ حقيقاً ، ونجى بأعتنائها جوانبه
من الغير فلا يرهب حماه لها طروقاً ، ولا تجد بفضل الله لها عليه طريقاً ، وتطلع
فى بروج سُعودها زهراً تروق شروقاً ، وتجمع على مهماتها من عظموا فضلاً وكرموا
فريقاً ، وتودع أسرارها عند سراتهم ركوناً إليهم وسكوناً ورضاً بهم ووثوقاً ، وتسفع
مناخها بمنافع تزيد آمالهم نجاحاً وتفيد أمانتهم تحقيقاً ، وترفع مكاناً علياً إلى حيث
أوسع السرار من ملكها من كان باليأمن مالياً وفى الحاسن عريقاً ، ويخلف فى خدماها
شقيق منهم شقيقاً ، ويصرف أوامرها ونواهيها من أعيانهم من تأمن المصالح مع
أجتهاده ، تفويتاً وتخاف الأعداء لسداده ، تعويها ، طالما آتمنناهم على إيداع أسرارنا
خلت من سرايرهم مستودعاً وثيقاً ، وعينوا للعلى فصادفت طويئنا من يقظتهم
ونهضتهم تصديقا ، فهم أولى أن نجعل لأجبادهم بعقود جودنا تطويقاً ، وأحق أن
نرفع بنعمنا محلهم ، ونجمع فى خدمتنا شملهم ، فلا يخشون نقضاً ولا تفرقاً .

ولما كان المجلس العالى الفلانى هو الذى لحظته عنايتنا، فعلا فعلا، وأيقظته
إشارتنا، فعدا فى الحكم كهلا، وحفظته رعايتنا، فعمرت بينه العمري الذى مازال
بالعوارف ملموحا وللقبول أهلا، وأحظته سعادتنا، فى إقامته مقام أبيه فى حفظ
أسرارنا التى هو أحق بإداعيها وأولى - آتضى حُسن الرأى الشريف أن نُجرى
بمراستنا أقلامه، ونوفر من إنعامنا أقسامه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا برحتُ سحائبه عاقه، ومواهبه لها مزيد
وإدامه، ورعايته إذا آبتدأت فضلا رأت إتمامه، وكواكبه تسيرو فى منازل عرّها
ولتيرها الأ كبر الإرشاد والإمامه - أن يقوض إليه كذا وكذا، على أجمل العوائد،
وأكل القواعد، نظير ما كان مستقرا لأخيه .

فليباشر هذه الوظيفة التى لها به وباهله أعظم نثار، وليحل هذه الرتبة التى
ما منهم إلا من لها يُجتبى ويُستخار، وليجمل هذا المنصب الذى إليهم مصيره
فى جميع الأمصار، وليحل المهارق بانسآ آته التى شان مطاوتها عن شأوها الإقصار،
وليتوقل هذه الهضبة التى لها على عليائهم أقتصار، وفى آبايهم وأبنائهم لها تعيين
وأنحصار، وليدبج الطروس من خطه بالوثى الرقيم، وليبج النفوس من خطابه
بالدرّ النظيم، وليسرج الشمس من أوضاع كتابته التى بُرز من إبريز كُنوزها
«آبن العديم»، وليجهز البرد التى تقدمها مهايتنا فلم يكتتها من كآتب الأعداء هزيم،
وليبرين مقاصدها التى قرن بها الفتح القريب والنصر العزيز والفضل العظيم،
وهو بحمد الله غنى عن الإرشاد بالوصايا والتفهيم، على القدر لا يحتاج مع المعية إلى
تبيه ولا إلى تعليم، وهم أئمة هذه الصنعة ولهم الفضل القديم، وسبيلهم السوى
وصراطهم القويم، والله تعالى يوفّر لهم فضلنا العميم، ويظفر أقدارهم من لدنا

بتكرير التكريم ، ويُسنَى أمرهم فى آفاق العلياء يُسعدُ ويُقعدُ ويُقيم ، ويدمى لكل منهم
فى ظل نعمنا المزيده والتاكيد والتقديم ؛ والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ،
إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لكاتب السر ، أوردتها فى "التعريف" وهى :

وليأمر عنا بما يُقابل بالأمثال ، ويقال به : السيوف لأفلامه مِثال ؛ ويبلغ
[من] ملوك العدا ما لا تبلغه الأسنه ، ولا تصل إليه المراكب المُشرعة القلوع والخيول
المطلقة الأعنة ؛ وليوقع عنا بما تذهب الأيام وسنى ، ويُحَلِّد من الحسنات ما يُلغى
آخرة ويُلقى ؛ ويُحيل من لدنه من غرر الإنشاء ما يُطرز كل تقليد ، وتُلقى إليه المقلد ؛
ولينفذ من المهمات ما تُحجب دونه الرماح ، وتُحجم عن مجارة خيل البريد به الرياح ؛
وليتلق ما يرد إلينا من أخبار الممالك على اتساع أطرافها ، وما تضحى ملاءة النهار
ملاء أطرافها ؛ وليحسن لدينا عرضها ، وليؤد بأدائها واجب الخدمة وليتم قرضها ؛
وليوجب عنا بما استخرج فيه مراسمتنا المطاعه ، وبما وكل إلى رأيه فسمع له
الصواب وأطاعه ؛ وليمض ما يصدر عنا مما يحوب الآفاق ، ويزكو على الإنفاق ،
ويحول ما بين مضر والعراق ، ويطير به الحمام الرسائل وتجري الخيل العتاق ؛
وليُر النواب ما أبهم عليهم بما يُريهم من ضوء آرائنا ، وليؤكدهم عند أسباب الولاء
بما يوالى إليهم من عميم الآثنا ؛ وليأمر الولاة بما يقف به كل منهم عند حده
ولا يتجاوزهُ فى عمله ، ولا يقف بعده على سواه بأمله ؛ وليتول تجهيز البريد ،
وأستطلاع كل خبر قريب وبعيد ؛ والتجابه وما تسيير فيه من المصالح ، وتأخذ منه
بأطراف الأحاديث إذا سالت منه بأعناق المطى الأباطح ؛ وأمور النصحاء والقُصّاد ،

ومن يَظُلُّ سِرَّهُمْ عنده إلى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرجالَ آنصداعُها وهم شَتَّى في البلادِ؛ وليُعرفَ حقوقَ ذوى الخِدمة منهم، وأهلِ النصيحة الذين رضى الله عنهم، ولا يَنسَ عواندَهم من رُسومِ إحساننا الموظَّفِ، وكرمنا الذى يَسْتَمِيلُ به القلوبَ ويتألفُ؛ وليُصنِ السِّرَّ بِجَهْدِهِ وهيات أن يَخْفَى، وليُحجِبُهُ حتى عن مِسمَعِيهِ فِسرُ الثلاثة غير الخِفي؛ والكِشَافَةَ الذين هم ربيثة النظر، وجَلَّابَةٌ كلِّ حَبْرٍ؛ ومن هم أَسْرَعُ طُرُوقاً من الطيفِ، وأدخُلُ في نُحُورِ الأعداءِ من ذُبابِ السَّيْفِ؛ وهم أهلُ الرِّباطِ للخيلِ، وما منهم إلا من هو مُقْبِلٌ ومُدْرِكٌ كاللَّيْلِ؛ والدِّيَابِدُ والنَّظَّارَةُ، ومن يَعْلَمُ به العِلْمُ اليقينَ إذا رَفَعَ دُخَانَهُ أو نَارَهُ؛ وهم في جَنَابَاتٍ حيثُ لا يَخْفَى لأحدٍ منهم مَنَارٌ، ولا يزالُ كُلُّ نَبِيٍّ بِنُورِهِمْ كأنه جَبَلٌ في رَأْسِهِ نَارٌ؛ والحَمَامُ الرِّسَالِيُّ وما يَجْمَلُ من بَطَائِقٍ، ويتحمَّلُ من الأبناء ما ليس سِوَاهُ [له] بَطَائِقٍ؛ ويخوضُ من قطعِ الأنهارِ، ويقطعُ إلينا ما بَعُدَ مسافةَ شهرٍ وأكثرَ منه في ساعةٍ من نَهَارٍ؛ ويعزِمُ السَّرِيَّ لا يُلَوِّى على الرِّبَاعِ، ويعلمُ أنها من ملائكةِ النصرِ لأنَّها رُسلٌ ولها أجنحةٌ مِثْنِيٌّ وثلاثٌ ورُبَاعٌ؛ وغير هذا مما هو به معدوقٌ، وإليه تُحْدِئُ به التُّوقُ؛ من رُسلِ الملوكِ الوارِدَةِ، وطوائفِ المستأمنين الوافِدَةِ؛ وكلُّ هؤلاء [هو لآ] ما لهم المترجمُ، والمصرَّحُ عن حالهم المُتَحَمِّمُ، فليعامِلْهم بالكرامة؛ وليُوسِعْ لهم من راتبِ المُضَيِّفِ ما يَجِبُ إليهم في أبوابنا العالِيَةِ الإقامَةِ؛ وليَعْلَمْ أنه هو لَدِينَا المُستَشَارُ المُؤْتَمَنُ، والسفيرُ الذى كُلُّ أحدٍ بِسِيفارته مرتين؛ وهو إذا كتب بِنَاتِنَا، وإذا نطق لساننا؛ وإذا خاطبَ مَلِكاً بعيدَ المَدَى عُنُونَنَا، وإذا سَدَّدَ رَأْيَهُ في نُحُورِ الأعداءِ سَهْمُنَا المرسلُ وسِنَانُنَا؛ فليُنزِلْ نَفْسَهُ مَكَانَهَا، ولينظر لَدِينَا رَبَّتَهُ العَلِيَّةَ إذا رأى مثل النجومِ عِيَانَهَا .

فليراقب الله في هذه الرتبة، وليتوقَّ لِدِينِهِ فإنَّ الله لا يَضِيعُ عنده مِثْقَالُ حَبَّةٍ، وليخفَّ سوءَ الحسابِ وليتقَّ الله رَبَّهُ؛ وجماعةُ الكُتَّابِ بديوانِ الإنشاءِ بالممالك

الإسلامية هم على الحقيقة رعيته ، وهداهم بما جمدتهم به من الآلاء المعبية ؛
فلا تستكتب إلا من لا يجحد عليه عاتبا ، ولا يجحد إلا إذا قعد بين يديه كاتبا ، والوصايا
منه تستملى .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية أصحاب
التواقيع ، وهم على ثلاث درجات)

الدرجة الأولى

(ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» وكلها مفتوحة بـ «الحمد لله»)
وتشتمل على ثلاث وظائف سوى ما تقدم أنه نقل إلى رتبة التقاليد ، وهو كتابة السر

الوظيفة الأولى

(نظر الخاص)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها وظيفة محدثة ،
أحدثها السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » حين أبطل الوزارة ؛ وأن أصل
موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان ؛ وأن صاحبها صار كالوزير لقربه
من السلطان وتصرفه فى تدبير جملة الأمور ، وتعيين المباشرين ، إلا أنه لا يقدر على
الاستقلال بأمر ، بل لابد له من مراجعة السلطان . وقد تقدم ذكر ألقابه فى الكلام
على مقدمة الولايات من هذا الفصل ، وعلى طرة توقيعها فى الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخاص ، كُتِبَ به للقاضى شمس الدين موسى بن
عبد الوهاب فى الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » وهى :

الحمد لله الذى جعل كلَّ جُرح بنا يُوسى، وعجَّل كلَّ نعمة تُبدل بوسا، وتغيَّر
بالشُّرور من المساءة لبوسا .

نحمده حمدا يشرح صدورنا ويسر نفوسنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة ترفع لغائلها رُوسا ، وتطليع في آفاق ممالكها الشريفة شُموسا ،
وتنشئ في أيامنا الزاهرة عُروسا ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بشر به موسى ،
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تملأ طُروسا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن العمل بالسنة أولى ما يمسك به المتمسك ، وقد قال صلى الله عليه
وسلم : «أبدأ بنفسك» ؛ وكانت الخواص الشريفة هي المصلحة الخاصة بنا، المتعلقة
دون كل شيء بأنفسنا ؛ لأن من خزائنها العالية تنترق مواهبنا الشريفة في الوجود،
وتتحلى معاطف الأمراء والجنود ؛ وكان فيها من لم يزل هو وبنوه قائمين بها أحسن
قيام ، [و] فيها من ممالكنا الشريفة ما يضاها بمدده الغمام ؛ من حضر منهم لا يتفقد
معه من غاب ، ومن كتب منهم في شيء من مصالحتها قال الذى عنده علم من الكتاب ؛
كم أجزت صدقاتنا الشريفة بأقلامهم من إناعام ، وتقسّموا في مصالحتنا الشريفة هذا
في الخالص وهذا في العام ؛ طالما انقطع والدم رحمة الله تعالى بعذر فمشوا الأمور
على أكمل سداد ، وأجمل اعتماد ، وأتم مالو حضر أبوهم وكان هو المتولى لما زاد ؛
فما خلت في وقت منه ، أو من أحد منهم لما غاب من بقى يسد عنه ؛ فلم يزل
منهم ربعها مانوسا ، ولا سئل فيها عن قصة إلا وأنبأت بها صحف إبراهيم وموسى .

وكان المجلس العالى فلان هو الذى تفرد آخرًا بهذه الوظيفة ، وأستقل فيها بين
أيدينا الشريفة ؛ وسافر فيها إلى ثغر الإسكندرية - حرمها الله تعالى - فأقرت يمين
أصرفه ، وحسن تعففه ، وعدم فيها المضاهى لأنه لاشيء يضاها الشمس إذا حلت

سِرِّهَا فِي مَنَازِلِ شَرَفِهِ ، كَمْ كَفَّتْ لَهُ كِفَايَهُ ، وَبَدَتْ بِدَايِهِ ، وَكَمْ بَلَغَ مِنْ غَايَةِ ؛
 كَمْ لَهُ مِنْ هِمَمٍ ، وَكَمْ تَفَدَّمَتْ لَهُ قَدَمٌ ، وَكَمْ أَعْتَرَفَ السَّيْفُ بِبِزِّ الْقَلَمِ ؛ كَمْ لَهُ فِي خِدْمَةِ
 الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ أَوْلَادِنَا أَثْرُ جَمِيلٍ ، وَفَعُلُ جَلِيَّ جَلِيلٍ ، وَسُلُوكٌ فَلَا يُحْتَاجُ فِي الشَّمْسِ
 إِلَى دَلِيلٍ ؛ كَمْ أَحْسَنَ فِي مَرَّةٍ ، كَمْ رَدَّدَنَاهُ إِلَى الْكَرْكِ كَرَّةً ؛ كَمْ غَلَبَ عَلَى السَّحَابِ
 فَرَقًا إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ النُّجُومَ وَلَهُ قُدُومٌ عَلَيْهَا ؛ فَلَمَّا آتَنَقَلَ وَالِدُهُ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ
 عَبْدُ الْوَهَّابِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَحْتَاجَ إِلَى تَوْقِيعِ شَرِيفٍ بِالْأَسْتِقْلَالِ فِي وَظِيفَةٍ
 نَظَرَ الْخَاصَّ الشَّرِيفِ الَّتِي خَلَّتْ عَنْ أَبِيهِ ؛ لِيَعْلَمَ كُلُّ مَتَطَاوِلٍ إِلَيْهَا أَنَّهُ لَا يَصِلُ
 إِلَيْهَا مَعَ وُجُودِ بَنِيهِ ؛ فَمَا عَادَ إِلَّا وَعَادَ بَعَيْنَ الْعِنَايَةِ مَحْرُوسًا ، وَلَا أَقْبَلَ عَلَى كَرْمِنَا
 إِلَّا قَالَ (قَدْ أُوتِيَتْ سُلُوكٌ يَا مُوسَى) .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - زَادَ اللَّهُ شَرَفَهُ ، وَمَكَّنَ فِي الْأَرْضِ تَصَرُّفَهُ - أَنْ
 يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْخَاصَّ الشَّرِيفِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةِ وَالِدِهِ
 رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْوِظِيفَةِ ، وَقَاعِدَتِهِ فِي رُتْبَتِهَا الْمُنِيفَةِ ؛ لِيَقْضَى مَا كَانَ فِي خَاطِرِ أَبِيهِ
 مِنَ الْوَطْرِ ، وَلِأَنَّهُ فِي أَمْثَالِهِ عَيْنُ الْأَعْيَانِ وَالْعَيْنُ أَوْلَى بِالنَّظَرِ .

فَلْيُبَاشِرْ مَا أَنْعَمَتْ بِهِ صِدْقَاتُنَا الْعَمِيمَةُ عَلَيْهِ عَلَى مَا عَاهَدَ [مِنْهُ] بِالْأَمْسِ ، وَعُغِرِفْ بِهِ
 مِنْ حُسْنِ السُّلُوكِ كَمَا يَمِثُّ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ ؛ وَلِيَقْدَمَ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَمَانَةَ فَهَمَا
 أَفْضَلُ مَا يُقَدَّمُ ، وَأَجْمَلُ مَا يَعْمَلُ بِهِ مِنْ تَقَدُّمٍ ؛ وَالنَّهْضَةَ فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي تَقُومُ بِهَا
 الْمَصَالِحُ ، وَالتَّصَدَّى لَهَا هُوَ بِصَدَدِهِ فَإِنْ بِهِ يَتِمُّ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ ؛ وَلِيَحْتَفِظَ عَلَى
 الْخِزَائِنِ الْعَالِيَةِ ، وَلِيَكُنَّ فِيهَا كَوَاحِدٍ مِنْ رُقَّتِهِ عَمَلًا بِالْعَادَةِ [فِيهَا] ، وَإِلَّا فَحَنَ نَعْلَمَ مِنْ
 كِفَايَتِهِ [أَنَّهُ] يَكْفِيهَا ، وَلِيَتَمَرَّ الْجِهَاتِ الَّتِي إِلَيْهِ مَرِجِعُهَا ، وَالْأَمْوَالِ الَّتِي يَدُومُ إِلَيْهَا مِنْ
 الْعَيْنِ تَطْلُعُهَا ؛ وَلِيَسْتَجْلِبَ خَوَاطِرَ التُّجَّارِ بِإِصْصَالِ حَقُوقِهِمْ إِلَيْهِمْ ، وَالْقَائِمِينَ فِي خِدْمَةِ

أبوأبنا الشريفة بتعجيل ما تُنعم به صدقاتنا الشريفة عليهم ؛ وليكن إلى ما تبرز به مراسمنا الشريفة مُسارعاً ، ولها في كلِّ ما أشكل عليه من الأمور مُراجعا ؛ وبقية هذا من كلِّ ما يحتاج أن نُوصيه بتعلمه فقد علم مما جرت به عادتنا الشريفة بأن نقوله في مثله ، ولهذا نختصر في الوصايا التي نُشرح آكتفاءً بما آناه الله بنا من فضله ؛ والله تعالى يأخذ به إلى النجاح ، ويفتح له بنا أحسن الأفتاح ؛ والاعتقاد على الخط الشريف أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الخاص :

الحمد لله الذي جعل خواص النعم لمُلكنا الشريف لأجلها ، ونفائس الذخائر من دولتنا القاهرة بمجملها ، وأخيار المفاتيح مبسوطا في أيامنا ظلها .

نحمدُه بحمائه التي لا تمْلؤها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أشرق مستهلها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي خُتمت به أنبيأؤها ورسلها ، وبعثه الله للأرحام بيأها ، وللأولياء يجلها ، وللأعداء يذئها ، وللسيوف النصر من الغمود يسئها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ماشد على مطية رحلها ، وولى المراتب أهلها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن خزائن مُلكنا الشريف مستودع كلِّ تميم ، وممالكنا المعظمة لا تُعدق إلا بالثقة الأمين ؛ ومتاجر خواصنا الشريفة لا يُتمرها إلا من رأيه يعضد قلمه في اليمن ، والمتجر المحروس لا يقوم بنساء محصولة إلا من له حزم سيدي وعزم متين ، ونظر الخواص هو الذروة العالية فترقيها على كل ما يعترضه مُعين .

ولما كان فلان هو المختار على يقين ، والمخطوب لهذا المنصب ليزيده في التحسين والتحصين ، والذي إن نظر في القليل عاد كثيرا بالألوف والمئين ، فإن دبر تديرا حفظ وحرس وصين ، وضبط في حُسْنِ الاعتماد بآغ إلى الصين ؛ وإن توجه إلى الثغر المحروس تفجر له عن أمواله الجمة ، وأخرج له من فاجر الحلل ما حسن راقه راقه ؛ وصدر عنه إلى أبوابنا الشريفة بالتحف المضمنة ، والممول التي أوقرت السفن في النيل ، والإبل في السيل ، فأزال الغمة ، وأنار الأمور المندلمة ، ونشر ما طواه لدينا فشكرنا له ما تقدم به مما أتمه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف فليباشر هذا المنصب الكريم بتدبير يصلح الفاسد ، وينفق الكاسد ، ويكبت الحاسد ؛ ويكثر الأموال ، ويسعد الأحوال ؛ ويمسح الدخائر ، ويمسح السرائر ؛ ويوفر حاصل الجواهر ، ويكثر التحف من كل صنف فاجر ؛ ويؤتي المهمات الشريفة حقها في الأول والآخر ، وينشر التشاريف كالأزاهر . وليختار الأمناء الثقات ، وليحرر كل منهم الميقات ، وليبع لناصنا الشريف ويشتري بالأرباح في سائر الأوقات ؛ وليتلق تجار الكارم الواردين من عدن ، باستجلاب الخواطر وبسبب المن ، وتسير المعدلة عليهم ليجدوا من اليمن ما لم يجدوه في اليمن ؛ وكذلك تجار الجهة الغربية الواردين إلى الثغر المحروس من أصناف المسامين والقرنج : فليحسن لهم الوفاة ، وليعامهم بالمعدلة المستفاده ، فإن مكاسب الثغر منهم ومن الله الحسنى وزياده . والوصايا كثيرة وهو غني عن الإعادته ، و [ملاكها] تقوى الله فليقتف رشادته ، وليصلح مآبه ومعاده ، ولا يتدنس بأقذار هذه الدنيا فإنها بحمرة وقادة ، والله تعالى يحرس إرفاقه وإرفاده ، بمنه وكرمه ! : بعد انخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجيش)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها التحدث في الإقطاعات بمصر والشام، والكتابة بالكشف عنها، ومشاورة السلطان عليها، وأخذ خطه . وقد تقدّم ذكر ألقابه في جملة الألقاب في الكلام على مقدمات الولايات من هذا الفصل ، وتقدّم ذكر ما يكتب في طرة تقليده في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي عَدَّقَ^(١) بالأكفاء مصالِحَ الجنود ، وصَرَّفَ أقدامهم فيما نُقِطِعُه من الجُودِ ، وأَجَبَّيْ^(١) لمراتب السيادة من تَحَدُّه الأقدامُ في العطايا البيضِ والسُّيوفِ في الخطوب السود .

نَحْمَدُه وهو المحمود ، ونشكره شكراً مُشْرِقَ الميَّامِ والسُّعودِ ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً عَذْبَةً الوُرودِ ، يَجِدُ المخلصُ بركتها يومَ العَرَضِ ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ ونشهد أن عبداً عبده ورسوله الذي أَصْحَحَتْ به جيوشُ الإسلامِ منشورة الألوية والبُنودِ ، منصورَةَ السرايا في التَّهائمِ والنُّجودِ ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه ما أورقَ عود ، وأوبلجَ نهارُ السُّيوفِ في لَيْلِ العُمودِ ؛ وسلِّمَ تسليماً .

وبعد ، فإنَّ أجَلَ رُتَبِ هذه الدولة الشريفة مُرتقٍ ، وأجملها متقٍ ، وأكرمها هادياً حتَّى يعقدَ السَّيادةَ مَفْرِقاً ، رتبةً حَكْمنا مرتقيها في أرزاق الجيوش الذين هم حُماة الدين وأنصاره ، ولهم رَواحُ الظَّفَرِ وآتِكاره ؛ ولهذا لا يَنْحَطُّ بتسئمتها إلا من عَلاَ مقدارا ، وشكرتِ الدولة الشريفة له آثاراً ؛ وجبَّتْ عليه السعادةُ أثوابها ،

(١) (عَدَّقَ) يَجْمَعُ .

وأوكفت عليه سبحانه، وأزلته ساحاتها ورحابها، وغدت لأحاديث عليائه تروى،
وحده الميسور والمنشور والمطوي .

ولما كان فلان هو الذي تمت مآثره، وكُرمت مفاخره، وأستوتت على العلياء
مظاهره؛ وشكر أستبصاره وحياطته، وكل سلوكه منهج الفخار وجادته؛ وأحصى
الجنود عدداً، وإن كثروا النجوم مدداً؛ وأحاط بالأرض المقطعة، فلم تكن نواحيها
عنه ممتنعه؛ ولم يُغادر منها شيئاً إلا أحصاه، وأتبع سبب مراضينا حتى بلغ أقصاه؛
فالعلم يُثني عليه والعلم، والحرب والسلم يشكرانه لمناسبة نظره الفرطاس والقلم -
أقتضى حسن الرأي الشريف أن نرقبه هضبة سامية العلى، فاحرة الحلى؛ ومنبع
أرزاق أئمة الفضل وأبطالها، ورتبة شهيد مناهلها بعدم مثالها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليباشر هذه الوظيفة المباركة، ويُحل ذراها الأسمى، وليجمل أطلّاعه على
الجيوش المنصورة حتى لا يُغادر منها أسماً؛ لتغدو مصالحها وريقة الغراس بأسقه،
وعقودها نفيسة الفرائد متناسقه؛ وليُجر نظره المبارك فيما صرفناه فيه، آخذاً بمن
السداد من فعله وحسن التنفيذ من فيه؛ ملزماً من تحت نظره باتقان ما هم بصدده
من العروض والأمثلة، حتى تغدو لديه ممثله؛ محرراً للإقطاعات وعلم خفاياها فيما
نهبه ونقطعه، ونصله ونقطعه؛ والمقايضات وإن اختلفت، والإفراجات وإن
أكتنفت، والمغلات الآتية والأخرى التي سلفت؛ وما يخص المتصل، من فعل
المنفصل؛ والمتحصل والعبرة، والخاص والعدة لذوى الإمره؛ ومنها مصرى لاغنى
عن تحريره، وشامى يفتقر إلى الإلتقان في قليله وكثيره؛ ولينظر فيمن له جامكية
أو إقطاع مجزل، وكلاهما في دولتنا سمالك : هذا رايح وهذا أعزل .

هذه وصاياًا بحمّه ، وأنت غنيٌّ عن أن يستقصيَ القلمُ ذكراها أو يُجمّه ؛ والله تعالى
يجلّ به رُتبته ، ويبلغه أربه ، ويرفع عليه لواءَ المجد وعذبه ؛ بعد العلامة الشريفة
أعلاها الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجليش :

الحمد لله الذي أعزّ الجيوش المنصوره ، وجزّ أعناقَ العدا بالسيوف المشهوره ،
وهزّ ألويةَ التأييد المنشوره ، وجعل الجحافلَ مُشرفهً وأجنحتها خافقهً وساقها مُحِدقةً
وقلوبها مسروره .

نحمده بحمّامه المذكوره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً
مأثوره ، موصولةً غيرَ مهجوره ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أبطل
من الشيطانِ غروره ، وصان للإسلام حوزته وتُغوره ، وسنّ لأئمة الاستخارة
والمشوره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً نورت من الليل ديجوره ، وكثرت
لقاتلها أجوره ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أحوال جيوشنا يتعين حُسنُ النظر في أمرها ، والقيامُ بموادِ نصرها ،
وإسعافها بناظرٍ يحترز جهات أرزاقها ، ويضبطها مخافةً أفتراقها ، ويأمرُ بنظم جرائد
أسمائهم وأتفاقها ؛ ويُبَيِّنُ الخليلي ، ويبيِّنُ يومَ العرّض محله في آرتقاء العلي ؛ ويصون
المحاسبات لكل منفصل ومتّصل من الحلل ، ويُسرّع في الدخول والخروج ما يصل به
لكلِّ حقّه عند استحقاق الأجل .

ولما كان فلان هو المدوّح بالسنة الأعلام ، والرئيس بين الأنام ، والمشكور بين
أرباب السيف وذوى الأعلام ، والمأمون فيما يُعدّق به من مهام ؛ والعزيز المثل ،

والسائر بجمده الأمثال؛ والمنشور فضله في كل منشور، والظاهر أثره تجريده في الديوان المعمور، والذي شكرته الملكة الشريفة فهو من صدورها في الصدور .

(٢) ... فليباشر نظر هذا المنصب السعيد بأمانة تحفظ أرزاق العساكر، وتجلو الظلام العاكر، وليحترز جرائد التجريد، وليصن العدة الكاملة من التبيد، ولتكن أوراق اليباكر نصب عينيه حتى إذا طلبت منه أحضرها محرره، وإذا وقع فيهم حركة كانت أرقامه غير مقصره؛ وليرغب في آقتناء البناء حتى يصبح عنده منه جملة من الألو، وليكن للأمانة والنصح نعم الألو؛ وليتق الله مع أصحاب السيوف، وليستجلب خواطر أرباب الصفوف، وليجعل له برأ في كل أرض يطوف؛ وتقوى الله فهي السبيل المعروف، فليتمم بحبها الدانية القطوف، وليلبس بردها الضافية السجوف، والله تعالى ينجيه من الخوف، بمنه وكرمه!



وهذه وصية ناظر جيش أوردها في "التعريف" قال :

ولياخذ أمر هذا الديوان بكليته، ويستحضر كل مسمى فيه إذا دعي باسمه وقويل عليه بحليته؛ وليقم [فيه] قياما بغيره لم يررض، وليقدم من يجب تقديمه في العرض؛ وليقف على معالم هذه المباشرة، وجرائد جنودنا وما تضحى له من الأعلام ناشره؛ وليقتصد في كل محاسبه، ويحترزها على ما يجب أو ما قاربه وناسبه، وليستصح أمر كل ميت تأتي إليه من ديوان الموارث الحشرية ورقة وفاته، أو يخبره به مقدمه أو نقيه إذا مات معه في اليكار عند موافاته؛ وليحزر ما تضمنته الكشوف،

(١) لعله والظاهر أثره وتحريره الخ .

(٢) بياض بالأصل ومراده بالامر الشريف الخ .

ويحقق ما يقابل به من إخراج كلِّ حال على ما هو معروف، حتى إذا سُئل عن أمر كان عنه لم يخف، وإذا كُشف على كُشف أظهر ما هو عليه ولا يُنكر هذا لأهل الكُشف؛ وليحتريز في أمر كل مرَّبه، وما فيها من الجهات المُقطعة؛ وكلَّ منشور يُكتب، ومثالي عليه جميع الأمر يترتب؛ وما يثبت عنده ويتزل في تعليقه، ويرجع فيه إلى تحقيقه؛ وليعلم أن وراءه من ديوان الاستيفاء من يساوقه في تحرير كل إقطاع، وفي كل زيادة وأقطاع، وفي كل ما يُنسب إليه وإن كان إنما فعله بأمرنا المطاع؛ فليتبصر بمن وراءه، وليتوقَّ أختلاق كلِّ مبطل وأقترأه؛ وليتحقق أنه هو المشار إليه دون رُفقتة والمؤكل به النظر، والمحقق به جملة جنودنا المنصور من البدو والحضر. وإليه مدارج الأمراء فيما تنزل، وأمر كل جندي له ممن فارق أو نُزل؛ وكذلك مساوقات الحساب ومن يأخذ بتاريخ المنشور أو على السباقه، ومن هو في العساكر المنصورة في الطليعة أو في الساقه. وطوائف العرب والتركيان والأكراد، ومن عليهم تقديمه أو يلزمهم روك بلاد، أو غير ذلك مما لا يفوت إحصاؤه القلم، وأقصاه أو أذناه تحت كل لواء يُنشر أو علم؛ فلا يزال لهذا كله مستحضرا، وعلى خاطره مُحضرا؛ لتكون لفتات نظرنا إليه دون رُفقتة في السؤال راجعه، وحافظته الحاضرة غنية عن التذكار والمراجعة.

الوظيفة الثالثة

(نظر الدواوين المعبر عنها بنظر الدولة)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير، وأن كل ما كتب فيه الوزير «يُكشَف» مثلا، كتب فيه «يُكشَف عما رسم به» ونحو ذلك. وتقدم ذكر القابه في الكلام

على مقدمات الولايات من هذا الفصل ، وتقدم ذكر ما يكتب في طرزة توقيعه
في الكلام على التوقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الدواوين ، كُتِبَ به لتاج الدين بن سعيد الدولة ، وهى :
الحمد لله الذى خص من أخلص فى الطاعة من آلينا بحسن النظر ، وأجنى
من غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيامنا الزاهرة يانع الثمر ، ورفع من
استضاء فى دولتنا الفاهرة بأنوار الهدى من مجول الرتب إلى مكان الغرر ، وأظهر
لواعى السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشد فرآه بعين البصيرة قبل البصر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتضى وأنفع
ما يُدَّخر ، وأفضل ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخرى ، ونشهد
أن عمدا عبده ورسوله أشرف البشر ، وأزاف البدو والحضر ، والمبعوث إلى الأمم
كافة لما قضاه الله تعالى من سعادة من آمن وشقاوة من كفر ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الميامين الغرر ، صلاة دائمة الورد والصدر ، باقية العين والأثر ، وسلم
تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من خصه ربنا بالنظر الحسن ، وشمله كرمنا من الرتب بما يهجر
فى بلوغ مثله الوسن ، وأشتمل عليه معروفنا بما يجعل راعه فى مصالح الدولة الفاهرة
جميل العبارة حسن اللسن ، من تمت به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته سعادة الدنيا
تابعه ، وسلك فى مراضى الدولة الفاهرة طريق الإخلاص ففدت لكل خير
حاوية ولكل يمن جامع ، مع كفاءة جاءت المناصب على قدر ، ومعرفة مالخطت
المصالح بأقرب نظر ، إلا تمت الأموال وبدرت البدر ، وخبرة ما اعتبرت فيها
محاسن سيرته فى كل ما يباشره إلا صغر خبرها الحبر ، ونزاهة سلكت به فى كل

ما يليه أحسن المسالك ، وعِفَّةٍ رفَعته من الرتب الديوانية إلى مفارقة ولا رتبة للتأج إلا ذلك .

ولما كان فلان هو الذى آجنتى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى ، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة ما زاد على المنى ، وأتتى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أنقر ما يدخر للرتب الجليلة وأنفس ما يقتنى ، وعنى من أسباب استحقاقه المناصب بما اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقديمه وأن يعنى .

فلذلك رسم أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة : فليباشر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل ، ومجلياً فى هذه الحلية بسبق معرفته الذى لا يحتاج إلى دليل ؛ ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الإختيار ، ومن كوامن أطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار ؛ فلا يزال فرع يراعه فى روض المصالح مُمْتِراً ، وليل نفسه فى ليل الأعمال مُقِمِراً ؛ وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح مُحَدِّداً ، ولسان قلمه لما دق من أمور الأقاليم محققاً ؛ ورسم خطه لما يستقر فى الدواوين المعمورة مُنَبِّهاً ، ووسم تحريره لما يجتنى من غروس المصالح مُنَبِّهاً ؛ ولدتر أخلاف الأعمال ، بحسن الأطلاع محلياً ، ولوجوه الأموال ، بإتفاق التوجه إلى تميمها إن أقبلت محلياً وإن أعرضت محلياً ؛ فإن الأمور معادن يستتيرها التصرف الجميل ، ومنايت ينمىها النظر الجلي والإلتقان الجليل ؛ وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتجلبها فى كل حال أمامه ؛ والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه ! .

قلت : وربما أضيف إلى نظر الدواوين المعمورة نظر الصحبة الشريفة الآتى ذكرها ، وكتب بهما جميعاً لشخص واحد .

وهذه نسخة توقيع بهما جميعاً، كُتِبَ بها لتاج الدين بن سعيد الدولة على أثر إسلامه، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :

الحمد لله الذى خصَّ من أخلص في الطاعة من آلائنا بحسن النظر، وأجنى من غرس في قلبه أصل الإيمان من عوارف أيامنا الزاهرة يانع الثمر، ورقع من استضاء في دولتنا القاهرة بانوار الهدى من مجول الرتب إلى مكان الغرر، وأظهر لوايع السعادة من نعيمنا على من أضاء له الرشد فرآه بعين البصيرة قبل البصر .

نحمده على إحسانه الذى غمّر، وأمتنانه الذى بهر، وفضله الذى عمّ كل من ظهر له الهدى فلم يعارض الحق إذا ظهر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي أرفع ما يقتنى وأنفع ما يدخر، وأوضح ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخرى، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف البشر، وأراف البدو والحضر، والمبعوث إلى الأمم كافة لما قضاه الله من سعادة من آمن وشقاوة من كفر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الميامين الغرر، صلاة دائمة الورد والصدور، باقية العين والأثر، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى من خصه ربنا بالنظر الحسن، وشمله كرمنا من الرتب بما يهجر في بلوغ مثله الوسن، وأشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعه في مصالح الدولة القاهرة جميلة العبارة حسن اللسن، من سمى به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته [سعادة] الدنيا تابعه، وسلك في مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فغدت لكل خير حاوية ولكل يمن جامع، مع كفاءة جاءت المناصب على قدر، ومعرفة ما لحظت المصالح بأقرب نظر، إلا تمت الأموال وبدرت البدر، وخبرية ما اعتبرت فيها

(١) هي عين سابقها خلا أن فيها ضم الصيغة مع تغيير يسير، فذهب .

محاسن سيرته في مباشرة الإصغر خبثها الخبر، ونزاهة سلكت به في كل ما يليه أحسن المسالك، وعفة رفعت من الرتب الديوانية إلى غررها ولا رتبة للتأج إلا ذلك.

ولما كان فلان هو الذي آجنتي من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجني، وفاز من عوارفها العميمة بجمل المخالصة مازاد على المنى، وآنتى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أغر ما يدخر للرتب الجليلة وأنفس ما يقتنى، وعني من أسباب استحقاقه المناصب والرتب بما اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقديمه وأن يعتنى - فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة ونظر الصحبة الشريفة.

فليأثر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل، ومجلياً في هذه الخلة بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل، ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار، ومن كوامن أطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار، فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مثيراً، وليل نفسه في ليل الأعمال مقمراً، وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح محققاً، ولسان قلمه لما دق وجل من أمور الأفاليم محققاً، ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مثيراً، ووسم تحريره لما يحتنى من غروس المصالح مثيراً، ولدت أخلاف الأعمال، بحسن الأطلاع محتلياً، ولوجوه الأموال، بانفاق التوجه إلى ثمرها إن أقبلت محتلياً وإن أعرضت محتلياً، فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل، ومنابت ينمىها النظر الحلي - والإتقان الجليل، وملاك كل أمر تهوى الله تعالى فليجعلها إمامه، ويتخيلها في كل وقت أمامه، والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه! . وانلحظ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

الوظيفة الرابعة

(نظر الصُّحبة^(١))

[وهذه نسخة توقيع بنظر الصُّحبة] كُتِبَ به للشريف شهاب الدين ناظر الصُّحبة، من إنشاء الشهاب محمود الحلبي، وهو:

الحمد لله الذى جعل الشرف حيث حلَّ ركابنا مُصاحبا، وأطلع للفضل فى أفق خدمتنا من أولياء دولتنا شهابا ثاقبا، وعدق النظر فى صُحبتنا بمن لم يزل لمصالحنا ملاحظا ولأوامرنا مُراقبا، وفوض أمور مباشرة حال من آجتهد أو قصرنى خدمتنا إلى من لم يزل بنفسه فى واجب الطاعة مُنافسا وعلى فرض الموالاة مُحاسبا.

نحمده حمد من أجل فى أولئنا نظرا، وخص بالنظر فى صُحبتنا من اختيرت خدمته فتساوت فى الطاعة والمناصحة سفرا وحضرا، وأعتمد فى ملاحظة مباشرى مايمر عليه من ممالكه على من لا يهمل له حقا ولا يتحدث له ضرا.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لاتزال جيوشنا لإهلاء منارها مجهزه، وسرايانا إلى مقاتل جاحديها البارزة مبرزه، وعود النصر على من ألحد فيها لنا معجلة وعلى أيدينا منجزه، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أنهضنا الله من جهاد أعداء دينه بما قرص، وأيقظنا لرفع أقدار أهل بيته فلم يقصر بأحد منهم فى أيامنا أمل ولا بعد عليه غرض، وخصنا منهم بمن تمسك بجوهره الأعلى فلم

(١) يظهر قياسا على ما سبق فى فظائره أن هنا سقطا، هو « وموضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير فى كل ما يحدث ويشاركه فى الكتابة فى كل ما يكتب فيه ويوقع فى كل ما يكتب فيه الوزير تبعاله ». انظر

يتعرض من هذا الأذى إلى عَرْض ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من (يكاد يُمسكه عرفان راحته) ، وإلا المؤثر طاعة الله ورسوله وأولى الأمر على راحته ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس خلودها من الغروب والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من اخترناه لصحبتنا الشريفة على علم ، وأعدناه لمهماتنا الكريمة لما فيه من تسرع إدراك وتبتي في حكم ؛ وبسطنا له فيما عدقناه به من ذلك لسانا ويدا ، وحفظنا به الأحوال من [وصول] مسترق السمع إليها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) ، وأذخرنا أقالمه لمصالح كل إقليم يمر ركابنا الشريف عليه ، وفوضنا مناقشة مباشره على ما أهملوه من حقوق الله تعالى وحقوق الرعايا إليه ؛ وأقنناه لتصفح ذلك بنفسه ، وتلمح زيادة كل يوم على أمسه ؛ وأترع الحق من مديده إلى ظلم بكف كفه عنه ورفع يده ، وأرتجاع الواجب ممن أقدم عليه بالباطل في يومه وأطرح المؤاخذه به في غده ؛ وغير ذلك مما أحصاه الله ونسوه ، وأعتمدوا فيه على المصلحة فأجتنوا ثمرة ماغرسوه - من كان له في المناصحة قدم صدق عند ربه ، وفي خدمة الدولة القاهرة قدم هجرة تقتضى مزيد قربه ؛ فكان أبدا بمرأى من عنايتنا ومسمع ، ومن إحساننا بالمكان الذي ليس لأحد من الأكفاء في بلوغ غاية أمل ولا مطمع ، وتفرد بأجتماع الدين والمنصب والأصالة والعلم والكرم وهذه خلال الشرف أجمع .

ولما كان فلان هو الذي آجنتى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى ، وفاز من عوارفها العميمة بجبل المخالصة ما زاد على المنى ؛ وأنتمى من أدوات نفسه ونسبه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أنفس ما يدخر للربب الجليله وأنفس

ما يُقْتَضَى ، وَعُنِيَ من أسباب استحقاقه المناصبَ والرتب بما أقتضى إحسانُ الدولة
القاهرة أن يُحتفل بتقدمه وأن يُعْتَنَى . فإذْلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض
إليه نظر الدواوين المعمورة ^(١) .

فليباشر ذلك محلياً هذه الرتبة بمقود تصرفه الجميل ، ومجلياً في هذه الحلبة بسبق
معرفة التي لا تحتاج إلى دليل ، ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع
الاختيار ، ومن كوا من أطلّعه مالا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار ؛
فلا يزال فرع يرّاعه في روض المصالح مُثْمِراً ، وليل نفسه في ليل الأعمال مُقَمِّراً ؛
وحسن نظره إلى ما قُرب ونأى من المصالح مُحَدِّقاً ، ولسان قلمه لما دقَّ وجلَّ من
أمور الأقاليم محققاً ؛ ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مثنياً ، ووسم
تحريره لما يمتحن من غروس المصالح مُنْبِتاً ؛ ولدّر أخلاف الأعمال بحسن الأطلاع
محتلياً ، ولو جُوه الأموال بإنفاق التوجه إلى تثيرها إن أقبلت مجتلياً وإن أعرضت
محتلياً ؛ فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل ، ومنايت يتميها النظر الجلي
والإتقان الجميل ؛ وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويختليها في كل
حال إمامه ؛ والله تعالى يستدده ويوفقه بمنه وكرمه ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما أضيف إلى نظر الصحبة نظر الدواوين الشريفة ، وحينئذ
فيحتاج الكاتب أن يأتي في براعة الاستهلال بما يقتضى الجمع بينهما ، ويورد من
الوصايا ما يختص بكل منهما . والكاتب البالغ يتصرف في ذلك على وفق ما يحدث
له من المعاني ويستح له من الألفاظ .

(١) الصواب نظر الصحبة .

الدرجة الثانية

(من تواقع أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة بالديار المصرية ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء ، مفتتحا بـ «الحمد لله» إن قصد تعظيم المكتوب له على ما هو الأكثر ، أو بـ «أما بعد حمد الله» جرأ على الأصل لما يكتب في قطع الثلث ، على ما تحف عليه في النسخ)

وتشتمل على وظائف :

الوظيفة الاولى

(كتابة الدست)

والمراد دست السلطنة . وقد تقدم الكلام عليها في مقدمة الكتاب في الكلام على ديوان الإنشاء ، وتقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها أن يجلس أصحابها بدار العدل أيام المواقب خلف كاتب السر ، ويقرؤون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر ، ويكتبون عليها بما تقتضيه الحال ، بعد إشارة السلطان بالكتابة ، ثم يحمل ما يكتبون عليه من القصص إلى كاتب السر فيعينها . وأن هذه الوظيفة كانت من أجل الوظائف وأرفعها قدرا ، منحصرة في عدد قليل نحو الثلاثة فما حولها ، ثم وقع التساهل في أمرها ، ودخل فيها العدد الكثير حتى جاوز عددهم العشرين ، وبقيت الرياسة فيهم لعدد مخصوص منهم ، وقنع الباقون بالإسم . وقد تقدم ذكر طرزة توقيعه في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدست ، وهي :

الحمد لله الذى فضل الكرام الكاتبين ، وأحيا بفضائل الآخريين الأولين الذاهبين ، وأنزل فى القصص : (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) .

نَحْمَدُهُ وَهُوَ الْمَحْمُودُ الْمَعِينُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً قَوْمٍ مُخْلِصِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالشَّافِعُ فِي الْمُدُنِيِّينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ الشَّرِيفَ دَارُ جُذْرَانِهَا الْأَمْرُ الْمُطَاعُ ؛ وَأَبْوَابُهَا الْخَيْرُ الَّذِي لَا يُضَاعُ ؛ وَسَقْفُهَا الرَّحْمَةُ وَالْإِتِّضَاعُ ، وَصَدْرُهَا الْإِحْسَانُ الْمَدِيدُ الْبَاعُ ؛ وَصَحْفُهَا الْأَمْنُ وَالسَّرُورُ فَلَا يُخَافُ أَحَدٌ فِيهِ وَلَا يُرَاعَى ، وَجِلْسَاؤُهَا الْكَاتِبُونَ عَارِضُونَ الرَّقَاعِ ؛ هُمْ مَعْدِنُ الصَّدَارَةِ ، وَمَوْطِنُ الْكِتَابَةِ وَالْحِكَايَةِ وَالْإِشَارَةِ ، وَأَقْلَامُهُمْ تَأْتِي بِحُسْنِ التَّشْبِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةِ ، وَتُطَرِّزُ حَوَاشِيَ الرَّقَاعِ بَوْشِيَّ الْإِنَارَةِ ، مَا أَخْتِيرَ أَحَدُهُمْ لِلْجُلُوسِ فِي دَسْتِهِ إِلَّا وَقَدْ أَرْضَى مِنْ آخْتَارِهِ ، وَتَمَيَّزَ بِحُسْنِ السَّمْتِ وَالْوَفَاءِ وَالْوَقَارِ وَالشَّارَةِ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي لَهُ فِي السُّودِّدِ أَصْلٌ عَرِيقٌ ، وَفِي الْفَضَائِلِ لَهُ قَلَمٌ مَطِيقٌ ، وَفِي الْبَلَاغَةِ لَهُ لِسَانٌ مَنَظِيقٌ ، وَإِذَا دَبَّحَ قَرطَاسَهُ فَهُوَ لِلرُّوضِ شَقِيقٌ ، وَنَبَاتُهُ الْجَوْهَرُ لَا الْأَسُّ وَالشَّقِيقُ ، وَأَصْبَحَ لِلْجُلُوسِ فِي الدَّسْتِ الشَّرِيفِ أَهْلًا عَلَى التَّحْقِيقِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَسْتَقَرَّ... .. فليُحَلَّ هذا الدَّسْتُ الشَّرِيفُ مُبْهِجًا بَيِّنًا ، مُتَلَبِّجًا لِلصُّدُورِ بِعِرْفَانِهِ ، مُتَلَبِّجًا بِنُورِ يَدِهِ وَلسَانِهِ ، قَارِنًا مِنْ قِصَصِ النَّاسِ وَظُلَامَاتِهِمْ فِي إِيْوَانِهِ كُلِّ شَيْءٍ فِي أَوَانِهِ ؛ لَا يَكْتُمُ ظُلَامَةً مَكْتُوبَةً فِي رُقْعِهِ ، بَلْ يُعَرِّفُ مَلِكَهُ بِهَا وَيَلْفَهَا سَمْعَهُ ، فَإِنَّهُ فِي هَذَا الْمَحَلِّ أَمِينٌ وَالْأَمِينُ مَحَلُّ النَّصِيحِ وَالْخَيْرِ وَالرَّفْعَةِ ؛ وَإِذَا وَقَعَ فَهُوَ مَأْمُورٌ ، فَلَيَاتِ بِمَا يُبْهِجُ الصُّدُورَ ؛ وَيَسْتَفِي غَلِيلَ الشَّاكِي ، بَلْفِظِهِ الزَّاكِي ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ لَكِنِ السَّلِيمُ لِبَعْضِهَا الْحَاكِي ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ تَأْجِبُهَا الْمَجُوهَرُ ،

(١) لعله لكن سئل ببعضها الحاكي ، وهو تقوى الخ . تأمل .

وبذرُها المنورُ ، وكوكبُها الأزهرُ ، والله تعالى يمتعه بالفضل الذي لا يُحُول ولا يتغيَّرُ ؛
بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع من ذلك أيضا ، وهي :

الحمد لله الذي أفاض على الأولياء من فضله ، وأهمى عليهم من مواهبه ما يقصر
عنه الغامُ في وبله وطله ؛ ومنح دستَ الملك الشريف من الألفاظ المحيِّده ،
والفضائل المفيدة .

نحمده على نعيمه التي أجزلت إحسانها ، وأجملت آمتنانها ، وبزغت مزهره
فقدمت من الدولة أعيانها ؛ ونشكره على عوارفه التي ألقى لأهل الثناء عنانها ،
ورحب لذوى البيوت صدرها وفص عنوانها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب بإيمانها ويدخر
القائل لها ليوم الخاف أمانها ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أظهر الله
به الشريعة المطهرة وأبانها ، وشرف [به] هذه الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها ، وبعثه
رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل الهداية وبرهانها ، وأطفا بنور إرشاده
شرر الضلالة ونيرانها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من نزه
نفسه النفيسة وصانها ، وسلك في خدمته وصحبه الطريقة المثلى فأحسن إسرار
أموره وإعلاتها ، صلاة دائمة باقية تُجمل بالأجور آقرانها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فانه لما كانت وظيفة توقيع الدست الشريف من أجل الوظائف
وأستناها ، وأنفسها وأعلاها ، وأجملها وأبهاها ؛ القائم بها سفير الرعية إلى الملك

في حاجتهم ، وترجمانٌ مُعَرَّبٌ عن شكايتهم ، وكاشفٌ أحسنُ ناسِرٌ عن ظلامتهم ؛
جالسٌ على بساط الأُنسِ بقرْبِ الحضرة ، منتقِذٌ نَهَى مَلِيكَهُ وأمرَهُ ، مبلغٌ ذا الحاجة
من إنعامه جودَهُ ورَّه - تعين أن يُنَدِّبَ رَئِيسَ وأبْنَ رَئِيسَ ، وجوهرٌ بحرِ نَفِيسَ ؛
ذو أصلٍ في السُّودَدِ عَرِيقٌ ، ولسانٍ في الفضائلِ طَلِيقٌ ، وَقَلَمٌ حَلَى الطُّرُوسِ بما يُفُوقُ
زَهَرَ الرِياضِ وهو لها شَقِيقٌ ، وفاضلٌ لا يُقَاسُ بغيره لأنه الفاضلُ على التحقيق ؛
وكان المقرُّ العالى الفلافى هو المشار إليه بهذه الأولوية ، والمراد من سطور هذه
المحامد اللؤلؤية . فلذلك رُسِمَ بالأمر العالى أن يستقرَّ المشارُ إليه في وظيفة توقيع
الدست الشريف عوضًا عن فلان بحكم وقائه .

فليباشِرْ ذلك مباشرة تُسَكَّرَ مدى الزمان ، وتُجَدَّ في كلِّ وقتٍ وأوانٍ ؛ وليدبِّحْ
المهارِقَ بوشى يُفُوقُ فلاتدَّ العِقيانَ ، ولتَمَسَّ بالأجور لنا صُحُفا بما يوحيه عنا من
خيراتِ حسان . ونحن فلا نُطِيلُ له الوصايا ، ولا نُحَلِّيه بها فهى له سَجَايا ؛ مع ما أدبه
به علمه الجَمِّ ، وعمله الذى ما أنصرفَ إلى شىءٍ إلا تمَّ ؛ ويجمعها تقوى الله تعالى
وهى عقْدُ ضميره ، وملاكُ أموره ؛ وما بَرِحَ هو وبيته الكَرِيمُ مصابيحَ أُنْفِقَها ومفاتيحَ
مُعَلَّقَها ، ولهم جُددٌ ملابسها وللناسِ فواضِلُ مُحَلَّقَها ؛ والله تعالى يزيده من إحسانه
الجزيل ، ونعيمه التى يرتدى منها كلُّ رداءٍ جميلٍ ، ويمتعه بإمارته التى ما شكربها إلا
قال أدبًا : حَسْبُنَا اللهُ ونعم الوكيل ؛ والاعتادُ فى مسعاه ، على الخط الكَرِيمِ أعلاه .

الوظيفة الثانية

(نظر الخزانة الكبرى)

وقد تقدّم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنّ هذه الوظيفة كانت
كبيرة الموضع من حيث إنها مستودع أموال المملكة ، إلى أن حدثت عليها خزانة

الخاص فأنحطت رتبها حينئذ، وسميت الخزانة الكبرى باسم هو أعلى منها، وأنه لم يبق فيها سوى خلع تُخلع وتُصرف أولاً فإولا . وقد تقدم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة :

الحمد لله الذي جعل الخزانين لذخائرنا كهوفا ، وملايس إقبالنا سُنُوفًا ، ومواهبنا تُجزل عطاءً ، ومعروفًا ، وإقبالنا على مُحسن التدبير ومجمل التأثير عَطُوفًا ، وأيادينا في إسكان جنتها قُطُوفًا .

نحمده حمدًا مألوفًا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أوضحت معروفًا ، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي أزال محوفاً ، وأقام الصلاة والجهاد صُفُوفًا ، وشهر على العدا عند تأييد الهدى سُيُوفًا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما سدل الليل مُجُوفًا ، وسلم تسليماً .

وبعد، فإنَّ الملك الشريف له مُحفَّ مَصُونَه ، وذخائرُ مَكْنُونَه ، وأصنافُ حَسَانٍ في خزائننا مَحْزُونَه ، وجواهرُ عَالِيَةِ الْقِيَمَةِ ثَمِينَةٌ [لا يقوم عليها إلا من] لا يمدُّ عينَ عَافَاهُ إِلَى الْمَالِ وَإِنْ كَثُرَتْ آلَافُهُ ، وَوَجَّحَ بِلُحَّةِ هَذِهِ الذَّخَائِرِ وَلَمْ تُلِمَّ بِاللَّلِّ أَطْرَافُهُ ؛ وَهُوَ فُلَانٌ : الْعَرِيقُ فِي آنْتَسَابِهِ ، الْوَيْسِقُ آنْتَسَاؤُهُ إِلَى فَضْلِ اللَّهِ وَجَنَابِهِ ؛ النَّقِيُّ ثَوْبٌ عَرَضَهُ ، النَّقِيُّ بِتَمْسُكِهِ بَسُتَتَهُ وَقَرَضَهُ ، الْوَفِيُّ نَظَرَهُ بَغَضَهُ ، الْمُسْتَمْسِكُ بِجَمِيعِ الْخَيْرِ دُونَ بَعْضِهِ ، مِنْ بَيْتِ السِّيَادَةِ وَمَنْ هُوَ مِنْ بَيْتِ السِّيَادَةِ فَالْسُّودُّ نَجْمٌ سَمَائِهِ وَطَوْدٌ أَرْضِهِ . فَلذَلِكَ رُيَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَسْتَقَرَّ

فليباشر هذه الوظيفة بعملٍ ونيءٍ ، متأسماً ذخائر هذه الخزانة العلية ؛ وأمورها وأحوالها ، وتفصيلها وإجمالها ، وحمولها وأحمالها ؛ وحللها المرقومه ، وذخايرها

المعلومه، وجواهرها المنظومه، وأكاسمها المختومه، وصناديقها المرثومه؛ ما عن علمه فيها شئ، خاف، وصونه لها كاف، وأمر الله بين النون والكاف .
 وليعلم أن خزانتنا تُصَبُّ فيها سحائبُ التحف والأموال والأصناف، من سائر الممالك والمدن والثغور والأطراف؛ ومنها يُخرج بمجهاز مواهبنا وإنعامنا للأولياء الأشراف، وإنما هي لمصالح المسلمين فى الجمع والإتلاف، وتقوية أهل الطاعة على أهل الإختلاف، فليضبط ما تطلقه وإن كانت الأرقام لا تستطيع ذلك لكثرة الإسعاف؛ ولتكن التشاريف المشتمة الكامله، حاصله بمنأطيقها المجوهره الهائله، وطُرُزها الطائله، وتعايبها الفاضله، حتى إذا أنعمنا منها على أحد بشئ، يأتي بمجمله وقد حميد فاعله . والوصايا كثيره وتقوى الله نظام عقدها، وعمام رؤدها، وزمام مجدها، وتمام سعدها؛ فليكن متلفعا ببردها، متضوعا بندها، وهو غنى عن الوصايا ومددها، والله تعالى يؤيد حركاته فى قصدها؛ والخط الشريف اعلاه، حجة بمقتضاه، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لناظر الخزانة، أوردتها فى "التعريف" :

وتيملاً بنظره صدور الخزائن، وليجمع فيها أشنات المحاسن؛ وليعد فيها كل ما يدخر للإنفاق، ويحتفظ به للإطلاق؛ ويحصل ما يضاهاى البحر بالتنفيع والتأصيل، والجمل والتفاصيل؛ وما لا يؤزن إلا بالقناطير، ولا يوصى منه ملء الأساطير؛ وما يهبأ من التشاريف الشريفة التى تباهى أشعة الشمس بلمعها، وتحاسن وشائع الروض بجلعها؛ وما فيها من مخلقات ألوان لا تُمائل بتصوير، ولا يُظنُّها الأولياء إلا الجنة وليأسهم فيها حرير؛ وما تحتوى عليه من عتايى وأطلس، ومشرَبش ومُقندس؛ وكل طراز مذهب وباهى، وما هو من ذهب أوله يضاهاى؛ وكل

ما يتشرف به صاحب سيف وقلم ، ويُعطى إنعاما أو عند أول استخدام في خدم ، وما هو مع هذا من أنواع المستعملات ، والنواقص والمكملات ، وما يحمل من دار الطراز ، ويحمد مما يأتي من المبتاع من بز وبزاز ؛ وما هو مُرصدٌ لخزانة العالية من الجهات ، التي يحمل إليها متحصلها : لينفق في أثمان المبيعات ، وما يُستعمل ، وما يُعلم منه بالطرز ويُعمل ، وبقيّة ما يدخر في حواصلها من مال بيت المال الذي يحمل ، وذلك كله فهو الناظر عليه ، والمناظر عنه مما خرج من عنده ووصل إليه ، والمحتاج عنه بالمراسم التي تُسك للحفظ وتُنزل لديه ؛ فليراج ذلك جميعه حقّ المراعاة ، وليحترق قدر ما يُنفق من الأثمان وقيمة المبيعات ، وليحترق فيما يُزكى بعضه بعضا من شهادة الرسائل المكتوبة إليه بالحمول وما يُكتب بها من الرجعات ؛ وليُبر المعاملين من نظره مالا يجِدون معه سبيلا ، ولا يقدرُون معه على أن يأخذوا فوق قدر استحقاتهم كثيرا ولا قليلا ؛ وليُقدّم تحصيل كل شيء قبل الاحتياج إليه ويدعه لوقته ، ولا يمثل لديه إلا سرعة الطلب الذي متى تأخر أخر لوقته (؟) ؛ والأمانة الأمانة ، والعفاف العفاف فما كان منهما واحد رداء أمرى إلا زانه ، ولولاهما لما قال له الملك إنك اليوم لدينا مكيّن أمين وسلم إليه الخزانة .

الوظيفة الثالثة

(نظر خزانة الخاص)

وهي الخزانة التي استحدثت في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» عند استحداث وظيفة «نظر الخاص» وقد أنتقل ما كان يحمل إلى الخزانة الكبرى ويُصرف منها إلى هذه الخزانة ، سوى الخلع ، كما تقدمت الإشارة إليه في الكلام على توقيع ناظر الخزانة الكبرى .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزانه الخصاص ، كُتِبَ به للقاضى شرف الدين محمد
ابن علاء الدين الجَوْبَجْرِى^(١) ، فى مستهل شهر رجب الفرد ، سنة تسع وثلاثين
وسبعمائة ، وهى :

الحمد لله الذى زاد بنظرنا الشريف شرف من لمحمة من اوليائنا [و] لحظه ، وأفاد
المستأنف من ربنا من عهدنا له الفطرة السليمة وتيقنا منه الفكرة واليقظه . وأعاد
لثخلف الكريم ، من المشايخ ما كان للسلف القديم الصالح من التقديم ، الذى شملهم
بالتكريم ، وجعلهم على خزائن جودنا العميم : لأنهم العلماء الحفظة . وجاد بالطرف
من خاص انعامنا العام لمن لقمه عند الإذناء من سيرير الملك إنجاز عده وللسانه
عند ارتقاء منبر النسك إبراز عظه .

نحمده على أن أجزل لمن عول على شامل كرمنا جزاءه وعوضه ، ونشكره على أن
تطول بنوافل نعمنا لمن قام بعد أبيه بلوازم خدمتنا المقرضه ، وعكف أعمالنا على بيت
مبارك مامنهم إلا من شمل من إحساننا بالمنح لما بذل لسلطاننا من النصح ومحضه .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يودع مصونها فى الأرائك
المتعلية ويقطع يقينها الشكوك المعترضه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
عظمت عطايا بذله ، فالبجار المرتفعة عنها منخفصه ، وكرمت سبحايا فضله ، فليست
بمنتقلة وأبرمت قضايا عدله ، فليست بمنتقصه ، وعمت البرايا يده البيضاء التى هى
بالأرزاق فى الآفاق منبسطة وليست عن الإنفاق خشية الإملاق منقبضه ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من أقرض الله قرضا حسنا فضاعف له
ما أقرضه ، صلاة تدنى لقاتلها فى الأولى من النعمة والأمان أمله وتؤتية فى الأخرى
من الرحمة والرضوان غرضه ، وسلم تسليما كثيرا .

(١) نسبة الى «جوجر» فتح الجيمين وراى بليدة بالقرب من دباط انظر ياقوت ج ٢

وبعد، فإن أولى مَنْ رُفِعَ بإكرامنا إلى رُتَبَةِ عَلَانِيَةٍ، وَأَنْتَفَعَ من مقامنا الشريف باختصاصِ خدمته وإخلاصِ وِلَايَتِهِ - مَنْ شَفَعَ مَزَايَاهُ بِجَمْعِ أَشْنَاتِ الْعُلُومِ فِي أَبْكَارِهِ وَأَنَانِيَةٍ، وَأَسْتَوْدِعَ ذَخَائِرَ مُلْكِنَا المصونَةِ فكان حَفِيظًا عَلِيًّا عِنْدَ اقْتِرَابِهِ مِنَّا وَإِدْنَانِهِ، وَصَدَعَ القلوبَ بِإِبْدَاعِ وَعَظِهِ وَإِبْدَانِهِ؛ وَأَتْبَعَ سَبِيلَ وَالِدِهِ القويمِ، فِي الشَّدَةِ فِي الْحَقِّ وَالتَّصَمُّيمِ؛ وَسَلَكَ طَرِيقَتَهُ الَّتِي هَدَاهُ اللهُ إِلَيْهَا بِتَوْفِيقِهِ فَأَذْرَكَ غَايَتَهُ فِي آبَسَدَانِهِ، وَقَبِعَ بِمَا آتَاهُ اللهُ تَعَالَى فَأَثَرَتْ مَكَارِمُنَا رِفْعَةً مَحَلَّةً وَتَوْسِعَةً حَبَابِيَّةً؛ وَبَرَعَ فِي إِتْقَانِ الْفَضَائِلِ الَّتِي آذَنْتْ بِاصْطِفَائِهِ وَأَجْتِبَانِهِ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ آخْتِيَارُنَا الَّذِي نَسْتَخِيرُ اللهُ تَعَالَى لَهُ فِي إِبْرَامِ كُلِّ أَمْرٍ وَإِمْضَائِهِ؛ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُنَا الَّذِي كَمَ أَصَابَ الصَّوَابَ فِي تَعْيِينِ الْعُلَمَاءِ الْأَنْجَابِ فَنَصَّ عَلَيْهِ الْأَسْتَحْقَاقُ بِإِيْجَابِ التَّرْجِيحِ وَأَقْتِضَائِهِ .

وكان المجلس السامى الشرفى هو الذى قدمناه بعد أبيه لشهادة خزاننا الشريفة فشهدنا من حُسن سيره ما أبهج، ونظمناه فى سلك أولياء الملوك فسلك من الخير أقوم منبهج، ثم أردنا الآن أن هلاله ينتقل إلى رتبة الكمال لما تدرج وتدرج؛ وأعدنا له تأم الإقبال حيث شرف دولتنا الأعلى - زاد الله تعالى تأييده - بذكره لدينا وبشكره عندنا بلهج - فاقترضى حُسنُ الرأى الشريف أن هذا النظر الجميل عنه لا يُجرح، وهذا الوقور الجليل لا يُعدل به عن فرج مُتَجِبٍ لأصلٍ طيبٍ أئتمَرَ الولاء والدعاء لأيماننا الشريفة وأنتج .

فذلك رُسم ... لا زالت الصدور بصدور أحكامه تُنلج، والأمرُ بمرور إنعامه تفضل على الحق الأبلج - أن يستقر ... فليُنطق لسان كَلِمَةٍ بالإخلاص فى حمد الخاص والعام من هذا الإكرام الذى بمطاريفه تُسرِّبِلُ وبعوارفه تُتَوَجِّحُ، وليُطلق سنان قلبه فى تبييض المصاحف بذكر إنعام المقام الذى هو كالبِحْرِ وَيُفِصِّحُ

عن حمده فهو بحمد الله لا يتلجلج ؛ وليُحَقِّق بَيَان حُكْمِهِ ضَبْطَ الْأَصْلِ وَالْحَصْمِ
وَالْوَأَصِلِ وَالْحَاصِلِ وَالْمُحَضَّرِ وَالْمُخْرَجِ ، وَلِيُنْفِقْ فِي أَوْلِيَانَا مِنْ عَوَائِدِ صَلَاتِ نَعْمَانَا
الَّتِي تَقْبِضُهَا أَيْدِي مَلُوكِ الْمَدَائِنِ بِسَيْطٍ وَمِنْ بَعْضِهَا صُدُورِ الْخَزَائِنِ تَخْرُجُ ؛ وَلِيَسْئَلُكَ
سُنَنَ أَبِيهِ الَّتِي بِهَا يَسْتَظْهِرُ وَيَفْتِخِرُ وَيَسْتَدِلُّ وَيَحْتَجُّ ، وَيَسْتَمْسِكُ بِسَبَبِهِ الْأَقْوَى
مِنَ الدِّيَانَةِ الَّتِي بَابُهَا مِنَ النِّجَاةِ فِي الدَّارَيْنِ غَيْرِ مُرْتَجٍّ ، وَتَرِكَ لَهُ تَفْصِيلَ الوَصَايَا لِأَنَّهُ
قَرِينٌ كَفِيلٌ مُلْكَا الْقَوَى الْأَمِينِ ذِي الْإِرْشَادِ وَالسَّدَادِ فَمَعَ مِرَاقَتِهِ فِي الْإِصْدَارِ
وَالْإِيرَادِ وَالتَّكْرَارِ وَالتَّعْدَادِ لَمْ يَحْتَجِّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ الطُّرُوسَ بِذِكْرِ تَقْدِيمِهِ تَحْبِرًا
وَتُدْبِجًا ، وَالدَّرُوسَ تَنْشُرُ وَعُلُومَهُ تَعَطَّرُ وَتَنْتَازِجُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الرابعة

(نظر البيوت والحاشية)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه أستاذ الدار، وتقدم
الكلام على ما يكتب في طرة تقليد ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت والحاشية :

الحمد لله الذي عمّر البيوت بنوآله ، وكثّر فيها أصناف النعم بإفضاله ، وجعل فيها
الخير يتضاعف مع كل يوم بتجدده ومع كل شهر بإقباله .

نحمده على مديد ظلاله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد صادق في مقاله ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي رحم الله العالمين بإرساله ،
وسقوا الجيش من كفه بنبع زلاله ؛ وأوى إلى المدينة دار هجرته وانتقاله ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الناصرين لهذا الدين في كل حاله ؛ وسلم تسليما .

وبعد ، فإن طراز الملك الشريف البيوت الكريمة : فمنها يتفجر ينبوع الرزق
الجارى ، ومنها يضيء سقط الزند الوارى ؛ ومنها تبسط الحوانات ، وتمتد الأشمطة
في المهيمات ؛ ومنها يقوم للسعد نصبات^(١) وأى نصبات ، ومنها تقسم ألوان الطيبات
على مقترح الشموات ؛ وعماد أمرها على ناظر يقوم بتأصيلها وتفريعها ، وتجنيسها
وتنويرها ؛ وتكثير حاصلها ، وأستدناء وأصلها ؛ وجمع كل ما فيه مرغوب ، وأذخار
كل ما هو محبوب ؛ وتأليف القلوب على شكره وجل ما فيها عمل القلوب .

ولما كان فلان هو الرشيد في فعله ، المأمون في فضله ؛ الأمين في عقده
وحله ، المسدد في الحال كله ، المعطي المباشرة حقها على ما ينبغي في الشهر من
مستمله .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر فليباشر هذه الوظيفة الكريمة
مستجلبا المنافع ، مشنفا بحسن سيرته المسامح ، طالعا من العفاف في أجهى المطالع ؛
مستدعيا ما جرت العادة بأستدعائه من أصناف المتجر السعيد من أصناف متعدده ،
وأنواع منضده . وليرح أعدار المصالح السعيدة من كل صنف على حده ،
وليستجلب خواطر المعاملين بوقائهم وإنجازهم كل عده ؛ والرواتب اليومية ليصير فيها
لمستحقها ، والبيوتات فليسد خلاها حتى لا يظهر نقص فيها ، ومرتببات الأدر^(٢)
الشريفة فلتكن نصب عيذه على ما يرضيها ؛ وما اخترناه لهذه الوظيفة إلا أنه أنسب
من يليها ، والوصايا كثيرة وتقوى الله فلتكن أطيب ثمرات يحتنيها ، وأحسن منعات
يحتليها ، وأزين زينة يحتليها ، وهو غنى عما تُشافهه [به] الأفلام من فيها ، والله
تعالى يصون هممه ويعلبها ؛ بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

(١) في القاموس النصبه بالضم السارية ولعله المراد .

(٢) لعل هذا اللفظ زائد من قلم الناصح . (٣) جمع دار على القلب .



وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت :

الحمد لله الذى جدد لأوليائنا ملايس السعود، وشيّد لهم مباني العزّ وضاعف
لقدرهم الترقى والصعود، ووالى إلى أوليائهم صحائب الفضل المستهله بالكرم والجود.
نحمده على نعيمه الصافية البرود، ومينته الصافية الورود، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة تُرغم بها أنف الجود، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
صاحب الحوض المورود واللواء المعقود؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
جاد كل منهم بماله ونفسه فى رضاه والجود بالنفيسين أقصى غاية الجود؛ صلاة
دائمة الإقامة فى التهايم والتجود، مستمرة الإدامة ماتعاقب السحاب روضا بجود؛
وسلم تسليما كثيرا

وبعد، فإن أولى من غدت البيوت أهلة بوفود نظره، عامرة بسداده وجميل
فكره، مشيدة بما يئديه من أوضاع التقرير وغرره - من سما همة وحسن سمتا،
وسلك فى الأمانة طريقا لا عوج فيها ولا أمتا؛ وحل فى الرتب فخلاها، وتنقل فيها
فما قالت له إيه إلا وقال الذى فارقها آها؛ وكان فلان هو الذى استحق بكفائته
حسن التنقل، وأستوجب الصلة والعائد لما فيه من جميل التأتى والتوصل - أقتضى
حسن الراى الشريف أن ننقله إلى رتب السعادة، وأن نخصه كل حين من نعمنا
بالحسنى وزياده. فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر ...

فليضبط أصولها وفروعها، ومفردتها ومجموعها، وليؤنس بجياطة آجهاده رُبوعها؛
وليكفلها بأمانته تضم أطرافها؛ ونزاهة تحلى أعطافها؛ وكأية تحصر جليلها ودقيقتها،

(١) لعل الصواب ووالى إليهم صحائب . تأمل .

وَبَاهِيَةً تُوقَى شُرُوطَهَا وَحُقُوقَهَا ؛ وَلِيَحْرَزَ وَارِدَهَا وَمَصْرُوقَهَا ، لِيُغْدَوْ مَشْكُورَ الْهِمَمِ
مَوْصُوقَهَا ؛ وَلِيَلْحِظَ جِرَائِدَ حِسَابِهَا ، وَيَحْفَظَ مِنَ الزَّبِيعِ قَلَمَ كُتَابِهَا ؛ حَتَّى يَتِمَّ تَصَرُّفُهُ
فِيهَا عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَيُسْكِرَ تَعْرِفُهُ وَتَعَطُّفَهُ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ وَمُعَامِلٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْلُغُهُ
مِنَ الْخَيْرِ مَا هُوَ آئِلٌ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الخامسة

(نظر خزائن السلاح)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث فيما يستعمل ويتناع من أنواع السلاح الذي
يجل للزرذخانة السلطانية . وقد جرت العادة أن يجعل ما يتحصل من ذلك في كل
سنة إلى الزرذخانة مرة واحدة . وقد تقدم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزائن السلاح من إنشاء المولى « شمس الدين بن
القيسراني » كتب به « لفخر الدين » أحمى جمال الدين ناظر الخالص ، وهي :

أما بعد حمد الله تعالى الذي ضاعف نجر المناصب ، بمتولياتها ، ورفع قدر المراتب ،
بمن يكبرها بقدره العلي ويعلوها ، وأمد المقانِب^(١) ، بنظر ذي المناقب الذي يُزِينُ بِمَرْهَفِ
حَزْمِهِ أَسْلِحَتَهُمْ وَيُجَلِّبُهَا ، وَيُبْضِي بِمَاضِي عَزْمِهِ كُلَّ فِرْنَدٍ فَرِيدٍ لِيُسَعَّرَ نَارَ صَلِيلِهِ
بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ وَيُجَلِّبُهَا ؛ جَاعِلٍ أَيَّامَنَا الشَّرِيفَةَ تُقَدِّمُ نِلْدَمَهَا كُلَّ سَرِيٍّ تَسْرَى بِهِ هِمَمُهُ
إِلَى الْعُلِيَاءِ ، وَتَنْتَخِبُ لِحُسْنِ نَظَرِهَا مِنْ يَعْلُو بِكَرَمِ الذَّاتِ وَبِجَمَالِ الْإِحْيَاءِ ، وَتُوَلَّى مِنْ
الْأَوْلِيَاءِ مِنْ يُعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ خَزَائِنَ سِلَاحٍ يُبِيدُهُمْ بِهَا جِيُوشُنَا الْمُؤَيَّدَةَ فِي قِيَابِ الْبَيْدَاءِ ،
إِذَا دَارَتْ رِحَى الْحَرْبِ الزُّبُونِ وَثَارَتْ وَغَى الْغَارَةَ الشَّعْوَاءِ . وَالشَّهَادَةَ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ

(١) جمع مقنّب "كنبر" وهم جماعة الخليل والفرسان .

التي آتسق بذرها، في سماء الإخلاص، وأشرق بفرها، بضياء القرب والأختصاص،
وسما نخرها، بجلال الجمال فأصبح بحمد الله آخذاً في المزيد آمناً من الإتيقاص،
وعلا ذكرها، بما درعنا به من ذروع التوحيد وأسبغ علينا منه كل سابعة دلاص.
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي خصه الله بالكريم والتعظيم، وختم به الرسل
الكرام بما منحه من الأصفاء والتفديم، وأوحى إليه في الكتاب الحكيم :
(أَنْ آتَيْعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) . وعلى آله وصحبه الذين هم أشدأء على الكفار رحماً بينهم ،
وقرب قربهم لديه صلى الله عليه وأذهب بينهم - فإن من شيم أيماننا الشريفة أن
تبلغ أولياءها مرأما، وترعى لأصفيائها ذماماً ، وتصطفى لولاية الرتب من أضحى نغراً
ولائه بساماً، وتجرد لحسن النظر من يجرد بهمه حساماً حساماً ؛ لا سيما من أقتضى
سن أخيه - أجله الله - فيما يأتى ويذر، وأهتدى بهديه في كل ورد وصدور، وحذا
حدوه السديد الأثر، السعيد النظر، وأتبع رُشدَه الساطع البليغ اللامع الغرر، وسار
سيره الذى نتارج به أرجاء الممالك فحيث سار سره ؛ إذ هو جمال الجود، جلال
الوجود، مقيل عثار الملهوف والمجهود، مؤئل التهايم والتجود، مستجلب الدعاء لنا
من الطائفين والعاكفين والرُكع السجود ؛ ذو المآثر التي ذكرها أعطر من الروض
المجود الموجد، والمناقب التي يساوى فيها الكواكب ويسامتها في السعود والصعود.

ولما كان المجلس العالى الفخرى قد أصبح نخره بأخوته نامياً، وقدره بأبوته
سامياً؛ وأصبحت مفاخره به خالده، وجمع مزأياً وسجأياً جمعت له طارف السعد
وتالده - أقتضى رأينا الشريف أن نُسدد له بأخيه أزرأ، ونجدد له في إصلاح السلاح
نظراً ؛ ليكون لأخيه - أعزه الله تعالى - النظر على الخاص والعام ، وبسببه مقاليد
خزائنا التي يشمل منها البرايا بصنوف الإنعام ؛ وتدبير خواصنا الشريفة وجبوشنا

المؤيَّده، وله النظرُ على أعمال لبوس، تقي من الجيوش البوس : البيض [ذات]
القوائس ، واليَّلب المدار والسُّمير المداعيس ، والبيض المهنَّده .

فلذلك رُسم ... لا زال يجمع لأوليائه على آلائه شتملا ، ويرفع أقدار أهل الكرم
باستقرار النعم إذ كانوا لها أهلا وبها أولى - أن يستقر فلان في نظر خزان السلاح
المنصورة على عادة من تقدمه وقاعدته ، وبمعلومه الشاهد به الديوان المعمور لهذه
المآثر التي بثها القلم ، والمفاخر التي أشهرت كالنار على العلم ؛ فليكشف ما بهذه الخزائن
من عُدَّة الحرب ، والآلات المَعْدَّة في الهيجاء للطعن والضرب ؛ ويشمر في تكثيرها
عن ساعد اجتهاده ، ويعزز مواد الإمداد بها بحسن نظره ويؤمن أعتاده ؛ ويستعمل
برسم جهاد الأعداء كلَّ نصلي صقيل ، وصمصاص له في الهام صليل ؛ وشفيفة بيضاء
تبيض بها بين أيدينا الصَّحيفه ، ولبوس ترهب عدو الله وتضاعف تخوفه ؛ وزاعية
يرعب ، وشمهري يزهق بلسان سينانه النفوس ويذهب ؛ وخرصان تكلم الأبطال بأسل
السِّتْها في الحروب ، وقواصل لها في سماء العجاج شروق وفي تحلي الكفار
غروب ؛ وبدن يقد الأبدان ، ولأمة لم تبار في تحصينها وتحجيرها ولم تدان ؛ وفضفاضة
على جنود الإسلام تقاض ، وسابغة تسبغ على كل راجل من أهل الإيمان ليقتضى
من أهل الشرك ما هو قاض .

وليحفظ ما ينفق على هذا العدد من الضياع ، ويأت بما تأتي به الضياع على
أحسن الوجوه وأجمل الأوضاع ؛ وليضبط ما يصرف عليها من الأموال ، ويعتمد
في نظرها ما محمد عاقبة أمره في سائر الأحوال ؛ ويتيمن في سائر أفعاله بما من كاله ،
ويسترشد بما أشده في أموره باليمن والرشد من خلال جماله ؛ ويسلك بحسن نظره
لهذه الخزائن ما ينتظر به أن يفوق أنظار الأنظار ويرتقب ، ويعلم أن هذا أول

إقبالنا عليه (وأول الغيث قَطْرٌ ثم يَنْسِكِب) ؛ والله تعالى يجعل خزائن الإسلام بجمال
نخره آهله ، ويوردها موارد العزِّ الدائم ويصنِّى من أكدار الأقدار لها مناهله ؛
والعلامة الشريفة أعلاه ، حجةً بمقتضاه .

الوظيفة السادسة

(استيفاء الصُّحبة)

وصاحبها يتحدَّث في كل ما يتحدَّث فيه ناظرُ الصُّحبة المقدم ذكره .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، من إنشاء القاضي «ناصر الدين بن النشأى» وهى :

الحمد لله الذى زاد نفاراً أولياتنا رفعة المقدار ، وأفاد الصُّحبة الشريفة خير كافي
استوجب منا بحملى خدمته جزيل الإيثار ، وجاد بالجوود وأبتدأ السعود لمن حسن
فيه الإختيار وحمد الأختيار ، وأرتاد للنصيب العلية كل "مستوف" للمحاسن له حقوق
وفاء لا تضاع وقدم ولاء أجمل فيه الإيراد والإصدار .

نحمده على نعم أجزلت الآثار ، ونشكره على من أجملت المساز ، ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُخلص يترشف ساح ثوابها الدائر فى تلك الدار ؛
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيد الله به المؤمنين وأحمد ناره الكفَّار ،
وبعثه رحمة للعالمين فاقام بناء الإسلام بعد ما كاد ينهار ، وأسرى به إلى السبع
الطباق فطبق نبأ معجزاته الأرض وملاً الأقطار ، صلاة باقية لا تزال أغصان
أجورها دانية الفطوف زاكية الثمار ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أجلَّ النعم ما علَّت ملائمتها ، وأجملَّ المن ما غلَّت نفاثتها ، وأكلَّ
المنح ما زكَّت فى رياض الإقبال غرائمتها ، وأجزلَّ العطايا ما جليَّت فى حلل الفقار

عرائسها ؛ وأولى الأولياء بتحويل ذلك لدينه ، وتحويل هذه المواهب إليه ، وإسباغ أثواب الأمتان عليه ، وأجباته لرتب علته محلاً ، واختياره لمنصب يضيح به جيده من عقود العناية محلياً - من شكرت أوصافه ، وأشهر عفافه ، وحسن مناً إسعاده وإسعافه ؛ وحمدت خلاله ومآثره ، وحاز نغمر نعتيه ونغمر ذاته فلا غرو أن تعددت مفاخره ؛ وأسلفنا من خدمته ما استوجب أن ينجي به ثمار الإحسان ، وقدم بين أيدينا الشريفة من يمن تصرفه ما أنتج له مضاعفة الآلاء الحسان .

ولما كان فلان هو الذى تحلى من هذه الأوصاف بعقودها ، وتجلّى في مطارف برودها ؛ وأثنت على خصاله السنّة الأفلام ، وأثبتت جميل خلاله في صحف أوراقها وصحائف الأيام ؛ وحاز من الأمانة والنزاهة كل ما يسكر به على الدوام ، وأمتاز بحسن الكتابة التى تقتر النواظر وتسر الخواطر وترزى بالروض البسام . ما باشر رتبة إلا وقى بها ، وحفظ أموالها وغلاها وضبط أمورها وكفى بها - آقتضى رأينا الشريف أن ننقله إلى درجات السعادة ، ونمنحه من إقبالنا الشريف زيادة الحسنى وحسن الزيادة ، ونخصه بوظيفة تدنيه منّا قرباً لنكون قد أجملنا له الابتداء والإعادة .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال نغمر أوليائه بمزيد آلائه سامياً ، وقدر أصفياه بمديد عطائه نامياً - أن يستقر في كذا .

فلتلق هذا الإحسان ، بيد الاستحقاق ، وليتقلد عقود الأمتان ، الذى طالما قلّد جوده الأعناق ؛ وليباشر ذلك مباشرة يسر خبرها ، ويسير خبرها ، ويشنف الأسماع تأثيرها وأثرها ؛ وليسلك فيها من السداد ، ما يؤكّد حمده ، ومن حسن الاعتقاد ، ما يؤيد سعده ؛ وليعتمد فيها من الأمانة ما هو المشهور من اعتياده ، ومن العفاف ما صح عنه نقل إسناده ؛ وليدبج المراسم الشريفة بقلمه السعيد ، وليوشها بكاتبته التى بها الحسن

مبدئى ومُعِيد؛ وليضبطُ جميعَ أموال الديوان المعمورِ وغلاله ، وسائرَ أموره وأحواله ،
 وليستوفِ بقلمه على مَباشيريه وعُمَّاله ، وليحيطَ علماً بِخَراجِ بلادِه وأعمالِه ؛
 وليسترفِع الحسابَ شاماً ومصرًا ، وليتصفحَ الرِّقاعَ بالممالك الشريفة المحروسة ليَحْوِيَ
 بجميعها خُبْرًا ، وليتَعَيَّنَ جُمْلها وتفصيلها ليكونَ مُخْرِجها أَدْرَبَ وبمردودها أَدْرَى ؛
 وليخضُرَ متحصِّلها ومضروفاها ، ومعجلها وموقُوفها ؛ حتى لا يخرجَ شَيْءٌ عن علمه ،
 ولتكنَ جُمْلَةُ هذا الأمرِ محزرةً في ذهنه ليجيبَ عنها عند السؤالِ بتحقيقِ فهمه ؛
 والوصايا كثيرةٌ وهو بها خبيرٌ عليمٌ ، حائزٌ منها أوفى وأوفرَ تقسيمٍ ، ومِلاكها تقوى
 الله تعالى فليجعلها عُمدته ، وليتخذها في كلِّ الأمورِ ذخيرته ؛ والله تعالى يُضاعفُ
 له من لَدُنَّا إحصانًا ، ويرفعُ له قدرًا وشانًا ؛ والاعتقادُ على الخطِّ أعلاه .



وهذه وصية لمستوفى الصحبة أوردَها في "التعريف" وهي :

فهو المُهيمن على الأَقلامِ ، والمؤمَّن على مصرَ والشامِ ، والمؤمَّل لما يَكْتُبُ بِحَطِّه
 من كلِّ ترتيبٍ وإنعامٍ ، والملازمُ لُصْحبةِ سلطانه في كلِّ سَفَرٍ ومَقَامٍ ؛ وهو مستوفى
 الصُّحبةِ ، والمستوفى بالهِمَمِ على كلِّ رُتبه ؛ والمعوَّلُ على تحريره ، والمعمولُ بتقريره ،
 والمرجوعُ في كلِّ الأمورِ إلى تَقديره ؛ به يتحرَّرُ كلُّ كَشْفٍ ، ويكفُّ كلُّ كَفِّ ،
 وبتزيله وإلا ما يَكْمُلُ أَسْتخدامٌ ولا صَرْفٌ ؛ وهو المتصفحُ عَنَّا لكلِّ حسابٍ ،
 والمتطلِّعُ لكلِّ ما حضرَ وخاب ؛ والمناقِشُ لأَقلامِ الكُتَّابِ ، والمحقِّقُ الذى إذا قال
 قال الذى عنده عِلْمٌ من الكِتَابِ ؛ والمُظهِرُ لِحُجَبَايَا ، والمُطَّلِعُ لِلْحَفَايَا ؛ والمتفقُّ
 على صِحَّةِ ما عنده إذا حصلَ الخِلافُ ، ووصلَ الأمرُ فيه إلى التَّلاَفِ ؛ وليُزِمَ
 الكُتَّابُ بما يلزِمُهُم من الأعمالِ ، ويحررها بمسْتَفْرَاطِ لِقاهِ وضرائبِ رؤوسِ

المال ؛ وعمَل المكلفات وأن يكفُّوا عملها ، وتقدير المساحات وليتبع خَلَّها ؛
وليلزمهم بتمييز قيمها بعض عن بعض ، وتفاوت ما بين [تسجيل] ^(١) الفُدن في كل بلد
بحسب ما تصلح له زراعة كل أرض ؛ وبمستجد الجرائد وما يقابل عليه ديوان
الإقطاع والأحباس ، وغير ذلك مما لا يحصل فيه آلتباس .

ومثلك لا يزود بالتعليم ، ولا يَنازع فكلُّ شيء يؤخذُ منه بالتسليم ؛ وما تمَّ ما أُوصى
به ربُّ وظيفة إلا وعنده يتزل علمه ، وفيه يتره فهمه ؛ وملاك الكل تقوى الله
والأمانة فهما الجُتَّان الواقيتان ، والجُتَّان الباقيتان ؛ وقد عُرف منهما بما يُفاض
منه عليه أسبغُ جلباب ، وأسبُلُ سترِ بَصان به هو ومن يتخذهم من مُعينين وتُواب ؛
والله تعالى يبلِّغه من الرتب أقصاها ، ويُجرى قلبه الذي لا يدع في مال ممالكا
الشريفة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

الدرجة الثالثة

(من توابع أرباب الوظائف الديوانية بالديار المصرية

ما يُكتب في قطع العادة: إما في المنصوري ، مفتحا بـ «أما بعد حمد الله»

أو على قدر المكتوب له في القطع الصغير، مفتحا بـ «رسم بالأمر الشريف»

إن انحط قدره عن ذلك)

وفيها وظائف :

منها - كتابة الدرَج بديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدرَج الشريف ، كُتب به للقاضي تاج الدين ،

عبد الرحيم بن الصاحب نحر الدين بن أبي شاكر ، وهي :

(١) الزيادة من التعريف ص ١١٥ .

رُسم ... - لا زالت صدقاته الشريفة تشمل نجباء الأبناء، ومبراتة الجسمية
تُجزل للولد البار حُسن الزيادة وزيادة الحُسن، وهباته الكريمة تُقبل بوجه الإحسان
على فرع الأصل الأسمى وتُرضع تاجه بجوهر نغره الأسمى، وسمائه الوسيمة، تجمل
شد أزr الوزارة الفخيمة، بأكفأ نجل نعى الزمان عنان الرياسة إليه وعليه أثنى -
أن يستقر فلان في كذا وكذا : لأنه رُبى في حُجر الرياسة، وأجتنى من الروض المجدد
الذى أعلى السعدُ غراسه ؛ ونشأ من محلل السؤدد والفخار، وبزغ من بيت حقت
له رفعة الأقدار ؛ وبسق عُصنُ فرسه من أصل ثابت، وسمأ بدوح عزى في مواطن
المعالى نابت، وهى ندى قلبه بانتسابه إلى سرارة الكُتاب فناهيك من كاتب لأبى
انخلل كات ؛ تعترف الدولة لسلفه بسالف العهود، وتعترف من منهل تديريهم
المورود ؛ وتحتل من تاجهم بأسمى العقود، وتسمو من نخر وزاريتهم ووزارة نغرم
بما يملأ الوجود بالحدود؛ وتختال من تصريف أعلامهم وأقلام تصريفهم فى روض
التنفيذ المجدود فإن ذكرت ما أثر جدده قصرت عن إدراكها الحدود، وإن شكرت
مناقب والده - أجله الله - ففجرها الباذخ مشهود؛ وهو بلسان العام والخاص
ممدوح مجود، وإلى معانى خطه تنتهى درجات السُعود والسُعود؛ فلا غر ولهذا
الفرع الناجب أن يتبع أصله، وأن يسلك فضائله وفضله ؛ وأن يقفو منهجه،
ويحدو فى الكتابة طريقته المبهجه ؛ وبأتى من البراعة بسننها القويم، ويبرز من
البراعة وشى خطه الرقيم ؛ وأن يحلأ أجياد المهارق بجوهر تاجه النضيد النظيم، وأن
تحلأ ألفاظه فى الإنشاء حين تمر على الأسماع مرور النسيم ؛ [لا] سيمًا وقد ظهرت
عليه من تحايل الراسة دلائل، وشرعت له مناهل الأدب والفضائل ؛ وحاز من
حُسن النشأة ما سار بُسكركه المثل، وحصل من الاشتغال على كثر المعرفة وأشتمل ؛
وغدا جديرًا بكل مرتبة سنيه، وكل رفعة هى بأعدادها مبنيه .

فليباشِرْ ذلك مباشرةً يجعلها لباب المعالي مفتحة ، وللزيادة من كل خير سببا كلما
أبدى الدهر مساءً وصحى ؛ ولينقل في آتباع مهيع المجد عن والده وجدّه أبقاهما الله
تعالى ، وليدأب للتحلى بأخلاقهما الحسنّة أقوالاً وأفعالا ؛ وليهبج الطروس بوشى
قلمه ، ولينمق المكتبات ببلاغة كلمه ؛ وليتخذ الصون شعاره ، والعفاف دثاره ؛
والأمانة معتمده ، والتزاهة مستنده ؛ وضبط القول مادته ، وحفظ اليد واللسان
جاذته ؛ والوصايا كثيرة وملاكها التقوى وهى حليته الحقيقيه ، وعقيدته العقلية
والمنطقية ؛ فليجعلها دأبه ، وليرض في إعلانه لها ربه ؛ والله تعالى يعلى قدره وجدّه ،
ويحفظه وأباه وجدّه .



وهذه نسخة توقيع شريف بكتابة درج تجديداً ، وهى :

رُسم ... - لا زال يمحُ الأولياء ، بتجديد النعم إحساناً ، ويؤلى البلغاء ، فضلاً
يعلى لهم رتبةً وشاناً ، ويئدى لهم فى ديوان إنشائه الشريف فضائل جمةً وبيانا -
أن يحدد هذا التوقيع الشريف باسم فلان تجديداً لأنوار الإحسان إليه ، وتأكيداً
لمزايا الأمتان لديه ، وتسديداً لمستنده الذى ألقاه وجه الإقبال إليه ؛ لما حازه من
فضيلة نامة ، وبلاغة ملأت بديع المعانى ومعانى البديع ألفاظه وكلامه ، وكناية
أجرت فى حواشى الطروس بحقق التوقيعات أقلامه ، وأمانة بنت على الصديق
والعفاف أقسامه ؛ ورياسة تأتل مجدها ، فبلغ مرآمه ، وأتصل سعدُها ، فلا يخشى
أنفصامه ، وبعد شأوها فهى السامية إلى رفع المنازل من غير سامة . قد أتصف من
البراعة بجمل الأوصاف ، وظهر استحقاقه فهو باء غير خاف ؛ وترقى من بحر البلاغة

حيثُ وردَ منها الصَّافُ ، وسلَّكَ طُرُقَ الخَيْرِ فتضاعفَ له الإسعادُ والإسعافُ ،
وأمتازَ بمزايا التَّجَمُّلِ فى أمورِهِ والعَفَافِ ؛ وأستحقَّ بذلكَ أنْ تُجَدِّدَ له فضلَ الألفِ ،
وَنُوَكِّدَ له بكرمنا نَيْلًا أعتادَهُ وعَرَفَهُ .

فليستَمِرَّ فى ذلكَ آسِمِرَارًا به أسبابُ الخَيْرِ مؤتلفِهِ ، ووجوهُ الفضائلِ عن صُنُوفِ
الكتابَةِ غيرِ منصرفِهِ ؛ وليُبيدَ من البَلاغَةِ بيانها البديعُ ، ويَجَمِّلَ منزلَ العلياءِ الرفيعِ ؛
ويَسَلِّكُ مَسَلَكَهُ فى الأمانَةِ ، ويتَّقَى اللهُ تعالىَ بملازمةِ المُراقِبَةِ والديانَةِ ؛ واللهُ تعالى
يُعَلِّي مَكَانَهُ ، ويزيدُ فى آقِنَاءِ الفضائلِ إمكانيَهُ ؛ والأعتادُ على العلامةِ الشريفةِ أعلاه ،
إن شاء اللهُ تعالى .

قلتُ ورُبَّمَا كُتِبَ التوقيعُ لكتابِ الدرَجِ بزيادةِ معلومٍ ، فيحتاجُ الكاتبُ إلى أنْ
يأتىَ بعبارةٍ تجمعُ إلى ما تقدّمَ من براعةِ الاستهلالِ ما يَلِيها من موجبِ الاستحقاقِ ،
وسببِ الزيادةِ وترادُفِ الإحسانِ .



وهذه نسخة توقيع بشهادة الخزانة ، كُتِبَ به لابن عبادة ، وهى :

أما بعدَ حمدِ اللهِ الذى أفاضَ على الأولياءِ من خزائنِ فَضْلِهِ ، وأفاءَ لهم أوفرَ نصيبِ
من إحسانِهِ المشكورِ فيه عدلُ قَسَمِهِ وقَسَمَ عدلِهِ ، وأهمى عليهم من سُحُبِ مواهبِهِ
ما يَقْصُرُ عنه الغمامُ فى وبله وطلّه ، وأسبغَ عليهم من جوده العميمِ ما يَصْفُو لديهم المَرَحَ
فى وارِفِ ظلّه ؛ والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمدٍ نبيه ورسوله أشرفِ رُسُلِهِ ، وخاتمِ
مَنْ جاءَ من الأنبياءِ من قبلِهِ ، والهادى ببعثته الشريفةِ إلى طُرُقِ الحقِّ وسُبلِهِ ؛
وعلى آله وصحبه الذين تابعوه فى قوله وفعله ، وبايعوه على المظاهرةِ فى نُصرةِ الدينِ

الحنيف وأهله ، وجمعوا هممهم على التثام كلمة الإيمان وجمع شمله ، وأرهف كل منهم في نصره ماضى عزيمه ونصليه - فإن أولى من رعبت له حقوق ذمامه ، ومنح أجرل العطاء الذى تقضى الأقدار بدوامه ، ولو حظ بعين الإقبال ما أسلفه من حسن الطاعة لله ورسوله وإمامه - من جد في الخدمة فاضحى الجّد له خادما ، ودأوم على المناصحة فغدا سعده دائما ؛ وأخذ من كل فضل بزمامه ، ومّت بماله على الدولة الشريفة من حرمة وذمامه ؛ وسلك في أداء الأمانة السنن القويم ، وجعل على خزائن الأرض بما تلا لسان فضله : ((إنى حفيظ عليم)) ؛ وتمسك من الإخلاص بأقوى الأسباب ، وجعلت له التقوى محلا يدخل عليه ملائكة القبول من كل باب ، وزين سماء المعالي بكواكب مجده فما تشوف إليها طرف متطاول إلا وأتبعه شهاب .

ولما كان فلان هو الذى غدا حسن مناقبه إلى شكره مرشدا ، وإلى ذكره بالجميل مسعدا ، وألهج لسان القلم في وصفه منسدا ؛ وأختص من هذه المحامد بأوقرها قسما ، وطلع في أفق هذا البناء الجميل نجما ، فلذلك رسم

ومنها - استيفاء الدولة .

وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير وناظر الدولة ، وضبط الأموال الديوانية ، وكتابة الحسابات ، وكل ما يجرى مجرى ذلك . وقد جرت العادة أن يكون فيها مستوفيان .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الدولة :

أما بعد حمد الله الذى صار الأموال بالأفلام المحرّره ، والدفاتر المسطّره ، والحسابات المصدّره ، والجوامع المسيره ، والنيقظ الذى أستخرج البواقى المنكسره ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أزال ظلام الظلم وتورّه، ونحا الجور وغيره،
وأيد الحق وأظهره، وعلى آله البرره، وصحبه خصوصا العشرة المبشرة - فإن للدولة
الشريفة من الأقاليم ضابطا، ولها من الحساب نظاما أصبح عليها سياتجا وحائطا،
يصون الأموال أن تكون بأيدى الخائنين نهي، ويحترز المطلقات بعدا وقربا،
وقلم الاستيفاء هو الذى إذا طاشت أقلام الكُتاب كان فى رأسها لحاما، وإذا
خصم المباشرون بالمصروف قبل السائغ الصحيح ورد ما كان سقيا وتخرج ما لم
يكن تماما .

ولما كان فلان هو الذى فى الراسة كبير معروف، وفى السعادة حميد موصوف،
وفى قلمه تصحيح كل مصروف، وله فى الدولة آثار مرضية تشكرها الأقاليم
والسيوف، ما نظر فى حساب، إلا أزال عنه ما به يعاب، ولا رأى فذلك،
إلا وأوضح فيها المسالك، ولا عرض باقى، إلا استخرج ما يتعين استخراجه بقلمه
الراقى، وفهمه الواقى، فلذلك رسم أن يستقر

فليأشر هذه الوظيفة بتحريره وتحبيره، وتميزه وتثمينه، وتوفيره وتكثيره، وإيراده
وتصديره، وتسهيله وتيسيره، وإزالة تعسيره، وإذا أمسك دفاتره، أظهر ما آثره،
وإذا نسيبت الجمل أبدي تذاكره، والعمدة على شطبه فى الحسابات الحاضره،
فلا يخرج من عنده شئ بغير ثبوت فإن التواقيع الشريفة والمراسيم الشريفة هى
كالأمثال سائره، ولا يتخذ المعين، إلا الأمين، ولا يستعين، إلا بمن هو مأمون
اليمين، والوصايا كثيرة وهو غنى عن التبيين، فليثق الله رب العالمين، وليستجلب
لنا الأدعية من الفقراء الصالحين، فإن صدقاتنا الشريفة تنعم عليهم بمرتبات
وأرزاق، ونعم وأطلاق، فليسهل عليهم الصعب فى كل باب وإطلاق، والله تعالى
يؤدبه بالإرفاق، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد يكتب لوظيفة استيفاء الدولة مفتتحاً «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك باستيفاء الدولة ، كُتِبَ به لعلم الدين بن ريشة ،

وهي :

رَسِمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا بَرِحْتُ أَيَّامَهُ الشَّرِيفَةَ تُرْفَعُ لِدَوَى الكِفَاءَةِ مِنْ إِحْسَانِهَا
عَلَمًا ، وَتُرْجَعُ مَصَالِحُ الدَّوْلَةِ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ فِيهَا خِطَابًا وَأَعْمَلَ فِي مُهِمَّاتِهَا قَلَمًا ،
وَتَخَارُ مِنْ دَابِّ فِي تَكْمِيلِ أَدْوَاتِهِ حَتَّى صَارَ عَلَى أَنْظَارِهِ مُتَقَدِّمًا - أَنْ يَرْتَبَ فُلَانٌ عَلِمًا
بِكِفَايَتِهِ الَّتِي وَصَّحَتْ ، وَدِرَايَتِهِ الَّتِي فَاقَتْ مُنَاطِرَهَا وَرَبَّحَتْ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي حَصَلَتْ
النَّمَاءَ وَأَرْبَحَتْ ، وَهَمَّتِهِ الَّتِي مَيَّزَتْ الْأَمْوَالَ بِإِحْرَازِهَا فَعَلَى السَّدَادِ خُتِمَتْ وَبِالتَّحَرُّي
أَفْتِيحَتْ .

فليأشُر هذه الوظيفة التي تحتاج إليه باحتراز مثله ، والرَّتبة التي يتعين على مُباشِرِها
إيصال كلِّ حقٍّ إلى أهله ، فقد أرجعنا ضبطها وتحريرها إليه ، وآعتمدنا في تيسير
أموالها وسدِّ أحوالها عليه ؛ فهو جديرٌ ببلوغ القصد فيما قرَّرناه لديه ، وحرَّرناه
بقلمه ويديه .

فليبسُط في مصالح الديوان المعمورِ وأمواله قلمه ، وليعمل بما هو عالم من تبين
حقائق أحوال وظيفته ويُخاض فيه قوله وكلمه ؛ وليصنِّ الأموال ، ويتفقَّد ما يلزم
العمال ، ويحثُّ على حمول بيت المال ؛ وليسترفح الحسابات من جهاتها على العادة ،
وليستودع دفاترها وجرائدها من يتحقق تحززه وسداده ، وليتخذ معيَّنه من أرباب
الحدقِّ والدراية والأطلاع على كلِّ نقص وزياده ، وإبداء وإعاده ؛ وله من نفسه
مالاً يحتاج معه إلى زيادة الوصايا وتكثيرها ، ومن المعية ما يُدرك به الفضل
في جليل الأمور وحقيرتها ؛ فإنه قد تخلَّق بأخلاق أهل الأدب ، وشارك في جليل

انخطب وسد ما إليه عزمه أنتدب ؛ والله تعالى يبلغه من الجود غاية الأرب ،
ويُعينه على صالح العمل وأتهاز القرب ؛ والاعتاد ...

ومنها - استيفاء الخاص . وصاحبها فى الخاص كستوفى الدولة فى ديوان الوزارة .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الخاص لمن لقبه « أمين الدين » وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تُقدم بمهماتنا أمينا ، وتقدم
فى خدمتها من أضحى معلى شمالا ويمينا ؛ وتولى الرتب السنية من جعل التحرز لقلمه
مصاحبا ولكلمه معيننا - أن يستقر فلان فى كذا : لما عُرف من رأسه التى
ميزته ، وأمانته التى جمعت الرفع فأحرزته ؛ وضبطه الذى ترقى به فى المراتب وتتقل ،
وإدراكه الذى يَصُونُ به غوامض المصالح ويعقل ؛ ولما سلف له من خدمة ملك
فيا السداد ، ومباشرة علم بها ما هو متصف به من حسن الاعتاد .

فليأشر هذه الوظيفة التى وليها ، وليشهر من همته فيها ما يرقع مكانته ويعليها ؛
وليديم المراقبة لمصالح ديوان الخاص الشريف فى كل قول وعمل ، وليسارع إلى
مأيقيد المناجح ويبلغ من الضبط والتحرز غاية الأمل ؛ وليصن الأموال من ضياعها ،
ويحافظ على سلوك طرائق الحق وأتباعها ؛ وليسترفح الحسابات من أربابها ،
ويتفقد محرراتها التى هو أعلم وأدرى بها ؛ ويتخذ من معينيه من أضحى معرفته
للدقائق جامع ، ويحتفل بتحصيلات أموال الخاص بعزمته التى أضحى لمكانته
رافعه ، لاسيما نغز الإسكندرية التى قد أصبحت جهاتها لطلب أقالمه متابعة
طائعه ، وليلزم كل عامل بتحرير ما يجب عليه وما تنبى فيه المراجعة ؛ فإننا قد أقمناه
لذلك مستوفيا ، ولتصفح أموره الجليلة والحقيرة مستوفيا مستقصيا ؛ وليتق الله

الذى يبلغه من زيادة منحة الأمل ، ويعينه على صالح العمل ، والله تعالى يمنحه من الخير ما يُنَجِّح مسعاه ويترهه عن الزبغ والزَّلَل ، والاعتماد



وهذه نسخة توقيع في المعنى لمن لقبه «بدر الدين» وهي :

رُسم بالامر الشريف - لازال يُطَّلِع لذوى الكفاية من احسانه في سماء الإقبال
بدرًا ، ويرفَع لمن أمَّ الأبواب لأوليائه من ذوى الرأسة قَدْرًا ، ويشْفَع لمن سُكِرَتْ
معرفة بِنُجْح القصد فأشرح له بالمتن الجملة صَدْرًا - أن يستقر فلان في كذا :
لكفائته التي حُطِب بسببها إلى مقَره ، ودرايته التي استوجب بها أن نطق لسان
القلم بذكره ، وتزاهته التي أجمعت بها أمثاله على شكره ، وأمانته التي تستدعي الحق
في حلِّ الأمر ومُمره ، وديانته التي هي أصل في كل أمره ، وصيائته التي يعتمدها
في سره وجهره ، ومشارفته المصالح بعين يقظته التي يلوح لها وجه الصواب فيقف
عند حده وقدره .

فليباشِر هذه الوظيفة التي أسلفها حسن الاعتماد ، وليوفِّها من معهود يقظته بمن
الاجتهاد ، وليحقِّق حسن ظنَّ المباشرين في رغبتهم فيه في الإنصاف في الإرفاق
والإرفاد ، وليعمر جهات الأموال بجميل الإقتصاد ، ويُنجز الأحوال على سبيل
السداد ، وليتبع منهاج الخير في كل ما يأتيه من إصدار وإيراد ، فقد رجع ضبط
هذه الجهة إليه ، وأعتد في تحريرها عليه ، فليصن الأموال ، ويتفقد ما تحسن به
العقبى والمآل ؛ وليتجر في جميع ما هو لازم له أن يكون على الحق الواضح ، والسَّن
القويم فإنه المتجر الرابع والمآب الناجح ، وتقوى الله تعالى فهي عمدة كل عبده صالح ،

(١) لعله من أوليائه ذوى الخ .

(٢) لعله «ورغبتهم فيه من الانصاف» الخ تأمل .

والوصايا كثيرة مبيّنة تُغني عن إفصاح الشارح؛ والله تعالى يُلهمه الطريقَ السديدةَ
ويُرشدّه، ويُعينه بالتوفيق ويُتجده، إن شاء الله تعالى .

ومنها - استيفاء البيوت والحاشية .

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لعَلَمَ الدين «شاكر» عوضاً عن تاج الدين
ابن الغزولى فى الأيام الأشرفية «شعبان بن حسين» وهى :

رِسِمَ بالأمر الشريف - لازلَتُ صدقاته الشريفَةُ تَمُنحُ الأكَفَاءَ من إحسانِها
نعمًا، وتُضاعِفُ لهم من عَطائِها كَرَمًا، وأيامُه الشريفَةُ تَعُمُّ البيوتَ الكريمةَ بكافٍ
قد نَشَرَتْ له الأمانةَ فى دولته الأشرفيةَ علمًا، ومواهبُهُ تَقدمُ للوظائفِ مَنْ أُحْسِنُ
شَاكَرًا لله تعالى وتَبَسُّطُ له فى دواوين أعزِّ الأنصارِ قَلَمًا - أن يستقرَّ المجلسُ السامى
القاضى ، فلانُ الدين فى كذا وكذا : لأمانته الموقورة ، ومعرفته المشهورة ، ومحاسنه
المذكورة ، وسيرته المشكورة ، وكتابته التى أضحَتْ فى صَفَحَاتِ الحُساباتِ
مُسْطُورَه ، وديانته التى جَدَّدَتْ بهجته وسُروره ، وخبرته بمنازل البيوت المعمورة ؛
وقدمَ هجرته فى الوظائفِ التى أوجبت نُقلته إلى أجلِّها ، وصدارته التى رفَعته إلى
أرفعِ محلِّها ؛ كم له فى دواوين أعزِّ الأنصارِ من أفلامٍ متقدِّه ، وآراءٍ مُسدِّده ؛ ونظيرٍ
أصلح به كلِّ فاسد ، وكبَّتْ به كلُّ حاسد ؛ وضَبِطَ لأصولِ الأموال ، وتَبَيَّعَ للمصالحِ
فى البكرِ والآصالِ .

فليباشِرْ هذه الوظيفةَ المباركةَ التى هو أخْبَرُ بمباشرتها ، وأَعْلَمُ بأحوالِ البيوتِ
الكريمةِ وعمارتِها ؛ وليُظهِرْ فى الحاشية السعيدة ما أثره الحسنه ، وتزاهته التى نَطَقَتْ
بشكرها الأليسة ، وليُبَدِّ فى مباشرته من كلِّ شىءٍ أحسنه ؛ وليَسَلِّكْ طرائقَ الأمانة ،
وليَقِفْ آثارَ ذوى العفافِ والصِّيانه ؛ وليلازمْ مباشرةَ أعزِّ ولىِّ فى المساءِ والصباحِ ،

ولا يشغله شاغلٌ عن مصالح مَهْدِ الدُولِ مَنْ [هو] لسلطاننا الأشرف أميرِ سلاح ،
واللهُ تعالى يفتحُ له من الخيرِ أبوابَ النَّجَاحِ . والأعتادُ على الخطِ الشريفِ أعلاه ،
إن شاء الله تعالى .

قلت : ومما يخطرُ في مسلكِ تواقيعِ أربابِ الوظائفِ السلطانيةِ وظائفِ
دواوينِ الأُمراءِ الخاصيةِ ، فإنه ربما كُتِبَ عن السلطانِ التوقيعُ لبعضِ أربابِ
وظائفِ دواوينهم كما يُكْتَبُ في الوظائفِ السلطانيةِ .



وهذه نسخةُ توقيعِ كريمِ بنظرِ دواوينِ بعضِ الأُمراءِ ، وهي :

أما بعد حمدِ الله الذي هدى إلى المِلَّةِ المحمَّديةِ مَنْ أسرَّ الإيمانَ في قلبه ونَوَاهِ ، وَضَمَّ
إلى الأُمَّةِ [الاسلاميةِ] من أضمر الإخلاصَ فأظهره اللهُ في متقلِّبه ومثواه ، وجمعَ لوليِّ
الدولةِ ومُخلصِها الفرحَ والفرحَ لأنه مَنْ توكلَّ عليه كَفَاهُ ، والشهادةِ بالوحدانيةِ التي
تُبَلِّغُ قائمها من رضاه مُنَاهُ ، وتجعلُ جنَّتهِ لمن أسرها جنَّتهِ مستقره ومأواه ، والصلاةِ
والسلامِ على سيدنا محمدٍ الذي قَصَمَ عِدَاهُ ، وقَصَمَ عُرا مَنْ عاداه من أهلِ الشركِ
وعَدَاهُ . وعلى آله وصحبه الذين آهتدوا بهداهُ ، وأستجدوا جداهُ ، ولبوا نِداءَهُ ، وأموا
نِداءَهُ ؛ صلاةً تُجْزِلُ لمصلحتها نوابه ، وتُجِلُّ مآبه ، وتُجِدُّ عُقباه - فإنَّ أُولى مَنْ رَفَعَ له
الكرمُ محلاً ، وقلَّده النعمَ عقداً محلياً ؛ وأعيد إلى رتبةِ الإصطفاءِ ، وفُوضَ إليه ديوانُ
أعزِّ الأخصياءِ ؛ وصُرفَ قلمه في مهامه ، وحصلتْ هممه على جميعِ أقسامه ؛ وعُدقتْ
مصالحه بتدبيره ، ومناجحه بتأييله وتأثيره ؛ ومتحصلاًه بتمييزه وتثمينه ، وأحواله
وأمواله : هذه بحسُنِ تصرفه وهذه رِئْيسُ تقريره - مَنْ دخل في دينِ الله القويمِ ،
وآجنته وهداه إلى الصراطِ المستقيمِ ؛ وكساه الإسلامُ حلةً شرفه ، وبوَّاه الإيمانُ

مباني غُرفه، ونوى الاستقامة في إقامته ومنصرفه؛ والتحف بجلباب الإسلام
 وأرتدى، وتلبس بالإيمان فصَدَّ عنه الأذى وردَّ الردى، وغدا من أصحاب الصراط
 السويِّ ومن أهدى؛ مع كفاية أوجبت له التقريب والتقديم، وجددت له ملابس
 التكبير والتكريم؛ وكتابة فاق بها أمثاله، وعلا مثاله، وبلغته من العلياء مرَّامه ومثاله؛
 ومعرفة بفنون الحساب، وخبرة أعرَفَ له بها الكُتاب والحساب، وأوجبت له من
 الإقبال ما لم يكن في حساب .

ولما كان مجلس القاضي فلان : هو الذى أخذ القلم في مدحه، والكرم في منحه؛
 اقتضى رأينا الشريف أن تُقبل على إقباله على الدين بوجه الإقبال، وأن نبغته
 في أيامنا الشريفة ما كان يرجوه من الآمال . فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازل
 يرفع من كان للدولة ولياً، ويضع الشيء محله بتقديم من أضحى عرفانه جلياً^(١) .

فليأشر ذلك مباشرة تبلغه أملاً من الاعتلاء، وتؤله مرَّاماً من الاعتناء، وتؤمته
 من طوارق الزمن وحوادث الاعتداء، عالمًا بأن دولتنا الفلانية المنصورة تُجازى
 عن الحسنه بأمثاله، وأن أيامنا الفلانية المشهورة المشكورة تبلغ أولياءها غاية
 آمالها؛ وأتينا أجرنا بره، وأجملنا ذكركه، وأجرينا على لسان القلم حمده وشكركه؛
 فليعتمد في مباشرته الأمانة المبره، والنزاهة التي رفعت ماساءه ووضعت ماسره؛
 وليستمر في مصالح هذا الديوان السعيد عن ساعد اجتهاده، ويعتمد في أموره ما ألف
 من سداه، ويتحرر من السعادة ما كان قبل القول من سعادته؛ وليتق الله حق تقاته،
 ويعمل التقوى حلية لأوقاته، وحلة على سائر تصرفاته؛ وليسر بتقواه سيراً خيراً
 وخبراً، ويذر جوراً وجبراً، (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) .

(١) أن يستقر ديوان كذا الخ وحذفه اختصاراً للكتابة وكثيراً ما يفعل مثل ذلك .

قلت : وغالب ما يُعتنى به في تواقيع أرباب الأفلام المفتحة : «رسم» الدعاء
المصدّر به التواقيع [و] أشتماله على براعة الاستهلال .
وهذه جملة أدعية من ذلك يُنسج على منوالها :

أثير المدين — لازال فلک فضله أنيرا ، وطالع سعده مئيرا ، وهبوب
ريح مبراته للخيرات مئيرا .

أمين الدين — لازال يتنى للخدم الشريفة خير أمين ، ويصطفى للقيام
بالمصالح أنهض معين ، ويحتجى لأهم المهمات من هو غير منهم في المناصحة وغير ظنين .
بدر الدين — لازال يولى المناصب الدينية من سلك في التزاهة مسلكا
جميلا ، ويولى الفضل الجزيل من أضحى إشراق بذره على آثار حظه دليلا .

برهان الدين — لازالت أوامره الشريفة ترفع للعلماء شانا ، وتقيم على
استحقاقهم دليلا واضحا وبرهانا .

تاج الدين — لازالت صدقاته الشريفة ترفع تاج الفضائل على الرؤوس ،
وربه الشامل يدرك النفوس ويرزق الغروس ، وتوارد إفضاله يوشى المهارق ويدبج
الطروس .

تقى الدين — لازالت صدقاته الشريفة تقدم كل تقى ، وترجح
ميزان من هو بالفضائل أملى ملي ، وترفع قدر من إذا سئل عن محله في الرياسة
قيل على .

جمال الدين — لازال جمال جميله للنفوس رائقا ، وإفضاله المتوافر لكل
إفضال سابقا .

جلال الدين - لازالت صدقاته الشريفة تزيد جلال ذوى الفضل
جلالا، وإحسانه المتواتر يوسع في البر لأولى الاستحقاق مجالا، وبره المتتابع تقصر
عنه خطأ كل بر فينادى : هكذا هكذا وإلا فلا لا .

رضى الدين - لازال رضى السجايا ، ظاهر المزايا ، مسترسل ديم
العطايا .

زين الدين - لازال نواله الشريف زينا لنايله ، وسؤاله المحقق إجابته
شرفا لسائله ، وقاصد بابه الشريف يوم بالخير في عاجل الأمر وأجله .

سراج الدين - لازالت عنايته الشريفة تخص أولياءها بجزيل المواب ،
وتبلغهم من صدقاتها العامة غاية الآمال وأقصى المطالب ، وتوقد لهم من أنوار
سعادتها سراجا يغلب على نور الكواكب .

سرى الدين - لازالت صدقاته الشريفة تصطفى من أرباب الكتابة
من يجيد المعاني فلا يضع لفظا إلا جعل تحته معنى سريا ، وترضى من فوسان
البراعة في ميدان البراعة من يرتقى ببلاغته مكانا عليا ، وتحتج من أهل الإجابة من
تميز بالإفادة فلا يزال كلامه لأجساد الطروس حليا .

شرف الدين - لازالت صدقاته الشريفة تضع الشيء في محله ، وترجع
الفضل إلى مستحقه وأهله ، وتختار للناصب من ظهر شرفه بين قوله وفعله .

شمس الدين - لازالت صدقاته الشريفة تطلع في سماء المعالي من ذوى
الرياسة شمسا ، ونعمه الجسيمة تثبت في روض الإحسان غرسا ، ومراسمه العالية
تنقل إلى رتب الرياسة من شدت كفه على عدد الأمانى شمسا .

شهاب الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تُطَّلِعُ في أفقها شهابا، وتُهْمِلُ من جزيل المواهب للأمانى سحَّابا، وتَضَعُ الشىءَ في محله وتَزِيدُ الأمورَ انتظاما والدعاءَ استِجَاباً .

صدر الدين — لا زالت آراؤه الشريفة تستجيد من ذوى الفضائل من جاوزَ الجوزاءَ نظماً وفاقَ النثرةِ تثرًا، وتستفيدُ به المناصبُ من الأمانيلِ من تقصُرُ^(١) عن مجده الكواكبُ رِفْعَةً وَقَدْرًا، وتستريد منه المراتب من فاق سحَّبانَ وائلٍ وسادَ الأوائلِ فأضحى في مجالسِ العلياءِ صدرا .

صلاح الدين — لا زال أمره الشريفُ يقدم من يُفيدُ ويُجيدُ، فيكون لكلِّ أمرٍ صلاحًا، وكرمه الطويلُ المديدُ، يشتملُ من ذوى الفضائلِ من فاق "سحَّبانَ" وائلِ فصاحةً وفاقَ "حاتمَ" الأوائلِ سَمَاحًا، ورأيه الرشيدُ السديدُ، يختارُ من إذا انتضى البراعةَ غلبَ رأيه سيُوقا وطالَ قلمه رِمَاحًا .

ضياء الدين — لا زالت آراؤه الجميلةُ، تختارُ من ذوى الفضائلِ الجليلةِ من تُردادُ به المناصبُ ضياءً، ونعمه الجزيلةُ، تُعمُّ كلَّ بارعٍ إذا أدلهمتِ الخطوبُ كان قُوه لها جلاءً، وعوارفه المستطيلةُ، تشملُ كلَّ فاضلٍ بذلَّ في الخدمة جُهدَهُ وتكسوه هيبه وبهاءً .

علم الدين — لا زال جزيلُ إحسانه، أَوْضَحَ من نارِ على علمٍ، ومزيدُ أمتنائه، يشملُ أربابَ السيفِ والقلمِ، وسحبُ بنائه نَسْحٌ فلا تَسْحُ بِجَزِيلِ الكرمِ .
علاء الدين — لا زال علاءُ دولته يصطفي ذوى الفضائلِ، ويختارُ من الفُصحاءِ من يَفُوتُ الأواحرَ كما أضحى يَفُوتُ الأوائلِ، ويقدمُ من هو في تدبيرِ البراعةِ كعلي بنِ هلالٍ وفي حُسنِ البراعةِ كسحَّبانِ وائلٍ .

(١) لعله « وتستفيد لتناصب ... وتستريد في المراتب الخ » . تأمل .

عز الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تزيد ذوى الأعلام، من جزيل
الإنعام، فتذليلهم عزاً، وتستجيد من كتابها الأعلام، من خص بجواهر الكلام،
فكل حُسن إلى كلامه يعزى، وتستفيد من نجباء الأيام، كل بارع كأن كلامه زهر
البحار، فلو خاطب سبحان لأورثه قُصوراً وعجزاً .

عماد الدين - لا زالت آراؤه الشريفة تُتخذ من نجباء الكُتاب، عمادا،
وتختار من ذوى الفضائل فى الخطاب، من يجد لكلامه حسنا وسدادا، وتقدم
من أهل الفضل فى السؤال والجواب، من لا تعدم فى كل مقاصده رشادا .

عضد الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تجعل من إنعامها، نلذامها،
عضدا، وتلحظ بعين إكرامها، وحسن احترامها، من طال فى الفضل مدى، وترين
مطالع أيامها، بسموس أعلامها، فلا ترى مثلهم أحدا .

غرس الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تُتيت فى روض الإحسان،
من أرباب البيان، غرسا، وتجتني من بحار الأسان، أزاهر النكت الحسان،
وترين بها طرسا، وتفيض من مواهب البنان، ما يشهد لها بجزيل الإمتنان،
فيطيب كل أمل نفسا .

غياث الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تُبدي لكل أمل غياثها،
وتضفي ظلها على من أستجار بها وأستغاثها، وتنطق السن أعلامها، بمواهب إنعامها،
فتبدل طريقها وراثها .

فتح الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تُغني من ذوى الأعلام، من
يفتح أبواب الكلام، فتحا، وتهب جزيل الإنعام، لمن يستحقه من الكُتاب الأعلام،

فيتأل بذلك شأء وربحاً، وتُقرب بيد العناية والإكرام، من ذوى الرياسة والإحترام،
من هز على البلغاء قدحا .

نحس الدين — لا زالت آراؤه الشريفة تُنصب في المناصب، من يزيد
بحسن مباشرته نحسها، وتمطى ظهور المراتب، من إذا أظلمت الأيام لعدم فاضل
ظهر بفضيلته بقسرها .

قُطب الدين — لازالت صدقاته الشريفة تُدير على قُطب البلاغة من
أرباب اليراعة نُجوماً، وتُسير بعنايتها إلى من حاز من الفضل فنونا وأحيا من الآداب
رُسوماً، وتُبر بدور سعدا لمن لم يزل قلمه لأسرار الملك كُتوما .

كريم الدين — لازالت صدقاته الشريفة تشمل من ذوى الفضائل
من عُد في فضله وأصله كريماً، فتقدم من لاله في البلاغة مماثل فلا يزال بكل
فن علياً، وتُنصب في المناصب من فات قيس الأوائل رأياً وفاق قساً بحديث
بلاغته قديماً .

كمال الدين — لازالت سعادتُه الباهره، تُطلع في سماء العلياء من فاق
البدور كالا، وأوامره الفاهره، تُقدم أسنى البلغاء جلالاً، وأسنى صدقاته الوافيه،
تعم من ذوى الفضائل من زاد المناصب بحسن مباشرته مهابةً وجمالاً .

مجيد الدين — لا زالت صدقاته الشريفة تملك أعنة الأعلام، من تراه لها
مجداً، وتودع بجيد الأيام، من جواهر الفضلاء عقداً، وتشمل بأيادها الكرام،
من اذا جمع البلغاء كان بينهم فردا .

محيى الدين — لازالت أوامره الشريفه تشمل من البلقاء من شهر بفضل الخطاب، وإذا ماتت الفضائل يحييها، وغيث جوده الهامى يفيض فيض السحاب، فيبادر العفاة ويحييها، وعنايته نعم ذوى الألباب، فتمهد رتب العز وتهييها .

موفق الدين — لازالت صدقاته الشريفه تطلع كل هلال من آهتدى به كان موفقا، وتملك البراع من يزرى بابن هلال أنى كتب: رقاعا ومحققا؛ وتفيض لراجيها أفضل نوال من شبهه بالغيث كان محققا .

ناصر الدين — لا زال يقرب من أضحى لأهل الكلام، بمهفات الأفلام، ناصرا؛ ويهب طويل الإنعام، لمن باعه مديد في النثر والنظام، فما برح فضله وإفرا؛ ويتخب من غدا شريعا لعادات الكرام، مضارعا لصفات الكتاب الأعلام، وأصبح في البيان نادرا .

نجم الدين — لازالت أوامره الشريفه تطلع في أفق السعاده، من ذوى السيادة، نجما، وتمم بجزيل الإفاده، من عرف بالفضل والإجاده، وفاق أقرانه نثرا ونظما؛ وتسمح من عنايتها بالإراداه، لمن هو أهل الحسنى وزياده، فتجزل له من كرمها قسما .

نور الدين — لازالت صدقاته الشريفه تتم بالنوال، من هو في البراعة متسع المجال، فيزيد الكلام نورا، وحسناته تشمل ذوى الآمال، بما يُحمد في البدء والمآل، فتملا القلوب سرورا؛ ومبراته تصل أولي الكمال، وتتخب أخيار العمال، فلا برح أنقد الملوك أمورا .

(١) في الاصل «الوهام» ويظهر أنه محريف .

نظام الدين — لازال يتخير من كان في الناس مجيدا، وفي البيان مجيدا،
فحسن لفظه نظاما، ويهب من يره مزيدا، لمن كان في الخدمة مزيدا، فلا ينقض
للتصيحة ذماما، ويبدل كراما مفيدا، لمن يراه في الفضل مبدئا ومعيدا، فإز نخارا
وطاب كلاما .

همام الدين — لازال يرتضى من هو في فرسان البراعة أنهض همام،
ويقتضى وعد كرمه لمن نهض في الرئاسة نهوض أهتام،^(١) وينتضى عضد ذهنه
فيصيب مفصل كل كلام .

ولي الدين — لازال يحلى أجياد المناصب من ذوى البلاغه، بمن يحسن
في الكلام الصياغة، فينظمه حليا، ويحلى كرب المراتب من فرسان البراعة، بمن
راح فضله ولفظه جليا، ويؤلى المناصب من غدا في البيان وافر البضاعة، فاتخذته
الأفلام وليا .

(١) لعل الصواب معضد كبير : تأمل .

الضرب الرابع

(من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مَشِيخَةُ الخَوَانِقِ ،
وكُلُّهَا يُكْتَبُ بِهَا تَوَاقِيعُ)

وهى على طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» مفتتحاً بـ «الحمد لله»
وهو مَشِيخَةُ الشُّيُوخِ خَاصَّةً)

وأَعْلَمُ أَنَّ مَشِيخَةَ الشُّيُوخِ كَانَتْ فِيمَا تَقَدَّمَ تُطَلَّقُ عَلَى مَشِيخَةِ الْخَانِقَاهِ الصَّلَاحِيَّةِ ،
«سعيد السعداء» فيكتب فيها بذلك . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن بنى السلطان
الملك الناصر «محمد بن قلاوون» الخانقاه الناصرية بسيرياقوس ، استقرت مَشِيخَةُ
الشيوخ على من يكون شيخاً بها ، والأمر على ذلك إلى الآن .

وهذه نسخة توقيع بمَشِيخَةِ الشُّيُوخِ بِالْخَانِقَاهِ الصَّلَاحِيَّةِ «سعيد السعداء»
بالقاهرة المحروسة باسم الشيخ شمس الدين بن الخجوانى ، من إنشاء المقر الشهابى
أبن فضل الله العمري ، وهى :

الحمد لله مُرَقِّى أَوْلِيَايَه ، وَمُوقِّى أَصْفِيَايَه ، وَمُؤَلِّقِ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ لِمَنْ تَلَقَّى سِرَّهَا
المصون عن أنبيائه .

نحمده على مُصَافَاةِ أَهْلِ صَفَائِهِ ، وَمُوَافَاةِ نَعْمَةٍ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِعُهُودِ وَفَائِهِ ، وَتَسَلَّكَ
فَأَصْبَحَتْ رِجَالٌ كَالْجَوَاهِرِ لَا تَنْتَظِمُ فِي سِلْكِهِ وَلَا تُعَدُّ مِنْ أَكْفَائِهِ ، وَطَلَعَ لِلدِّينِ شِمْسًا
يُبَاهِي الشَّمْسَ بَضِيائِهِ ، وَيُبَاهِلُ الْبَدْرَ التَّمَامَ فَيَتَغَيَّرُ نَارُهُ مِنْ نَجْمِهِ وَنَارُهُ مِنْ حَيَاتِهِ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُسِّدُهَا ذُخْرًا لِقَائِهِ ، وغفرا
بأقْبَا بَقَائِهِ ، رَاقِيًا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى بِارْتِقَائِهِ .

ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله مبلغ أنبائه ، ومسوغ الرُفْيِ لِأَحْبَابِهِ ؛
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ ، وَمَنْ عَرَفَ بِهِ اللهُ
لَمَّا تَفَكَّرَ فِي آيَاتِهِ ، صَلَاةً يُؤْمَلُ دَوَامُهَا مِنْ نَعْمَائِهِ ، وَيُؤْمَنُ عَلَيْهَا سُكَّانُ أَرْضِهِ
وَسَمَائِهِ ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإن أولى ما استقام به [الشخص على] الطريقه ، وأستدام به الرجوع
إلى الحقيقه ، وأستام به يطمن إلى خالقه لا إلى الخلقه ؛ وحفظ ألقه بنير تستضى به به
النيرات ، ونور تنقسم به الغائم المظترات - طائفه أهل الصلاح ، ومن معهم من
إخوان أهل الصفاء الصوفية داعي الفلاح ؛ ومن تضمهم من الواردين إليهم إلى
جناح ، والصادرين عنهم بجناح ؛ ومن تفتح له فيهم أبواب السماء ، وتمنح بنفسهم
عامه الخلق ملايس النعماء ؛ ومن يكشف بتهدم جنح كل ظلام ، ويكشف
بتوجههم عارضة كل بدر تمام ؛ ويستشفى بركاتهم من داء كل سقام ، ويستسقى
بدعائهم إذا قصر النيل وقص جناحه الغمام . وهم أولياء الله وأحبوه ، وبهم يتعلل
كل لبيب هم سقامه وهم أطباؤه ؛ أنحلهم الحب حتى عادوا كالأزواج ، وأشغلهم
الحب بصوت كل حمام شجائهم لما غنى وبرح بهم لما نوح ؛ وأطربهم كل سماع
فوجدوا بكل شيء شجنا ، وعدبهم الهوى فاستعدبوا أن لا يلائموا وسنا ؛ ومثل فرط
الكلف لهم الأحباب فما رأوا لهم حالا إلا حسنا ، وأتمل تكرار الذكرى قلوبهم
فما عدوا غربة غربة ولا وطنا وطنا ؛ قربت المحبة لهم في ذات الله كل متباعد ،
وألقت أشنائهم فاختلفت الأسماء والمعنى واحد .

والخاتمة الصلاحية بالقاهرة المحروسة المعروفة بـ «سعيد السعداء» - قدس الله روح واقفيها - هي قُطْبُ نُجُومِهِمُ السائره، ومرا كُرُ أُنْلا كِيهِمُ الدَّائِرَه، وإليها نَحْطُ رُحَالَ سُفَّارِهِمُ، وعليها نُحْطُ رِحَالَ أَسْفَارِهِمُ؛ تَضْطَرِبُ فِرْقُهُمُ فِي الْبِلَادِ وَإِلَيْهَا مَرَجُهُمُ، وعليها مَجْتَمَعُهُمُ، وفيها مواضعُ خَلَوَاتِهِمْ، ومَطَالِعُ جَلَوَاتِهِمْ، ومكانُ صَلَاتِهِمْ، وإمكانُ صَلَاتِهِمْ؛ ومَشْرِقُ شُمُوسِهِمْ، ومُؤَبِّقُ غُرُوسِهِمْ؛ ومِنَاهِجُ طَرِيقَتِهِمْ، ومِعْرَاجُ حَقِيقَتِهِمْ؛ مأوى هذه الطائفة الطائفة في شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا، وَبُعْدِهَا وَقُرْبِهَا، وَتَجْمِيعِهَا وَغَرْبِهَا، وَمَنْ رَفَعَ مُجُوفَهَا أَوْ هُوَ مَحْجُوبٌ بِحُجُبِهَا، وَالْمُؤَهَّلَةُ وَالْعَرَابُ، وَأَهْلُ الْإِغْتِرَابِ؛ هِيَ فَيْسِيحُهُمُ الرَّحِيبِ، وَصَفِيحُهُمُ الْقَرِيبِ؛ وَمِنَاهِمُ إِذَا اجْتَمَعُوا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى زُمَرًا، وَأَخْتَرُوا الْمَهَامَةَ وَمَا جازوا بَيْدَاءَ وَلَا جَابُوا مُقْفِرًا؛ وَبَلَّغُوا الْغَايَةَ وَمَا أَرْجَحَ رِكَابَهُمْ حَادٍ فِي لَيْلِ سُرَى، وَوَصَلُوا وَمَا فارقُوا قُرَشَهُمُ الْمَهْدَةَ إِلَى مَا وِراءَ الْوَرَى؛ شَرَطَ كُلُّ خاتمة أَنْ لَا تُغْلِقَ فِي وَجْهِهِ مِنْ يَنْزِلُ فِيهَا بَابًا، وَلَا تُطِيلَ جِهَاتُهَا الْمُمْنَعَةُ لَهُ حِجَابًا، وَلَا تُعْجَلْ مَقَامَاتُهَا الْمَرْفَعَةُ لَهُ قَبْلَ



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ، وهي مشيخة الخاتمة الناصرية بـ «بيرياقوس»، مما كُتِبَ بِذَلِكَ لِلشَيْخِ نِظامِ الدِّينِ الْأَصْفِهَانِيِّ، مِنْ إِنْشاءِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ شَمْسِ الدِّينِ :

الطَّرَة

توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى، الشيخى، النظامى، إسحق ابن الشيخ المرحوم جلال الدين عاصم، ابن الشيخ المرحوم سعيد الدين محمد الأصفيانى

(١) بياض في الأصل وبه علامة التوقف .

القُرشي الشافعي - أدام الله النفع ببركته - مشيخة الخانقاه السعيدة الناصرية
بسيرياقوس - قدس الله رُوح واقفها - ومشيخة الشيوخ بالديار المصرية والبلاد
الشامية والحلبية ، والفتوحات الساحلية ، وسائر الممالك الإسلامية المحروسة ، على
عادته في ذلك وقاعدته ومعلومه ؛ وأن يكون ما يخص بيت المال من ميراث كلِّ
من يتوفى من الصوفية بالخانقاه بسيرياقوس للشيخ نظام الدين المشار إليه ، بحيث
لا يكون لأمين الحكم ولا لديدوان المواريث معه في ذلك حديثٌ ، وتكون أمور
الخانقاه المذكورة فيما يتعلق بالمشيخة وأحوال الصوفية راجعة للشيخ نظام الدين
المشار إليه ، ولا يكون لأحد من الحكام ولا من جهة الحسبة ولا القضاة في ذلك
حديثٌ معه ، ولا يشهد أحدٌ من الصوفية ولا ينتسب إلا بإذنه ، على جاري عادته
في ذلك على ما شرح فيه ، وأوله :

الحمد لله على نعيمه التي ألفت للصالحين من عباده نظاما ، وأستأنفت للصالحين
إلى مراده إحراما ، وصرفت أوامرنا بالعدل والإحسان لمن فوض أموره إلى ربه
فأنجح له من مزيد التأييد مرادا ومراما ، وعظفت بأوجه إقبالها الحسان على من
هو متبره عن دنياه ، متوجه إلى آخره ، يمضي نهاره صياما وليله قياما .

نحمده على أن جعلنا نزعنا للأولياء ذماما ، ونسعى بالنعماء إليهم ابتداء وإتماما ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترقع للخلصين في عليين مقاما ،
وتدفع بأعمال الصديق عن المتوكلين عليه بأسا وأسقاما ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله الذي جعله للفقير إماما ، وفضله على النبيين إجلالا وإعظاما ، وكلمه
بالسمات المكرمات ، والصفات المشرفات ، مما لا يضاهاى ولا يسامى ؛ صلى الله عليه
وعلى آله الذين شرفوا إضافة إلى نسبه الشريف وأنضماما ؛ ورضى الله عن أصحابه

الذين عرّفوا الحقّ فبدّلوا فى إقامته آجتهاداً وأهتياًماً، صلاةً تُجملُ آفتتاحاً وآختتاماً،
وتُجزّلُ إرباحاً وإنعاماً؛ وسلّمٌ تسليماً كثيراً .

وبعدُ، فسيّمنا العدلُ والإنصاف، لمن له يمينُ الأعراق اتصالٌ وبُحسُن
الأخلاقِ آتصافٌ؛ ومن كرمنا الفضلُ والإسعاف، لمن لاخفاءً فى تعيينه لتصدير
التقديم وتكرير التكريم ولا خلاف؛ ومن تجاياتنا الجميلة أن لا تُضاع حقوقُ من
هو فى الزهادة والعبودية إمامٌ، لألسنة الأيام، بجلاه الحسنة إقراراً وأعترافاً، ولمزاياتنا
جميلُ المحافظة، وجيلُ الملاحظة، لمن توكل على الله حقّ التوكل فله آتصافٌ بالله
تعالى وآتصافٌ: لأنّه العريقُ الأسلاف، الرفيقُ بالضعاف، الحقيقُ بتوفير التوفيق
الذى له بحركاته المباركة آكتناف، المُطيقُ النهوض بأعباء الرياسة: لأنّ للقلوب
على محبته آتصاف، السَّبوقُ إلى غايات الفسّوات الذى تُحسّف به فى بلوغ آماد
الإسعاد من الله تعالى أنطاف، والصدوقُ النية مع الله تعالى فكم والى لنعمايه الزيادة
والإستئناف .

وكان المجلسُ العالى الشيخى، الإمامى، الكبيرى، العالمى، العاملى، الأوحديّ،
القُدوى، الورعى، الزاهدى، الناسكى، الخاشعى، السالكى، الأصيلى، العريقى،
القوامى، العلامى، النّظامى: جمالُ الإسلام والمسلمين، شرفُ العلماء فى العالمين،
أوحدُ الفضلاء، قُدوة المشايخ، مربّى السالكين، كثرُ الطالبين، موضّع الطريقه،
مبيّن الحقيقه، شيخُ شيوخ العارفين، بركةُ الملوك والسلاطين، ولىُّ أمير المؤمنين،
إسحقُ ابن الشيخ المرحوم فلان - أدام الله النفع بركاته - هو المفوضُ أموره إلى
ربه، المُعرّض عن الدنيا بباطنه وقلبه، المتعوض بما عند الله من فضله فما زال
الإيثار من شأنه ودأبه، إلى إخوانه وصحبته، فهو من الذين يُطعمون الطعام على

حُبِّهِ ، وَيُلْهِمُونَ مِنَ الْعَمَلِ الْمُبْرُورِ إِلَى أَقْرَبِهِ مِنَ اللَّهِ وَأَحَبِّهِ ، وَيُقِيمُونَ الظُّلَامَ مَعَ
أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ وَحِزْبِهِ ، وَيَسْتَدِيمُونَ الْإِنْعَامَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ
فَفَرَعُهُمْ لِأَصْلَابِهِمْ فِي صُنْعِهِمْ مُشَبِّهٌ ، وَيَسْتَسْلِمُونَ لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَكُلُّهُمْ شَاكِرٌ لِرَبِّهِ ،
عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُرَّةِ صَابِرٍ عَلَى سَهْلِ الْأَمْرِ وَصَعْبِهِ ، سَائِرٌ بِالصَّدَقِ فِي شَرْقِ الْوُجُودِ
وَعَرْبِهِ ، مَثَابِرٌ عَلَى الْحَقِّ فِي عَجْمِ الْخَلْقِ وَعُزْبِهِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُوصَلُ الْحُقُوقَ إِلَى مَسْتَحِقِّيهَا ، وَيُجَلُّ
الْوُثُوقَ بِمَنْ تَجَمَّلَ الْمَرَاتِبُ الدِّينِيَّةُ مِنْهُ بِتَرْقِيهَا - أَنْ يَفُوضَ إِلَى الْمُشَارِ إِلَيْهِ مَشِيخَةَ
الْخَانِقَاهِ السَّعِيدَةِ النَّاصِرِيَّةِ بِسِرِّيَا قَوْسٍ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَ وَاقِفِهَا - وَمَشِيخَةَ الشُّيُوخِ
بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَالْحَلِيبِيَّةِ ، وَالْفُتُوحَاتِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَسَائِرِ الْمَمَالِكِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَا يُحْصَى
بَيْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورِ مِنْ مِيرَاثِ كُلِّ مَنْ يُتَوَفَّى مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِالْخَانِقَاهِ الْمَذْكُورَةِ لِلْمُشَارِ
إِلَيْهِ ، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لِأَمِينِ الْحَكْمِ وَلَا لِدِيْوَانِ الْمَوَارِيثِ مَعَهُ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ ،
وَتَكُونُ أُمُورُ الْخَانِقَاهِ الْمَذْكُورَةِ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيخَةِ وَأَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ رَاجِعَةً إِلَيْهِ ،
وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْحُكَّامِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْحِسْبَةِ وَلَا الْقَضَاةِ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَعَهُ ،
وَلَا يَشْهَدُ أَحَدٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَّا بِإِذْنِهِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ
مَعْدُوقًا بِنَظَرِهِ .

فَلْيَعُدَّ إِلَيْهَا عَوْدًا حَمِيدًا ، وَلْيُقَدِّدْ مِنَ الْإِصْلَاحِ مَا لَمْ يَزَلْ مُفِيدًا ، وَلْيَعْتَصِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى
مَوْلَاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ وَقَدِ آتَاهُ اللَّهُ تَبَيُّنًا وَتَسْدِيدًا ، وَلْيُشْهِدْ بِهَا مِنَ الْقَوْمِ الْمُبَارِكِينَ مَنْ
[كَانَ] عَوْدُهُ قَبْلَ الصُّومِ عِيدًا ، وَهُوَ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَسْعُودُ الْمُبَاشِرُ ، الْحَمُودُ

المُعاشرة، المشهودُ منه اعتمادُ الاجتهادِ فى الدنيا والآخرة؛ المعهودُ منه النفعُ التامُ ،
فى فقراء مصر والشام ، فكَم أثر الخير وآثره ، وكَثُر البرُّ وواتره ، وبَسُر السير الحسن
الذى لم يبرح لسانُ الإجماع شاكِرَه .

ونحن نُوصيه عملاً بما أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم فى كتابه المبين ،
بقوله وهو أصدقُ القائلين : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإن كذا تتحقق
ما هو عليه من العلم والدين ، والحكم الرصين ، والزهد والورع اللذين نحن منهما على
بيئته وبيقين ، باتباع شروط الواقفين ، والإمتاع بالعوارف أولياء الله العارفين : فإنه
ما زال حيثُ حلَّ فى جميع الآفاق ، واصلاً للأرزاق ، مواصلاً بالأشواق ، شاملاً
بالإرفاق ، عاملاً بالحق فى إيصال الحقوق لذوى الاستحقاق . ونامرهم أن يكونَ
لهم على تكريمه اتفاق ، وفى متابعتِه اجتماع وأنساق ؛ فإنه شيخُ الطوائف ، وإمامٌ
تقتبس منه اللطائف ، وتُتمس منه الهداية فى المواطن والمواقف ؛ والله تعالى يمتع
ببركاته الأمم ، ويسمع منه فى الخلوات لنا الدعوات التى تكونُ لأوراده المقبولة
مفتتحة ومتممة ، ويصله بعنايته التى تقيد الهم وتؤيد الهمه ، ويعمله حيثُ كانَ
للفقراء نعمةً وبينَ الناس رحمةً ، والعلامةُ الشريفةُ أعلاه ، حجةً بمقتضاه .

الضربُ الخامس

(من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة - أربابُ الوظائف
العادية، وكلها تواقع)

وهي على طبقات :

الطبقة الأولى

(من يُكْتَب له في قَطْع النصف بالمجلس العالى، وهو رئيسُ الأطباء
المتحدثُ عليهم في الإذن في التَطَبُّب والعلاج والمنع من ذلك
وما يجرى هذا المجرى)

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب، وهي :

الحمد لله مؤتي الحكمة من يشاء من عباده، ومُعْطِي أمانة الأرواح من ترقى
في حفظها إلى رتبة آجتهاده؛ وجاعل علم الأبدان أحد قسَمِي العلم المُطَلَق في حالي
اجتماعه وأنفِراده، وموفق من جعل نُصْح خلقِ الله فيه سبباً لسعادة دُنْيَاه وذخيرةً
صالحةً ليوم مَعَادِهِ، ومُبَلِّغٌ من كان [دائماً] في إعانة البرية على طاعة ربها بدوام الصِّحَّة
غايةً مرامه وأقصى مُرادِهِ، ورافع رتبة من دَلَّ آخْتِيَارُهُ وآخْتِبَارُهُ على وَفُورِ عِلْمِهِ
وُنُجْحِ عِلَاجِهِ وإصابة رأيه وسدادِهِ .

نحمده على نِعْمَةِ التي خَصَّصَتْ بِنِعْمِنَا من كُلِّ في نَوْعِهِ وَفَضْلِهِ وَحَسُنَ في عِلْمِهِ
وعَمَلِهِ قَوْلُهُ وَفِعْلُهُ ، وجمع من أمانة وظيفته ومعرفتها ما إذا جَلَسَ في أَسْنَى مناصبها
قيل : هذا أهله .

(١) في الأصل "ومقلب يداوم الصحة" الخ تأمل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشْرِقُ البصائر، بأضوائها،
وتُفْرِقُ الضائِرُ، باخلاصها من أدوائها، وتُغِدِّقُ بِمِنْهَا أنواء التوفيق فتتأرجح
رياض الإيمان بين روائها وإزوائها. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أنارت
ملئته، فلم تخف على ذى نظر، وعلت أدلته، فلم ينلها من فى باع رويته قصر،
وبهرت معجزاته فلو حاولت الأنفاس حصرها أفناها العيون والحصر؛ صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه الذين كانوا لأدواء القلوب علاجاً، ولسلسيل الإيمان مزاجاً،
وللبصائر السائرة فى دجى الشبهات سراجاً؛ صلاة دائمة الإقامه، متصلة الدوام إلى
يوم القيامة؛ وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: فإن صناعة الطب علم موضوعها حفظ الأبدان النفيسة، ومقصودها
إعانة الطبيعة على حماية الأعضاء الرئيسة؛ ومدارها الأعم، على معرفة العوارض
وأسبابها، ومدركها الأتم، الوقوع على الصواب فى معرفة الجسوم وأوصافها؛ وحينئذ
تتفاوت رتب أهلها عند تشعب مداركها، واختلاف مسالكها؛ وتشابه علاجها،
والتباس صوابها بخلافها؛ إذ لا يميز ذلك حق تمييزه إلا من طال فى العلم بتجره،
وحسن فى رتب هذا الفن تصدده؛ وطابق بين نقله وعلاجه، وعرف حقيقة كل
مركب من الأدوية ومفرد بعينه وأسمه وصفته ومزاجه؛ وتكررت عليه الوقائع
فعرّفتها دربة وأحكمتها قلا، ولقب بشريعة التقوى إذ كان الإقدام على النفوس
قبل تحقق الداء والدواء مذموماً شرعاً وعقلاً؛ ولذلك تحتاج إلى رئيس ينعم
فى مصالحتها نظره، ويجهل فى منافعتها وردده وصدره؛ ويعتبر أحوال أهلها بمعيار
فضله، ويلزم الداخل فيها ببلوغ الحد الذى لا بد منه بين أرباب هذا الشأن

(١) من أفرق المريض والمحموم برأ.

وأهله ؛ ويعرف لأكابر هذا الفن قدر ما منحهم الله من علم وعمل ، ويسقط رجاء المبتدئ إذا كمل نفسه حتى لا يكون له فيها بغير كمال الاستحقاق طمع ولا أمل .

ولما كان المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الحكيم ، فلان الدين : هو الذى بلغ من العلم غاية مراده ، وأحتوى من هذا الشأن على ما جمع به رتب الفاضلين فيه على أفراده ؛ فلو عاصره «الرئيس» لاعتمد عليه فى كليات قانونه ، أو «الراى» لعلم أن «حاويه» من بعض فنونه ؛ قد حلب هذا العلم أشطره ، وأكمل قراءة هذا الفن رموزه وأسطره ؛ وحل أسراره الغامضة ، وآرتوى من سحب رموزه بأنواء لم يتم غير فكره بروقها الوامضة ؛ وأسلف من خدمة أبوابنا العالية سفرا وحضرا ما اقتضى له مزية شكره ، وتقاضى له مزيد التنبيه على قدره والتنويه بذكره ؛ وحمد فيه الفريدان : صحة نقله وإصابة فكره ، وعلم أنه جامع علوم هذه الصناعة فلا يشد منها شئ ، عن خاطره ولا يغيب منها ثقل عن ذكره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لزال شهاب فضله لامعا ، وسحاب بره هامعا - أن يكون فلان متولى رئاسة الأطباء بالديار المصرية على عادة من تقدمه .

فليأشر هذه الرئاسة ناظرا فى مصالحها ، مطلعاً من شهاب فضله ما يزين أفقها زينة السماء بمصابيحها ، متفقداً أحوال مباشرتها ، متمسحاً أحوال المستقل بأعبائها والداخل فيها ؛ سالكا فى ذلك سبيل من تقدمه من رؤسائها ، حاكما فى أمورها بما جرت به العادة المستقرة بين أكابرها وعلمائها ؛ مطارحا من قدمت هجرته فيها بما يقتضى له مراجعة أصوله ، ملزما من ظهر قصوره فيها بالتدرب إلى حد لا يقع منه بدون حصوله ؛ مجيباً فى الإذن لمن أظهر الاستحقاق صدق ما آتاه ، قابلاً فى الثبوت من مشايخ هذه الصناعة من لا يشهد إلا بما علمه ولا يجرب من التدرب

إلا بما رآه ووعاه ؛ متحرّياً في الثبوت لدينه ، آذناً بعد ذلك في التصرف إن ترقى علمه باستحقاقه إلى رتبة تعيينه ؛ وليعط هذه الوظيفة حقها من تقديم المبرزين في علمها ، وتكريم من منحه الله درجتي نعالها وفهمها ، وتعليم من ليس عليه من أدواتها المعتبرة غير وشمها وأسماها ؛ ومنع من يتطرق من الطرقية إلى معالجه وهو عارٍ من ردائها ، وكف يد من يتهم على النفوس فيما غمض من أدواتها قبل تحقق دوائها ؛ وأعتبر التقوى فيمن يتصدى لهذه الوظيفة فإنها أحد أركانها ، واختيار الأمانة فيمن يصلح للإطلاع على الأعضاء التي لولا الضرورة المبيحة حرم الوقوف على مكانها ؛ وليكن في ذلك جميعه مجانباً للهوى ، ناوياً نفع الناس فإنما لأمرئى مانوى ؛ والله تعالى يحقق له الأمل ، ويسدده في القول والعمل ؛ بمنه وكرمه ! .

قلت : وربما أفتتح توقيعها بـ «أما بعد حمد الله» .

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، كتبت بها لـ «شهاب الدين الحكيم» في المحرم سنة تسع وسبعائة ، وهي :

أما بعد حمد الله حاسم أدواء القلوب بطائف حكيمه ، وقاسم أنواع العلوم بين من كل استعدادهم لقبول ما اقتضته حكمة قسمته ؛ وجاعل لباس العافية من نعمه التي هي بعد الإيمان أفضل ما أفاض على العبد من بره وأسبغ عليه من نعمته ، والمنزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته ؛ ومقرب مانائى من الفضائل على من أسرى إليها على مطايا عزمه وسرى لتحصيلها على جواد همته ، ومُنهم آرائنا بتفويض أمانة الأرواح إلى من أنفق في خدمة الطبيعة أيام عمره فكان بلوغ الغاية في علمها نتيجة خدمته ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى شرح الله بالهدى صدور أمته ، وخصه منهم بأعلام كل علم وأئمة ، وجلا

ببقين ملته عن كل قلب ماران عليه من الشك وعمته، وعلى آله وصحبه الذين حمّاهم من الزئبق والزلل ما بخر الهدى لهم من جوامع الكلم وأفاض التقي عليهم من أنوار عصمته - فإن أولى الأمور أن يعتمد فيها على طيبها الخبير، ويصان جوهرها عن عرض العرض على غير ناقدتها البصير؛ وتحمي مواردها عن من لم يعرف كيف يحتبب مواقع التكدير، وترفع كواكبها عن من لم تدرك أفكاره دقائق الحوادث وحقائق التأثير - أمر صناعة الطب التي موضوعها الأبدان القائمة بالعبادة، والأجسام القائمة بما يتعاقب عليها من الحوادث والزياده؛ والنفوس التي ما عنها إن حصل فيها التفريط بدل ولا عوض، والأرواح التي إن عرض الفناء لجوهرها فلا بقاء بعده للعرض؛ والطبيعة التي إن خدمت على ما يحب نهضت على ما يجب بالصحة حق النهوض، والأمزجة التي إن نفرت لعدم التأني في سياستها أعجزت من يروض.

ولذلك تفتقر على كثرة أربابها، وتحتاج مع غزارة المتمسكين بأسبابها؛ وتضطرب وإن أندفعت الضرورات بكثرة مقننيها، ومتشوّف وإن وجد اللحم الفقير من المتلبسين بأدواتها والمتبحرين فيها - إلى رئيس ينعم في اعتبارها كفايتها النظر، ويدفع عن رتبها بتطرق غير أهلها الغير، ويعرف من أحوال مبائيرها ما لا يكفي في خبرها الخبر؛ فلا يقبل إلا من علم مقدار علمه، ووثق مع الحفظ بصحة فهمه؛ ورضى عن خبره في الطب واجتهاده، وأعتبر منه كل نوع تحت أجناسه المتعددة على حديثه وأفراده؛ وجاراه في كليات الفن فرآه في كل حلبة راقضا، وطارحه في فصول العلم فوجدته يحمل أعباء ما تفرع منها ناهضا؛ واختبر دُرْبته فوجدتها موافقة لتحصيله، مطابقة لما حواه من إجمال كل فن وتفصيله؛ وتبع مواقع دينه فوجدتها متينة، ومواضع أمانته فألفاها مكيته، وأسباب شفقتيه ونصحه فعرف أنها على ما جمع من الأدوات الكاملة معينه؛ ويتعين أن يكون هذا «الرئيس» في أوامره،

و «الرازى» فى زمانه ، و «الفارابى» فى كونه أصلاً تَتَفَرَّعُ فنونُ الحِكم من أفنائه ؛
عِلاجُهُ شفاءً حَاضِرًا ، وكلامُهُ نِجاةٌ من كلِّ خَطَرٍ مُخَامِرٍ ؛ وتديِرُهُ للصِحَّةِ تَقْوِيمٌ ،
وتَصَفُّحُهُ تَتَقَيَّفُ لعلماء الصِّناعة وتَسْلِيمٌ ، ودُرُوسُهُ ذِخَائِرٌ يُنْفِقُ من جواهر حِكْمِهَا
كُلُّ حَكِيمٍ .

ولما كان المجلس العالى الصِّدْرِى ، الشَّهَابِى : هو المراد بالتعيين لهذه الوظيفة ،
والمقصود بما أُشِيرَ إليه فى استحقاق هذه الرتبة من عبارة صريحة أو كناية لطيفة ؛
وأَنَّهُ جمع من أدوات هذا الفن ما أَفْتَرَقَ ، وأَحْتَوَى على أُصُولِهِ وفُرُوعِهِ فاجتمعت
على أولوياته الطوائفُ وَأَتَمَّتْ على تَفْصِيلِهِ الفِرَقُ ؛ فلو عاصره «أبقراط» لقضى له
فى شَرْحِ فُصُولِهِ بالتَّقديمه ، ولو أدرك «جالينوس» لأفتدى فى العِلاجِ بما علمه ؛ مع
مباشرة ألفت بين الصِّحة والنَّفوس ، وملاطفة أشرقت مواقعُ البرءِ بها فى الأجساد
إشراقَ الشَّموسِ ؛ وأَطْلَاعِ يَعْرِفُ به مبلغ ما عند كلِّ متصدِّ لهذه الصِّناعة من
العِلمِ ، وتَجَرُّبِ فى الفنون لا يُسَلِّمُ به لأحدٍ دَعْوَى الأهلية إلا بعد حربِ جدالٍ هو
فى الحقيقة عينُ السَّلْمِ - فُرِسِمُ بالأمر العالى أن يستقر فلانٌ فى رياسة الأطباء
الطبائعية بالديار المصرية والشام المحروس ، على عادته وعادة مَنْ تقدّمه فى ذلك ،
ويكون مستقلاً فيها بمفرده .

فليُنظَرُ فى أمر هذه الطائفة نظراً تبرأ به الذمّه ، ويحصل به على رضا الله تعالى
ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فى الشَّفَقَةِ على الأُمَّة ؛ ويُعْطَى به الصِّناعة حقَّهَا ،
ويُطْلَقَ من يد مَنْ تطاولَ إليها بغير أهلية رِقَّهَا ؛ ويصُونُ النَّفُوسَ من إقدام من
تقدّم بغير خبرة كاملة عليها ، ويُدبُّ عن الأرواح تطرُق من يتطرَّق بغير معرفة
وافرة إليها ؛ فإنَّ فارطَ التفريط فى النَّفُوسِ قَلَّ أن يُسْتَدْرَكَ ، ومن لم تجتمع فيه

أدوات المعرفة التامة والدين فما ينبغي له أن يدخل في المعالجة قبل الكمال وإن دخل فلا يُترك ، فإن من لازم صلاح الأرواح صلاح الأجساد ، وإن الداء الذي لا دواء له أن تكون العلة في وادٍ والمعالجة في وادٍ ، فلا يقبل في التركيبة إلا من يثق بدينه كوثوقه بعلمه ، ولا يُصرف أحداً في هذه الصناعة إلا الذين زكّت أعمالهم قبل التركيبة ، وليشفعها بالامتحانات التي تُسفر وجوه الوثوق بالأهلية عن ألم دقائقها المنكية ، فإن العيان شاهد لنفسه ، ومن لم تنفعه شهادة فعله في يومه لم ينفعه غيره في أمسه ، ولا يمض فيها حُكماً قبل استكمال نصاب الشهادة ، وقبل التثبت بعد كمالها : فإن المعالجة محاربة للداء والموت بجماله المحارب له شهادة ، وليأمر من أُلحى إلى معالجة مرض لا يعرفه بتابعة من هو أوفق منه بالتقديم ، ومراجعة من هو أعلم منه به : فإن الحوادث قد تختلف ((وفوق كل ذي علم عليم)) . وملاك الأمور تقوى الله فليجعلها حجة فيما بين الله وبينه ، والافتقار إلى توفيقه فليصرف إلى ذلك قلبه وعينه ، والخير يكون إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية متطبب طبائعي ، أوردتها في "التعريف" قال :

وليتعرف أولاً حقيقة المرض بأسبابه وعلاماته ، ويستقص أعراض المريض قبل مداواته ، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد ، ثم إذا عرف حقيقة المرض ، وقدر ما يحتمله المزاج من الدواء لما عرّض ، يشرع في تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوى . ولا يهاجم الداء ، ولا يستغرب الدواء ، ولا يقدم على الأبدان إلا بما يلائمها ، ولا يبعد الشبه ، ولا يخرج عن جادة الأطباء ولو ظن

(١) لعله سفر عن وجوه الوثوق بالأهلية لتمام دقائقها الخ . تأمل .

الإصابة حتى يقوى لديه الظن ويتبصر فيه برأى أمثاله . ولتجنب الدواء ، ما أمكنه
 المعالجة بالغذاء ، والمركب ، ما أمكنه المعالجة بالمفرد ، وإياه والقياس إلا ما صحَّ
 بتجريب غيره في مثل مزاج من أخذ في علاجه ، وما عرض له ، وسنه ، وفصله ،
 وبلده ، ودرجة الدواء . وليحذر من التجربة ، فقد قال أبقراط وهو رأس القوم :
 إنها خطر . ثم إذا اضطر إلى وصف دواء صالح للعلّة نظر إلى ما فيه من المنافاة
 وإن قلت ، وتحيل لإصلاحه بوصف يصلح معه ، مع الاحتراز في وصف المقادير
 والكليات والكيفيات ، في الاستعمال والأوقات ، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر
 عنه . ولا يأمر باستعمال دواء ، ولا ما يستغرب من غذاء ، حتى يحقق حقيقته ،
 ويعرف جديده من عتيقه : ليعرف مقدار قوته في الفعل . ولعلم أن الانسان هو
 بنية الله وملعون من هدمها ، وأن الطبيعة مكافية وبؤسى لمن ظلمها ، وقد سلم
 الأرواح وهي وديعة الله في هذه الأجسام ، [فليحفظها ولينق الله فنى ذلك جميع
 الأقسام] وإياه ثم إياه أن يصف دواءً ثم [يكون هو الذى] يأتي به ، أو يكون هو
 الذى يدل عليه ، أو المتولى لمساولته للمريض ليستعمله بين يديه ، وفي هذا كله لله
 المنّة ولنا إذ هديناه له وأرشدناه إليه .



(٢) وهذه نسخة توقيع برياسة الكمالين .

(١) الزيادة عن "التعريف" ص ١٣٩ .

(٢) بياض بالأمل .

الضرب السادس
(من أرباب الوظائف بالديار المصرية)

زعماء أهل الذمة

ويكتب لجميعهم تواقع في قطع الثلث بالقابهم السابقة مفتوحة بـ «أما بعد

حمد الله» .

ويشتمل هذا الضرب على ثلاث وظائف :

الوظيفة الأولى
(رأسة اليهود)

وموضوعها التحدث على جماعة اليهود والحكم عليهم، والقضاء بينهم على مقتضى

دينهم وغير ذلك .

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل أن الموجودين من اليهود ثلاث طوائف :

وهم الربانيون، والقراءون، والسامرة . وقد جرت العادة أن يكون الرئيس من

طائفة الربانيين دون غيرهم، وهو يحكم على الطوائف الثلاث .

وهذه نسخة توقيع برأسة اليهود، من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر،

وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل ألطاف هذه الدولة القاهرة تصعطني لديمتمنا من

اليهود رئيساً فرئيساً، وتختار لقومها كما اختار من قومه موسى، وتبهج لهم نفوساً

كأما قدمت عليهم نفيساً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأسمى، والرسول

الذي أجمل الوصية بالملئ والذمئ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما هطل وبلى،

وما نزل وسمى - فإنَّ معدلة هذه الدولة تكتنف المائل والنحل بالأحياط، وتعمهم من انصافها وإسعافها بأوقر الأنصباء وأوفى الأقساط؛ وتلمهم من حادث الزمن إذا اشتط ومن صرفه إذا شاط، وتضمهم كما ضمت النبوة إلى جناح النبوة الأسباط؛ لا تزال ترقب الإل والذمه، فى المسلمين وأهل الذمه، وتقضى لهم بحسن الخيرة ورعاية الحرمه؛ وتبيحهم من أمر دينهم ما عليه عوهدوا، وتمتجهم من ذلك ما عليه عوقدوا؛ وتحفظ نواويسهم بأخبار محمد موادهم إذا شوفوها وتحسن مرآهم إذا شوهدوا؛ من كل إسرائيل أجمل للتوراة الدراسه، وأحسن لأسفار أنبيائه أقباسه وأجمل آتماسه، ومن نبهته نباهته للتقدمه فساطيم آجتاده يوماً حتى صار وجه الوجاهة فى قومه ورأس الرأسه؛ فأصبح معدوم النظر، معدوداً منهم بكثير، وموصوفاً بأنه فى شرح أسفار عبرانية حسن التفسير؛ وأستحق من بين شيعته أن يكون رأس الكهنه، وأن تصيح القلوب فى مجامعهم بحسن منطقهم مرتبه، وبأن للجباله بتقيفه لشيعته تحجب عقائدهم عن أن تغدو ممتنه .

ولما كان فلان هو لمحاسن هذا التقرير بهجه، ولجسد هذا التفويض مهجه، وتمادح هذا الثناء العريض لهجه؛ ولعين هذا التعيين غمضها، وليد هذه الأيادي بسطها وقبضها؛ ولأبكار أفكار هذه الأوصاف متقاضيا ومقتضاها، ومن أذنبت قطاف النعماء ليد تقدمته «على غيظ من غص منها» وأجنتى غمضها - آقتضى حسن رأى الشريف أن يميز على أبناء جنسه حق التمييز، وأن يُجازله من التنويه والتنويل أجل ما جيز .

ورسم بالأمر الشريف - لازل يختار فيجمل الاختيار، ويفدو كالغيبث الذى يعم بنفعه الربا والوهاد والأثمار والأشجار - أن تفوض إليه رأسه اليهود على

أختلافهم : من الربانيين ، والقرائين ، والسامرية بالديار المصرية حماها الله وكلاهما .
فليجعل أسبابهم بالتقوى تقوى ، وغرورهم بالتدبير لا تدوى ؛ ومقاصدهم لا يمازجها
شك ولا شكوى ، وليُنزل عليهم منّا منّا يسليهم صنعا حتى لا يفارقوا المن والسلوى ؛
وليتق الله فيما يدره ويأتيه ، ويحسن في آجتلاب القلوب وأختلابها تأتيه ؛ وإياه
والتية حتى لا يقال : كأنه بعد لم يخرج من التيه .

وجماعة الربانيين فهم الشعب الأكبر ، والحزب الأكبر ؛ فعاملهم بالرفق
الأجدى والسر الأجدر ، ولكونك منهم لا تمل معهم على غيرهم فيما به من النفس
الأمارة تؤمر .

وجماعة القرائين فهم المعروفون في هذه الملة ، بملازمة الأدلة ، والاحتراز في أمر
الأهله ، فانصب لأمرهم من لم يتولّه حين يتولّه ؛ ومن كان منهم له معتقد فلا يخرج
عن ذلك ولا يخرج ، ولا يلجم منهم بلجام من نار إنكار من في ليلة سبته [بنته]
عليه لا يسرح .

والسامرة فهم الشعب الذين آذن التنظيف أهله بجروبه ، ولم يك أحدهم
لمطعم لكم ولا مشرب بأكوله ولا شروبه ؛ فمن قدرت على رده بدليل من
مذهبك في شروق كل بحيث وغروبه ، فاردده من منهج تحيده عن ذلك وهروبه ،
والا فقل له : ياسامري بصرت بما لم تبصروا به . ولتكن تستكل فيهم بالبت ،
وأرفق بهم فإن " المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبق " فإياك أن تكون ذلك
المنبت ، ومهم بملازمة قوانينهم كيلا يعدوا أحد منهم في السبت ؛ وأجعل أمور
عقودهم مستتبه ، وأحسن التحري والتحرير لهم في إتقان كل كتبه ؛ ولا تختار إلا
الأعيان ، من كل حران ودبان ؛ ومن كان له من داود عليه السلام لحمه نسب ،

وله به حُرْمَةٌ نَسَبٌ ، فَارْعَ لَهُ حَقَّهُ ، وَأَصْحِبْهُ مِنَ الرَّفْقِ أَوْ كَرَمِ رُقْعِهِ . وَالْجَزِيَّةُ فَهِيَ
لِدِمَائِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِصْمَةٌ ، وَعَلَى دِفَاعِهَا لِادِافِعِهَا وَصَمَةٍ ، وَلَا أَجْلَهَا وَرَدَ : « مَنْ آذَى
ذِمِّيًّا كُنْتُ خَصَمَهُ » ، وَهِيَ أَلَمٌ مِنَ السِّيفِ لِإِجَارِهِ ، وَهِيَ أَجْرَةُ سُكْنَى دَارِ الْإِسْلَامِ
كَمَا هِيَ لِاسْتِحْقَاقِ الْمَنْفَعَةِ بِهَا لِإِجَارِهِ ؛ فَادُّوْهَا ، وَبِهَا نَفُوسُكُمْ فَادُّوْهَا ، (وَإِنْ تَعُدُّوْا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوْهَا) ، فَعُدُّوْا الطَّافَ اللَّهُ بِهَا وَلَا تَعُدُّوْهَا ؛ وَدَاوِمُوا عَلَى مَدِّ زَجْرٍ
لِتَارِكِ عِلَامَةٍ ؛ وَمَنْ قَصَدَ مِنْهَا خِلَاصَهُ ، فَقُلْ لَهُ فِي الْمَلَأِ : مَاذَا خِلَاصُهُ ؛ وَمَنْ رَكَنَ
فِي أَمْرِهَا إِلَى الْإِخْلَادِ وَالْإِخْلَالِ ، وَسَكَنَ إِلَى الْإِهْمَالِ ، وَلَمْ يَرْضَ بِأَنَّ رَايَةَ الذَّلَّةِ
الضَّرْفَاءَ عَلَى رَأْسِهِ تُسَالُ ؛ فَادُّوْهُ إِنْكَارًا ، وَأَلْزِمَهُ مِنْهَا شِعَارًا ؛ وَإِنْ قَامَ بِبَصْرِهِ مِنْهُمْ
مَعْتَرِضٌ خَشِنٌ فَارِهِمْ بَعْدَ الْعَلَامَةِ خُشْكَارًا ؛ وَخُدُّهُمْ بِتَجَنُّبِ الْغِشِّ الَّذِي هُوَ لِلْعَهْدِ
مَغْيِرٌ وَمَغْيِبٌ ، وَأَكْفُفْ مِنْهُ بِمَا يُنَافِيهِ مَعْيِرٌ وَمَعْيِبٌ ؛ وَأَمَا مَنْ هُوَ بِجَيْبٍ لَذَلِكَ
فَهُوَ لِقَصْدِهِ مَجْبِبٌ ، وَانْقَلِ طِبَاعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْ أَبَتْ عَنِ التَّنَاقُلِ فَأَنْتَ مَا تَنْتَلُو :
(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَلِيثُ وَالطَّيِّبُ) . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي تَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ نَفْخِ فِي الْبُوقِ
إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَلَمٌ لِلتَّنْدُكَارِ ، فَاجْتَهِدُوا أَنْ لَا يَكُونَ لَتَنْدُكَارِ الْعِجَلِ الْحَنِيدِ الَّذِي لَهُ
خُورٌ ؛ هَذِهِ وَصَايَا نَا لَكَ وَهَمْ فَقُلْ لَهُمْ : هَذِهِ مَوْهَبَةُ الدَّوْلَةِ وَإِحْسَانُهَا إِلَيْكُمْ ، وَتُطْفِئُهَا
بِكُمْ وَعَاطِفَتُهَا عَلَيْكُمْ ، وَبَصِّرْهُمْ بِذَلِكَ كَلِمًا تَلَا إِحْسَانُنَا إِلَيْهِمْ : (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا
نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) .



وهذه نسخة توقيع برآسة اليهود أيضا :

أما بعد حمد الله على أن جعل ملاحظة هذه الدولة القاهرة لجميع الملل ناظره ،
وإحسانها لا يُغْفَلُ مصلحة لأولي الأديان غائبة ولا حاضرة ؛ والصلاة على سيدنا
محمد الذي جعل ذمته وعهده وفين لكل نسمة مؤمنة وكافره - فإن الله تعالى لما مد

رِوَاقِ عَدْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ عَلَى كُلِّ مُعَاهِدٍ : من متقرب ومتباعد ، وساوى بينهم في النظر الذي صدق الرأي وصدق الرائد - أقتضى جميلها أن يُسَمَّ لِكُلِّ من أهل الذمة أوفر نصيب ، وأن لا يُقال لأحد منهم من الإجحاف ما يُريب ، وأن لا تكون أمورهم مضاعفة ، ولا تعبداتهم مُراعاه ، ولا شرائعهم غير مضمونه ، ولا أحكامهم عارية [عن] حُسن معونه ، وكانت جماعة اليهود وإن كانوا أولى غنى ، وصدق النصارى فيهم وصدقوا في النصارى من أنهم ليسوا على شئ ؛ لا بد لهم من مباشر يأخذهم بالأمر الأخط ، والناموس الأضبط ، والمراسيم التي عليهم تُشرط ؛ وكان الذي يُختار لذلك ينبغي أن لا يكون إلا من أكبر الكهننة وأعلم الأخبار ، ومن عَرَف من دينهم ما لا جله يُصطفى ، ومثله يُختار ؛ وممن فيه سياسة تُحجزه عن المضار ، وتُحجبه عن الاستنفار ؛ وكان فلان الرئيس هو المتميز بهذه الأوصاف على أبناء جنسه ، وله وإزعج من نفسه ، وراذع من حُسن حدسه ، وخدمة في مهمات الدولة يستحق بها الزيادة في أنسه ؛ وهو من بين جماعته مشهور بالوجاهة ، موصوف بالنباهة ؛ ذوقه برانية حسنة التعبير ، ودراسة لكُتب أهل ملته على ما فيها من التغيير - أقتضى جميل الاختصاص المتينف ، أن يُرسم بالأمر الشريف - لا يرح رقب الإل والذمة ، ويرعى للعاهدين الحرمة - أن تُفوض إليه رئاسة اليهود الرابانيين والقرائين والسامرة ، على عادة من تقدمه .

فليأشر ذلك مستوعباً أمورهم كلها ، مستودعاً دقها وجلها ، مباشراً من أحوالهم ما جرت عادة مثله من الرؤساء أن يباشروا مثلها ؛ غير مفرط في ضبط ناموس من نوايس الملكة ، ولا مغفل الإنكار على من يتجاوز ذلك إلى موارد الملكة ؛ ومن فعل ما يقضى بنقض عهده ، فعليه وعلى مستحسنيه له من المقاتلة ما يتعظ به كل من يفعل

ذَلكَ من بعديهِ ؛ بحيثُ لا يُخرُجُ أحدٌ منهم في كنيستِهِ ولا في يهوديتِهِ ولا في منع
جزيتِهِ عن واجبٍ مَعهودٍ ، ومن خالفَ فوراً ذلكَ من الادبِ ما تَقشَعِرُّ منه الجُلُودُ ؛
وما جعلَهُم اللهُ ذمَّةً للمسلمينِ إلا حَقّاً لدمائِهِم ، فلا يُجِئُها أحدٌ منهم فتَجتمعُ له شِمانَةٌ
أهلِ الأديانِ من أعدائِهِم بأعدائِهِم - والوصايا كثيرةٌ وإنما هذه مُختَبَرُ المَلخَصَةِ ،
وفيها من حسابِ الإحسانِ إليهِم ما تَعسَدُ به أيامُ الإمهالِ لهم مَحصَةً ؛ واللهُ يوفِّقُهُ
في كلِّ تصرُّفٍ مرغُوبٍ ، وتأفَّفَ من مثله مَطْلُوبٍ ؛ بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لرئيس اليهود أوردتها في "التعريف" وهي :

وعليه بضمِّ جماعتهِ ، ولمَّ تَمثلهم باستطاعتهِ ؛ والحُكْمُ فيهم على قواعدِ ملتهِ ، وعوائدِ
أُمّتيهِ ، في الحُكْمِ إذا وَصَّحَ له بِأدبِهِ ؛ وعقودِ الأُنكحةِ وخواصِّ ما يَعتبرُ عندهم فيها
على الإِطلاقِ ، وما يُفتقرُ فيها إلى الرضا من الجانِبينِ في العَقْدِ والطلاقِ ؛ وفيمن
أوجبَ عنده حُكْمَ دينِهِ عليه التَّحريمُ ، وأوجبَ عليه الاتِّقيادَ إلى التَّحكيمِ ؛ وما أَدعوا
فيه التواثُرَ من الأخبارِ ، والتظاُفِرَ على العملِ به مما لم يُوجدَ فيه نصٌّ وأجمعتُ عليه
الأخبارُ ؛ والتوجُّهُ نِلقاءَ بيتِ المقدسِ إلى جِهَةِ قِبَلَتِهِمْ ؛ ومكانَ تعبدِ أهلِ ملتهِ ؛
والعملِ في هذا جميعه [بما شرَّعه موسى الكليمُ ، والوقوفُ معه ^(١)] إذا ثبتَ أنه
فعلُ ذلكِ النبيِّ الكَرِيمِ ؛ وإقامةِ حُدودِ التَّوراةِ على ما أنزلَ اللهُ من غيرِ تحريفٍ ،
ولا تبديلٍ كلمةٍ بتأويلٍ ولا تحريفٍ ؛ وآتباعِ ما أعطوا عليه العَهْدُ ، وشَدُّوا عليه
العَقْدُ ؛ وأبقوا فيه ذمَّاءَهُم ، ووقَّوا به دِمَاءَهُم ؛ وما كانتَ تحكَمُ به الأنبياءُ والرَّبَّانِيُّونَ ،
ويُسَلِّمُ إليه الإسلامِيُّونَ منهم ويعبَّرُ عنه العِبْرانيُّونَ ؛ كلُّ هذا مع إلزامِهِم بما يلزُهُمُ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٣ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

من حُكْم أمثالهم أهل الذمّة الذين أُقزوا في هذه الديار، ووقاية أنفسهم بالخضوع والصغار، ومدّ رؤوسهم بالإذعان لأهل ملة الإسلام، وعدم مضايقتهم في الطرُق وحيثُ يحصل الألتباس بهم في الحَمَام؛ وحمل شعار الذمّة الذي جعل لهم حلية العائم، وعقد على رؤوسهم لحفظهم عقد التّمائم؛ وليعلم أنّ شعارهم الأصفر، موجب لثلاث أراق دُمهم الأحمر؛ وأنهم تحت علم علامته آمنون، وفي دعة أصائله ساكنون؛ وليأخذهم بتجديد صبغه في كلّ حين، وليأمرهم بملازمته ملازمة لا تزال علامتها على رؤوسهم تبيّن؛ وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة، أو يُفهم منه المعارضة، أو يدع فيه غير السيف وهو إذا كُلم شديد العارضة؛ وله ترتيب طبقات أهل ملته من الأحرار فمن دونهم على قدر استحقاقهم، وعلى ما لا تخرج عنه كلمة اتّفاقهم؛ وكذلك له الحديث في جميع كتائب اليهود المستمّرة إلى الآن، المستمّرة بأيديهم من حين عقد عهد الذمّة ثم ما تأكّد بعده لطول الزمان؛ من غير تجديد متجدد، ولا إحداث قدر متردّد؛ ولا فعل شيء مما لم تُعقد عليه الذمّة، ويُقرّ عليهم سلفهم الأوّل سلف هذه الأمة، وفي هذا كفاية وتحموى الله وخوف بأسنا رأس هذه الأمور المهمّة.



[وصية رئيس السامرة^(١)]:

ولا يعجز عن لمّ شعث طائفته مع قلتهم، وتأمين سربهم الذي لو لم يؤمنوا فيه لأكلهم الذئب لذئبتهم؛ وليصنّ بحسن السلوك دماءهم التي كأنما صبغت عمائمهم الحمر منها بماطل، وأوقد لهم منها النار الحمراء فلم يتقوها إلا بالذل؛ وليعلم أنّهم شعبة من اليهود لا يخالفونهم في أصل المعتقد، ولا في شيء يخرج عن قواعد دينهم لمن

(١) لم يعنون في الأصل وزدناه من "التعريف" ص ١٤٤.

أنتقد؛ ولولا هذا لما عدوا في أهل الكتاب، ولا قُنع منهم إلا بالإسلام أو ضرب
 الرقاب؛ فليين على هذا الأساس، [وليئني قومه أنهم منهم وإنما الناس أجناس] ^(١)
 وليلتزم من فروع دينه ما لا يخالف فيه إلا بأن يقول لا مَسَّس، وإذا كان كما يقول:
 إنه كهرون عليه السلام فليلتزم الحدد، وليتم من شرط الذمة بما يُقيم به طول المدد؛
 وليتمسك بالموسوية من غير تبديل، ولا تحريف في كليم ولا تأويل؛ وليخص عمله
 فإنه عليه مسطور، وليقف عند حدّه ولا يتعدّ طوره في الطور؛ وليحكم في طائفته
 وفي أنكحتهم ومواريتهم وكأديهم القديمة المعقود عليها بما هو في عقد دينه،
 وسبب لتوطيد قواعده في هذه الرتبة التي بلغها وتوطينه .

الوظيفة الثانية

(بَطْرِكِيَّةُ النَّصَارَى الْمَلِكِيَّةِ، وَهِيَ أَقْدَمُ مِنَ الْبِعَاقِبَةِ)

وقد تقدّم في الكلام على النحل والملل أنهم أتباع ملكا الذي ظهر قديما ببلاد
 الروم، وأن الروم والفرنج كلهم أتباعه، وبالديار المصرية منهم التزر اليسير، ولم
 بطرك يخصهم .

وهذه نسخة توقيع لبترك الملكية :

أما بعد حمد الله منوع الإحسان، لأولي الأديان، ومؤصله ومفرعه لكل طائفة
 ولكل إنسان، والصلوة على سيدنا محمد الذي أباد الله به من أباد وأبان من عهده
 وذمته من أبان - فإن الطائفة الملكية من النصارى لما كانت لهم السابقة في دينهم،
 ولم أصل الراسة والنفاسة في تعيينهم؛ وما برحت لهم في الكلاءة والحفظ قدم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٤ .

السابقه، ورُبَّيةٌ بملوكهم الرومانية سامية، وما زالت لهم خِدمُ الدول إلى أغراضها مُساوِقةً ومُتساوِقةً؛ ولم جوارٌ مشكور، وتبئلاً مشهور، وعليهم وصايا من الملوك في كل وُرودٍ وصُدورٍ؛ ولم من نفوسهم مزايا تستوجب احترامهم، وتستدعى إكرامهم؛ وكان لا بُدَّ لهم من بطريكٍ يلاحظ أحوالهم أتمَّ الملاحظه، ويستدعى لهم من الدولة أعظمَ محافظه؛ ويحفظ نواميس قبيلهم، ويحسن دراسة أناجيلهم؛ ويعرفهم قواعد معتقداتهم، ويأخذهم بالذماء لهذه الدولة القاهرة في جميع صلواتهم؛ ويجمعهم على سداد، ويفرقهم على مراد. وكان البطريرك فلان هو المتفق بين طائفته على تعيينه، والجمع على إظهار استحقيقه وتبينه؛ والذي له مزايا لو كان فيه واحدةٌ منها لكففته في التأهيل، ورفعته إلى منصبه الجليل. فلذلك رسم... - لا يرحُ يعطى كلُّ أحدٍ قسطه، ويدخل كلُّ أبوابه ساجداً وقائلاً حطه - أن يباشِر بطريكية النصارى الملكية على عادة من تقدمه من البطارقة السالفة بهذه الدولة.

فليحط أمورها الجزئية والكليّة، والظاهرة والخفية؛ وليأخذهم بما يلزمهم من قوانين شرعيتهم، وكل ما يريدون من حُسن سُمعيتهم؛ وأما الديرة والبيع والكائس التي للملكية فمُرجعها إلى صونه، وأمرها مردودٌ إلى جميل إعانتِه وعونه؛ والأساقفة والرهبان فهم سوادُ عين معتقده؛ وخلاصةُ متقده؛ فلا يُخلِّهم من تجييل، وحُسن تأهيل؛ وتقدّم إلى من بالثغور من جماعتك بأن لا يدخل أحدٌ منهم في أمر موبق، ولا في مُشكيل موبق؛ ولا يميلون كلَّ الميل إلى غريب من جنسهم، وليكن الخدر لغدهم من يومهم وليومهم من أمسهم؛ ولا يُنسا كلون رسولاً يرد، ولا قاصداً يفد؛ وطريقُ السلامة أولى ماسلك، ومن ترك الدخول فيما لا يعنيه ترك؛ هذه جملةٌ من الوصية لامعةٌ أفلح وأهتدى من بها استنار، ورشد من لها استشار؛ والله يوفِّقك في كل مقصد تُروم، ويجعلك بهذه الوصايا تقول وتقوم.



وهذه وصية لبَطْرِكَ الْمَلِكِيَّةِ أوردتها في "التعريف" وهي :

وهو كبير أهل ملته، والحاكم عليهم ما امتد في مدته؛ وإليه مرجعهم في التحريم والتحليل، وفي الحكم بينهم بما أنزل في التوراة ولم ينسخ في الإنجيل؛ وشريعته مبنية على المسامحة والإحتمال، والصبر على الأذى وعدم الإكتراث به والاحتفال؛ تغد نفسك في الأهل بهذه الآداب، وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك طريق إلى ألباب؛ فتخلق من الأخلاق بكل جميل، ولا تستكثر من متاع الدنيا فإنه قليل؛ وليقدم المصالحة بين المتحاكمين إليه قبل الفصل البت فإن الصلح كما يقال سيد الأحكام، وهو قاعدة دينه المسيحي ولم تخالف فيه المحمديّة الغراء دين الإسلام، ولينظف صدور إخوانه من الغل ولا يقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام؛ وإليه أمر الكائس والبيع، وهو رأس جماعته والكل له تبع؛ فإياه أن يتخذها له تجارة مريحه، أو يقتطع بها مال نصراني يقربه فإنه ما يكون قد قربه إلى المذبح وإنما ذبحه؛ وكذلك الديارات وكل عمر^(١)، والقلائي فيتعين عليه أن يتفقد فيها كل أمر؛ وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات، وليعلم أنهم إنما اعترلوا فيها للتعب فلا يدعها تتخذ متزّهات؛ فهم إنما أحدثوا هذه الرهبانية للتقلل في هذه الدنيا والتعطف عن الفروج، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل فيها ما يعود سبق له خروج؛ فليحذرهم من عملها مضيئة لسال، أو خلوة له ولكن بالنساء حراماً ويكون إنما تزّه عن الحلال؛ وإياه ثم إياه أن يؤوى إليها من الغرباء القادمين عليه من يريب، أو يكتم عن الإنهاء إلينا مشكل أمر ورد عليه من

(١) هو بالضم المسجد والبيعة "فاموس".

(١) بعيد أو قريب ، [ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد عليه من أحد من المملوك،] ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشي على مثل هذا السلوك، وليتجنب البحر وإياه من اقتحامه فإنه يفرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب فإنه بالبين يتفق ، والتقوى مأمور بها أهل كل مله ، وكل موافق ومخالف في القبلة ، فليكن عمله بها وفي الكتابة ما يغني عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .

الوظيفة الثالثة

(بطركية اليعاقبة)

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل الخلف في نسبتهم : فقيل إنهم أتباع ديسقرس ، وإنه كان اسمه في الغلمانية يعقوب ، وقيل أتباع يعقوب البرذعاني ، وقيل غير ذلك ، والأصح عند المؤرخين الأول . وبطركهم يحكم على طائفة اليعاقبة ، وجميع نصارى الحبشة أتباعه ، وفي طاعته ملك الحبشة الأكبر ، وعنه تصدر ولايته .

وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى اليعاقبة :

أما بعد حمد الله الذي أظهر دين الإسلام على الدين كله ، وأصدر أمور الشرائع عن عقد شرعه وحله ، وصير حكم كل مله راجعاً إلى حكم عدله ، والشهادة له بالوحدانية التي تدل على أنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد وليس شيء كمثلته ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أعظم أنبيائه وأكرم رسله ، وأشرف ولد آدم ونسبه ، المصطفى في علم الله من قبله ، ووسيلته في التوراة من غرور الشيطان وخذله ، والذي أطفأ الله ببركته نار ممرود عن إبراهيم وجعلها برداً وسلاماً وأجله من أجله ،

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٥ .

وبشّره عيسى بن مريم عبد الله وابن أمية وأقر موسى بن عمران كليم الله بفضله ،
وعلى آله الطيبين الطاهرين من فروع أصله ، وأصحابه سامعى قوله ، وتايى سبله -
فإن الله تعالى لما ارتضى الإسلام ديناً ، وأفضى بالملك إلينا وقضى لنا فى البسيطة
بسطة وتمكيناً ، وأمضى أوامرنا المطاعة بشمول اليمن شمالاً ويمينا - لم نزل نولى
رعايانا الإحسان رعايةً وتوطينا ، ونديم لأهل الذمة مئاة ذمةً وتأميناً ؛ وكانت طائفة
النصارى اليعاقبة بالديار المصرية لهم من حين الفتح عهدٌ وذمامٌ ، ووصيةٌ سابقةٌ من
سيدنا رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ ولا بد من بطريك يرجعون إليه
فى الأحكام ، ويحتمعون عليه فى كل تقضى وإبرام .

ولما كانت الحضرة السامية الشيخ الرئيس ، المجل ، المكرم ، الكافى ، المعزز ،
المفخر ، القديس ، شمس الراسة ، عماد بنى المعمودية ، كثر الطائفة الصليبية ،
أختيار الملوك والسلاطين ، فلان : وفقه الله ، هو الذى تجرد وترهب ، وأجهد روجه
وأتعب ، وصام عن المأكّل والمشرب ؛ وساح فأبعد ، ومنع جفنه لذيذ المرقد ،
ونهب فى خدمة طائفته وجد ، وخفض لهم الجناح وبسط الخد ، وكف عنهم
اليد ، وأستحقّ فيهم التبجيل لما تميز به عليهم من معرفة أحكام الإنجيل وتفرد -
أقتضى حسن الراى الشريف أن نلقى إليه أمر هذه الفرقة ونفوض ، ونبدلهم عن
بطريكتهم المتوقى ونعوض .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا برحت مراسمه مطاعه ، ومرامحه لإنزال أهل
كرمها بيعتها مرعيةً غير مراعه - أن يقدم الشيخ شمس الراسة المذكور على
الملة النصرانية اليعقوبية ، ويكون بطريكاً عليها ، على عادة من تقدمه وقاعدته
بالديار المصرية ، والتغور المحروسة ، والجهات التى عادته بها إلى آخر وقت .

(١) أى غير مفرقة ولم يذكر القاموس ولا اللسان أراعه وإنما الفعل راعه ورتعه أى أقرعه .

فليسلك سبيل السوا ، ولا يملك نفسه الهوى ، وليتمسك بخوف الله تعالى
 إن فعل أو نوى ، أو أخبر عن الحواريين أو روى ؛ فالعلم مراقب ، والعظيم
 معاقب ؛ والحكيم أمر أولي العقول بالفكرة في العواقب ، والحاكم غداً بحقوق الخلق
 غداً يطالب ؛ والظلم في كل ملة حرام والعدل واجب ، فليستوف الإنصاف بين القوي
 والضعيف والحاضر والغائب ؛ وليقصد مصلحتهم وليعتمد نصيحتهم ، وليخص على
 ما يدينون به بيوعتهم وفسوخهم ومواريتهم وأنكحتهم ؛ وليقمع ظوئهم ، وليسمع
 دعاويهم ؛ وليلزمهم من دينهم بما وجدوه ، فظنوه واعتقدوه ؛ وليتبع سبيل المعدلة
 فلا يعدو [ها] عائدة إليه أمور القسيسين والرهبان ، في جميع الديرة والكائس بسائر
 البلدان ، ولا يعترض عليه فيما هو راجع إليه من هذا الشأن . ولا يقدم منهم
 إلى رتبة إلا من استصاحه ، ولا يرحل إلى منزلة إلا من رشحه إليها ورجحه ، متبعاً
 في ذلك ما بينه له العدل وأوصحه ، مرتجع الرتبة ممن لم تكن الصدور لتقدمته
 منشرحه ، مجعاً لغيره في الإيراد والإصدار على اعتماد المصلحة ؛ وقد أوصحناه ولهم
 سبيل النجاة فليقتفوه ، وعرفناهم بالصواب والخيرة لهم إن عرفوه ، وليسأل الله ربه
 السلامة فيما له يفعل وبه يفوه ؛ والعلامة الشريفة أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بطرك النصارى اليعاقبة ، كُتِبَ به للشيخ المؤمن ، في شهر
 سنة أربع وستين وسبعائة ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي نشت لواء دولتنا في الآفاق ، فأوى كل أحد
 إلى ظلّه ، وبسطت معدتنا في البلاد على الإطلاق ، فمنحت الخاص والعام من ربنا
 بوابه وظلّه ، وأصطنعت بدمامها ملوك الملل وحكام الطوائف فنطقوا عن أمرنا

فى عَقْد كُلِّ امرٍ وَحَلِّهِ ؛ وَالشَّهَادَةِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ الَّتِي تُنَجِّحُ أَمَلَ الْمُخْلِصِ فى قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ،
 وَتَفْتَحُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِعُرْوَتِهَا أَبْوَابَ النِّجَاةِ فَيُصْبِحُ فى أَمَانٍ فى شَأْنِهِ كُلِّهِ ؛ وَالصَّلَاةَ
 وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ قَدْرًا فى مُحْكَمِ الذِّكْرِ وَتَقْلِهِ ،
 الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ زِيَادَةً فى رِفْعَةِ مَقَامِهِ وَتَقْرِيرًا لِقَضِيئِهِ ، الْمُنْعُوتِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ
 فى مُحْكَمِ كِتَابِهِ الَّذِى لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ
 أَنْ يَأْتِيَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا طَرِيقَتَهُ الْمُنْتَهَى وَسَلَكُوا مَنَاهِجَ
 سُبُلِهِ ، وَعَقَدُوا الذَّمَّ لِأَهْلِ الْمَلَلِ وَأَسْتَوْصَوْا بِهِمْ خَيْرًا لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ سَعَةِ حَائِمِهِ
 وَبَدَلِهِ - فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الطَّائِفَةُ الْمَسِيحِيَّةُ ، وَالْفِرْقَةُ الْعُقُوبِيَّةُ ؛ مِمَّنْ أَوْتَتْ تَحْتَ ظِلِّنَا
 الَّذِى عَمَّ الْوُجُودَ ، وَسَكَنَتْ فى حَرَمِ ذِمَامِنَا الَّذِى سَارَ نَبُؤُهُ فى التَّهَامِ وَالنُّجُودِ ،
 وَتَمَسَّكَتْ مِنْ طَاعَتِنَا وَاتَّبَعَتْ أَوْامِرِنَا بِمَا سَلَفَ لَهَا مِنَ الْهَدْيِ وَالْعُهُودِ ؛ وَكَانَتْ
 أَحْكَامُهُمْ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَدُورُ عَلَيْهِ أَمْرُهَا فى كُلِّ حَالٍ ، وَتَنْتَظِمُ بِهِ مَصَالِحَ شِمَالِهَا
 لِيَلْقُوا بِهَا الْأَمَالَ ، وَيَأْمَنُوا فى مَعْتَقَدِهِمْ فِيهَا مِنَ الْإِخْلَالِ ؛ وَأَنَّهُ إِذَا مَاتَ بَطْرِيكُ
 لَهْمٍ لَا بُدَّ أَنْ تَرَسَّمَ لَهُمْ بَغِيرَهُ ، لِيَعْتَمِدُوا فى ذَلِكَ مَا يَتَقَدَّمُ بِهِ إِلَيْهِمْ فى نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ؛
 وَيُسَلِّكَ بِهِمْ فى أَحْكَامِهِمْ مَا يَجِبُ ، وَيَعْرِفُ كُلًّا مِنْهُمْ مَا يَأْتِي وَيَذُرُّ وَيَفْعَلُ وَيَحْتَنِبُ ؛
 وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِمَقْتَضَى مَا يَعْتَقِدُونَهُ فى إِنْجِيلِهِمْ ، وَيُمِشِي أحوالَهُمْ عَلَى مُوجِبِهِ فى تَحْرِيمِهِمْ
 وَتَحْلِيلِهِمْ ؛ وَيَزْجُرُ مَنْ تَخَرَّجَ عَنْ طَرِيقِهِ ، لِيَرْجِعَ إِلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَسْوَةٌ رَافِقَةٍ ؛
 وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ بِمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَيَبَيِّنُ لَهُمْ قَوَاعِدَ دِينِهِمْ فى كُلِّ تَقْضٍ
 وَإِبْرَامٍ ؛ فَلَمَّا هَلَكَ الْآنَ بَطْرِيكُهُمْ مَعَ مَنْ هَلَكَ ، رَسَمْنَا لَهُمْ أَنْ يَنْتَخِبُوا لَهُمْ مَنْ
 يَكُونُ لَطَرِيقَتِهِ قَدْ سَلَّكَ ؛ وَأَنْ يَخْتَارُوا لَهُمْ مَنْ يَسُوسُ أُمُورَهُمْ عَلَى أَكْلِ الْوُجُوهِ ،
 لَتَرَسَّمَ بِتَقْدِيمِهِ عَلَيْهِمْ [فَيَقُومُ] بِمَا يُؤْمَلُونَهُ مِنْهُ وَيَرْجُوهُ .

(١) حذف نون الرفع رماية للسمع .

وكان الحضرة السامية، القديس، المبجل، الجليل، المكرم، الموقر، الكبير،
الديان، الرئيس، الروحاني، الفاضل، الكافي، المؤمن، جرجس بن القس مفضل
اليعقوبي، عماد بن المعمودية، كثر الأئمة المسيحية، مشحَب الملة الصليبية، ركن
الطائفة النصرانية؛ اختيار الملوك والسلاطين: أطال الله تعالى بهجته، وأعلى على
أهل طائفته درجته، قد حاز من فضائل ملته أمثاها، وصعد من درجات الترقى
على أبناء جنسه أعلاها؛ فزه نفسه عن مشاركة الناس، وتكشف بين أهله
في المأكل واللباس؛ وترك الزواج والنكاح، واشتغل بعبادته التي لازم عليها في المساء
والصباح؛ وألقى نفسه إلى الغاية في الأطراح، وساح بخاطره في الفكرة وإن لم يكن
بجسده قد ساح؛ وأرتاض بترك الشهوات مدة زمانه، وأطرح الملائد لتعلو درجته
بين أهله برفعة مكانه؛ واشتمل من علوم طائفته على الجانب الوافر، وعرف من
أوامرهم ونواهيهم ما تقر به منهم العين والناظر؛ وطلب من الرب الرؤف الرحيم
القوة على أعماله، وسأل الإله أن يزین لأهل ملته ما يأتي به من أقواله وأفعاله؛
فوقع اختيارهم عليه، وسألوا صدقاتنا الشريفة إلقاء أمرهم إليه.

فُرِسِم بالأمر الشريف - لازل إحسانه إلى سائر العالم وإصلا، وجوده لكل
طائفة بارتباد أكفائها شاملا - أن يقدم حضرة القديس المؤمن جرجس المشار
إليه على الطائفة اليعقوبية، من الملة النصرانية، بالديار المحروسة والجهات الجارى
بها العادة؛ ويكون بطريقا عليهم على عادة من تقدم في ذلك ومستقر قاعدته إلى
آخر وقت، قائما بما يجب عليه من أمور هذه الملة، باذلا جهده في سلوك ما ينبغي
مما ينظم عليه أمره كله؛ فاصلا بينهم بما يعتقدونه من الأحكام، متصرفا على كل
أسقف وقس ومطران في كل نقض وإبرام، مالكا من أمور القسيسين والرهبان
والشماسة الزمام؛ مانعا من يروم أمرا لا يسوغه وضع ولا تقرير، جاعلا نظره عليه

متقدماً بالتحرز في التخيير؛ زاجراً من يخرج منهم عن اتباع طريق الشريعة المطهرة التي يصح بها عقد الذمة، ملزماً بسلوكلها في كل مائة فإن ذلك من الأمور المهمة؛ أمراً من في الديرة من الرهبان بمعاملة المساكين بهم والنازليين عليهم بمزيد الإحسان ومديد الإكرام، والقيام بالضيافة المشروطة من الشراب والطعام .

وليتحدث في قسمة مواريلهم إذا ترفعوا إليه، وليجعل فصل أمور أهل طائفته من المهمات لديه؛ وليشفق على الكبير والصغير، وليتنزه عن قليل منافع الدنيا والكثير، وليزهد في الجليل قبل الحقير. وفي أطلأعه على أحكام دينه ما يكفيه في الوصية، وما يرفعه بين أبناء جنسه في الحياة الدنيوية؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله أعلاه .



وهذه نسخة توقيع لبطرك البعاوية، وهي :

أما بعد حمد الله على أن جعل من إحسان هذه الدولة لكل مليّ وذمّي نصيباً، وفوق إلى أهداف الرعاية سهما فسهما مامنهما إلا ماشؤهد موصياً، والصلاة على سيدنا محمد الذي أحمد الله له سرى في صلاح الخلائق وتأويها - فإنه لما كان من سجايا الدولة القاهرة النظر في الجزئيات والكلبات من أمور الأئمة، وتجاوز ذلك إلى رعاية [أهل] الذمة؛ لاسيما من سبقت وصية سيد المرسلين عليهم من القبط الذين شرفهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوصلته منهم بأب إبراهيم ولده عليه السلام، وقبول هديتهم التي أبقت لهم مزية على تمر الأيام؛ وكانوا لأبد لهم من بطريك يحفظ سواهم، ويضبط خواصهم وعوامهم؛ ويجمع شمل رهبانهم، ويراعى مصالح أديانهم؛ ويحزر أمور أعيادهم ومواسمهم في كل كنيس، ويدعو للدولة القاهرة في كل تقديس؛ وتعمل [له] الخيرة في ضبط أمور البيع والديرة واختيار الأساقفة

والكُهان ، وحفظ النواميس المسيحية في كل قرآن ؛ ولا يصلح لذلك إلا من هو بتول ، وكل خاشع عامل ناصب يستحق بذلك أن هذا الأمر إليه يشول .

ولما كان البطريك فلان هو المجمع على صلاحيته للبرأرية على شعبه ، والتقدمة على أبناء المعمودية من شيعته وصحبه ، لما له من علم في دينه ، ومعرفة بقوانينه ، وضبط لأفانينه ، وعقل يمنعه عن التظاهر بما يُنافي العهد ، ويلافي الأمر المعهود - أقتضى جميل الاختيار أنه رُسم بالأمر الشريف - لأبرح يضع كل شيء في موضعه من الاستحقاق ، ويبلغ في الإرفاد لأهل المال والإرفاق - أن يباشر بطركية جماعة اليعاقبة بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه في هذه الرتبة ، ومن آرتقى قبله إلى هذه الهضبة .

فليباشر أمر هذه الطائفة ، وليجعل معونته بهم طائفه ، وليضبط أمورهم أحسن ضبط وأجمله ، وأتمه وأكمله ؛ وليأخذهم بما يلزمهم من القيام بالوظائف المعروفة ، والعهود المألوفة ؛ وليلزمهم بما يلزمهم شرعا من كف عن تظاهر ممنوع ، أو تعطى محذور منكر الشرور والشروع ؛ أو تنكب عن طريق الاستقامة ، وكما أنهم عدلوا عن الإسلام لا يعدلون عن السلامه .

وأما أمور الديرة والكائس فأمرها إليك مردود ، فاجر فيها على المعهود ؛ وأقم فيها عنك من يحسن التبايه ، ومن يجبل الإنابة ؛ ومن يستجلب الدماء لهذه الدولة القاهرة في كل قدام ، ويُعدّد التقديس والأنفاس ؛ وعلى رهبان الأديرة للساجد والجوامع وظائف لا تمنع ولا تؤخر ، ولا تُنوح أحدا منهم أنه بها يدكر ؛ وليشترط على أهلها أنهم لا يباؤون طليعة الكفار ، ولا من يحصل منه إلا خيرا ولا يحصل الإضرار ؛ وليأمرهم بحسن الحوار ، والقيام بما هو موظف عليهم للمسلمين السفار

وغير السُّفَّار؛ هذه نُبذة من الوصايا مُقنَّعة، ولو وَسَّعَ القولُ لكانَ ذا سَعَةٍ؛
وفى البَطْريرِك من النَّبَاهة ما يُبهِمُه الصَّواب، والله يجعل حَسَنَ الظَّنِّ به لا آرتيَاءَ فيه
ولا آرتياب؛ بِمَنِّه وكرمه!، والاعتقاد



وهذه نسخة توقيع لبطرك البعاقبة، وهى :

أما بعد حمد الله الذى خصَّ كلَّ مَلَّةٍ مِنَّا بِمَنِّه، وأقامَ بأوامرنا على كلِّ طائفةٍ من
رضاه فُحَقِّقَ بإحساننا ظَنَّهُ، وجعل من شِيمِنَا الشَّرِيفَةِ الوصِيَّةَ بأهلِ الكُتَّابِ عَمَلًا
بالسَّنَّةِ . والشَّهَادَةِ بوحدانيته التى نَتَّخِذُ بينها وبينَ الشُّكِّ والشُّركِ من قُوَّةِ الإِيْمَانِ
جُنَّةً، ونَدَحِرُ أَجْوَرَهَا فنسْمُو بها يومَ العَرَضِ إلى أَعْلَى عُرْفِ الجَنَّةِ . والصلاة والسلام
على نبيِّه محمَّدٍ أكرم من أرسَلَه إلى الأُمَمِ فأنالَ كَلَامًا من البرايا يُمَنِّه، وأعظِم من بعثه فشرَع
الدينَ الحنيفَ وسنَّه؛ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذين لم تزلْ قلوبُ المؤمنين بهم مطمئنَّة -
فإنَّ لدولتنا القاهرة العوارِفَ الحِسانَ، والشَّمَّ الكريمةَ والعطايَا والإحسانَ؛
والفواضِلَ التى للآمالِ [منها] ما يُرِيّ عليها وَيَزِيدُ، والمآثرَ التى بَحْرُ رِهَا الوافرُ
المديدُ؛ ولكلِّ مَلَّةٍ من نِعَمها نوالٌ جَزِيلٌ، ولكلِّ فِرْقَةٍ من مَواهبها جانبٌ يَقْتَضِي
التَّخْوِيلَ ولا يَقْضِي بالتَّخْوِيلِ، ولكلِّ طائفةٍ من يُمَنِّها وَمِنَّا مَنَاحٌ طائفةٌ بِمَزِيدِ
التَّنْوِيلِ؛ ولكلِّ أناسٍ من معدلتها نصيبٌ يشَمَلُ المَلَلِ، وعادةٌ معروفٌ تواترتْ مع
أنها خالصةٌ من السَّامةِ والمَلَلِ، سَجِيَّةٌ سَخِيَّةٌ بنا شَرُفَتْ، ومزِيَّةٌ مَزِيَّةٌ مِنَّا أُلِفَتْ؛
وإنَّ من أهلِ الكُتَّابِ لَطائفةٌ كَثُرَتْ بأبوابنا الشَّرِيفَةِ عَدَدًا، وأستصَفَتْ من مَناهلِ
جُودنا مَورِدًا، وأنتظَمَتْ فى سِلْكِ رعايانا فأضحى سَبَبُ فضلنا لها مَؤكِّدًا؛ وكانت
المِلَّةُ المَسِيحِيَّةُ، والفِرْقَةُ البَعْقُوبِيَّةُ؛ لا بُدَّ لها بعد موتِ بَطْريرِكها من إقامةٍ غيره،

وتقديم من يرتضى بفعله وقوله وسيره؛ لتقتدى به في عقد أمورها وحالها، وتحررها وتحليلها ووصلها وفصلها، وتتهدى به في معتقدها، وتركن إلى ما يذكركه من مجموع أحكام الإنجيل ومفرداتها؛ وينتصب للفصل بين خصومها بما يقتضيه عرفانه، ويظهر لأهل ملته بيانه؛ حتى لا تجدد في أمر دينها إلا ما تريده، وبما نديمه لها من استمرار الهدنة تبيدي دعاءها وتعيده؛ فإن سيدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - أمرنا أن نستوصى بأهل الكتاب خيرا، ونحن نسلك من أتباع شريعته المطهرة ما نحسن فيه - إن شاء الله - سيرة يسيرة وسيرا .

ولما كانت الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المبجل، المكرم، الفاضل، الكافي، الثقة، عماد بني المعمودية، كثر الطائفة الصليبية؛ آخيار الملوك والسلاطين، فلان - أطال الله بقاءه، وأدام على أهل طائفته ارتقاءه - ممن اتفق على شكره أبناء جنسه، وأستوجب أن يرقى إلى هذه الرتبة بنفسه؛ وأشتهر بمعرفة أحوال فريقه، وهجر الأهل والوطن في تهذيب خلقه؛ وحرّم في مدة عمره النكاح، وسار في المهامه والقفار وساح؛ وأضحى تحميم البطن خاوي الوفاض، قد ترك الطيبات وهجر التعم وآراض؛ وأعتمد في قوله على الإله، وسأل الرب أن يبلغه في أهل ملته ما تمناه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجمع الفرق على الدعاء لأيامه الشريفه، ويديم للأقربين مواد مواهبه المألوفه - أن يقدم الشيخ فلان على الملة النصرانية اليقونية، ويكون بطريقا عليها على عادة من تقدمه، ومستقر قاعدته، بالديار المصرية والثغور المحروسة، والجهات التي عادته بها، إلى آخر وقت، [فليتول ذلك] سالكا من طرق التزاهة ما يجب، فاصلا بين النصارى بأحكام دينه التي لا تخفى عنه

ولا تَحْتَجِبُ ؛ مالِكًا أزمَمَ كلُّ أُسْقُفٍ وقصِّ ومِطْرَانٍ ، مَرِيحًا بينَ القِدِّيسِ
والقِسِّيسِ والشَّمَّاسِ والرُّهبانِ ؛ لتُصَبِّحَ أَحكامُ كَبِيرِهِمِ وصَغِيرِهِمِ بهِ مَنُوطُهُ ، وموَارِيهِمِ
مقسومةٌ بِشِرعتهِ التى هى لَدَيْهِمِ مَبسُوطُهُ ؛ وَيَقِفُ كلُّ مِنْهُمِ عِنْدَ تَحْرِيمِهِ وتَحْلِيلِهِ ،
ولا يَخْرُجُ فى شِرعَتِهِمِ عَنِ فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ ولا يَقْدَمُ مِنْهُمِ إِلا مَنْ رَضِيَ بِتَأْهِيلِهِ ؛ وَإِأْمُرُ
كلِّ قَاصٍ مِنْهُمِ ودانٍ ، ومن يَتَعَبَّدُ بالدَّيرَةِ والصَّوامِعِ مِنَ الرِّجالِ والنِّسوانِ ، بَرَفَعِ
الأدعيَّةِ بدوامِ دولتِنَا القاهِرَةِ التى أُسَدَّتْ لَهمِ هذا الإحسانُ ؛ وَيُلْزِمُ كَلاَّ مِنْهُمِ
بأن لا يُحَدِّثَ حَدِيثًا ، وَيُكْرِمُ نُزُلًا مِنْ قَدِيمِ عَلَيْهِ راحِلًا أو لائِسًا ؛ فإن هذه الولاية
قد آلتْ إليه ، وهو أَدْرَبُ بما تَطَوَّى شروطُها عَلَيْهِ ، والله تَعَالَى يَجْعَلُ البهجةَ [لديه]
مُقيمهَ [والنعمةَ عَلَيْهِ مستديمهَ] ؛ والخَطُّ الشَّريفُ أعلاه ، حِجَّةٌ بِمُوجِبِهِ وبمُقْتَضَاهُ ؛
إن شاء اللهُ تَعَالَى .



وهذه وصية لبطرك اليعاقبة أوردتها في "التعريف" قال :

ويقال في وصية بطرك اليعاقبة مثل ما في وصية بطرك الملكية ، إلا فيما يُنبه عليه .
ويسقط منه قولنا : « وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك طريق إلى الباب » إذ
كان لا يدين بطاعة الباب الذى هو رأس الملكانيين ، وإنما هو رأس اليعاقبة نظيره
للملكانيين ، ويقال مكان هذه الكلمة « وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك قسيم
الباب وأنتما سواء في الأتباع ، ومتساويان فإنه لا يزداد مضراع على مضراع » .
ويسقط منه قولنا : « وليتجنب البحر وإياه من اقتحامه فإنه يفرق » وثانية هذه
الكلمة إذا كان ملك اليعاقبة مغفلا [فى الجنوب]^(١) ولا بحر ، ويسدل بقولنا :
« وليتجنب ما لعله ينوب ، ويتوق ما يأتيه سرا من تلقاء الحبشة حتى إذا قدر فلا

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٦ .

يَسْمُ أَنْفَاسَ الْجَنُوبِ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ الْمَادَّةَ وَإِنْ كَثُرَتْ مَقْصَرُهُ، وَلَا يَحْفَلُ بِسُؤْدَدِ
السُّودَانِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ آيَةَ اللَّيْلِ مُظْلَمَةً وَآيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً» ثُمَّ يُخْتَمُ بِالْوَصِيَّةِ بِالتَّقْوَى
كَمَا تَقَدَّمَ، وَنَحْوَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

النوع الثاني

(ما هو خارجٌ عن حاضرتي مصر والقاهرة : من وظائف الديار المصرية
مما يكتب لأربابها . وهي ثلاث جهات)

الجهة الأولى

(نجر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(وظائف أرباب السبوف وبها وظيفة واحدة وهي النيابة)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها كانت أولاً ولاية،
إلى أن طرقها الفرنج في سنة سبع وستين وسبعائة ، فاستقرت من حينئذ نيابة،
يكتب لنائبها تقليد في قطع الثلثين «الجناب العالي» مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وهذه نسخة تقليد نيابة نجر الإسكندرية :

الحمد لله على نعم باسمه النجر، مسفرة الفجر، رافعة القدر .

نحمده حمداً يشرح الصدر، ويطلع طلوع البدر؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تخالف من يخالفها، وتخالف من يخالفها؛ ونشهد أن محمداً عبده

ورسوله أفضل نبي رابط في سبيل الله وجاهد، وكابد في الجهاد أعداء الدين وكابد؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خاضوا في غمرات الدجى كل غمر، ونذبوا
لحماية الدين ... (١) ... كريمة وسداد نغر .

أما بعد، فإن الأهتمام بالثغور هو أولى ما إليه حمد، وعلى مصالحها اعتمد؛ وكان
نغر الإسكندرية المحروس هو المفتر عن أحسن الثنايا، والمخصوص من الحيطة
باتم المزايا؛ والذي كم شفت شفاهه من سقم عند آرتشاف، والذي المناغرة به
والمرابط كم له بالحسنات من أتيلاف؛ وكانت المصلحة تقتضى أن لا يختار له
الاكل كامل الأوصاف، كافي بما تستدعيه مصلحة أهله من إنصاف؛ ذو عزم
يمضى والسهم مستودعة في الكائن، ويقضى بالعدل المزيل للشوائب والشوائب،
ومن له حزم يسد نغر المعايب دون كل ملاحظ ومعين؛ وله سياسة تحفظ بمنها
الثغور، وتضان الأمور، وله بشاشة تستجيب الثغور، وتوفق ما بين الأليسة
من أولى الود والصدور؛ وله حيطة بينا يقال: هذا جانبه دمت إذ يقال: هذا
جانبه صعب ممتنع، وبيننا يقال ليقظته للمصلحة: هذا سحاب يتجهم إذ يقال هذا
سبل مندفع .

ولما كان فلان هو مستوعب هذه الصفات، ومستودع هذه الأسماء والسمات؛
وإليه بهذه المناقب يُشار، وهو ساحب أذبال هذا القحار - أقتضى حسن الرأي

(١) بياض بالأصل ولعله فكاتوا يوم الخ .

(٢) في الأصل « كفت » وهو تصحيف من الناصح .

(٣) لعله سحاب جهام . أى لا ماء فيه . تأمل .

الشريف أن تُفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بتغر الإسكندرية المحروس ،
تفويضا يمضي في مصالحه لسانه وقلمه ، ويصرف بين الأوامر والنواهي إشاراته
وكلمه ، ويزين مواكبه بطلعته ، ويزيد مهابتة ببعد صيته وأشتهار سمعته .

فلباشر هذه الوظيفة مجتلا مواكبها ، مكثلا مراتبها ، موثلا بقواعد الأمن أرجاءها
وجوانبها ، ناشرا لواء العدل على عوامها ، قابضا بالإنصاف لمظلوم رعيها على يد
ظالمها ، معليا منار الشرع الشريف بمعاضدة حكاهم والآتياد إلى أحكامه ، والوقوف
في كل أمر مع تقضه وإبرامه ، وليحرس جوانب هذا الثغر ويحميها ، وليصن عوارضه
وما فيها ومن فيها ، وليكلاه برا وبحرا ، وليرخ عليه من ذبه سترا فيترا ، ولينجح
لسافرتيه طلبا ، وليبلغهم من العدل والإحسان أربا ، ويجهل معاملته من وجد منهم
في سفره نصبا ، واتخذ سبيله في البحر نجبا . والرعية فهم طراز الممالك ، وعنوان
العمارة الذي من شاهده في هذا الثغر علم ما وراء ذلك ، وأحسن إليهم وآراف بهم ،
وبلغهم من عدل هذه الدولة غاية أربهم ، وأمور الخمس والديوان فلها قواعد
مستقره ، وقوانين مستمره ، فاسلك منها جددا واضحا ، وأبتغ لها علما لائحا ،
وغير ذلك فلا يكاد على فهمك يخفى ، من تقوى الله التي بها تكف عين المضار
وتكفي ، والله تعالى يلهمك صوابا ، ولا يجعل بين حجاجك وبين المصالح حجبا ،
بمنه وكرمه ! .

(١) موثلا بمثلا . من وثل الشيء أصله ومثله .

(٢) (لسافرتيه) هم المسافرون .

الصنف الثانى

(من الوظائف التى يكتب بها بشعر الإسكندرية - الوظائف الدينية،
وكلها توابع، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى^(١)

(ما يكتب منها فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(القضاء)

وهو الآن مختص بالمالكية، وقاضيا يتحدث فى نفس المدينة وظاهرها،
ليس له ولاية فيما هو خارج عنها.

وهذه نسخة توقيع بقضاء نغر الإسكندرية لمالكى، كتب به للشيخ «وجيه الدين
محمد بن عبد المعطى الإسكندرى المالكى» وهى :

الحمد لله رافع قدر من توه العلم بذكره، ونور الثقى مواقع فكره، ونبه الورع على
رفعة قدره، وأشرق به منصب الحكم العزيز اشراق الأفق بطلوع بديره، وأضاءت
بنور أحكامه غوامض القضايا الشرعية إضاءة الدجى بقرّة فجره، وقضى له دوام
الإصابة فى الاجتهاد بإحراز أجره إذا كان أحد قسمى الاجتهاد مقتضياً لأجره،
وملئ صدره بأنواع العلوم الدينية فوسع له الشرع الشريف صدر مجلسه وأعدله
مجلس صدره، وزخر من خاطره بحر العلم فأرتوت رياض الخواطر بأنوار فرائد دزه،

(١) لم يذكر الثانية فما يأتى .

وأسفر وجه الدين بنور علمه وعمليه : فقام هذا مقام السرور في أسارىه وناب هذا
مناب الشنب في ثفره .

نحمده حمداً يزيد قدر النعم تنويها ، ويُسوّغ في المحامد تعظيماً لمُسدي المنّة وتثريها ،
وينهض بشكر التوفيق في اختصاص منصب الحكم بن كان عند الله وجيها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفترّ تغور الإسلام بإدامتها ،
وتبني قواعد الإيمان على إقامتها ، وتشم بوارق النصر على جاحدها من أئمة
غمّامتها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنارت الآفاق بلمّته ، ودارت أداة
التشبيه بين أنبياء بنى إسرائيل وعلماء أمته ، وضاهى شرعه شمس الظهيرة في وضوح
أحكامه وظهور أدلته ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عملوا بما علموا ،
وجاهدوا أعداء الله فما ضعفوا لذلك ولا ألموا ، وقضوا بالحق بين أمتهم فلا المقضى
لهم أموا ولا المقضى عليهم ظلموا ؛ صلاة لا تزال لها الأرض مسجداً ، ولا يبرح
ذكرها منّهما في الآفاق ومنجداً ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من قلّد الحكم وإن نأى به الورع عن توقعه ، وحُطِب للقضاء
وإن أعرض به الزهد عن طلابه وتبّعهُ ، ودُعِيَ إليه إذ الإجابة عليه متعيّنه ،
ووضعت مقاليد الحكم الاستحقاق [في يديه] إذ أولويته البيّنة لا تحتاج إلى بيّنة -
من عُقدت على تعينه لهذا المنصب الجليل الخناصر ، ودعت إلى استدعائه
إليه فضائله الثابتة القواعد وزهادته الزاكية الأواصر ؛ ودلت عليه علومه دلالة
الأضواء ، على لوازم الشهب ، ونهبت عليه فنونه تنبيه الأنواء ، على مواقع السحب ؛
وشهد بورعه المتين ، تفقّهه وأعتزّاله ، وأنبأ عن نهوضه بنصرة الدين ، قوة جداله
الذي هو جلاّد مشله ونزّاله ؛ وتبجّر في أنواع العلوم حتى جاوّر البحر بمنّله ولكنّه

العذب الزلال ، وسُغِلَ نفسه بالتنوع فى الفنون فكان التحلّى بعبادة الله ثمرة ذلك الإشتغال ، ومشيى على قدم الأئمة العلماء من أسلافه فلم يُسَقِّ فى ذلك المضمار غبارهُ ، ونشأ على طريقة العلم والعمل : فنأره بالإنقطاع إليه ليلاً وليله بالاشتغال بهما نهاره .

ولما كان فلان هو الذى خطبته هذه الرتبة السنية لنفسها ، وتشوقت إلى الإضاءة بطُلوغها فى أفتها تشوق المطالع إلى الإضاءة بطُلوغ شمسيها ؛ وأثنى لسان القلم على فضائله وهو يعتذر من الاختصار ، وأقتصرت البلاغة على اليسير من التعريض بوصفه وطالب ما لا يُحصَر معذورٌ فى الاقتصاد والإختصار ؛ وعين لما تعين عليه من مصالح الأئمة وذلك يقضى لمثله من أهل الورع أن يجيب ، وطالب لعموم مصالح الإسلام التى ما يذبحى لمثله من أنصار السنة أن يتأخر عن مثلها أو يغيب ؛ وكان ثغر الإسكندرية المحروس من المعاقيل التى يفتر عن شنب النصر ثغرها ، ومن أركان الدين التى يغص بأبطالها بحرها ؛ وهى مأوى صالحي الجهاد الذين سبهم ليلهم أسبق إلى العدا من سبهم ، وموطن العلماء من أهل الاجتهاد الذين يعيدل دم الشهداء مداد أعلامهم ؛ وهى داره التى تُرهى به نواحيها ، وموطن رباطه الذى يومئذ ليله منه فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها - أقتضت آرائنا الشريفة أن نخص منصب حكيمها بعالم أفتها المنير ، وزاهد ثغرها الذى ماشام برقه بصر عدو إلا وأنقلب إليه خاسئاً وهو حسيير ، أن تُفوض إليه منصب القضاء والحكم العزيز بثغر الإسكندرية المحروس ، على قاعدة من تقدمه فيه ، نظراً فى عموم ذلك الثغر المحروس به (؟) إلى من آنعقد إجماع أئمة عصره ومصره على سعة علمه ووؤور ورعه وكال فضله .

(١) مراده أنها مأوى صالحي المتعبدين الذين الخ .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة سقطاً وحرر .

فليأثر هذا المنصب الذي ملأه أمره العلم والتقى ، ونظام حكمه العدل والورع وهما أكل ما به يرتقى ؛ وليحكم بما أراه الله من قواعد مذهبه المحكمه ، وأحكام إمامه التي هي بمصالح الدين والدنيا محكمه ؛ وليقض بأقوال إمام دار الهجرة التي منها صدرت السنة إلى الآفاق ، وعنهما أخذت ذخائر العلم التي تزكو على كثرة الإتفاق ؛ وبها جرى الأحكام الدينية موطأ الأكتاف ، وفيها استقام عمود الملة ممدود الطرف على سائر الأطراف ؛ فليس من ذلك وغيره جميع ما كان يليه من تقدمه ، وتقتضيه قواعد ولايته التي أمضينا فيه لسانه وقلمه .

فأما ما يدخل تحت هذا الإجمال من آداب القضاء وقواعده ، وأدواته وعوائده : من تخصيص الحكم بأوقاته ، ومساواته بين الخصمين في إنصافه وإنصاته ؛ واجتناب الحكم في الأوقات المقتضية لتركه ، وتوقي نقض الأحكام التي نظمها عدم مخالفة النص والإجماع في سلكه ؛ فإنه مكتفٍ بالإجمال عن تفصيلها ، مكتفٍ عن ذكر كثيرها بالإيماء إلى قليلها ؛ إذ هو أدري بأوضاعها شرعاً وعرفاً ، وأدرب بما قد يشد منها عن المعية أو يخفى ؛ وملاك الوصايا تقوى الله تعالى وهي من خصائص نفسه ، وفوائج ما ابتدأ الورع بإتقان درسه ؛ والله تعالى يؤيد حكمه ، ويعلي علمه ؛ بمنه وكرمه ! والاعتقاد إن شاء الله تعالى .



وأعلم أنه كان فيما تقدم قد وليها قاضٍ شافعي .

وهذه نسخة توقيع بقضائها ، كتبت به للقاضي «علم الدين الإخنائي» الشافعي ،

في ثامن شعبان سنة ثلاثين وسبعائة ، وهي :

الحمد لله الذى رَفَعَ لنا فى كل نَفَرٍ عَلَمًا ، وأَجْرَى لنا فى جِوَارِ كُلِّ بَحْرٍ ما يَضَاهِيهِ
كَرَمًا ؛ وجَعَلَ من حُكَّامِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ من يُعْرِفُ بنسبِهِ الإِسْنَانِي بلِ السَّنَانِي أَنَّهُ
يُحْمُو من الظُّلْمِ ظُلْمًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَن زَادَنَا نِعْمًا ، وَوَفَّرَ للأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِنَاقِسِمَا ، وَأَعْلَى قِيَمًا ، [فَأَضْحَتْ]
تُسَافِسُ الدَّرَ الثَّمِينِ قِيَمًا ؛ وَنَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُجَزِّدُ
لِإِقَامَتِهَا سَيْفًا وَقَلَمًا ، وَنَشْهَدُ أَن مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي جَعَلَ اللهُ لَهُ شَرِيعَةً مَازِيَّةً
وَدِينًا قِيَمًا ، وَنَصَبَ من أُمَّةِ أَتْبَاعِهِ كُلِّ عِلْمٍ يَهْدِي أُمَّمًا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً باقِيَةً ما بَقِيَتْ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوْلَى الثُّغُورِ بَأَن لا يَزَالَ بِهِ عِلْمٌ مَرْفُوعٌ ، وَعِلْمٌ مَصُونٌ حِجَابُهُ المُنْمُوعُ ،
وَعَمَلٌ يَمْشِي بِهِ أُمَّةُ الأُمَّةِ عَلَى طَرِيقِهِ المَشْرُوعِ ، نَفَرُ الإِسْكَانْدَرِيَّةِ - حَمَاهَا اللهُ
تَعَالَى - فَإِنَّهَا من دارِ المَلِكِ فى أَعَزِّ مَقَامٍ ، وَمِنَ مُجَاوِرَةِ البَحْرِ فى مَوْطِنِ جِهَادِ تَحْقِيقِ
بِهِ الأَدْلَامِ ؛ وَغالبٌ مَن فِيهَا إِمَامٌ فَقِيهٌ يَتَمَسَّكُ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فى عُلُوِّ عُلُومِهِ ،
أَوْ رَبٌّ مَالٍ لَهُ وَقُوفٌ يَجْلِسُ الحُكْمَ العَزِيزَ يَنْتَصِفُ من خِصَامِ خُصُومِهِ ؛ وَلَمْ تَزَلْ
وِظِيفَةُ القَضَاءِ بِهَا أَهْلَةُ الصَّدُورِ ، كَامِلَةٌ البُدُورِ ، مَتَهَلِّلَةٌ بِمَا لا يَفُوتُ الشُّبَّ بِكَارِقِ
الجُرْعِ إِذا حَكِيَ إِيمَاصُ الثُّغُورِ ؛ وَكانَ لَهَا مَدَّةٌ قَدْ خَلَّتْ وَنَحْنُ نَفَكَّرُ فِيمَن يَكُونُ
سَدَادًا لِنَفَرِهَا ، وَكَافِيًا فِيمَا يُبْهِمُ فى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ من أَمْرِهَا ؛ وَكَانَ لَهَا مِنَ الحَقِّ الَّذِي
أَمَرَ اللهُ بِهِ بِمَا بَقِيَ النَفُوسِ ، وَقائِمًا فى مَدَارِهَا بِمَا يَزِيدُ مَعَالِمَها إِشَادَةً فى الدَّرُوسِ ؛
حَتَّى أَجْمَعَتْ آراؤُنا الشَّرِيفَةَ عَلَى مَن يَحْسُنُ عَلَيْهِ الإِجْماعُ ، وَتُحَسِّمُ بِهِ دِوَاعِيَ التَّرْاعِ ،
وَيَحْسُدُ عِلْمَهُ عِلْمُ الشَّمْسِ لِمَا عَلا عَنْها مِنَ كُرَّةِ الأَرْتِفاعِ ؛ وَمَن يَتَضَوَّعُ بِنَشْرِ العَدْلِ

في معنى كفه الفلم ، وإذا وقفت به الركائب قالت : ياسارى القصد هذا البان
والعلم ، وكان المجلس السامى الفضائى العامى الإسنانى الشافعى ، أدام الله علوه هو
العلم المنشور ، والعلم المشهور ، والمراد بما تقدم من وصف مشكور ، فقتضت
مراستنا المطاعة أن تناط به من الأحكام الشرعية الفضايا ، وأن ينسب هذا النفر
بحكمه عن واضح الثنايا .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى :
زاده الله شرفا ، وضاعف له تصرفا - أن يفوض إليه القضاء بمدينة إسكندرية -
حماها الله تعالى - على عادة من تقدمه وقاعدته المستقرة إلى آخر وقت ، على أنه
يستنبب عنه في تحمله وفيما شاء منه من هو موصوف بصفته ، موثوق بدينه وعلمه
ومعرفته ، ولينتصب في مجلس الحكم العزيز لمن يتصف ، ويعمل بما يرضينا من
مراضى الله تعالى فإن للعيون أن تنظر وللألسنة أن تصف ، ولينظر في أمر الشهود
فإن الأحكام الشرعية على شهادتهم تُبنى ، وليحترز من الوكلاء فإن منهم من يجعل
الظن يقينا واليقين ظنا ، ولينظر في أمور الأيتام ويتصرف في أموالهم بالحسنى ،
وليقيم الحدود ، على مقتضى مذهبه ، وليعول في العقود ، على من لا يخاف معه أمرؤ
على إلحاق في نسبه ، وغير هذا مما إليه مرجعه ، وإليه ينتهى مفترقه ومجتمعه
وبحكمه يفصل أمره أجمعه ، وليتخذ الله تعالى عليه رقبيا ، ويعلم أنه سيرى كل
ما يعملهُ عند الله قريبا ، وتقوى الله هى التى تتخذ معه عليها عهدا مسؤولا ، ورجاء
مأمولا ، وقولا عند الله وملائكته وأنبياؤه مقبولا ، وتقلده منها على كل مخالف سيقا
مسؤولا ، ونحن نرغب إلى الله أن يوفقه في حكمه ، ويعينه على كل ما يُتملى من الوصايا
بما هو ملئ به من عمله وعلمه ، وانلخط الشريف أعلاه ، حجة فيه .

قلت : وكان قد استُحدث بالإسكندرية قاضٍ حنفى فى الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » يُوْتى من الأبواب السلطانية رفيقاً للقاضى المالكى بها ، يتحدث فى الأحكام فى القضايا المتعلقة بمذهبه خاصة ، وأمرٌ مودع الأيتام ونظرُ الأوقاف ، وغير ذلك من متعلقات قضاء القضاة مختصٌ بالمالكى ؛ ثم صارت بعد ذلك تارة يُوْتى بها حنفى كذلك ، وتارة تشغره منه . فإن وليها حنفى ، كتب له فى قطع الثلث كما يكتب للقاضى المالكى ، وليس بها الآن شافعى إلا نائباً عن المالكى ، ولا حنبلياً بها أصلاً .

الوظيفة الثانية

(الحسبة بثغر الإسكندرية)

ومحتسبها يُمضى تحدته فيما يختص به قاضيهما ، وليس له تواب فيما هو خارج عن ذلك من البلاد .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة بثغر الإسكندرية .

الحمد لله الذى جعل المناصب فى أيامنا الزاهرة محفوظة فى أكفائها ، مضمونة لمن تقاضت [له] من الإقبال ر [د] جفائها ، معدوقة فى ما لها إلى من زانها بمعرفته الحسنة بحسن ... (١) ... بمن دلت كفاءته وكفايته على أنه أولى بتقريبها وأحق باصطفاها .

أحمد على نعيمه التى لم تُحيب فى إحساننا أملاً ، ولم تُضيع سعى من أحسن [العمل] فى مصالح دولتنا إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أشرف ما فاه به اللسان ، وأفضل ما تُعبد به

(١) بياض بالأصل . ولعله "بمعرفة الحسنة وحسن بهاها ، مخصوصة بمن الخ" .

الإنسان ، وأرفع ما ملكت به في الدنيا والآخرة عظام الرب الحسان ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أحل الطيبات وأباحها ، وأزال الشبهات وأزاحها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بأحكامه ، ووقفوا مع ما شرع لهم من حلال دينه وحرامه ، وحافظوا على العمل بسنته بعده محافظتهم عليها في أيامه ؛ صلاة يتوقد سراجها ، ويتأكد بها انتساق السنة وانتساجها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من رجع فيه حق منصبه إلى نصابه ، ورد به واجب رتبته إلى من جعلته سوابق سيرته أولى به ؛ وتقاضت له سيرته عواطف كرمنا ، ونهضت زاهته باستطلاع ما غاب عنه من عوارفنا ونعمنا ؛ وأغنته أوصافه عن تجديد ثناء يستعاد به برنا القديم ، ويستدام له به فضلنا العميم ، وتستدر به أخلاف كرمنا الذي تساوى في عموم الظاعن والمقيم - من زان التقي أوصافه ، وكثت العفة معرفته وإنصافه ؛ وتولت الديانة نظره فيما عُدق [به] من مصالح الرعايا خصوصا وعموما ، وتكفلت الخبرة من اعتباره لأمر الأفتوات بأن جعل لكل منها في الجودة حدا معلوما ؛ وبأشر ما قوض إليه بجمع بين رضا الله تعالى ورضا خلقه ، وعول عليه في حِسبة أعز الثغور لدينا فتصبح الرعايا فيما بسط لهم من رزقه .

ولما كان فلان هو الذي أضاعت أوصافه وهل تُنكر الإضاءة للسراج ، وتُسوّف إليه رتبته فلم يكن لها إلا إليه مآلذ وإلا عليه معاج ؛ فسلك من السير أرضاها لربه ، ومن الأحوال أجمعها لأمن عاقبته وسلامة غيبه ؛ ومن الاجتهاد في مصالح الرعايا ما يُضاعف شكره على احتسابه ، ومن الخيرة ما يُعرف كلاً منهم كيف يكون أكتساء البرية في أكتسابه - رُسم أن يستقر (١)

(١) بياض بالأصل وهو معلوم مما تقدم وحذفه اختصارا في الكتابة .

فليستمر في ذلك على عادته التي ناضلت عنه فأصابته ، وقاعدته التي دعت له
عواطف نعمنا فأجابته ؛ وليزد في التحذير والتحقيق ما استطاع ، ويُناقش حتى
يستقر على الصحة فيما يُباع أو يُبتاع ؛ ويقابل على الغش بما يردع متعاطيه ، ويزجر
صانع الأعمال الفاسدة عن استدامتها ومن يوافقها على ذلك ويواطيه ؛ ويتمر أموال
الأجاس بملاحظة أصولها ، والمحافظة على ريعها ومحصولها ؛ وإمضاء مصارفها
على شروط واقفيها إن علمت ومزية (?) ما قدم من شكره والثناء عليه ؛ وملاك
ذلك جميعه تقوى الله تعالى وهي أخص ما قدم من أوصافه ، والرفق بالرعايا وإنه
من أحسن حلي معرفته وإنصافه ؛ والخير يكون إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(نظر الصادر)

وموضوعها التحدث في قدر مقرر يؤخذ من تجار الفرج الواردين إلى الإسكندرية ،
وعليه مرتبات لناس مخصوصين من أهل العلم والصلاح ، يُنق عليهم بمقادير معلومة
من متحصل هذه الجهة .

وهذه نسخة توقيع بنظر الصادر والوارد ، أنشأته عن السلطان الملك الناصر
« فرج بن الظاهر برقوق » للقاضي ناصر الدين « محمد الطنّاحي » إمام المقام الشريف
السلطاني ، في منتصف شهر صفر سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل من سلطاننا الناصر لأخص ولي أعز ناصر ، وخصه من
فائض كرمنا المتتابع ومننا المترادف بأكرم وارد وأبر صادر ، وبوأه من فضلنا المنيف
أفضل مبولاً : فتارة تأتم به الملوك وتارة ينحطب الكافة على رموس المنابر .

نحمدُه على أن جعلنا نتيج في الولايات نهج الصواب ونقتفيه ، وآثرنا من أثره الأبوة بأعلى مواقع الإجتباء والولد سرأبيه ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي أذل طغاة الكفر بقمع آثاف كبرائهم ، وألزمهم الصغار بمال يؤخذ من أقوياء أغنيائهم فيفرك في ضعفاء المسلمين وفقرائهم ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ندب إلى مبرة أهل الفضل وذويه ، ورغب في رعاية المودة للآباء بقوله : « إن من أبر البرّ برّ الرجل أهل وُدّ أبيه » صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عدت بهم مهمات ، فقاموا بحققها ، ووكلت إليهم جلائل الولايات ، فأحرزوا بجميل التأثير قصب سبقها ؛ صلاة يبقى على مدى الأيام حكماها ، ولا يتغير على مرّ الزمان رسمها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن من كريم سبحاننا التي جئنا عليها ، وشريف شيمنا التي يجذبنا طيب العنصر إليها ، أن نخصّ أخصّ الأولياء بأسنن الولايات ، ونثخف أصفى الأصفياء بنهاية غيره في البدايات ؛ ونرفع قدر من لم يزل ظهره للوك محرابا ، وننوّه بذكر من رَغبت فيه الوظائف فعدلت إليه عن سواه إضرابا .

وكان المجلس السامى ، القاضوى ، العالمى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، البارعى ، البليغى ، الماجدى ، الأوحدى ، الأثيرى ، الأئبلى ، العريقى ، الأصيلى ، الخطيبى ، الناصرى ؛ مجد الإسلام ، بهاء الأنام ؛ شرف الرؤساء ، أوجد الكبراء ؛ صدر الأعيان ، جمال الخطباء ، جلال النظار ، صفوة الملوك والسلاطين ، أبو عبد الله محمد ، ابن المجلس السامى ، الجمالى ، المرحوم عبد الله الطنّاحى ، إمام المقام الشريف : أدام الله تعالى رفعة - قد طالت في المخالصة قُدمته ، ووفرت من صدق الموالاة قِسمته ؛ فرُفع على الابتداء خبره ، ونصب على ^(١) تقدمه فُحمِد في الاختيار

(١) بياض بالأصل ، ولعله "المدح أو التعظيم" .

أثره؛ وكانت وظيفتاً نظير الصادر وخطابة الجامع الغربى بشعر الإسكندرية المحروس - حرسه الله تعالى وحماه، وصان من طروق العدو المخدول حماه - من أرفع الوظائف قدراً، وأميزها رتبة وأعلاها ذكراً - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تُسند ولايتهما إليه، ونعتمد في القيام بمصالحهما عليه .

فذلك ريسم بالأمر الشريف - لا زالت آراؤه مسدده، ونعمه على الأولياء في كل حين مجتده - أن يستقر المشار إليه في الوظيفتين المذكورتين عوضاً عن كاتبا بيده، بما لها من المعلوم، ويُفسح له في الاستنابة على عادة من تقدمه في ذلك : استناداً إلى أمانته التى بلغت به من العفة منتهاها، وكفايته التى تجز المتكفون عن الوصول إلى مداها؛ وفصاحته التى أعجزت براعتها الخطباء الأمايل، وبلاغته التى قضت بالعى على قس إياي وحكمت بالفهامة على سخبان وائل .

فليتلق ما أسند إليه بيده الطولى وباعه المديد، وليقابل هذه النعمة الخفيلة بالشكر فإن الشكر مستلزمٌ للزيد؛ عالمنا أن نظر الصادر يقدمه أهل الثغر على عامة الوظائف مآدق منها وما جل، ويتبرك المرتبون عليه بما يأخذونه من راتبه وإن قل؛ فليحسب النظر فيه وزدا وصدراً، ويميز ريعه بحسن النظر فيه حتى يقول المعاند : ما أحسن هذا نظراً ! .

والجامع الغربى فهو أجل جوامع الثغر الإسكندرى قدراً، وأعظمها فى الأقطار صينياً وأسيرها فى الآفاق ذكراً؛ يحضر الجمعة فيه أهل الشرق والغرب، ويلىم بخطبته سكان الوهاد والهضب؛ فليرق منبره رقى من خطبه المنبر بخطبته، وعلم علو مقامه فقابله بعلو رتبته؛ ويتسنى الأسماع بوغظه، ويتسج القلوب بلفظه؛ ويحي العقول بتدكيره، وييك العيون بتحذيره؛ وليعد للجامع ما تعودته من الإسعاد،

ويجدد مادرس من معالم خطابته حتى يقال : هذا ابن المنير قد عاد ؛ وعماد الوصايا تقوى الله فهي ملاك الأمور كلها ، وعليها مدار أحوال الدنيا والآخرة في عقدها وحلها ؛ وهاتان مُقدمتا خير فليكن لنتيجتهما يرتقب ، ولا يقطع بالوقوف معهما رجاءه « فأقول الغيث قَطْرٌ ثم يَنْسَكِبُ » ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة فيه بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث

(من الوظائف التي يكتب بها بشعر الإسكندرية المحروس ،
الوظائف الديوانية ، وهي على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء
وهو ناظر المباشرة بها ، وعنه يعبر بناظر الإسكندرية ، دون ناظر الأصل^(١)
المقدم ذكره في جملة الوظائف الديوانية بالحضرة)

وموضوع هذه الوظيفة التحدث في الأموال السلطانية بالإسكندرية مما يتحصل
من الماخوذ من تجار القرنج ، وسائر المتاجر الواصلة براً وبحراً بالقبض والصراف
والحمل إلى الأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بنظر تفر الإسكندرية ، كُتِبَ به للقاضي «جمال الدين
أبن بصاصة» وهي :

(١) وهو ناظر ائلاص المتحدث في الأموال السلطانية كما تقدم .

الحمد لله الذى أضحك الثُّغور بعد عبوسها ، ورد إليها جمالها وأنار أفقها بطلوع
شمسها ، وأحيا معالم الخَيْر فيها وقد كادت أن تُشرف على دُروسها ؛ وأقام لمصالح
الأمم من يُسرق وجه الحق ببياض آرائه ، وتلذذ الأسماع بتلاوة أوصافه الجميلة
وأنبائه .

نحمده حمد من أُسبغت عليه النعماء ، وتهادت إليه الآلاء ، وخطبته لنفسها العلياء ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع قدر قائلها وتعليه ، وتُعز
جانب متحلها وتُدنيه ؛ وأن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي رابط وجاهد ، وأكرم
رسول جنح للسلم بأمر ربه فهادرت وعاهد ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ،
وأشباعه وحزبه .

وبعد ، فأحق من ماس في أزدية الرياسة عطفنا ، وأستجلى وجوه السعادة من
تُجِب عزها فأبدت له جمالا ولطفا ؛ وأصطفته الدولة القاهرة لمهامها لما رآته
خير كافل ، وتقل في مراتبها السنية تنقل النيرين في المنازل .^(٢)

ولما كان فلان أدام الله رفعته ممن أشارت إليه هذه المناقب الجليله ، وصارت
له إلى كل سؤال نعم الوسيله ، رسم بالأمر الشريف - لا زال ... أن يستقر
في نظر نعر الإسكندرية المحروس وبيأشر هذا المنصب المبارك بعزماته الماضيه ،
وهمه العاليه ؛ برأى لا يسأهم فيه ولا يسأرك : ليصبح هذا النعر بمباشرة باسم
حاليا ، وتعود بهجته له بجميل نظره ثانيا ؛ ويتنصب لتدبير أحواله على عادته ، ويقرر
قواعده بعالي همته ؛ ويجهد في تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ، وأستخراج زكاته

(١) تقدمت في صفحة ٤٠ و ٤١ من هذا الجزء ببعض زيادة وتغيير واختصار .

(٢) لم يذكر خير المبتدا ولعله سقط من قلم النسخ والأصل أحق من ماس ... من كان لخلل العفاف
لابسا ، ومن نور الايقان قابسا ، الى غير ذلك من الأوصاف .

وتحمة متاجرهم ، ومعاملة التجار الواردين إليه بالعدل الذي كانوا ألقوه منه ، والرفق الذي نقلوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هدايا البحور ، ودوابه الثغور ؛ ومن ألسنتهم يُطلع على ما يُجنيه الصدور ، وإذا بذّر لهم حبّ الإحسان نسروا له أجنحة مراياهم كالطيور ؛ وليعتمد معهم ما تضمته المراسيم الشريفة المستمرة الحكم إلى آخر وقت ، ولا يسلك معهم حالة تُوجب لهم القلق والتظلم والمقت ؛ وليواصل بالحمول إلى بيت المال المعمور ، وليلام الخزائن السلطانية من مستعملات الثغر وأمتعته وأصنافه بكل ما تستغنى به عن الواصل في البرور والبحور ؛ وليصرف همته العالية إلى تدبير أحوال المتاجر بهذا الثغر بحيث ترتفع رؤس أموالها وتسمى ، وتوجد سخائب فوائدها وتسمى ، وليراع أحوال^(١) المستخدمين في مباشراتهم ، ويكشف عن باطن سريهم في جهاتهم ؛ ليتحققوا أنه مهيمن عليهم ، وناظر بعين الرأفة إليهم ؛ فتتكف يد الخائن منهم عن الخيانة ؛ وتعلم أنامل الأيمن بحاسن الصيانة ؛ وليطالع بالمتجددات في الثغر المحروس ، ليرد الجواب عليه منا بما يشرح الصدور [ويطيب النفوس] وليناول من^(١) المعلوم على ذلك في غزوة كل شهر ما يشهد به الديوان المعمور ؛ والله تعالى يتولاه ويعضده ، ويؤيده ويسدده ؛ بمنه وكرمه ! .

قلت : وربما كتبت لناظرها توقيع مفتتح «أما بعد حمد الله» في قطع الثلث .



وهذه نسخة توقيع بنظر نغر الإسكندرية ، وهي :

أما بعد حمد الله مفيض حلال إنعامنا على من أخلص في طاعتنا الشريفة قلبه
ولسانه ، ومولى فضل آلائنا العميمة على من أرهف في مصالحنا عزمه وبنائه ؛

(١) الزيادة مما تقدم في صفحة ٤١ من هذا الجزء .

وَحَلَّى رتب عليائنا الشريفة بمن أشرق في سماء المعالى بذره وإنسانه ، وأينعت
 في غصون الأمانى قطوفه وأفسأه ، ومُبلِّغ أقصى غاية المجد في أيامنا الزاهرة بمن
 تنبسم بجيمل نظره الثغور، وتعتصم بحميد خبره وخبرته الأمور ؛ وتُشرق من جميل
 تديره البُدور ، وتعتمد على هممه الأيام والدهور . والصلاة والسلام على سيدنا محمد
 الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، والناسير لواء العدل بسننه الواضح وشرعه
 القويم ؛ والمُنجز لمن آقتنى سُبُلُه أوفى تكريم ، وأوفر حظَّ عظيم ؛ وعلى آله وأصحابه
 ما أهدى بهم ذُور البصائر والأبصار ، وأرتدى بأرديتهم المُعلّمة مقتضى الآثار -
 فإنَّ أولى من أسندنا إلى نظره الجميل رتبة عزٍّ مازالت طيور الآمال عليها تُحوم ،
 وعدقنا بتديره الجليل منصب سيادة ما برحت الأمانى له تروم ؛ وأعتمدنا على همته
 العلية فصدق الخبر الخبر ، وركنا إلى حميد رأيه فشهد السمع وأدى النظر ^(١) .

ولما كان فلان هو الذى أتسق في ذروة هذه المعالى ، وانتظم به عقد هذه
 الآلى ، وحوى بفضيلة اللسان والبيان ما لم تُدرکه المُرَهقات والعوالى ؛ فما حل
 ذروة عزٍّ إلا وحلاها بنظره الجليل ، ولا رقى رتبة سيادة إلا وأسقر في ذروتها وجه
 صُبحه الجميل ، ولا عدق بنظره كفاية رتبة إلا وكان لها خير كفيل .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال ينتصى للرتب العلية خير مُنجد ومُجير ،
 ويمتطى للناصب السنية نعم المولى ونعم النصير - أن يستقر ... فإنه القوى
 الأمين ، والمتمسك من تقوى الله تعالى ومراقبته بالسبب المتين ؛ والمستندُ بجيمل
 كفايته ، وحميد ديانتته ، إلى حصن حصين ؛ والمستدرى بأصالته وإصابته إلى
 الجنة الواقية والحرم الأمين ؛ فليقدم خيرة الله تعالى في مباشرة الوظيفة المذكورة بعزم

(١) لم يذكر خبرا لأن وهو معلوم من نظاره السابقة أى من كانت صفته كذا وكذا الخ .

(٢) بالصاد المهملة أى يختار وينتق .

لا يَنْبُو، وهمة لا تَحْبُو، وتدير يتضاعف على ممر الأيام ويربُو، ونظير لا يعزب عن مباشرة فيه مثقال ذرة إلا وهي من خاطره في قرار مكين، وضبط لا تمتد معه يد لأمس^(١) [اليها] إلا ويجد من مرهفه ما يكف كفها عن الخيانة بالحق المبين؛ وليضاعف همته في مصالح هذه الجهة التي عدقناها بنظره السعيد، وليوفر عزمته فإن الحازم من ألقى السمع وهو شهيد؛ والوصايا كثيرة ومثله لا يدل عليها، والتنبيهات واضحة وهو - وفقه الله - أهدى أن يرشد إليها؛ والله تعالى يوفقه في القول والعمل، ويصلح بجميل تديره وحيد تأتبه كل خلل؛ بمنه وكرمه!

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع الثالث بـ «المجلس السامي» بغيريا
أو «مجلس القاضي» وفيها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(كتابة الدرج)

وصاحبها هو الذي يقوم بالإسكندرية مقام كاتب السرّ بالأبواب السلطانية في قراءة المكاتب على النائب، وكتابة الأجوبة وما يجري مجرى ذلك .
وهذه نسخة توقيع من ذلك :

رسم بالأمر الشريف - لا زال شاملاً فضله، كاملاً عدله، هاملاً بالإحسان وبله، متصلاً بالجميل حبه، ملاحظاً بعين العناية للبيت الزاوي فرعه الطيب أصله، معلماً تجمه إلى أسنى المراتب التي لا ينبغي أن يكون محلها إلا محلّه - أن يستقر فلان

(١) في الأصل ملتمس الا الخ .

فى كتابه الدرّج بئغر الإسكندرية المحروس على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته ،
بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت : لأصاليه المعرّقه ، وغُصون نسيه
المورقه ، وآدابه الجمه ، وفضيلته التى أبدى بها علمه ، وكتابته التى حلّت المهارق ،
وأبدت من الجواهر ما تمنى لمسّه المفايق ، وتذوى لنضارته أزاهر الروض النضير ،
وتنفرد فى الحسن فلا تجد [لها] من نظير ، وتبرز كالعقود فى أجياد الترائب ، وتُنشئ
كُنبا تغنى عن الكائب ، مع ماله من راسة أثبتت معاليه ، ونفاسه أضحت بجواهرها
الأوصاف حاليه ، وصدارة توالث منه فاستوجب بها مزيد الحسنى المتواليه ،
قد حوّل فى كرم الأصل فلا غرو أن أمسى نجيبا ، ودعا بديع اللفظ ولطيف المعنى
فغدا كل منهما لأمره طائعا وبالإذعان مجيبا ، وعلا كوكبه فأضحى فى الرقة بعيدا
وإن كان فى مرأى العين قريبا ، وزكا من أكاره إلى كل فريد فى سؤدده ، واحيد
فى علاه يفوق الجمع فى عدده ، فهو إنسان عين زمانه ، ومالك زمام الإنشاء ومُصرف
عنان بنائه ، ومُبرز الحسنات بسفارته المقبولة وإطلاق بيانه ، فلا غرو أن استوجب
منا ما يقضى له بالمزيد ، وأستحقّ باتباع أصله العالم التقي إدراك ما يزيد ، وتحلّى
بمناقبه ومآثره ، ونقل عن عفاقه ومفاخره .

فليستمرّ فى ذلك على أجمل عوائده ، وأجزل فوائده ، سالكا فى ذلك طرائقه
الحميده ، ومناججه ومناجج أسلافه السديده ، مبرزاً من خطّه ما يُخجل به الطروس ،
ويُسّر بمزاياه النفوس ، ويُنظم كالعقود ، ويلوح للأبصار حسن رونقه [المشهود] ،
والله تعالى يجعل إحساننا لدى بيته الكريم مستمرا ، وأميتاننا العميم عنده مستقرا ،
وتغرّ العناية به مفترّا ، بمنّه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظرُ دار الطراز بنجر الإسكندرية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لصلاح الدين بن علاء الدين علي بن البرهان ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال إيتاره ، يُكْرَمُ من غدا صلاحه حلّة العلي طرازا ، وأختياره ، يقدم للمناصب الجليلة من ورت من أبيه نهضة وأحترازا - أن يستقر فلان في كذا : لكفايته المعروفة المحقّقه ، ودرايته المألوفة بركاتها الموقرة وحركاتها الموقّقه ، وديانته التي منها الأ كابرُ علي ثقّه ، وأمانته التي تعتمدُ الحقّ مستدعيةً ومنفقه ، وصيانته التي هي للواصل حافظةً وعلى الحاصل مُشفقه .

فليباشِرْ هذه الوظيفة التي كانت في سالف الزمان إلى الحُكّام تُضَاف ، وللعلماء الأعلام عليها نظرٌ وإشراف ؛ ومنها يُسَدَّلُ على أوليائنا لباسُ الإنعام وترسُلُ أجناس الإتحاف ، وتُسْرَبُلُ الكعبةُ البيتُ الحرامُ في كلّ عام يجلبها المحكم النّسج المُعَلَمُ الأطراف ؛ وليُصَنِّ ذَهَبًا عند صرفه وقبضه ، وليزِنَ نَحْرًا بتقريبِ مَشُوبه وتحرير محضه ، وليُبينَ عن حسن التدبير في إبرامِ حريرها وتقضيه ؛ وليستَجلبِ رجالها وصناعاتها ، وليُجنّبِ أحوالها ضياعها ، وليستَجِدْ أصنافها وأنواعها ، وليتفقَدَ أكتافها ويقاعها ؛ حتّى يُظهِرَ في أعمالها آثارَ الصلاح ، وتُسكّرَ مباشرته التي هي محمودة الأتباء مسعودة الإفتتاح ؛ والله يقرن رجاءه بالإرباح ، ويؤذِنُ له حيثُ سَلَكَ بإصابة الصواب والفلاح ، بمنه وكرمه ! .

قلت : ودار الطراز هذه هى التى تعمل فيها المستعملات السلطانية : مما يُجمل إلى خزانة الخاَصَّ الشريف من الأقمشة المختلفة الصّفات : من الحرير والمقترح الخوَصَّ بالذهب ، والتفاصيل المتفوشة بضروب النقوش المختلفة ، وغير ذلك من رقيق الكنان وغيره مما لا يوجد مثله فى قُطر من أقطار الأرض ؛ ومنه تُتخذ الأقمشة التى يلبسها السلطان وأهل دُوره ؛ ومنه تعمل الخلع والتشاريف التى يلبسها أكابر الأمراء وأعيان الدولة وسائر أهل المملكة ؛ ومنه تُبعث الهدايا والتحف إلى ملوك الأقطار . وقد كان يكتب لناظر هذه الدار توقيع عن الأبواب السلطانية خارج عن توقيع ناظر الإسكندرية على ما تقدم ذكره . أما الآن فقد صار ذلك تحت نظر ناظر الإسكندرية يتحدّث فيه كما يتحدّث فى سائر أمورها ، ومرجع الكل إلى ناظر الخاَصَّ بالأبواب السلطانية .

الجهة الثانية

(مما هو خارج عن حاضرنا مصر والقاهرة بالديار المصرية - بلاد الرّيف)
والمراد بالرّيف فى أصل اللغة موضع المياه والزّرع .
وقد تقدّم أنّ ريف الديار المصريّة وجهان :

الوجه الأول

(الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصّعيد)

وقد تقدّم فى المقالة الثانية فى الكلام على المسالك والممالك أنه ينقسم إلى صعيد أعلى، وصعيد أسفل . وقد كانت ولايته العامّة فى الزمن المتقدّم يعبر عن صاحبها

(١) الضمير عائد على ما تقدم من الحرير والكنان .

بـ«والى الولاة بالوجه القبلى» ثم استمرت نيابة سلطنة على حدّ تقدمة العسكر بغزة في رتبة المكتبة، في الأيام الظاهرية « برفوق » وهى على ذلك إلى الآن . ونائبها يكتب له تقليدُ نيابة السلطنة بها في قطع النصف .

وهذه نسخة تقليد شريف من ذلك ، من إنشاء الشريف « شهاب الدين » كاتب الإنشاء ، وهى :

الحمد لله الذى رحم بتعاهد نظيرنا البلاد والعباد ، وحسم بموارد زواجرنا موادّ الفساد ، وأحمد فى هذا الوجه لنا الآثار ووطأ بنا المهاد ، وأفرد آراءنا بجمع المصالح على اجمع والإفراد ، وأولى بنا الرعية الخيرة فى استرعاء من يبذل فى صياتهم الاجتهاد ، وأعلى بنا كلمة العدل فهى تُنشر وتُداع وأوهى بنا كلمة الظلم فهى تُفهر وتُداد ، وأجلى بانتقامنا فئة الضلال فلها عن ملكنا الشريف أندفاع ^(١) وأنطراد .

نحمده على أن قرن بآرائنا السداد ، ونشكره على أن ضمن أصطفاءنا حسن الارتداد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقوم حجتها ، يوم يقوم الأشهاد ، وتقوم بهجتها ، علماً للإرشاد ، ونشهد أن سيد البشر محمداً عبده ورسوله الذى فضّل العالم وساد ، وأجزل المكارم وجاد ، وهدى بشرعه من حاد ، وأردى برذعه من حاد ، وأجرى بيوذه النفع حيث كان وأبدى ببأسه القمع لمن كاد ، وأحمد بأسيافه الباطل فباد ، وجعل لأنف مخالفه الإرغام وبلحيش مجانفه الإرعاد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأئمة الأئمة ، صلاة لها تضاعف وتعداد ، وبفتكاتهم (؟) للنواب إجماد ، وسلم تسليماً كثيراً .

(١) دعه مراعاة السجع الى استعمال الاتعمال من طرد نص أهل اللغة على أنها لغة رديئة . فنبه .

وبعد فإن الله تعالى لما أعلیٰ هممنا وأصعدنا، ووفیٰ عزائمنا من النصر موعدها،
 وأسعف بملكنا الرعية وأسعدنا، وضاعف بنا لديهم النعمة وجددها، وأوضح
 بنا سبل المعدلة وجددها، وأنجح بسطاننا آمال الخليفة وأنجدنا - لم نخل من
 ملاحظتنا أذنى الأقطار ولا أبعدها، ولم نغفل من ممالكنا ناحية إلا نحأها فضلنا
 وقصدنا فأقرها الصالحات وخلدنا، وأثر بها المسامحات وأبدنا، ونصر الشريعة
 وأبدنا، وسد الذريعة بأفعال حريم سددها، ووطن أهلها ووطدها، وأورد من بها
 موارد الأمن لما وردنا .

ولما واجه إقبالنا فى هذه الأيام الوجه القبلى، وصعد إلى الصعيد الأعلى ركابنا
 العلى، تحنا بلادته وتعددها، وتعين ملاحظته وتأكدها، وكثرة السالك لسبله،
 والملاك لحوله، والوزاد لنهله، والوفاد من قبله، وهو منهج التجار فى التوجه
 من أبوابنا الشريفة والجواز، وباب اليمن والمجاز، وفى الحقيقة هذا المجاز يتعين له
 الحفظ وفيه الاحتراز، وبه كراسى منها السيارة تمتاز وعلى سواها من البلاد تمتاز،
 وبه مرا كزولة ينفرد كل منها عن الآخر ويتحاز، وهى : إطفيج، والبهنسى،
 والأشمونين، ومنقلوط، وسيوط، وإنجم، وقوص . وهذه الأقاليم مجتمعة متفرقة،
 وحدود بعضها ببعض متعلقه، وبها إقطاعات مقدمى الألوفا والطبلحاناه والمالك
 والحلقه، وإليها تردد الركاضة والمرزقه، وربما أخاف المفسدون من بعضها سبله
 وقطع طرقه، فأتهم البرى، وسلم الجرى، ولبس على من هو عن الخيانة عرى،
 فرأينا أن ننصب بهذه الأقاليم وإلى ولاية يحوس بنفسه خلالها، ويدوس بخيله
 سهلها وجبالها، ويفجأ مفسدها، ويبعث بعثه بها، ويوجد نفاقها، ويوجد وفاقها،
 وينصف ضعافها، ويذهب خلاقها، ويزيل شكواها، ويكف عدواها، ويصلح

(١) فيه تصحيف راعله « ويفجأ مفسديها، ويبعث بعثها » .

فسادها ، ويوضح سدادها ؛ ويوصل حقوقها ، ويستأصل عُقُوقَها ؛ ويواصل طُروقَها ، ويقابل بالعقاب فسوقها ؛ ويمنع باهتامه ، أهواءها ، ويشفي بحسامه ، أدواءها .

ولما كان المجلس السامى ، الأميرى ، الحسامى هو الذى عرّف أحوالها وخبرها ، وولى من أقاليمها ما علم به مصالحها وأعتبرها ؛ وعهدت منه الأمانة والكفاية ، ومُحَقِّقَتْ نهضته فى كل عمل ويقظته فى كل ولاية - أقتضى 'حسنُ الرأى الشريف أن تُفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بهذه الأعمال المذكورة والأقاليم كلها ، وأن ينتضى فيها حُسامه الذى ينبغى أن يرتضى وينتضى لمثلها ؛ وأن يحل محله إذ اخترناه لأعلى رتب الولاية وأجلها ، وأن نصل أسباب النعمة لديه بهذه النعم التى كل ولاية فرع لأصلها .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تحض الرتب العلية بأهلها ، وتشمل ذوى الأهتمام بإحسانها وفضلها - أن يفوض إلى المشار إليه ولاية الولاية بالوجه القبلى . فليباشر ذلك بهمة تَمْضى فى البلاد عزائمها ، ونهضة تسير إلى دانيها وقاصبها صوارمها ، وشهامة يدهش المتمردين قادمها ، ويفقد مواد الفساد من حُسامها حاسمها .

ونحن نرسم له بأمور يلازمها ، ونوصيه بوصايا يداومها ؛ أن يكون بتقوى الله تعالى عاملا ، وللتصح باذلا ؛ وللشريعة معظما ، ولمراقبة الله تعالى مقدما ؛ ولحق متبعا ، وإلى الخير مسيرعا ؛ وللؤمنين مؤمنا ، وللنافقين مؤهنا ؛ وللرعايا موطنا ، وللزاهة مظهدا ومبطننا ؛ وعن الأبرياء كافا ، وعن الأتقياء عافا ؛ وعن الأموال مترها ، وإلى ما يصلح الأعمال من صالح الأعمال ^(١) موجهها . وليغد فى الأمور متبنا ، ولذوى

(١) فيه شبه استخدام فالأول بمعنى الجهات والثانى بمعنى الفعل . فنبه .

الفجور مشتتاً؛ ولساعٍ مُججٍ الخُصومِ منيصنا ، ولا يجعلُ لُلوله الأقاليمَ حيناً مؤقناً ؛
 بل يدخلُ المدينةَ على حينِ غفلةٍ من أهلها ، وليبقتَ بُلُوله هذه النواحي ليعلمَ ما هم
 عليه من تركِ الفواحشِ أو فعلها ؛ وليقيمَ بكلِ جهةٍ من يعلّمه بما يحتاجُ إلى علمه ،
 ويذكره بما يفتقر أهلُ البلادِ إلى السّترِ عنه وكنمه ؛ وليحظِ الحارسَ والأدراكَ ،
 وليجعلَ لكلِ شاردٍ من بطشه أسرعَ إدراكٍ - وقد رسمنا لولاية الأعمالِ المذكورة
 ومن فيها من توابِ الأمراءِ والمشايخِ بهذه الصورة وأن لا يُجبروا مفسداً ولا يُشووه ،
 ولا يُزولوا خائفاً ولا يُخووه ، ولا يسترّوا مخفياً ولا يُخبّوه ، ولا يُخلّوا نازحاً ولا يُوطّوه ؛
 بل يحضروه ولا يؤخروه ، ويمسكوه ولا يتركوه ، ويسلموه ولا يتجوه ؛ ومن خالف
 هذا المرسومَ ، أو اعتمد غير هذه الرسومِ ، فهو لنفسه ظلومٌ ، وقد برئت منه الذمّة ،
 وزالت عنه الحرمة ، وزلت قدمه ، وذهب ماله ودمه ؛ وقُرئت مراسيمنا بذلك
 هنالك على منابر الجوامع ، وسمِعها كلُّ سامعٍ ، وهم لك على أمتثالٍ أو امرنا مساعِدون ،
 وعلى اجتنابِ نواهينا معاضِدون ، وللإصلاحِ ما استطاعوا مُريدون وقاصِدون ؛
 فلا تمكّن أحداً من العُربانِ ولا من الفلّاحين أن يركبَ فرساً ، فإنما يُعدها للخيانةِ
 مخفياً ، ولا يكونَ لها مرتبطاً ولا محتسباً ؛ وكُنْ لهم مُلاقياً مُراقباً ، فمن فعل ذلك
 فانتقمُ منه بما رسمنا معاقباً ؛ ولا تمكّنهم من حملِ السلاحِ ولا آتباعه ، ولا استعارتهِ
 ولا استيداعه ، وتفقدَ من الأقاليمِ من تجّاره وصنّاعه ؛ نخدُ بالقيمة ما عند التجّارِ ،
 وأقعَ بذلك نفسَ الفجّارِ ، وأضرمَ نارَ العذابِ على من أضرمَ لعملِ ذلك النارَ ؛
 وأمرَ كلِّ فتنينِ متعاديتينِ بالمصالحةِ ، وأكفّفَ بذلك يدَ المكافه ، وحلّفَ بعضهم
 لبعضٍ بعد تحليفِ أكابرهم لنا على السيرة الحميدة والنّية الصالحة ، وخدّمهم في الخناياتِ
 بالعدلِ والمشامحةِ ، وفي المطالباتِ بالرفقِ إن لم تكن مُسامحةً ، وأحلمهم على محبّةِ
 الحقِّ الأبلجِ والشريعة الواضحة . وإذا رُفعت إليك شكوى فأزلها ، أو سُئلت إقالة

عثرة لذي هيئة فأقلها ؛ أو وجب حد فاقمه لحينه ، أو آرتبت في أمر فتروّ حتى تهتدي
 ليقينه ؛ ولا تعتقل إلا من أجرم جرماً يُوجب الاعتقال والحبس ، ولا تُسرّع
 إلى ما تخشى فيه اللبس ؛ وأعمل على براءة الذمة ، وأجهّد أن لا يكون أمرك عليك
 عُمة ؛ ولا تُرّجّ للهوى على خصم خصمه ، ولا تظلمه فإن الظلم ظلماته ، وخفّ نعمة
 الله فهي أعظم نعمة ، ولا تأخذك على البريء غلظة ولا قسوة كما لا ينبغي أن تأخذك
 في الجريء رافة ولا رحمه ؛ والله تعالى يرفع لك بالطاعة رتباً ، ويُنجح لك بالخدمة
 طلباً ، ويبلغ بك في الإصلاح أرباباً ، ويرد بك أمر كل مفسد غيباً ، ويوضح لك
 من الهداية مغيباً ، ويُزل بك من الخيرات صيباً ؛ والخطّ الشريف أعلاه ، حجة
 بمقتضاه . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالوجه القبلي - أيضاً ، من إنشاء الشريف
 شهاب الدين ، كُتِبَ به «لعلاء الدين المرادي» وهي :

الحمد لله الذي جعل إقبالنا مُسفر الجوده ، ونوالنا مبلّغا كلاً من الأولياء ما يؤمله
 من القرب من أبوابنا الشريفة ويرجوه ، وإفضالنا يوقر أقسام النعم لمن وفر دواعيه
 على طاعتنا فلا يزال استحقاقه يُعينه ويدعوه ، وإجمالنا يُنجز وعود التقديم لمن تعددت
 خدمه فلا يتجاوزهُ التكريم ولا يعدوه .

نحمدُه على أن جعل إنعامنا يهب الجزيل ويحبوه ، ونشكره على أن أقامنا يُحقِّق
 الحق فترفعه فيدمع الباطل ويعلوه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي خير ما ينطق به الإنسان
 ويُقوه ، لا يبرح اللسان يكرّر إخلاصها ويتلوه ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله

الذى رفع الله بِبِعْتِهِ عن هذه الأُمَّة كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَحَمَى بِشِرْعَتِهِ الدِّينَ الحَنِيفَ فلا يُلْمُ به التَّبْدِيلُ ولا يَعْرُوه ، وَأَفَاضَ بِبِرْكَاتِهِ فى كُلِّ وَجْهِ ما يُوسِعُ الخَيْرَ وَيُدْرَهُ وَيَمْنَعُ الشَّرَّ وَيُدْرُوهُ ؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين هم عِترته وأقربوه ، وصحبه الذين آستمعوا قوله وأتبعوه ، صلاة لا يزال وافدُها يتبع سبيلَ الإجابة ويقفوه ، ويصل إلى محل القبول ولا يحفوه ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإنَّ الله تعالى لما قرَنَ آراءنا بالسَّدادِ ، وأحسَنَ بنا النظرَ فى صلاح البلادِ ومَصالِحِ العبادِ ؛ لم نزلْ نرفعُ أقدارَ المخلصينَ بِمِزْيَةِ الإختيارِ والإرتيادِ ، ولجمُعهم فى صعيدِ الإحسانِ ونُحْلُهم رَبِّ الإضعادِ ، ونُدْفِي منهم مَنْ له تامُّ أهتامِ وشادُّ اجتهادِ ، ونميزُ منهم مَنْ حَسُنَ حالًا بالجمعِ والإفرادِ .

والولايةُ على الولاةِ بالوجهِ القبلىِّ من أهمِّ ما يُلْمَحُ ، وأعمُّ ما يَخْتارُ له مَنْ للحقِّ يَنْصُرُ وللخلاقِ يَنْصَحُ ؛ إذ بهذا الوجهِ عُيونُ البُلدانِ ، ووجوهُ العُرَبانِ ، وكرايى الأقاليمِ الحِسانِ ، ومراكزُ الولاياتِ التى تُحِلُّ دائرةَ السَّوءِ بأهلِ العُدوانِ ؛ وإقطاعاتُ الجندِ والأمراءِ ، والخواصُّ الشريفةُ التى على عمارتِها إجماعُ الآراءِ ؛ وعليه تتردُّ التُّجَّارُ ، وإليه بالمليزة يُنَّسَرُ ، ومنه نتعدُّ المنافعُ فيتعيَّنُ أن ندفعَ عنه المضارَّ ، ونُلْقِي أمورَه لمن يُنتقى حزمُه وعزمُه ويُختارُ .

ولما كان فلان هو الذى له وإلياتُ أقتضتْ تقديمه ، وسبقتْ منه سوابقُ خِدمِ أجرلتْ تكريمه ، وما زالَ فى الشامِ على الهمةِ حسنَ الشَّيمه ؛ وطهرَ البرَّ من كلِّ فاجرٍ ، ورأى أن التقوى أربحُ المتاجرِ ؛ وأعدبَ للرعيةِ من المعدلةِ المواردِ فصدرَ من أبوابنا إلى أحمدِ المصادرِ - أقتضى حسنُ الرأى الشريفِ أن نجعلَ له من إقبالنا النصيبَ الوافرِ . فلذلك رسمَ بالأمرِ الشريفِ - لا بَرَحَ يزيدُ الأقدارَ علاءً ويُظهِرها

من تكريمه في أحسن المظاهر - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالوجه القبلي -
وجميع نواحيه ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته إلى آخر وقت .

فلتلق هذه الولاية المباركة بقبول حسن ، وليوقظ جفن سيفه الذي لم يعرف
الوسن ؛ وليتق الله ربه في السر والعلن ، وليحكم بما شرع الله وسن ؛ وليجتهد
في إحماد العواقب وإحماد الفتن ، ليسكن من تردد إليها أو سكن . وليلاحظ هذه
الأقاليم بعزائم السيارة ، وليحافظ على سلوك سيرته السارة ؛ وليستطلع من كل بلد
أخباره ، ويتبع من كل وإل آثاره ؛ وإن رأى منكراً أزاله ، أو وجد مبطلاً أذاله
أو حققاً أذله ؛ وليعظم أحكام الشرع وحكامه ، وليجعل إمامه ليسعى نوره أمامه ؛
وليطالعنا بما نتعين فيه المطالعة ، ويراجع أوامرنا فيما تجب فيه المراجعة ؛
وليستجب لإيماننا الأدعية النافعة ، وليباشر بنفسه الأمور التي هي له راجعه ؛ ويراع
في القضايا المصلحة الجامعة ، ولتكن حمايته للمؤمنين واقية وفكته بالمجرمين واقية ؛
وليوسع الرعايا بالمعدلة الواسعة ، ويمنع المجترئين بالأخذة الرابضة والهيبة الرادعة ؛
ولا يمكن أحداً من العربان بجميع الوجه القبلي أن يركب فرساً ولا يقنديه ، ويكف
بذلك الأيدي المعتدية فإن المصلحة لمنعهم من ركوبها مقتضية ؛ وليقم الحرمة
والمهابة ، وليدبم قيامه في الخدمة وانتصابه ، وليرهف حد عزمه ويمضيه ، ويحرد
سيف الانتقام على المفسدين وينتضيه ؛ ومن وجده من العربان خالف المرسوم
الشريف من منعه من ركوب الخيل كائناً من كان ضرب عنقه ، وأرهقه من
البطش بما أرهقه : ليرتدع به أمثاله ، ولا يتسع لأحد في الشر بمجأله .

وقد كتبنا إلى سائر ولاة الأقاليم بمساعدته ، وأمرناهم بمعاونته ومعاوضته ،
وأكدنا عليهم في المبادرة إلى ما يراه من جميع الأمور ، من غير تهاون ولا تفصيل

ولا تُتور؛ حتى لا تنفوت مصلحة عن وقتها، ولا تزال جموع المعتدين معاملة بكتبتها؛ وقد حذرنا العُربان من مخالفة ما رسمنا بالتعرض لما يوجب هلاك نفوسهم، وقطع رؤوسهم .

وليقرأ هذا المرسوم الشريف على المنابر بجميع نواحي الوجه القبلى لتمتثل مراسيمه، ويتلقى بالقبول قادمه؛ وليقفوا عنده، ويقفوا رُشده، ويرهبوا من الشر وعيده ويستنجزوا من الخير وعده؛ وهو - بحمد الله - ما برح مهذباً، وبا كل الآداب مؤدباً، وبما يفعله إلى رضا الله تعالى ورضانا مقرباً؛ والله تعالى يجعله مختاراً مجتنباً، ويوزعه شكر منحنى الذى أجزل له الجبا؛ وخص به هذا العمل الجليل فضعف خصبه وأهتر ورَباً، ويُطلعه مباركاً ميموناً حيث حلَّ قيل له : مرحباً؛ ويضعده هذه الرتبة ويهبه توفيقاً مستصحباً، ويمهد به الطرق للسالكين حتى يتلوه عليه لسان التامين : (فَيَسْمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) ؛ والخط الشريف أعلاه، حجة بمقتضاه، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد شريف بنيابته أيضا ، من إنشاء المقر الشهابى بن فضل الله، وهى :

الحمد لله مطلق التصرف فيما كان ممنوعاً، ومنطق المتصرف ليكون قوله الصواب مسموعاً، وموسع نطاق المتصرف فى جميع ما تعين أن يكون له مجموعاً .

نحمده حمداً يعذب ينبوعاً، وينبت بمزيد الشكر زُرُوعاً، ويدتر ضرُوعاً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لتفرغ فُرُوعاً، وتسكن مجموعاً وتسكت مجموعاً؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أقوى لأهل الطغيان رُبُوعاً، وأجرى

لعيون الزرد عليهم دموعا ؛ وأغرى القيسى بالحين إليهم ورؤعا ، وأسقط على
لباسهم طيور السهام وقوعا ؛ ومهد البلاد بقتلاهم فآمن من خوف وأطمم من تشكى
جوعا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تعم ذرع الفجر بشفقها الخلق صدوعا ؛
وسلم تسليا كثيرا .

وبعد ، فإنه لا يستقيم نجاح الأمور ، ويُستدام صلاح الجمهور ؛ إلا بتفقد أحوال
وآلاتهم ، وتعهد سلوك الرعايا مع رعاتهم ؛ ورد مجموع كل عمل إلى من لا يبيت طرفه
في مصالحهم مملوءا من الوسن ، ولا يقتر له في التنقل في مهماتهم جواد في رسن ؛
ولا تهدأ سيوفه في الأعماد ما برقت بارقة فتن ، ولا يشرب الماء إلا ممزوجا بدم
ولا يبيت [إلا] على دمن ؛ وكانت الديار المصرية المحروسة أحوج شيء إلى هذا
الموصوف ، وأكثر اضطرابا إلى ما تُسام له في صلاح رعاياها لوايع سيوف ؛ والوجه
القبلي بها هو الجامع ما يزيد على السبعة الأقاليم ، الحائز من أهل الحضرة والبادية
لكل ظاعن ومقيم ؛ قد امتد حتى كاد لا يتيسر إلى آخر ، ولا يلتهي بما يكتفه من بر
مقفر وبحر زاخر ؛ قد جاور بالأودية العميقة الحوت في الماء وجاوره في السماء برفعة
الجال ، وتطاول حتى أتصل طرفاه الجنوبي بالجنوب والشمال بالشمال ؛ وحوت
بحارها من النيل المبارك [ما] مد الرزق المتمد ، وأمد المد المبيض على عبثه تراها
المسودة ؛ وهو الوجه الذي تعرف في كوثر نيله نضرة النعيم ، ويهر حسنا من أول
قطرة تقع من مرآة الجميل على وسيم ؛ قد حال فيه الماء مجرأ كأنما يشرب ندى ورد
الخدود ، وحلا كأنما ضرب الضرب في لمى ريقه المورود ؛ وكان لا ينهض بأعبائه ،
ويرد بالغيظ متفرحة عيون رقبائه ، ويمنع كل منسر منسر يُحدر أن ينتهب ^(١) وذيل
خبائه ؛ إلا من تقدمت له درب يتعلم في جليل الخطوب من مضائها السيف

(١) في الأصل «أن يته ردبل» .

المُدْرَب، وَيَقْتَسِدِي فِي دَقِيقِ التَّلَطُّفِ بِسِيَاسَتِهَا الْقَلَمُ الْمُجَرَّبُ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَهَادَى كِفَايَتُهُ الْأَعْمَالُ ، وَيَتَعَادَى نَفْعُهُ وَالسُّحْبُ فَلَا يُدْرَى لِمَنْ مِنْهُمَا التَّرْوَى وَلِمَنْ الْإِرْتِمَالُ ؛ وَقَدْ وَلى الْأَعْمَالَ الْبَهْتَسَاوِيَّةَ وَهِيَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْجَمِيلِ أَهْبَجُ صُورِهِ ، وَأَبْهَى فِيهَا تَكَثُرُ مَنَافِعِهِ الْمَشْهُورَةِ ؛ فَاصْحَى الْمَغْسَلُ فِي بَيَادِرِهِ يَتَبَادَرُ ، وَالْإِقْبَالُ يَتَكَثَّرُ لِإِقْبَالِهِ وَالْحَلُّ يَتَنَازَرُ ، وَمُرُودَرَعَاتُهَا تُعَرَفُ سِيمَاهَا فِي وَجْهِهَا مِنْ أَثَرِ سُجُودِ اللَّيْلِ كَرَّرِعْ أَخْرَجَ شَطَاهُ فَاسْتَأْزَرَ ؛ فَاقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفُ أَنْ تُطَلَّقَ تَصْرِفُهُ فِيمَا جَاوَرَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ تُسْغَلَ لَهُ يَمِينًا بِالْيَمِينِ وَشِمَالًا بِالشَّمَالِ .

نُفْرَجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفُ الْعَالِي - لَا زَالَ يُؤَيِّدُ عِزَّ الدِّينِ طُهُورًا ، وَيُتِمُّ لَهُ فِي أَعْمَالِهِ نُورًا - أَنْ يَكُونَ فُلَانٌ كَاشِفًا وَوَالِي الْوَلَاةِ بِالْوَجْهِ الْقَبْلِيِّ بِأَجْمَعِهِ : مَعْطَلُهُ وَمُرُودَرَعُهُ ؛ وَبِرِّهِ وَبِحِرِّهِ ، وَعَامِرِيهِ وَقَفْرِهِ ؛ وَأَهْلِي حَضْرِهِ وَبَادِيَتِهِ ، وَأَصْحَابَ زَرْعِهِ وَمَاشِيَتِهِ ؛ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ فِي ذَلِكَ ، لِیَأْمَنَ الْمَقِيمُ وَالسَّالِكُ ؛ وَيَجْمَعُ عَلَى الطَّاعَةِ مَنْ قَبْلَهُ هُنَاكَ ، وَيُنْتَظَمُ عَقَائِدُهُمُ الْمُتَهَالِكُ ؛ وَيَقْوَى اللَّهُ أَجْرَهُ ، وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ يَكُونُ نَهْيَهُ وَأَمْرَهُ ؛ وَالْحُكَّامُ وَالْأَحْكَامُ هُمَا مَا هُمَا فَلِيَحْفَظَ زِمَامَهُمَا ، وَلِيَتَفَقَّدَ إِلَى الْأَغْرَاضِ سِهَامَهُمَا ؛ وَلِيُوصِّلَ الْحَقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَيَسَهِّلَ الْمَطَالِبَ عَلَى طُلَّابِهَا ؛ وَلِيُنْصِفَ إِنْصَافًا لَا يُسْتَكْبَى مَعَهُ حَيْفٌ ، وَلِيُقِيمَ الْمَهَابَةَ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى التَّعَدَى طَارِقُ طَيْفٍ ؛ وَلِيَجْرِدَ عِزَّتَهُ فَإِنَّ مِنَ الْعِزَائِمِ مَا هُوَ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ ، وَلِيُحْسِنَ قِرَى النَّيْلِ الْقَادِمِ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ فَإِنَّهُ ضَيْفٌ .

فَعَلَيْكَ بِمَا نَأْمُرُكَ بِهِ مِنْ تَعْبِثَةِ صُفُوفِ الْجُسُورِ لِأَمْدَادِهِ ، وَالْإِسْتِعْدَادِ لِجَبْرِ عَوَالِي صَوَارِيهِ وَبِحُرَى جِيَادِهِ ؛ وَتَفَقُّدِ قَبْلِ قُدُومِهِ طَرِيقَهُ ، وَأَتْرُكِ عَنْ رَى الْبِلَادِ تَعْوِيقَهُ ؛ وَأَقِيمِ الْجُسُورَ ، فَهِيَ قِيَامُ الْجُسُورِ ؛ وَأَحْفِرِ التَّرَاعِ فَإِنَّهَا تُرَاعَى ، وَأَسْفِرْ لَهُ

(١) لم نثر على هذا الجمع في كتب اللغة وإنما الترة كغرفة إفراداً وجمعاً .

عن عمر أنس قرأها المجلوة وجوها كلما قسن له إصبعا يقبس ذراعا، وأقطع بإيصال
حق كل ناحية إليها من الماء منازعة الخصوم، ونبتهم أن الماء قسمة بينهم لكل منهم
شرب يوم معلوم، ولا تدع [به أحدا] من أهل المفاسد، ومن جرت لهم بسوايق الفتن
عوائد؛ ومن يتعزز برب جاه، ومن لا يكون له إلى حماية اتجاه؛ ومن خرج بوجهه
للشر مصرعا، أو لباب عقاب مستفتحا؛ أو وقف على درب أو قطع طريق،
أو توعد أهل رفاق أو أهل فريق؛ أو أقدم على ضرر أحد في نفس أو مال،
أو خشيت له عاقبة في بداية أو مال؛ أو نزل في بلد أمير ليتغطى بجناحه، أو ترمى
إلى عصابة يحمل منهم حد سلاحه؛ فسل عليهم سيفك الماضي، وأحسن إلى الناس
إذا خشيت أن تسيء إليهم التقاضى؛ ومن أمسكته منهم فأمض حكم الله فيهم،
وأقم الحدود على متعتهم؛ وطهر الأرض بماء السيوف من أنجاسهم، وعلق منهم
أناسا بجبل الوريد إلى مدارج أنفاسهم؛ وأضرب منهم على الجذوع من تناوح الرياح
بسعفهم، وأوثق منهم بالسلاسل والأغلال من لا تقتضى جرائمهم إيصالهم في المقابلة
إلى حد تلفهم. وأكرم قدوم من يرد عليك من الكارم، وقرر بحسن تلقيك أنك
أول ما قدمناه لهم من المكارم؛ فهم سمار كل نادى، ورفاق كل ملاح وحادى؛
ولا بد أن يتحدث السمار، وتداول بينهم الأسمار؛ فاجعل سكرنا داب السنتهم،
ومننا حلية أعناقهم، ومننا سببا لا يستجلب رفاقهم؛ فهم من مواد الإرفاق،
وجواد ما يحمل من طرف الآفاق؛ وقد بقى من بقايا أهل العقائد الفاسده، والمعاهد
البائده؛ من يتعين إبعاد قائمهم، والتيقظ لتيقظهم والنوم عن نائمهم. ونحن ننبهك
على هذه الدقائق، ونوقفك على أطرافها ولك رأيك إذا حقت الحقائق؛ وطالع
أبوأبنا العالية بما أشكل عليك، ننزل أنوار هدايتنا أقرب من رجوع نفسك إليك؛

(١) لعل حرف النون زيادة من قلم الناسخ.

وأقدر حق هذه النعمة فإننا أوليناك منها ما لا يُضاهى، ووليناك من بلادنا قبلة
 ترضاها، وتوليناك حيث وجهت وجهك شطر المسجد الحرام، ونوعت لك أرواح
 الحجاز وأنت في مصر وريفيها العام، والله تعالى يديم منك سيفاً يروع مهزه، ويؤيد
 بك الدين فإنه بك يقوم جاهه ويُدومُ عزه، والاعتادُ على الخط الشريف أعلاه.
 إن شاء الله تعالى.

الوجه الثاني

(من وجهى الديار المصرية البحرى، وهو الشمالى)

وكانوا في الزمن القديم يخصونه بِاسم الرّيف، مثل اختصاص الوجه القبلى بالصعيد.
 وأرباب الولايات فيه على ضربين:

الضرب الأول

(أرباب السيوف)

وتخصّص الكتابه منهم الآن عن الأبواب السلطانية بنائب السلطنة بالوجه
 البحرى، ومقره مدينة دمنهور من البحيرة. وكان في الزمن المتقدم يكتفى في البحيرة
 بوالياها، وكذلك في كل من سائر الأعمال بالوجه البحرى، وفوق الكل ولاية عامة،
 يعبر عن صاحبها بوالى الولاية، وربما [زيد] بالوجه البحرى، وربما عبر عنه
 بالكاشف. ثم استقرت نيابة في رتبة تقديمه العسكرية بغزة في أيام الظاهر برقوق،
 على ما تقدم ذكره في المسالك والممالك في المقالة الثانية.

وهذه نسخة تقليد تصلح لنائب الوجه البحرى، مما كان كتب به المقر الشهابى
 ابن فضل الله لوالى الولاية بها، وهى:

(١) لم يذكر الثانى. فنه.

الحمد لله الذى أقام بنا كاشفاً لكل شكوى ، كاشفاً بآل كل عدوى ، عارفاً بنهاية كل دعوى ، عاطفاً بعدلنا إلى إزاحة كل لأوى ، وإزالة كل بلوى .

نحمده وهو أهل الحمد والتقوى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نأمن بها الدانية والقصوى ، ونؤمن بها على السر والتجوى ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف من مهده له جنّة المأوى ، وأشرف به على شرف المنوى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فطم بشريعته نفوسهم عمّا تهوى ، وفطر فطنتهم عليها حتى لا تضل ولا تغوى ، صلاة ترتوى بفائضها السحب ما تروى ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن من سجايا أيامنا أن نكشف كل كرب ، ونحسن إلى رعايا بلادنا إحساناً يتوخى في كل ضرب ، ونديم الأمن حتى لا ندع سوى النيل قاطع طريق أو خارجاً على درب ، ونجرد من المهابة شيئاً يخشى من قربه ، وطيفاً يبيت به طير الكرام مئاملاً على جنبه ، وخوفاً لبأبه من الخصائص المحمدية أنه يتقدم إلى قلوب الأعداء مسيرة شهر [جيش] رعيه ، وكانت الديار المصرية المحروسة هي التي لا يحمده سواها ذو وجهين ، ولا يوجد لها في جانبها مماثل في شيتين ، والوجه البحرى أوسعهما عرضاً ، وأقربهما من الرى أرضاً ، وأصدقهما للبارق المحمر ومضا ، وأجمعهما للذهب مذهب وللفضة إفصاً ، وأثبتهما وطأة لجرى النيل إذا أقبل في تياره يتدافع وأشتدت خيله ركضاً ، وهو الوجه المتهلل بشراً ، المتضوع بطيب رياحه تشراً ، المترين بمدائه أكثر مما زينه في مقاصيره فيصرو في مدائه كسرى ، المتلنى بعرويس كل قرية زف بها النيل في مسرى ، وبه الثغور التي لا تُسام لها بروق ، والمحارس التي ما لعادية إليها طروق ، وله من البحرين حاجزان ، ومن الجانين برّ مقفر وريف مقمر متبارزان ، وفيه من الشعوب والقبائل فى الحضر والبادية من

(١) لا يُؤمن منه باثره، ولا يُحمد بغير ما أراق من دم مُفسدٍ بهم نائره . وكان لا يقوم بها كلّ القيام، ويجمع فرائدها المشدرة في أكل نظام، إلا من تقلبت الأمور بقلبه كلّ التقلب، وجردت النوب عزمه في النواب بخردت سيفاً يُحمد في التجريب؛ ولم يزل منذ بلغ الحلم أميراً مطاعاً، ومنسذوباً لا يفرق في المهمات إذا طارت نفوس الأنظار شعاعاً، وأوقدت الأستنة سواعاً، وهماً لو أومض البرق ساعة بؤسه لا رتعدت فرائضه زماً لا إزماعاً، أو قابله الريح المعتدل عند أحكامه لأطبقت الأثم على أنه لا يمثله في العدل قطعاً وأجمعت على تفرده إجماعاً .

وكان فلان هو العليّ هبماً، الجزل مداومة الجزيل ديمماً، الملى بما لا يقدر على مثل دفعه البحر متدققاً وهمى الغمام منسجماً؛ وقد حمدنا له في كل ما باشره أثراً، وأنمداً بجميل ملاحظته كل برضاً؛ فباشر الوجه القبلى فملاً عين الناظر المتوسم، وعم سروره حتى غامزه جاره الوجه البحرى بينانه الخصب وضاحكه بتغره المتبسم؛ فلما تنقل فيهما استقرار (؟) الوجهين وما والأههما، وعرف في وجهه نضرة النعيم بما أولاهما، وأخصب جانباهما، وجد هذا كله ثم جد هذا فطاب الواديان كلاهما؛ فأقتضى حسن الراى الشريف أن لا يخلو الوجهان معاً من نظره الجلى الجميل، وأن يخلو عليه محاسنهما الكاملة ليفارق على وجه جميل ويواصل على وجه جميل .

نخرج الأمر الشريف - لازل يختار علياً، ويختار كل غمام يرتضى له ولياً - أن يكون والى الولاية بالوجه البحرى جميعه، متفرداً بأفراده ومجموعه، ومحكماً في قبائله ومجموعه؛ وبعيده وقريه، وبديعه وغريه؛ وكل ما هو داخل فيه، عائد إلى أعماله وراجع إلى متوليه، على تادة من تقدم وقاعدته فيما يليه؛ وهى ما يدكر من الأعمال:

(١) لم يتقدم ما يعود اليه الضمير وان كان الفرض واضحاً .

(٢) خوفاً ودهشاً .

الغريسة ، الشرقية ، البحيرة ، المنوفية ، إيسار ، أشمون ، قليوب . ولا أمر
ولا نهى إلا إليه راجع ، وله في متجددات الأمور مراجع ؛ ولا أرباب تصريف
إلا وله عليهم تصرف ، ولا صاحب جد ولا حد إلا فيه يمضي ويتوقف ؛ وتقوى
الله تعالى أول ما توصيه بسببها ، وتوصله إلى ربها ؛ وإقامة الشرع الشريف وإدامة
مبارزه وإعلاء مناره ، ومعاضدة حكمه وحكامه وأعوانه وأنصاره ؛ والوقوف معه
في إيراده وإصداره ، وإعلانه وإسراره ، والعمل به فإنه ما يضل من مشى في ضوء
نهاره ؛ وعمارة البلاد ، بادامة العدل وتكميل الرى وتوطين السكّان وقمع الفساد ؛
واعتقاد حكم التذكرة الشريفة لأمر الحراريف التي تعمل ، والترع التي ترعى والجسور
التي لا يقدم جسور على أنها تهمل ؛ فهما قانون الرى الكامل ، والضامن لحصّب البر
السايل ؛ وإذا أجرى الله النيل على عادته الجميلة لا يدع للحل عينا حتى يوارى
بالرى سوءته ، ويخفف بتيسر وصول حق كل مكان إليه وطأته ؛ ولا يدع غالبا
إلا مستغلا ، ولا معطلا إلا معتملا ؛ ولا طوق بحر إلا تمتد يد النيل إلى زر جوبه ،
ولا طائف رمل إلا يطوف طائف شرب على جرّائه وكثيبه ، حتى يعم الجميع ،
ويعمر ربوعها بما ينسجه لها من ملابس حلل الربيع . وعليه بالإنصاف بين
المساكين ، والإنصاف إلى الباكين منهم والمتباكين ؛ ووصل أمورهم على الحق
الذى نشر الله في أيامنا الزاهرة عالمه ، ومقتضى الشرع الشريف فإنه ما خاب من
أدام عليه حكمه وأدار إليه عمله . وأما أهل الفساد والأشبهاء ، ومن يحنى
بصاحب شوكة أو يتمسك برّب جاه ؛ أو ينزل بلد أمير كبير مستظلا بذراه ، أو ملتجئا
من خوف أو مستطعا من قرى قرآه ؛ بجميع هؤلاء نتبع فرقتهم ورفاقهم ، وطهر
الأرض منهم وأمسح بالسيوف أعناقهم ؛ وأنجم في قتلاهم ، وأنقل بالقبود أسراهم ،

(١) في الأصل شريب . (٢) لعله وأنجن .

وشدّد وتأفهم وكذلك من حمّاهم ووالاهم ؛ أو استحسن أو من عليهم أو مانع عنهم ،
 أو قال ما هو منهم وهو منهم ، وكلُّ أجرهم فى الحكم مجراهم ، وأطل تحت أطباق
 الثرى ثواهم ، ونبه منهم أناسا على رؤوس الجذوع وأنهم آخريّن نومة لا يتنبهون بها من
 كراهم ؛ حتى يتأدّب بهم كلُّ من أعرض ، ويتداوى بمداواته كلُّ من فى قلبه مَرَض .
 وما أشكل عليك فاسترشد فيه بمطالعة أبوابنا الشريفة : لتجد هدى واضحا ، وحقا
 لائحا ؛ والله تعالى يجعلك من المهديّن لأرضه ، القائمين فى أنواع الجهاد بقرضه ؛
 والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .

الجهة الثالثة

(درب المجاز الشريف)

وقد تقدّم أنه كان فى الزمن المتقدم يكتب عن السلطان تقليدًا لأمر الركب
 فى الدولة الفاطمية وما تلاها . أما الآن فقد ترك ذلك ورُفِض كما رُفِض غيره من
 الكتابة لأرباب السيوف بالحضرة السلطانية ، ولم يبق الآن من يكتب له من
 ديوان الإنشاء شىء سوى قاضى الركب . وقد جرت العادة أن يكتب له توقيع
 فى قطع العادة مفتتحًا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كتبت به للشيخ «تقى الدين السبكي» رحمه الله
 فى مبدأ أمره ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زال يعين على البر والتقوى ، ويرتاد لو قد الله من
 يتسك فى نشر الأحكام الشرعية بينهم بالسبيل الأقوم والسبب الأقوى - أن يستقر
 فلان فى كذا : لما اختص به من غزارة علومه ، وإفاضة فضائله المتنوعة إلى قوته

في الحق وتصميمه ؛ فإن مثله من يُختار لهذه الوظيفة الجارية بين وفد الله الذين هم أحق ببراءة الذم ، وأولى بمعرفة حكم الله تعالى فيما يجب على المنلبس بالإحرام والداخل إلى الحرم ، وأحوج إلى الأطلاع على جزاء الصيد فيما جزأ المتعرض إليه مثل ماقتل من النعم ؛ إلى غير ذلك من ثبوت الأهلّة التي ترتب أحكام الحجّ عليها، والحكم في محظورات الإحرام وما يجب على المتعرض إليها ؛ فليباشر هذه الوظيفة في الوقت المشار إليه على عادة من تقدّمه فيها ، مجتهداً في قواعدها التي هو أولى من نهض بها وأحق من يوفّيها .

قلت : أمّا شهود السبيل المعبر عنهم بشهود المحمل ، فإنما تكتب لهم مبرعات شريفة من ديوان الوزارة .

تم الجزء الحادى عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى عشر

واذله القسم الثانى

(مما يُكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية - أرباب

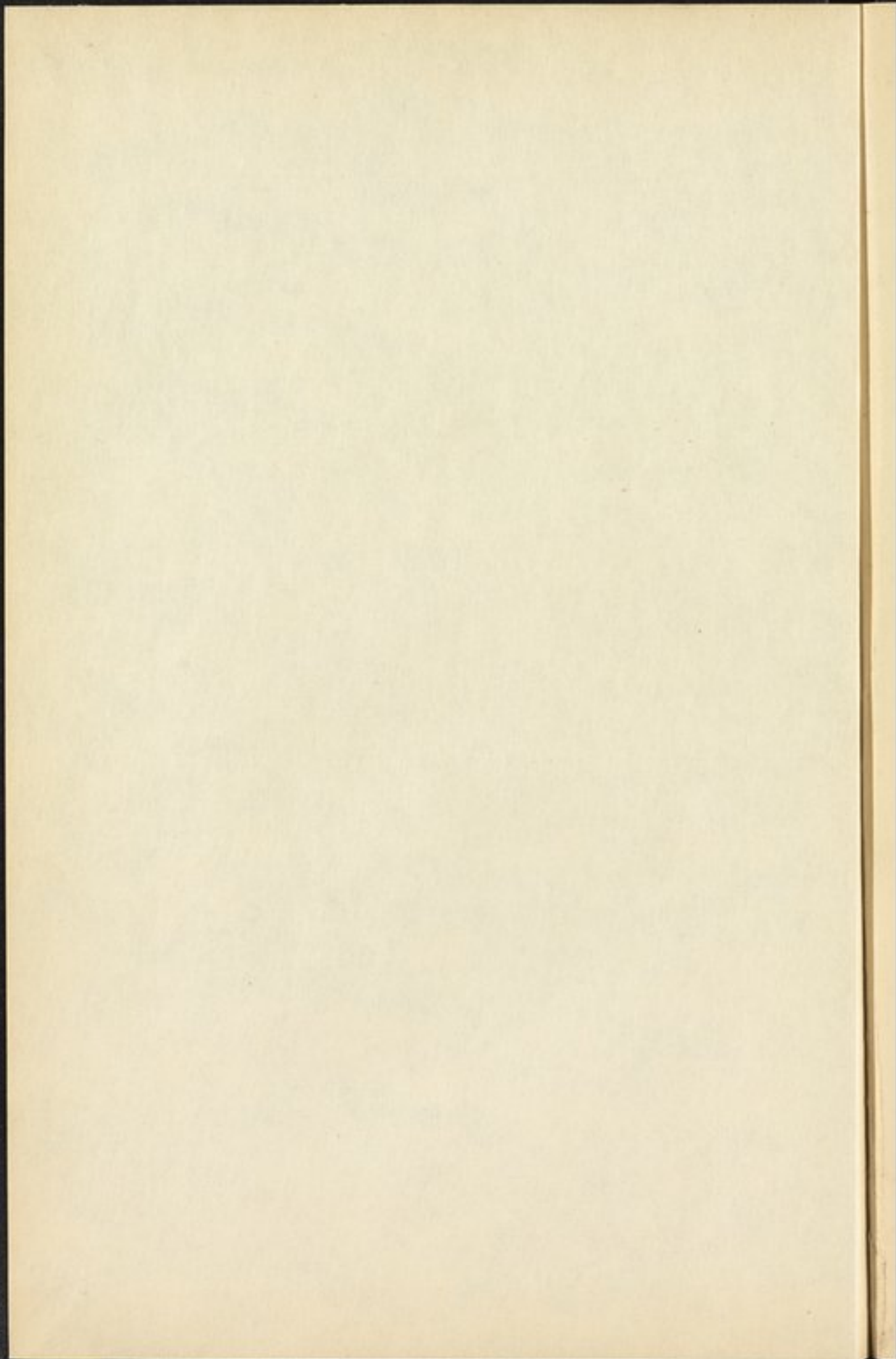
الوظائف بالممالك الشامية)

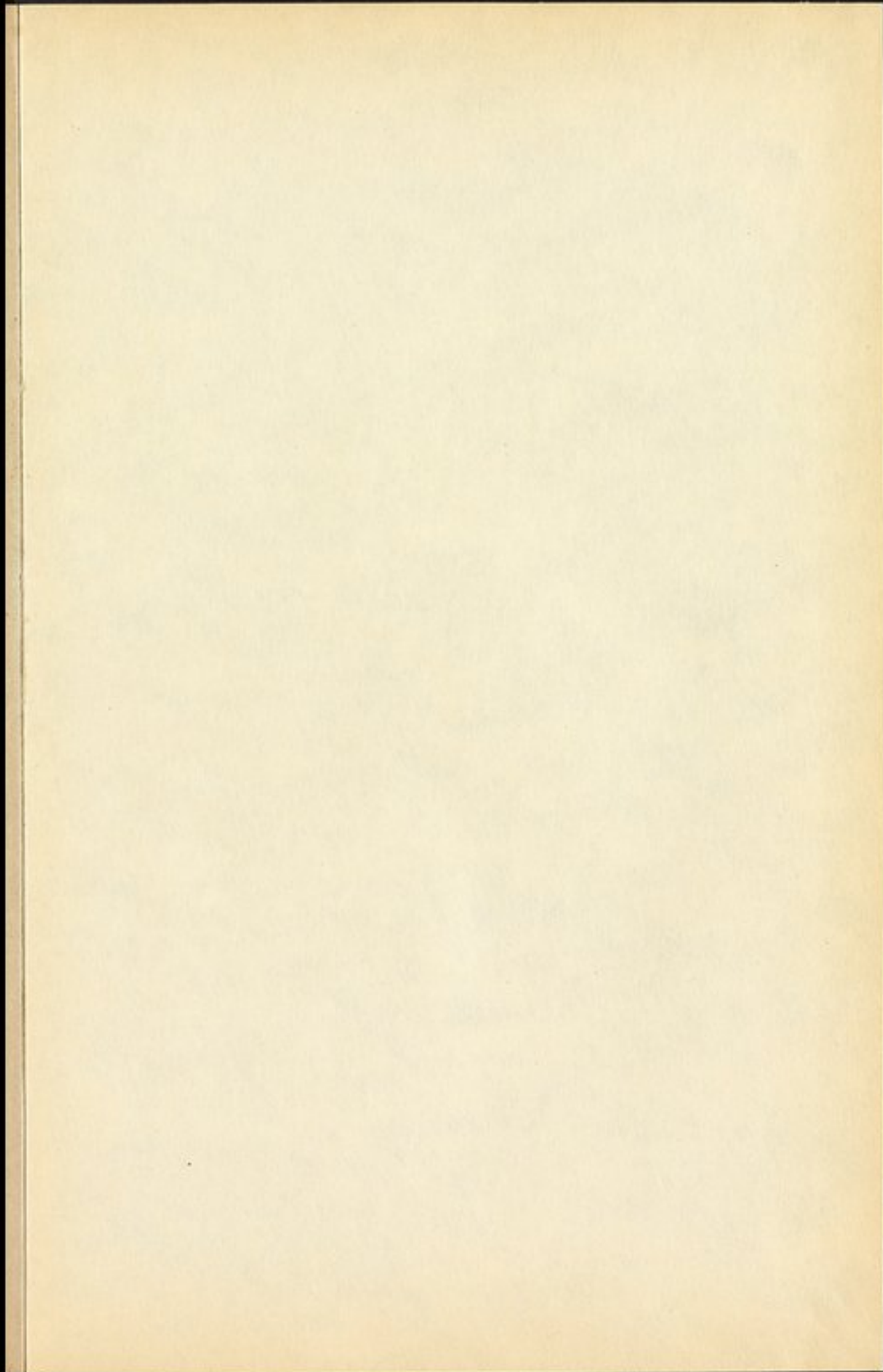
والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

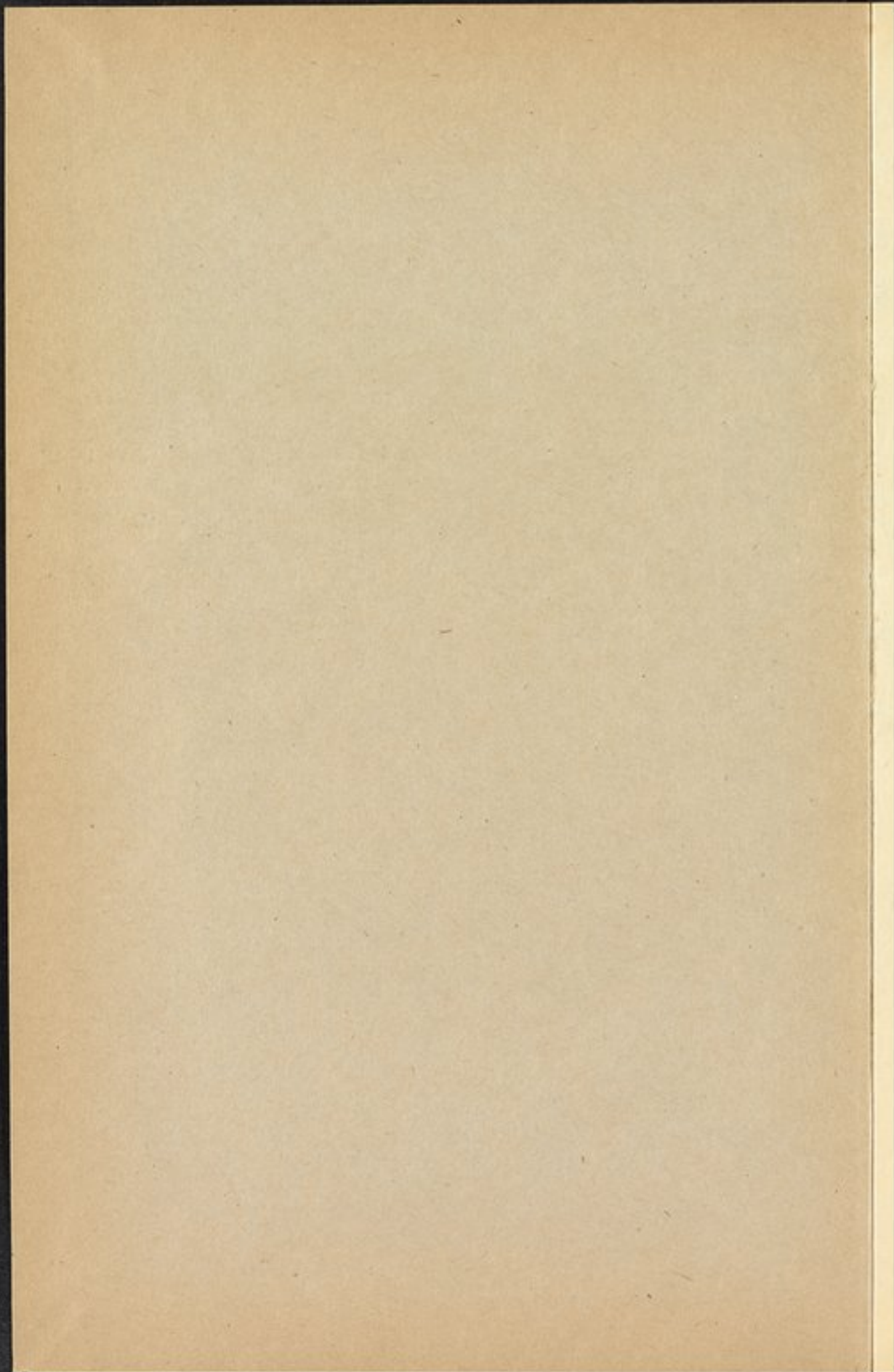
وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(المطبعة الأميرية، ٥٠٧٠/١٩١٧/٣٠٠٠)







893.7K125

W
11
Cop. 2

893.7K125

W
v. 11
cop. 2

Kalkashandī

Kitāb ṣubḥ al-aʿshā.

APR 2 1947

BINDER

JUN 17 1947

